رواية



ميِّت حتى حلول الظلام

تشارلين هاريس

ترجمة: محمد عصمت

الرواية التي
حوِّلت إلى مسلسل
TRUE BLOOD
من إنتاج
HBO



ميِّت حتى حلول الظلام



تشارلين هاريس

تعمل "سوكي ستاكهاوس" نادلة في حانة متواضعة، ضمن بلدة بون تيمبس الصغيرة. فتاة هادئة منطوية على ذاتها، وتميل إلى العزلة؛ إذ تهتم بشؤونها الخاصة فقط. وهذه الطِباع إثر امتلاكها قدرة خاصة متمثلة في قراءة أفكار الآخرين، لكنها لم تكن مزية بقدر ما أعاقتها عن تكوين علاقات اجتماعية في حياتها، حتى ظهر شخص يدعى "بيل كومبتون" طويل القامة، وسيم، وأهم من ذلك أن سوكي لا تستطيع سماع أي كلمة يفكر بها! كان هذا الإنسان هو من كانت تنتظره طوال عمرها، لكن ما لم تكن تعرفه، هو أن بيل، مصاص دماء ذو سمعة سيئة!

رائعة تشارلين هاريس الحائزة على جائزة «آنتوني لكُتّاب الغموض» والتي حوِّلت فيما بعد إلى مسلسل True blood الشهير، من إنتاج HBO.


ISBN 978-9921-712-83-4





رواية

ميِّت حتى حلول الظلام

سوكي ستاكهاوس #1

تشارلين هاريس

ترجمة

محمد عصمت



2023

Author: Charlaine Harris

Dead Until Dark

Sookie Stackhouse #1

Translated from English by:
Mohammad Ismat

Book Design:
Sarwar Murad



ترجمها عن الإنجليزية:
محمد عصمت

الإخراج الفني:
سرور مراد

الطبعة الأولى | أكتوبر 2023

ISBN: 978-9921-712-83-4

رقم الإيداع بالمكتبة الوطنية - دولة الكويت:

2288-2023



 +965 99462291 / +965 51088000

  @DarAlkhan_kw  info@daralkhan.com

Author: Charlaine Harris

Dead Until Dark

Sookie Stackhouse #1



2023

شكري وتقديري لهؤلاء الذين اعتقدوا أن هذا
الكتاب سيكون فكرة جيِّدة...

دين چيمس، وتوني لـ. بـ. كيلنر

و

جاري وسوزان ناولين



(١)

سَبَق لي انتظار مصَّاص الدماء لسنواتٍ حتى دَلَفَ إلى الحانة.

منذ أن خَرَج مصاصو الدماء من التوابيت (بعد ما وُضِعوا داخلها بشكلٍ مُضحِك) قبل أربع سنوات، وأنا أتمنى لو يأتي أحدهم إلى بون تيمبس. حيث احتوَت بلدتنا الصغيرة على جميع الأقليات الأخرى -فما الذي يمنَع أن تحتوي على أحدثها، وهم الموتى الأحياء المُعترَف بهم قانونيًّا؟ لكن على ما يبدو، فالمناطِق الريفيَّة في شمال لويزيانا لم تكُن جذَّابة للغاية لمصاصي الدماء؛ ومن ناحية أخرى، شكَّلت نيو أورلينز مركزًا حقيقيًّا لهم- كافة تفاصيل الكاتِبة الأمريكيَّة آن رايس، أليس كذلك؟

لا يستغرِق الأمر وقتًا طويلًا بالسيَّارة من بون تيمبس وصولًا إلى نيو أورلينز، وقد قال كُل من جاء إلى الحانة إنك إذا ألقيتَ حجرًا في رُكن شارِع، فسيسقُط على مصَّاص دماء. على الرغم من أنه من الأفضَل ألا تفعل ذلك.

لكنني كُنت أنتظِر مصَّاص دماء خاصًّا بي.

يُمكِنك استنباط أنني لا أخرُج كثيرًا. وهذا ليس بسبب قلة جمالي. فأنا جميلة. شقراء، بعينين زرقاوين، في الخامِسة والعشرين من عُمري، كما أنني أتمتَّع بساقين قويَّتين، وصدرٍ كبير، ناهيك عن خصري الرشيق. يُناسِبني زي النادِلة الخاص بالطقس الدافئ الذي اختاره لنا سام: بنطال قصير أسود، تيشيرت أبيض، جوارب بيضاء، وحذاء رياضي أسود.

لكنني أُعاني من إعاقة. هذه هي الطريقة التي أحاوِل بها التفكير في الأمر.

يقول زبائِن الحانة إنني مجنونة فحسب.

في كلتا الحالتين، النتيجة هي أنني لم أخرُج في موعدٍ من قبل قط. فحتى المُعاملات الصغيرة تعني لي الكثير.

وقد جَلَسَ -مصَّاص الدماء- إلى إحدى طاولاتي.

عَرِفتُ ماهيته على الفور. وشعرتُ بالدهشة تنتابني عندما لم يلتفِت أي شخص آخر ليُحدِّق به. ألا يُمكِنهم معرِفة الأمر! لكن بالنسبة لي، توهَّج جلده قليلًا، وهكذا عرفت.

كان بإمكانيَ الرقص فرحًا، في الواقِع... قُمت برقصةٍ صغيرةٍ بقدميَّ هُناك بجوار الحانة. رفع سام ميرلوت -رئيسي- ناظريه عن المشروب الذي يخلِطه وابتسَم لي ابتسامة صغيرة. أمسَكتُ بصينيتي ودفتري واتجهتُ صوب منضدة مصَّاص الدماء. تمنيتُ أن يكون أحمر شِفاهي لا يزال ثابِتًا، وتصفيفة

شعري لا تزال أنيقة. شعرتُ بالتوتُّر نوعًا ما، واستطعتُ الشعور بابتسامتي وهي ترفع زاويتي فمي.

بدا غارقًا في بحار تفكيره، وحظيتُ بفُرصةٍ لأتطلَّع إليه جيِّدًا قبل أن يرفع ناظريه للأعلى. قدَّرت أن طوله أقل قليلًا من ست أقدام. بشعرٍ بُنيٍّ كثيف، مُمشَّط إلى الخلف حتى لَمَسَ ياقته، وبَدَت سوالِفه الطويلة عتيقة الطراز بشكلٍ مُثيرٍ للفضول. كان شاحِبًا بالطبع؛ مهلًا، إذا ما صدقت الحكايات القديمة، لقد كان ميِّتًا.

تقول النظرية الصحيحة سياسيًّا، تلك التي يؤيدها مصَّاصو الدماء علنًا، إن هذا الرجُل كان ضحيَّةً لڤيروسٍ تركه -على ما يبدو- ميِّتًا لبضعة أيام، ليُعاني بعد ذلك من حساسيَّة من ضوء الشمس، والفضَّة، والثوم. حيث تعتمِد التفاصيل على أي صحيفة تقرؤها. وقد كانت جميعًا مليئة بأمور مصَّاصي الدماء هذه الأيام.

على أي حال، كانت شفتاه جميلتين، ومنحوتتين بحدَّة، كما تمتَّع بحاجبين داكنين مقوَّسين. بينما انقضَّ أنفه من هذا القوس مُباشرةً، كأميرٍ في فسيفساءَ بيزنطيَّة. عندما نَظَرَ للأعلى أخيرًا، رأيتُ أن لون عينيه أغمَق من لون شعره، وكان بياض عينيه ناصِعًا بشكلٍ لا يُصدَّق.

سألته وسعادتي تفوق قدرة الكلمات على الوصف: "ماذا يُمكِنني أن أُحضِر لك؟".

رَفَع حاجبيه، وسألني: "هل لديكُم زجاجات من الدم الاصطناعي؟".

"لا، أنا آسفة للغاية! لقد طَلَبَ سام بعضها. ومن المتوقَّع أن تصِل الأسبوع المُقبِل".

قال بصوتٍ باردٍ وواضح، كتيارٍ فوق حجر أملَس: "نبيذًا أحمر إذًا من فضلِك". ضحكتُ بصوتٍ عال. كان مثاليًّا للغاية.

صَدَحَ صوت مألوف من الطاوِلة المواجِهة للحائِط قائِلًا: "اعذُر سوكي أيها السيِّد، إنها مجنونة". تبخَّرت سعادتي، رغم أنني شعرتُ بالابتسامة لا تزال تُثقِل شفتيَّ. حدَّق بي مصَّاص الدماء، مُراقِبًا أمارات الحياة وهي تنحسِر عن وجهي.

قُلت: "سأحضِر النبيذ الخاص بك على الفور". وابتعدت، دون حتى أن أنظُر إلى وجه ماك راتراي المُتعجرِف. لقد وُجد هُنا كُل ليلة تقريبًا، هو وزوجته دينيس. أطلقتُ عليهما لقب زوجي الفئران. لقد بذلا قصارى جُهديهما ليملأا حياتي بؤسًا منذ أن انتقلا إلى المقطورة المُستأجَرة في (فور تراكس كورنر). وتمنيتُ أن يخرُجا من بون تيمبس فجأة كما دخلاها فجأة.

عندما أتيا إلى حانة ميرلوت للمرَّة الأولى، استمعتُ بوقاحةٍ شديدةٍ إلى أفكارهما -أعلم، هذا تصرُّف دنيء مني. لكن الملل يُحكِم سيطرته عليَ مثل أي شخص آخر-، وعلى الرغم من أنني أقضي مُعظم وقتي في حجب أفكار الأشخاص الآخرين التي تحاوِل المرور بدماغي، إلا أنني أستسلِم في

بعض الأحيان فحسب. وهكذا عرفتُ بعض الأشياء عن آل راتراي والتي رُبما لا يعرِفها أي شخص آخر. فمن ناحية، عَرِفتُ أنهما كانا في السجن، رغم أنني لم أعرِف السبب. ومن ناحيةٍ أخرى، كُنت قد قرأتُ الأفكار السيِّئة التي متَّع بها ماك راتراي نفسه بشأني. كما سَمِعتُ في أفكار دينيس أنها تخلَّت عن طفل كانت قد أنجبته قبل عامين، طفل لم يكُن من صُلب ماك.

كما أنهما لا يترُكان أي إكراميات كذلك.

سَكَبَ سام كأسًا من النبيذ الأحمر الباهِظ الثمن، نَظَر إلى منضدة مصَّاص الدماء وهو يضعه في صينيتي.

وعندما نَظَر لي سام مرَّة أخرى، كان بإمكانيَ القول إنه عَرَفَ أيضًا أن زبوننا الجديد ميِّتٌ حي. كانت عينا سام زرقاوين كعيني بول نيومان، على عكس عينيَّ الزرقاوين الرماديتين الضبابيتين. إن سام أشقر بدوره، لكن شعره مُمَوَّج، وشُقرته أشبه باللون الذهبي المحمر البرَّاق. كما أنه دائمًا ما يُعاني من بعض حروق الشمس الصغيرة، وعلى الرغم من أنه يبدو هزيلًا في ملابسه، إلا أنني رأيته يُفرِّغ الشاحِنات دون قميصه، وهو يتمتَّع بالكثير من القوَّة في الجُزء العلوي من جسده. لم أستمِع إلى أفكار سام قط. إنه رئيسي. وقد اضطُرِرتُ لترك وظائِف من قبل لأنني اكتشفتُ أشياء لم أكُن أرغَب في معرفتها عن رئيسي.

لكن سامٍ لم يُعلِّق، لقد أعطاني النبيذ فحسب. تحقَّقت من الكأس للتيقُّن من نظافته ولمعانه قبل أن أتوجَّه إلى منضدة مصَّاص الدماء.

قُلت بشكلٍ رسمي: "كأس نبيذك يا سيِّدي". ووضعته بحرصٍ على المنضدة أمامه بالضبط. نَظَرَ إليَّ مرَّة أخرى، فحدَّقتُ في عينيه الجميلتين حينما أتيحَت لي الفُرصة. قبل أن أقول بفخر: "استمتِع".

من خلفي، صاح ماك راتراي: "نحتاج إلى إبريقٍ آخرَ من الجِعَة هُنا يا سوكي!". تنهَّدتُ واستدرتُ لآخُذ الإبريق الفارِغ من على منضدة الفئران. لاحظتُ أن دينيس كانت في خير حال الليلة، حيث ارتدت قميصًا قصيرًا وبنطالًا قصيرًا، وطاف شعرها البُني الفوضوي حول رأسها في تشابُكٍ عصري. لم تكُن دينيس جميلة حقًّا، لكنها كانت خاطِفة للأنظار، وأنا واثِقة تمامًا بأن الأمر قد استغرقها بعض الوقت لمعرفة ذلك.

بعد فترة وجيزة، رأيت أن آل راتراي قد انتقلا إلى منضدة مصَّاص الدماء، وهو ما أثار فزعي. كانا يتحدَّثان إليه. لم أتمكَّن من رؤيته يستجيب لهما كثيرًا، لكنه لم يُغادِر كذلك.

قُلت باشمئزازٍ لآرلين، زميلتي النادِلة: "انظُري إلى ذلك!". تمتَّعَت آرلين بشعرٍ أحمر، ونَمَش، كما أنها تكبُرني بعشر سنوات، وتزوَّجت أربع مرَّات. لديها طفلان، وأعتقِد أنها تعتبرني طفلتها الثالِثة في بعض الأحيان.

قالت باهتمامٍ ضئيل: "شابٌّ جديد، أليس كذلك؟". تواعِد آرلين رينيه لينير في الوقت الحالي، وعلى الرغم من أنني لا أستطيع رؤية ما يجذبها فيه، إلا أنها تبدو راضية للغاية. أعتقِد أن رينيه كان زوجها الثاني.

قُلت: "إنه مصَّاص دماء". اضطررتُ إلى مُشاركة سعادتي مع شخص آخر فحسب.

قالت وهي تبتسِم قليلًا لتُظهِر تقديرها لسعادتي: "حقًّا؟ هُنا؟ حسنًا، يا للعجب، إلا أنه لا يُمكِن أن يكون مُشرقًا للغاية يا عزيزتي، طالما أنه يجلِس مع الفئران. ومن ناحيةٍ أخرى، ها هي دينيس تُقدِّم له عرضًا رائعًا".

اكتشفت ذلك بعد أن وضَّحته لي آرلين؛ إنها أفضَل مني بكثيرٍ في تحديد المواقِف الجنسيَّة بسبب خبرتها، وافتقاري لتلك الخبرة.

كان مصَّاص الدماء جائعًا. لطالما سَمِعتُ أن الدم الاصطناعي الذي طوَّره اليابانيون جيِّدٌ بما يكفي لمصاصي الدماء فيما يتعلَّق بالتغذية، لكنه لا يُشبع جوعهم حقًّا، ولهذا السبب تحدُث (حوادِث مؤسِفة) بين الحين والآخر. (كان هذا هو التعبير المُلطَّف الذي يستخدِمه مصاصو الدماء للتعبير عن القتل الوحشي للبشر). وها هي ذي دينيس راتراي، تُدلِّك حلقها، وتُدير عُنقها من جانبٍ إلى آخر... يا لها من عاهِرة.

دَخَل جيسون -شقيقي- إلى الحانة، ثُم سار نحوي ليحتضنني. إنه يعلَم أن النساء تُحِب الرجل الذي يُعامِل عائِلته جيِّدًا، كما أنه لطيف مع معاقة مثلي، وهكذا فإن مُعانقتي تُمثِّل ضربة مزدوجة للتوصية. لا يعني هذا أن جيسون يحتاج إلى نقاطٍ أكثر بكثيرٍ مما يمتلِك عندما يكون على سجيته. إنه رجل وسيم. كما أن بإمكانه أن يكون لئيمًا بكُل تأكيد، لكن يبدو أن مُعظم النساء على استعدادٍ للتغاضي عن ذلك.

قال: "مرحبًا يا شقيقتي، كيف حال جدتنا؟".

"إنها بخير، كالعادة تقريبًا. زُرنا لتطمئن عليها بنفسك".

"سأفعل. أيتهن حُرَّة طليقة الليلة؟".

قُلت: "ابحث بنفسك". لاحظتُ أن العديد من أيدي النساء تتحرَّك نحو الشعر، والبلوزات، والشفاه، بمُجرَّد بدء جيسون في التلفُّت من حوله.

"مهلًا. أنا أرى ديان. هل هي مُتاحة؟".

"إنها هُنا مع سائِق شاحِنة من هاموند. إنه في دورة الميَاه. خُذ حذرك".

ابتسَم لي جيسون، وتعجَّبتُ من عدم قُدرة بقية النساء على رؤية الأنانية التي تسكُن ثنايا تلك الابتسامة. فحتى آرلين هندمت قميصها عندما دَخَل جيسون، وقد كان لا بُد لها من أن تعلَم القليل عن تقييم الرجال بعد أربعة أزواج. أما النادِلة

الأخرى التي أعمَل معها -داون- فقد ألقَت بشعرها للخلف وفردَت ظهرها لتُبرِز ثدييها. لوَّح لها جيسون بشكلٍ ودي. فتظاهَرت بالسُّخرية. لم تكُن علاقتها مع جيسون علاقةً وديَّة، لكنها لا تزال تُريده أن يُلاحظ وجودها.

وانشغلتُ حقًّا -فالجميع يحضرون إلى حانة ميرلوت ليلة السبت لقضاء جُزء من الأمسية- وهكذا تشتَّت انتباهي عن مصَّاص الدماء الخاص بي لوهلة. وعندما أُتيحَت ليَ الفُرصة للاطمئنان عليه، وجدته يتحدَّث إلى دينيس. بينما يُطالِعه ماك بتعبيرٍ مليءٍ بالشره حتى إنني امتلأت بالقلق عليه.

اقتربتُ من المنضدة، مُحدِّقةً في ماك. وأخيرًا، تخليتُ عن حذري واستمعت.

سبق وأن دَخَل ماك ودينيس إلى السجن لاستنزاف مصَّاص دماء.

شعرتُ بالاستياء الشديد، ورغم ذلك، فقد حَمَلتُ إبريقًا من الجعَة وبعض الأكواب بشكلٍ تلقائيٍّ إلى طاولةٍ صاخبةٍ يحتلُّها أربعة أشخاص. نظرًا لأنه كان من المُفترض بدماء مصَّاص الدماء أن تُخفِّف أعراض المرض مؤقتًا وتَزيد من الفاعلية الجنسيَّة، مثل بريدنيزون وفياجرا في آنٍ واحد، ولذلك كانت هُناك سوق سوداء ضخمة لدماء مصَّاصي الدماء الحقيقيَّة غير المُخفَّفة. وحيثُما يوجد سوق، يوجد مورِّدون؛ وفي هذه الحالة، فقد عَرِفتُ للتو، عن زوجيِ الفئران الحقيرين.

فقد حاصرا مصَّاصي الدماء في السابِق واستنزفاهم، ثُم باعا القوارير الصغيرة بما يبلُغ مائتي دولار للقطعة الواحِدة. وقد كان الدواء المُفضَّل لمُدَّة عامين على الأقل حتى الآن. ورغم إصابة بعض المُشترين بالجنون بعد شُرب دماء مصَّاص دماء نقي، إلا أن هذا لم يُبطئ السوق على الإطلاق.

كقاعدةٍ عامة، لا يظل مصَّاص الدماء المُستنزَف على حاله طويلًا. حيث يترُك المُستنزفون مصَّاصي الدماء بعد أن يغرسوا الأوتاد في قلوبهم أو بعد أن يلقوا بهم في العراء بمُنتهى اليُسر. وعندما تُشرِق الشمس، فهذا كُل ما تكشِف عنه. ومن حينٍ لآخر، تقرأ عن انقلاب الأدوار عندما ينجَح مصَّاصو الدماء في التحرُّر. ثُم تجِد المُستنزفين موتى.

والآن نَهَضَ مصَّاص الدماء الخاص بي وغادَر مع الفأرين. نَظَر ماك في عينيَّ، ورأيته يُطالِع التعبير الذي ارتسَم على وجهي بدهشة. ثُم استدار مُبتعدًا، مُستهزِئًا بي مثل البقية.

وجعلني هذا أشعُر بالغضب. بل أستشيط غضبًا.

ماذا يجِب عليَّ أن أفعل؟ خرجوا من الباب، وأنا أُصارِع أفكاري. هل سيُصدِّقني مصَّاص الدماء إذا ما ركضتُ خلفهم وأخبرته؟ لم يُصدِّقني أحد من قبل. أو إذا ما صدَّقوني بالمُصَادفة، فهم يكرهونني ويخافونني لقراءة الأفكار المُخبَّأة في أدمِغة الناس. لقد توسَّلَت لي آرلين لأقرأ أفكار زوجها الرابع عندما أتى ليصطحِبها ذات ليلة لأنها كانت مُتيقِّنة تمامًا

من أنه يُفكِّر في تركها هي والأطفال، لكنني لم أفعل لأنني أردتُ الحفاظ على صديقتي الوحيدة. وحتى آرلين لم تستطِع أن تطلُب مني هذا بشكلٍ مُباشرٍ؛ لأن من شأن هذا أن يكون اعترافًا بامتلاكي لهذه الهبة، لهذه اللعنة. ولا يُمكِن للناس الاعتراف بذلك. حيث يتوجَّب عليهم التفكير بأنني مجنونة. وهو الأمر الذي كُنت على وشك الإصابة به في بعض الأوقات!

ولذلك ارتجفت، ارتبكت وخِفت وغضبت، ثُم عَرَفت أن عليَّ أن أتصرَّف. تأثَّرتُ بالنظرة التي رمقني بها ماك -وكأنني شيء تافِه.

اتجهت نحو البار إلى جيسون، الذي انهمك في إسقاط ديان في شباك غرامه. التي لم تستغرِقه الكثير من الوقت، فقد تولّى الرأي العام مسؤولية ذلك. بينما جَلَسَ سائِق الشاحِنة القادِم من هاموند بجوارها مُحدِّقًا فيها بسخطٍ.

قُلت بعجل: "جيسون". التفت نحوي ونظرةٌ مُحذِّرةٌ تلوح في عينيه، فأضفت: "اسمعني، ألا تزال تلك السلسلة في مؤخرة الشاحِنة؟".

قال بكسل: "لا أغادِر المنزل دونها أبدًا". تفحَّص وجهي بحثًا عن أمارات المتاعِب قبل أن يُضيف: "هل ستخوضين قتالًا يا سوكي؟".

ابتسمتُ له، لقد اعتدت الابتسام حتى إن هذا كان سهلًا، ثُم قُلت بابتهاج: "أنا مُتيقِّنة من أنني لا أتمنى ذلك".

سألني: "مهلًا، هل تحتاجين للمُساعدة؟". فبعد كُل شيء، هو شقيقي.

قُلت في محاولةٍ لأن أبدو مُطمئِنة: "لا، شكرًا لك". وتوجَّهتُ نحو آرلين، قُلت: "اسمعيني، يجِب أن أُغادِر مُبكرًا قليلًا. إن طاولاتي قليلة بعض الشيء، هل يُمكِنك تغطية مكاني؟". لم أكُن أعتقِد أنني سأطلُب من آرلين مثل هذا الطلب، رغم أنني غطيت مكانها عدَّة مرَّات. كما أنها -بدورها- قد عرضت عليَّ يد المُساعدة. قُلت: "لا بأس، سأعود في حال استطعت. إذا نظَّفتِ منطقتي، فسأصنع المقطع الدعائي الخاص بكِ".

أومأت آرلين بلبدتها الحمراء بحماس.

أشرت نحو باب الموظَّفين، ثُم إلى نفسي، ثُم مشيتُ بأصابعي، لأخبِر سام إلى أين سأذهب.

أومأ برأسه. لكنه لم يبدُ سعيدًا.

وهكذا خرجتُ من الباب الخلفي، محاولةً إخفاء صوت خطواتي على الحصى. تقع ساحة انتظار سيارات الموظَّفين في الجُزء الخلفي من الحانة، عبر باب يؤدي إلى غُرفة المخزن. وقفت سيارة الطاهي هُناك، وآرلين، وداون، وكذلك سيارتي. وعن يميني، ناحية الشرق، قبعت شاحِنة سام الصغيرة أمام مقطورته.

خرجتُ من ساحة انتظار سيارات الموظَّفين المرصوفة بالحصى إلى السطح الأسود الكبير الحجم، الذي يُغطي ساحة

انتظار سيارات الزبائِن والذي يحتل غرب الحانة. أحاطت الغابة بقطعة الأرض الخالية التي توسَّطتها حانة ميرلوت، بينما تكوَّنت حواف ساحة انتظار السيارات في الغالِب من الحصى. وحَرِصَ سام على إضاءته بشكلٍ جيِّد، في حين جَعَلَ الوهج السريالي لأضواء ساحة انتظار السيارات القويَّة كُل شيء يبدو غريبًا.

رأيتُ السيَّارة الرياضيَّة المُنبعِجة الخاصَّة بزوجيِ الفئران، وهكذا عَرِفت أنهما في مكانٍ قريب.

وجدتُ شاحنة جيسون أخيرًا. سوداء اللون بزينةٍ مُخصَّصةٍ ودواماتٍ ورديةٍ على الجانبين. من المؤكَّد أنه يتمتَّع بكونه ملحوظًا. صعدتُ بمُساعدة الباب الخلفي وبحثتُ عن سلسلته في صندوق السيَّارة، وهي سلسلة طويلة وسميكة يحملها معه تحسُّبًا للشجارات. لففتها وحملتها مضغوطةً إلى جسدي كيلا تُقعقِع.

فكَّرتُ للحظة. البُقعة الخاصَّة الوحيدة التي من المُمكِن أن يستدرِج فيها آل راتراي مصَّاص الدماء هي نهاية ساحة انتظار السيارات، حيث انتصبت الأشجار لتتهدَّل فوق السيارات. ولذلك تسلَّلت في ذلك الاتجاه، محاولةً أن أتحرَّك بسُرعةٍ وخفوت.

توقَّفتُ كُل بضع ثوانٍ لأُصيخ السمع. وسُرعان ما سَمِعتُ أنينًا وأصواتًا خافِتة. اندسستُ بين السيارات، ورأيتهم حيث

اعتقدتُ أنهم سيوجدون. أُلقيَ مصَّاص الدماء على ظهره أرضًا، ووجهه يتلوى ألمًا، رأيتُ بريق السلاسِل التي تُمسِك بمعصميه وتهرع نحو كاحليه. فضيَّة. قبعت قارورتان صغيرتان من الدماء أرضًا بجوار قدمي دينيس، وبينما أُراقِب ما يحدُث، ثبَّتَتْ أنبوب جمع دم جديدًا في الإبرة. بينما انغرست المرقاة بقسوةٍ في ذراعه فوق مرفقه.

أولياني ظهريهما، ولم يرني مصَّاص الدماء بعد. فككتُ السلسلة الملفوفة، تأرجَحت بحُريةٍ بعد ما بَلَغ طولها ثلاث أقدام. من سأُهاجِم أولًا؟ فكلاهُما صغيرٌ وشرير.

تذكَّرت الطريقة المليئة بالازدراء التي يصرفني بها ماك، وحقيقة أن لم يترُك لي إكرامية قط. إذًا سأُهاجِم ماك أولًا.

لم أخُض قتالًا من قبل قط. وتطلَّعتُ إلى الأمر بشكلٍ إيجابيٍّ بطريقةٍ ما.

قفزت من خلف شاحِنة صغيرة وأرجحتُ السلسلة. فارتطمَت بظهر ماك الراكِع بجوار ضحيته. صَرَخَ وقفز من مكانه. ألقيتُ نظرةً سريعة، ورأيتُ أن دينيس على وشك توصيل أنبوب جمع الدماء الثالِث. مدَّ ماك يده نحو حذائه وأمسك بشيءٍ لامعٍ. ابتلعتُ ريقي بصعوبة. فقد أمسَك بسكينٍ في يده.

قُلت: "تبًّا!". وابتسمت له ابتسامة عريضة.

صَرَخ: "أيتها العاهِرة المجنونة".

بدا وكأنه يتطلَّع لاستخدام سكينه. لقد بالغتُ للغاية في الحفاظ على حذر دماغي، ورأيتُ وميضًا واضِحًا لما أراد ماك أن يفعله بيَ. وقادني هذا للجنون حقًّا. اندفعتُ نحوه مُتسلِّحة بكُل نيَّة لإيذائه بأكبر قدرٍ مُمكِن. لكنه كان مُستعدًّا لي، وقفز للأمام مُمسِكًا بالسكين بينما أرجَحت السلسلة. حاول طعن ذراعي لكنه أخطأ التصويب. بينما التفَّت السلسلة -في ارتدادها- على رقبته النحيلة كحبيبة تتشبَّث بحبيبها. وتحوَّلت صرخة انتصار ماك إلى قرقرة اختناق. ترك السكين وخَدَشَ السلسلة بكلتا يديه. سقط على رُكبتيه على الرصيف الخشِن والهواء ينفذ من رئتيه، ليجذِب السلسلة من يدي.

حسنًا، هكذا فقدت سلسلة جيسون. اندفعت لأمسِك بسكين ماك، ورفعته وكأنني أعرِف كيفية استخدامه. تقدَّمت دينيس للأمام، كساحرةٍ لعينةٍ في خطوط وظلال أضواء الأمن.

قبل أن تتوقَّف في مكانها بعد ما رأت أنني أُمسِك بسكين ماك. أطلقت سبَّة، وشتمَت، وقالت أشياء رهيبة. انتظرتُ ريثُما ركضتْ لأقول: "غادري... هذا... المكان... حالًا".

حدَّقت بي دينيس بكراهيةٍ لا مثيل لها. حاولتْ جمع قوارير الدم، لكنني صرختُ بها بأن تتركها وشأنها. ولذلك ساعدت ماك على الوقوف على قدميه. كان لا يزال مُنهمِكًا في إصدار أصوات اختناق وقرقرة وهو يتشبَّث بالسلسلة. جرَّته دينيس نوعًا ما نحو سيارتهما ودفعته داخلها عبر باب الراكِب. ثُم جذَبت المفاتيح من جيبه، وجلسَت في مقعد السائِق.

أدركتُ عندما سَمِعتُ صوت المُحرِّك يعود للحياة، أن الفأرين لديهما الآن سلاح آخر. ركضت نحو رأس مصَّاص الدماء أسرَع مما سبق وتحرَّكت في حياتي، وصرخت لاهثة: "قِف على قدميك!".

أمسَكت به من تحت ذراعيه وجذبته إلى الخلف بكُل ما أوتيت من قوَّة، وقرَّر مُساعدتي، فضغط على قدميه ودفع للخلف. كُنا داخِل خط الأشجار عندما اندفعت السيّارة الحمراء نحونا. كانت دينيس على بُعد أقل من ياردة عندما اضطرَّت للانحراف كيلا تصطدِم بأشجار الصنوبر. ثُم سَمِعتُ صوت المُحرِّك الكبير لسيارة الفأرين ينحسِر عن بُعد.

لهثتُ قائِلة: "عجبًا".

ثُم ركعت بجوار مصَّاص الدماء لأن قدميَّ لم تعُودا قادِرتين على حملي بعد الآن. تنفَّستُ بصعوبةٍ لمُدَّة دقيقة تقريبًا، محاولةً استجماع شتات نفسي. ثُم أثارت خصلات الدُّخَان المُتصاعِدة من معصميه حيث لمسته الفضَّة فزعي.

قُلت: "أيها المسكين".

شعرتُ بالغضب من نفسي لأنني لم أهتم به على الفور. بدأتُ بفك الأربِطة الفضيَّة النحيلة وأنا لا أزال أحاوِل التقاط أنفاسي، والتي بدت جميعًا جُزءًا من سلسلةٍ واحدةٍ طويلةٍ للغاية. همست: "أيها الطفل المسكين". دون أن أفكِّر في مدى تناقُض ذلك القول سوى في وقتٍ لاحق.

تمكَّنتُ من تحرير معصميه بسُرعةٍ كبيرةٍ بفضل أصابعي الرشيقة. تساءلت عن الطريقة التي شتَّت بها الفأران انتباهه ريثما أصبحا في وضعٍ مُناسبٍ لوضعها عليه، وشعرتُ بنفسي أحمر خجلًا وأنا أتخيَّل الأمر.

ضمَّ مصَّاص الدماء ذراعيه على صدره بينما انهمكتُ في فك الفضَّة الملفوفة حول ساقيه. كان كاحلاه بحالٍ أفضل لأن المُستنزفين لم يُكلِّفا نفسيهما عناء رفع ساقي بنطاله الجينز للأعلى لوضع الفضَّة على بشرته مُباشرة.

قُلت مُعتذِرة: "أنا آسفة لأنني لم أصِل إلى هُنا بشكلٍ أسرع، ستشعُر بتحسُّنٍ خلال دقيقة، حسنًا؟ هل تُريدني أن أرحَل؟".

"لا".

جعلني هذا أشعُر أنني بحالةٍ جيّدةٍ حتى أضاف: "فربما يعودان، وأنا غير قادِر على القتال بعد". تهدَّج صوته اللطيف، لكنني لا أستطِيع القول بأنني سمعته يلهث.

نظرتُ إليه والحُزن يصبُغ قسمات وجهي، وبينما تعافى، اتخذتُ بعض الاحتياطات اللازِمة. جلستُ وأوليته ظهري، لأمنحه بعض الخصوصيَّة. أعرِف كم هو مُزعِج أن يُحدِّق بك أحدهم وأنت تتألَّم. جلستُ على الرصيف، وراقبتُ ساحة انتظار السيارات. غادَرت عدَّة سيارات، وجاءت أخرى، لكن لم تأتِ إحداها إلى موقِعنا بجوار الغابة. عَرِفتُ متى جَلَسَ مصَّاص الدماء، عن طريق حركة الهواء من حولي.

لم يتحدَّث على الفور. أدرتُ رأسي يسارًا لأنظُر إليه. كان أقرَب مما تصوَّرتُ. نَظَرَ في عيني بعينيه الواسعتين الداكِنتين. تراجَعَت أنيابه؛ وشعرتُ بالقليل من خيبة الأمل حيال ذلك.

قال بصلابة: "شكرًا لكِ".

إذًا ففكرة أن امرأة قد أنقذته لا تُثير حماسه. تصرُّف رجالي اعتيادي.

ونظرًا لأنه كان فظًّا للغاية، شعرتُ أن بإمكاني القيام بشيء فظ بدوري، فاستمعتُ إليه، فتحت عقلي بالكامِل.

ولم أسمَع... أي شيء.

قُلت: "عجبًا". شعرتُ بالصدمة تجتاح صوتي، وبالكاد عَرِفتُ ما كُنتُ أقوله: "لا يُمكِنني سماعك".

قال مصَّاص الدماء وهو يُحرِّك شفتيه بطريقةٍ مُبالَغ بها: "شكرًا لكِ!".

قُلت: "لا، لا... يُمكِنني سماعُك وأنت تتحدَّث، لكن...". وفي غمار حماستي، قُمت بشيءٍ لن أفعله في الأوقات الاعتياديَّة أبدًا، لأنه كان مُلِحًّا، وشخصيًّا، ويكشِف الستار عن إعاقتي. استدرتُ إليه بشكلٍ كاملٍ ووضعتُ يديَّ على جانبي وجهه الشاحِب، ونظرتُ إليه بتركيز. ركَّزتُ بكامِل طاقتي. لا شيء. لقد كان الأمر أشبه بالاستماع إلى الراديو طوال الوقت، إلى محطَّات لا يُمكِنك اختيارها، وفجأة... تُضبَط على تردُّدٍ موجي لا يُمكِنك استقباله.

بدا الأمر حلوًا كالجنة.

اتَّسَعَت عيناه وازدادَتا قتامة، على الرغم من أنه كان ثابتًا للغاية.

قُلت بشيءٍ من الحرج: "معذرةً". سحبتُ يديَّ بعيدًا واستأنفتُ تحديقي في ساحة انتظار السيارات. ثُم بدأتُ أثرثِر بشأن ماك ودينيس، لطالما فكَّرتُ طوال الوقت في مدى روعة أن أحظى برفيقٍ لا يُمكِنني سماعه إلا إذا اختار أن يتحدَّث بصوتٍ عال. ما أجمل صمته.

قُلت: " ولذلك اعتقدتُ أنه من الأفضل أن آتي إلى هُنا لأرى كيف حالك". اختتمتُ حديثي بهذه الجُملة، دون أن يكون لديَّ أي فكرة عمَّا كُنت أقوله.

قال: "لقد أتيتِ إلى هُنا لإنقاذي. يا لها من شجاعة". كان صوته مُغريًا للغاية حتى إنه كان من شأنه أن يُثير شهوة ديان في ملابسها الداخليَّة الحمراء المصنوعة من النايلون.

قُلت بحذرٍ وأنا أهبط أرضًا: "والآن... لنقُص هذه".

بدا دَهشًا للحظةٍ قبل أن يستعيد وجهه نعومته البيضاء.

سألني: "ألا تخشين وجودك بمُفردكِ مع مصَّاص دماء جائِع؟". اختبأ شيء ما شرير وخطير هُناك بين ثنايا كلماته.

"لا".

"هل تفترضين أنكِ في أمان... طالما أنكِ أتيتِ لإنقاذي، وأنني أمتلِك أوقية من المشاعِر العاطفيَّة بعد كُل تلك السنين؟ غالبًا ما ينقلِب مصَّاصو الدماء على أولئِك الذين يثِقون بهم. فليس لدينا قِيَم إنسانيَّة كما تعلمين".

قُلت: "ينقلِب الكثير من البشر على أولئِك الذين يثِقون بهم". يُمكِنني أن أكون عمليَّة، تابعت حديثي قائِلة: "أنا لست حمقاء للغاية". مددتُ يدي وأدرتُ عنقي. فبينما كان يتعافى، ثبتُّ سلاسِل الفأرين حول عنقي وذراعيَ.

ارتجف بشكلٍ واضح.

قال بعد لحظة لإعادة استجماع شتات نفسه، بصوتٍ ثُعبانيٍّ لزج: "لكن هُناك شِريان مُثير في الفخذ".

قُلت: "لا تُحدِّثني بأسلوبٍ قذر، فلن أستمِع إلى ذلك".

نظرنا بعضُنا إلى بعض مرَّة أخرى في صمت. خشيتُ أنني لن أراه مرَّة أخرى؛ فبعد كُل شيء، لم تكُن زيارته الأولى إلى ميرلوت ناجِحة تمامًا. ولذلك حاولتُ تخزين كُل ما يُمكِنني من التفاصيل؛ سأكنِّز هذا اللقاء وأستذكره لوقتٍ طويل... طويلٍ للغاية. لقد كان نادِرًا... جائِزة. أردتُ أن ألمَسه مرَّة أخرىً. فلا يُمكِنني تذكُّر كيف بدا ملمَس جلده. لكن من شأن هذا أن يتجاوَز بعض حدود الأخلاق، ورُبما يدفعه هذا للمضي قدمًا في الإغراء الأحمق مرَّة أخرى.

سألني بشكلٍ غير متوقّع: "هل ترغبين في شُرب الدماء التي جمعاها؟ ستكون هذه هي وسيلتي لإظهار امتناني". أشار للقوارير الساقِطة أرضًا قبل أن يُضيف: "من المُفترَض بدمائي أن تُحسِّن من حياتكِ الجنسيَّة ومن صحتك".

أجبته بصراحة: "صحتي جيِّدة كحِصان، وليس لديَّ حياة جنسيَّة لأتحدَّث عنها. افعل بها ما تُريد".

هزَّ كتفيه قبل أن يقول: "يُمكِنكِ بيعها". لكنني اعتقدتُ أنه فقط ينتظِر ليرى ما سأقوله بشأن ذلك.

قُلت وأنا أشعُر بالإهانة: "لن ألمَسها".

قال: "أنتِ مُختلِفة، ماذا تكونين؟". بدا من الطريقة التي يُطالعني بها أنه يتفحَّص قائِمة احتمالات في ذهنه. ومن دواعي سروري أنني لا أستطيع سماع أي شيء منها.

أجبته: "حسنًا. أدعى سوكي ستاكهاوس، وأعمَل نادِلة. ما اسمك؟". أعتقِد أن بإمكاني على الأقل أن أسأله هذا السؤال دون أن أكون وقِحة.

قال: "بِل".

سقطتُ أرضًا وأنا أضحَك بشدّة، قبل أن أتمكَّن من ردع نفسي. وقُلت: "بِل مصَّاص الدماء! اعتقدتُ أن اسمك سيكون أنطوان، أو بازِل، أو لانجفورد! لكن... بِل!". لم أضحَك هكذا منذ وقت طويل، تابعتُ حديثي: "حسنًا، أراك لاحقًا يا بِل. يجِب أن أعود إلى العمل".

شعرتُ بالابتسامة المتوتِّرة وهي تعود إلى مكانها عندما فكَّرتُ في ميرلوت. وضعتُ يدي على كتف بِل وضغطتُ عليه قليلًا. كان صلبًا للغاية، وقفتُ على قدميَّ بسُرعةٍ حتى إنني اضطُررتُ لمنع نفسي من التعثُّر. فحصتُ جواربي للتحقُّق من أن أصفادها متساوية للغاية، وتحقَّقت من ملابسي بحثًا عن أي شيء أصابها أثناء قتالي مع الفَأرين. نفضتُ الغبار عن مؤخرتي نظرًا لأنني كُنت أجلِس على الرصيف القذِر، ولوَّحتُ لبِل وأنا أعبُر ساحة انتظار السيارات.

لقد كانت أمسية مُثيرة، مليئة بالأفكار. شعرتُ بالبهجة التي تظهَر على ابتسامتي عندما فكَّرتُ في الأمر.

لكن جيسون سيستشيط غضبًا بشأن السلسلة.



بعد انتهاء العمل في تلك الليلة، قُدتُ سيارتي إلى المنزِل الذي لم يكُن يبعُد عن الحانة سوى أربعة أميال جنوبًا. عندما عُدتُ إلى العمل كان جيسون قد رَحَل (وكذلك ديان)، وكان ذلك شيئًا آخرَ جيِّدًا. راجعتُ ما حَدَثَ في تلك الأمسية أثناء قيادتي للسيارة نحو منزِل جدتي، حيث أعيش. يقع المنزِل قبل مقبرة (تول باينز) مُباشرةً، والتي تقع قبالة طريق الأبرشيّة الضيِّق المُنقسِم لحارتين. بنى جد جد جدي المنزِل، بعد ما راودته عدَّة أفكار عن الخصوصيَّة، ولذلك، كي تصِل إلى المنزِل، يتوجَّب عليك أن تسلُك طريق الأبرشيَّة وصولًا إلى الدرب،

ثُم تمُر ببعض الغابات، حتى تصِل إلى المساحة الخالية التي يقبع فيها المنزِل.

من المؤكَّد أنه لا يُمثِّل أي معلَم تاريخي، حيث هُدِمَت مُعظَم أجزائه القديمة واستُبدِلَت على مر السنين، وبالطبع زُوِّد بالكهرباء والسباكة والعزل، وكُل تلك الأشياء الحديثة الجيِّدة. لكن سقفه ما زال مصنوعًا من الصفيح الذي يلتمِع بشدَّة في الأيام المُشمِسة. وعندما احتاج السقف للتغيير، أردتُ أن أضع بلاط السقف العادي عليه، لكن جدتي رفضَت تمامًا. وعلى الرغم من أنني كُنت سأتحمَّل التكلِفة، إلا أنه كان منزلها؛ وبطبيعة الحال، ظلَّ من الصفيح.

وسواء كان معلمًا تاريخيًّا أو لا، فأنا أعيش في هذا المنزِل منذ السابعة من عُمري، وزُرته كثيرًا قبل ذلك الحين، ولذلك أحبُّه. لقد كان مُجرَّد منزِل عائِلي قديم كبير، كبير للغاية بالنسبة لي أنا وجدتي كما أعتقِد. تمتَّع المنزِل بواجهةٍ عريضةٍ زيَّنتها شُرفة مُغطَّاة، طُليَت باللون الأبيض، صمَّمَت والدتي على الالتزام باللمسات التقليديَّة طوال الوقت. عبرتُ غُرفة المعيشة الكبيرة، المليئة بالأثاث المُتهالِك المُصمَّم ليُناسِبنا، مرورًا بالرُّدهة ووصولًا إلى غُرفة النوم الأولى الموجودة على اليسار... الغُرفة الكبيرة.

كانت جدتي -آديل هيل ستاكهاوس- مدعومة في فراشِها المُرتفِع، وسط حوالي مليون وسادة تُغطي كتفيها النحيلين. ارتدَت ثوب نوم قُطنيًّا بكُمَّين طويلين حتى مع دفء ليلة الربيع

هذه، وكان المصباح القابع بجوار فراشها لا يزال مُضيئًا. بينما استندَ كتاب في حضنها.

قُلت: "مرحبًا".

"أهلًا يا عزيزتي".

إن جدتي صغيرة الحجم للغاية وكبيرة السن للغاية، لكن شعرها لا يزال كثيفًا، وأبيض للغاية حتى إن لونه كاد يصِل إلى أفتَح درجات اللون الأخضَر. تُصفِّفه عادةً بحيث يتدلى حول عُنقها أثناء اليوم، لكنها كانت تترُكه حُرًّا أو مُضفَّرًا آناء الليل. نظرتُ إلى غِلاف الكتاب.

"هل تقرئين لدانيال ستيل مرَّة أخرى؟".

"إن تلك المرأة مُتمكِّنة للغاية من سرد القصص".

القراءة لدانيال ستيل واحِدة من أعظَم ملذَّات جدتي، ومُشاهدة مُسلسلاتها الطويلة (التي تُطلِق عليها قصصًا) وحضور اجتماعات الأندية التي لا تُعد ولا تُحصى التي لطالما انتمَت إليها طوال حياتها كبالِغة على ما يبدو. إن أنديتها المُفضَّلة هي (أحفاد الموتى المجيدين) و(جمعيّة بستنة بون تيمبس).

سألتها: "خمِّني ما الذي حدث الليلة؟".

"ماذا؟ هل حظيتِ بموعِد؟".

قُلت وأنا أحاوِل الحفاظ على ابتسامتي: "لا، لقد أتى مصَّاص دماء إلى الحانة".

"حقًّا؟ هل كان لديه أنياب؟".

لقد رأيتها تتلألأ في ساحة انتظار السيارات عندما كان الفَأران يستنزِفانه، لكن لم تكُن هُناك حاجة لوصف ذلك لجدتي، قُلت: "بالطبع، لكنها تراجَعت".

قالت جدتي بسعادةٍ بالِغة: "مصَّاص دماء هُنا في بون تيمبس، هل عضَّ أي شخص في الحانة؟".

"لا يا جدتي! لقد جَلَسَ وحظيَ بكأسٍ من النبيذ الأحمر فحسب. حسنًا، لقد طلبه، لكنه لم يشربه. أعتقِد أنه رَغِبَ في بعض الرفقة فقط".

"أتساءل أين يُقيم".

"لن يُخبِر أحدًا بذلك على الأرجَح".

قالت جدتي: "لا". فكَّرت في الأمر للحظةٍ قبل أن تُضيف: "أعتقِد أنه لن يفعَل. هل أنتِ مُعجبة به؟".

الآن... كان هذا سؤالًا صعبًا بعض الشيء. تدبَّرتُ في الأمر قبل أن أقول بحذر: "لا أعرِف. لقد كان مُثيرًا للاهتمام بحق".

قالت: "سأُحِب مُقابلته بكُل تأكيد". لم يُفاجئني ذلك لأنها تستمتِع بالأشياء الجديدة مثلي تمامًا. لم تكُن واحِدة

من أولئِك الرجعيين الذين قرَّروا أن مصَّاصي الدماء ملعونون فورًا. تابعت حديثها قائِلة: "لكن من الأفضل أن أنام الآن. كُنت في انتظار عودتكِ فحسب قبل أن أخلُد إلى النوم".

انحنيتُ لأقبِّل جدتي، قبل أن أقول: "تصبحين على خير".

أغلقتُ بابها قريبًا في طريقي للخروج وسَمِعتُ صوت إغلاق المصباح. خرجَت تينا -قطتي- من المكان الذي كانت نائِمة فيه وتمسَّحَت في قدمي، حملتها واحتضنتها لوهلةٍ قبل أن أخرجها لقضاء الليل. نظرتُ إلى الساعة. كانت الساعة الثانية تقريبًا، وفراشي يُناديني.

كانت غُرفتي في الجانِب الآخر من الرُّدهة مُقابِل غُرفة جدتي. عندما استخدمتُ هذه الغُرفة للمرَّة الأولى، بعد وفاة والديَّ، نقلَتْ جدتي أثاث غُرفة نومي من منزلهما حتى أشعُر بمزيدٍ من الأُلفة. وكان لا يزال هُنا، الفراش الفردي المُزخرَف المصنوع من الخشب المطلي باللون الأبيض، والخزانة الصغيرة ذات الأبراج.

فتحتُ ضوء غُرفتي وأغلقتُ الباب وبدأتُ أخلع ملابسي. لديَ ما لا يقِل عن خمسة بناطيل قصيرة سوداء، والكثير من القُمصان البيضاء، لأنها تميل للاتساخ بمُنتهى السهولة. ناهيك عن ذكر عدد الجوارِب البيضاء الملفوفة في دُرجي. ولذلك لم يتوجَّب عليَّ الغسيل الليلة. وكُنت أكثر إرهاقًا من أن أستحِم. غسلتُ أسناني وأزلتُ مكياجي، ووضعتُ بعض المُرطِّب، وخلعتُ رباط شعري.

زحفتُ إلى فراشي مُرتديَة قميص ميكي ماوس المُفضَّل لديَ، والذي يصِل إلى رُكبتيَّ تقريبًا. انقلبتُ على جانبي، كما أفعل دائِمًا، واستمتعتُ بصمت الغُرفة. تتوقَّف أدمِغة الجميع تقريبًا في الساعات الأولى من الليل، وتختفي الاهتزازات، ولا يتوجَّب عليَّ ردع التدخُّلات. وبمثل هذا السلام، حظيتُ بالوقت اللازِم للتفكير في عيني مصَّاص الدماء الداكنتين، قبل أن أغُط في نومٍ عميقٍ من الإرهاق.

بحلول وقت الغداء في اليوم التالي، جلستُ على مقعدي المصنوع من الألمونيوم القابِل للطي في الفناء الأمامي، واكتسبتُ لونًا بُنيًّا على الفور. كُنت قد ارتديتُ ثيابي المُخصَّصة للسباحة والمكوَّنة من قطعتين بلا حمالات، ووجدتها أكثر اتساعًا من الصيف الماضي، ولذلك شعرتُ بسعادةٍ غامِرة.

ثُم سَمِعتُ صوت سيَّارة تقترِب من الطريق، قبل أن تتوقَّف شاحِنة جيسون السوداء بدواماتها الورديَّة على بُعد قدم من قدميَّ.

هَبَطَ جيسون -هل ذكرتُ أنها شاحِنة ذات إطارات عالية؟- وسار نحوي. ارتدى ملابس عمله المُعتادة، قميصًا وبنطالًا كاكيين، وقد سَكَن سكينه غمده المُثبَّت على حزامه، كما فَعَلَ مُعظَم عُمَّال الطُّرق في المُقاطَعة. وعَرِفتُ أنه يستشيط غضبًا، من مُجرَّد الطريقة التي سار بها.

لبستُ نظارتي الداكِنة.

ألقى شقيقي بنفسه فوق مقعد الفناء المصنوع من الألومنيوم القابع بجوار مقعدي، وسألني: "لماذا لم تُخبريني بأنكِ قد ضربتِ آل راتراي البارِحة؟". ثُم أضاف: "أين جدتي؟".

قُلت: "تنشر الغسيل". تستخدِم جدتي المُجفِّف للعصر، لكنها تُفضِّل حقًّا تعليق الملابِس المُبلَّلة في الشمس. وبالطبع امتدَّ حبل الغسيل في الفناء الخلفي، حيث يجِب أن تمتد حبال الغسيل. تابعتُ حديثي، مع علمي بأن هذا سيُشتِّت انتباهه قليلًا: "إنها تُعِد على الغداء شرائِح اللحم المقليَّة والبطاطا الحلوة والفاصوليا الخضراء التي وضعتها العام الماضي". تمنَّيتُ أن تبقى جدتي بالخلف، لأنني لم أُرِد لها أن تسمَع هذه المُحادثة، ذكَّرته قائِلة: "اخفِض صوتك".

"لم يستطِع رينيه لينر الانتظار حتى أبدأ العمل هذا الصباح ليُخبرني بكُل شيء عن الأمر. فقد زار مقطورة آل راتراي ليلًا ليشتري بعض الحشيش، وقادَت دينيس السيَّارة وكأنها ترغَب في قتل أحدهم. قال رينيه إنه كان يُفضِّل أن يُقتَل، لأنها كانت تستشيط غضبًا. تطلَّب الأمر مجهودات رينيه ودينيس لإدخال ماك إلى المقطورة، قبل أن يأخُذاه إلى المُستشفى في مونرو". أنهى حديثه ونَظَر لي نظرةً مليئةً بالاتهام.

قرَّرت أن الهجوم هو خير وسيلة للتعامُل مع هذا الأمر، لذلك سألته: "وهل أخبرك رينيه أن ماك هاجمني بسكين؟".

يُمكِنني معرِفة أن جُزءًا كبيرًا من غضب جيسون نابع من حقيقة أنه سَمِعَ الخبر من شخص آخر.

قال ببطءٍ: "لو أخبرَت دينيس رينيه بهذا، فإنه لم يذكُر الأمر لي". تصاعَدت نيران الغضب لتحتل قسمات وجهه وهو يسألني: "هل طاردكِ بسكين؟".

قُلت وكأن الأمر بدهيٌّ للغاية: "ولذلك توجَّب عليَّ الدِفاع عن نفسي، كما أنه قد أخذ سلسلتك". لم يكُن كُل ما نطقتُ به سوى حقيقة، وإن كانَت مُحرَّفة قليلًا.

تابعتُ حديثي: "لقد عُدتُ لإخبارك، لكنك كُنت قد غادرت مع ديان بحلول الوقت الذي عُدتُ فيه إلى الحانة، وبما أنني كُنت بخير... لم أرَ أن الأمر يستحِق تعقُّبك". ثُم أضفت بدبلوماسيَّة: "كما عَرِفتُ أنك ستضطر لمُلاحقته لو أخبرتك بشأن السكين". كان هُناك الكثير من الحقيقة في ذلك، لأن جيسون يُحِب القتال بشدّة.

سألني وقد استرخى قليلًا، وعَرِفتُ أنه تقبَّل الأمر: "ماذا كُنتِ تفعلين هُناك على أي حال بحق الجحيم؟".

"هل تعلَم أنه بالإضافة للتجارة بالمُخدّرات، فإن الفأرين يستنزِفان مصَّاصي الدماء؟".

والآن... ضربته صاعِقة الفتنة، قال: "لا... لذا؟".

"حسنًا، كان أحد زبائني الليلة الماضيَة مصَّاص دماء، وكانا يستنزِفانه في ساحة انتظار سيارات ميرلوت! ولم أطِق صبرًا على ذلك".

"هُناك مصَّاص دماء هُنا في بون تيمبس؟".

"أجل، وحتى لو لم ترغَب في أن يكون صديقك المُفضَّل مصَّاص دماء، لا يُمكِنك أن تسمح لحُثالة مثل الفَأرين أن يستنزِفوه. إن الأمر ليس كشفط البنزين من السيَّارة، فقد كانا سيتركانه ليلقى حتفه في الغابة".

توصَّلتُ إلى ذلك، على الرغم من أن الفَأرين لم يُخبِراني بنيتِهما. لم يكُن لينجو حتى الصباح، حتى لو وضعاه تحت غطاء، حيث يستغرِق مصَّاص الدماء المُستنزَف عشرين عامًا على الأقل ليتعافى، أو على الأقل هذا ما قاله أحدهم في برنامَج (أوبرا). وهذا فقط في حال اعتنى به مصَّاص دماء آخر.

سألني جيسون بانبهار: "كان هُناك مصَّاص دماء في الحانة أثناء وجودي؟".

"أجل، الرجل ذو الشعر الداكِن الذي كان يجلِس مع الفَأرين".

ابتَسَم جيسون عندما سَمِعَ لقب آل راتراي. لكنه لم يتخلَّ عمَّا حَدَث الليلة الماضيَة بعد، سألني: "كيف عرفتِ أنه مصَّاص دماء؟". لكن عندما نَظَر لي، تمكَّنتُ من معرِفة أنه يتمنى لو كان قد ابتلع لسانه.

قُلتُ بصوتٍ خفيض: "عَرَفتُ فحسب".

قال: "أجل". وتشاركنا في مُحادثةٍ كاملةٍ دون صوت.

قال جيسون بتمعُّن: "لا يوجد مصَّاصو دماء في هومُلكا". أمال وجهه للخلف لتسطَع عليه أشعة الشمس، وعَرَفتُ أننا نقِف على أرضٍ خطِرة.

وافقته القول: "هذا صحيح". هومُلكا هي المدينة التي تُحِب بون تيمبس أن تكرهها. فقد تنافسنا في كُرة القدم، وكُرة السلَّة، والأهميّة التاريخيّة لأجيال.

قالت جدتي من خلفنا: "وكذلك في رودال". قفزنا أنا وجيسون. لكنني سأعترِف لجيسون أنه يقفز ليُعانِق جدتي في كُل مرَّة يراها فيها.

"هل لديكِ ما يكفي من الطعام في الفُرن من أجلي يا جدتي؟".

ابتسَمَت لجيسون قبل أن تقول: "ما يكفيك أنت واثنين آخرين". لم تكُن تجهَل أخطاءه (أو أخطائي)، لكنها كانت تُحبّه، تابعَت حديثها قائِلة: "لقد تلقيتُ مُكالمة هاتفيّة لتوي من إيڤرلي ماسون، وأخبرتني أنك كُنت مع ديان الليلة الماضية".

قال جيسون دون أن يشعُر بالغضب حقًّا: "عجبًا، ألا يُمكِن للمرء أن يفعل شيئًا في تلك المدينة دون أن يُكشَف سرُّه؟".

قالت جدتي مُحذِّرة أثناء دخولنا إلى المنزل: "ديان تلك... عَرِفتُ أنها كانت حامِلًا ذات مرَّة. كُل ما عليك هو الحرص كيلا تحمِل منك، وإلا فستدفع الثمن لبقية حياتك. رغم أن هذه بالطبع قد تكون الوسيلة الوحيدة لحصولي على أحفاد!".

كان الطعام جاهزًا بانتظارنا علي المائِدة، ولذلك جلسنا وصلَّينا بعد ما علَّق جيسون قُبعته. ثُم بدأت جدتي وجيسون يُثرثِران معًا (رغم أنهما يُطلِقان على الأمر لقب "اللحاق بالركب") بشأن الأشخاص الموجودين في بلدتنا الصغيرة وأبرشيَّتنا. حيث يعمَل أخي لمصلحة الولاية، كمُشرفٍ على أطقُم الطُّرق. بدا لي أن يومه يتألَّف من التجوال في شاحِنة تابِعة للولاية، قبل أن ينتهي دوامه، ليقضي الليل متجوِّلًا في شاحنته الخاصَّة. كان رينيه أحد أفراد أطقُم العمل التي يُشرِف عليها جيسون، وكانا قد ذهبا للمدرسة الثانوية معًا. كما أنهما يتسكَّعان مع هويت فورتِنبيري كثيرًا.

قال جيسون فجأة: "لقد توجَّب عليَّ استبدال سخَّان الماء في المنزِل يا سوكي". عاش جيسون في منزِل والديَّ القديم، المنزِل الذي كُنا نعيش فيه عندما ماتا في فيضانٍ مُفاجئ. عشنا مع جدتنا بعد ذلك، لكن عندما قضى جيسون عامين في الكُلية وذَهَبَ للعمل لمصلحة الولاية، انتقل إلى المنزِل مرَّة أخرى، رغم أن نصفه ملكي قانونًا.

سألته: "هل تحتاج إلى نقود مُقابِل ذلك؟".

"لا، لقد توليتُ الأمر".

يتقاضى كلانا راتِبه، لكن لدينا أيضًا دخل ضئيل من صندوقٍ أُنشِئ عندما اكتُشِفت بئر نفط في أرضٍ يملكها والدي. لقد حَدَث ذلك منذ بضع سنوات، لكن والديَّ، ومن بعدهما جدتي تحقَّقوا من استثمار ذلك المال. ولقد أنقذني ذلك أنا وجيسون من كثيرٍ من النِضال. لا أعرِف كيف كان يُمكِن لجدتي أن تُربِّينا لولا ذلك المال. بعد ما صمَّمَت على عدم بيع أي أرض، رغم أن دخلها لا يزيد على ضمان اجتماعي. وهذا أحد أسباب عدم حصولي على شقَّة. فإذا اشتريتُ البقالة وأنا أعيش معها... يُصبِح أمرًا مقبولًا بالنسبة لها؛ لكنني لو اشتريتُ البقالة وجلبتها إلى منزلها وتركتها على المائِدة وعُدتُ إلى منزلي... فستعتبِر هذه صدقة وتستشيط غضبًا.

سألته... فقط لأظهِر نوعًا من الاهتمام: "ما هو نوع السخَّان الجديد؟".

كان يتحرَّق شوقًا لإخباريَ بذلك؛ لأنه مهووس بالأجهِزة، وأراد أن يصِف لي بالتفصيل رحلة تسوُّقه للمُقارنة وشراء سخَّان ماء جديد. استمعتُ إليه بأكبر قدر مُمكِن من الاهتمام.

قبل أن يُقاطِع نفسه ليسألني: "هل تتذكَّرين ماديت بيكنز يا سوك؟".

قُلت بقليلٍ من الدهشة: "بالتأكيد، لقد تخرجنا في الفصل نفسه".

"لقد قتلها أحدهم في شقّتها الليلة الماضية".

تجمَّدنا أنا وجدتي في مكاننا. سألته جدتي وهي تشعُر بالحيرة لأنها لم تكُن قد سَمِعَت بالأمر بعد: "متى؟".

"وجدوها هذا الصباح في غُرفة نومِها. حاول مُديرها أن يتصِل بها لمعرِفة سبب عدم ذهابها للعمل البارِحة واليوم، لكنها لم تُجِبه، لذلك قاد سيارته إلى هُناك وتحدَّث إلى صاحِب المنزل، وفتحا شقتها. هل تعرفين أنها كانت تسكُن في الشقة المُقابِلة لديان؟".

لم يكُن في أنحاء بون تيمبس سوى مُجمَّع سكنيٍ واحِد صالِح للمعيشة، مكوَّن من ثلاثَة مبانٍ من طابقين، مُصطفَّة على شكل حرف (U)، ولذلك عرفنا بالضبط ما يقصِده.

شعرتُ بالغثيان، سألته: "هل قُتِلَت هُناك؟". تذكَّرتُ ماديت بوضوح، فقد تمتَّعَت بفكٍ عريض وجسد سميك، شعر أسود جميل ومنكبين عريضين. لطالما كانت ماديت مُثابِرة، لكنها لم تكُن طموحًا أو لامِعة قط. قبل أن أُضيف: "أعتقِد أنني أتذكَّر أنها عملت لفترةٍ في (جرابيت كويك)، محطَّة البنزين المزوَّدة بمتجرٍ صغير".

قال جيسون: "أجل، أعتقِد أنها عملت هُناك لعامٍ على الأقل".

تمتَّعَت جدتي بتلك النظرة المُتقنة السريعة التي يسأل بها الأشخاص اللُّطفاء عن الأخبار السيّئة، سألته: "كيف قُتِلَت؟".

قال شقيقي وهو ينظُر إلى طبقه: "لقد وجدوا عضَّة مصَّاص دماء على... فخذها من الداخِل، لكن لم يكُن هذا هو ما قتلها. لقد خُنِقَت. أخبرتني ديان أن ماديت أحبَّت زيارة حانة مصَّاصي الدماء في شرِفبورت كلما حظيت بيومي إجازة، ولذلك... رُبما يكون هذا هو المكان الذي عُضَّت فيه، ورُبما لم يكُن مصَّاص دماء سوكي هو السبب".

شعرتُ بالغثيان وأنا أسأله: "هل كانت ماديت مُحبَّة للأنياب؟". تخيَّلتُها بطيئة ومُكتنِزة وهي ترتدي الفساتين السوداء الغريبة المُتكلِّفة الخاصَّة بمُحبي الأنياب.

سألتني جدتي: "ماذا تقصدين؟". لا بُد أنها لم ترَ سالي جيسي في اليوم الذي اكتشفت فيه تلك الظاهِرة.

"إنهم الرجال والنساء الذين يتسكَّعون مع مصَّاصي الدماء ويستمتِعون بالعض. المُعجبون بمصَّاصي الدماء. أعتقِد أنهم لا يدومون لوقتٍ طويل، لأنهم يرغبون في التعرُّض للعض كثيرًا، وآجلًا أو عاجلًا... تُصيبهم تلك العضَّة القويَّة أكثر من اللازِم".

أرادت جدتي أن تتيقَّن من أنها قد فَهِمَت الأمر تمامًا، فقالت: "لكن العضَّة لم تقتُلها".

بدأ جيسون ينتهي من تناوُل طعامه، أجابها: "لا، بل الخنق".

سألته: "ألا تتزوَّد بالبنزين دومًا من محطَّة جرابيت؟".

"بالطبع. وهكذا يفعل الكثيرون".

سألته جدتي: "ولم تتسكَّع مع ماديت قليلًا؟".

قال جيسون بحذر: "حسنًا، طالما فُتِح الموضوع...".

فَهِمت من إجابته أنه ذهب للفراش مع ماديت عندما لم يتمكَّن من العثور على امرأةٍ أخرى.

قالت جدتي: "أتمنى ألا يرغَب المأمور في التحدُّث معك". وهزَّت رأسها وكأن الإشارة التي تعني (لا) ستُقلِّل من احتماليَّة حدوث الأمر.

احمرَّ وجه جيسون، وقال بطريقةٍ دفاعيّة: "ماذا؟".

لخَّصتُ له الأمر قائِلة: "أنت ترى ماديت في المتجر طوال الوقت أثناء تزوُّدك بالوقود، وتواعِدها بطريقةٍ ما، ثُم ينتهي بها الأمر ميِّتة في شقةٍ تعرِفها جيّدًا". لم يكُن الأمر كثيرًا، لكنه كان شيئًا لا يُمكِن تجاهُله، لأنه لم يُرتكَب في بون تيمبس سوى عدد قليل للغاية من جرائِم القتل الغامِضة، حتى إنني اعتقدتُ أنهم سيقلِبون كُل حجر يجدونه أثناء التحقيق في الأمر.

"لستُ الوحيد الذي يتزوَّد بالبنزين من هُناك. يذهب إلى هُناك العديد من الرجال الآخرين للتزوُّد بالوقود، ويعرِفون ماديت جميعًا".

سألته جدتي بصراحة: "أجل، لكن بأي صفة؟ لم تكُن ماديت عاهِرة، أليس كذلك؟ ولذلك ستتحدَّث عمَّن تواعِده".

قال: "لقد أحبَّت قضاء بعض الوقت المُمتِع، إنها ليسَت عاهِرة مُحترِفة". من الجيِّد رؤية جيسون يُدافِع عن ماديت، إذا وضعنا في الحسبان ما أعرِفه عن شخصيته الأنانيَّة. بدأتُ أفكِّر في شقيقي الأكبر بصورةٍ أفضل قليلًا، أضاف: "أعتقِد أنها شعرَت بشيءٍ من الوحدة".

نَظَر إلينا جيسون، قبل أن يرى أننا مُتفاجِئتان ومُتأثِّرتان بعض الشيء.

فقال على عجل: "بالحديث عن العاهِرات، هُناك عاهِرة في مونرو مُتخصِّصة في مصَّاصي الدماء. ودائمًا ما تُبقي رجلًا واقفًا بجوارها تحسُّبًا لفِقدان أحدهم السيطرة على نفسه. كما أنها تشرَب الدم الاصطناعي لتُحافِظ على إمدادها بالدماء".

كان هذا تغييرًا لا ريب فيه للموضوع، لذلك حاولنا أنا وجدتي أن نُفكِّر في سؤالٍ يُمكِننا طرحه دون أن نبدو عديمتي اللياقة.

غامرتُ بطرح السؤال: "أتساءل كم تتقاضى؟". وعندما أخبرنا جيسون بالرقم الذي سَمِعه، شهقنا معًا.

وبمُجرَّد أن تخلَّصنا من موضوع قتل ماديت، استمرَّ الغداء بشكلٍ طبيعي، قبل أن ينظُر جيسون إلى ساعته ويقول إنه بحاجةٍ إلى المُغادرة عندما آن أوان غسل الأطباق.

لكنني اكتشفتُ أن عقل جدتي كان لا يزال مشغولًا بمصَّاصي الدماء. فقد أتَت إلى غُرفتي لاحقًا، عندما كُنتُ أضع مكياجي استعدادًا للذهاب إلى العمل.

"حسب اعتقادكِ... كم عُمر مصَّاص الدماء الذي قابلتِه؟".

أجبتُها وأنا مُنهمِكة في وضع الماسكارا: "ليس لديَّ أي فكرة يا جدتي". كُنت قد فتحتُ عينيَّ على اتساعهما وحاولتُ ألا أطعَن نفسي بها في عيني، ولذلك خَرَج صوتي مُضحكًا، وكأنني أحاول الهروب من فيلم رُعب.

"هل تعتقدين... أنه يتذكَّر فترة الحرب؟".

لم أكُن بحاجةٍ للسؤال عن أي حرب تقصِد. فبعد كُل شيء، كانت جدتي عضوةً في ميثاق (أحفاد الموتى المجيدين).

قُلت وأنا أدير وجهي من جهةٍ لأخرى لأتحقَّق من أن أحمر الخدود متساوٍ على وجنتيَ: "مُمكِن".

"هل تعتقِدين أن بإمكانه أن يأتي ويتحدَّث إلينا عن الأمر؟ يُمكِننا أن نعقِد اجتماعًا خاصًّا".

ذكَّرتُها: "ليلًا".

"أجل، لا بُد من ذلك". لأن (الأحفاد) عادةً ما يجتمعون عند الظهيرة في المكتبة، ويجلِبون غداءهم معهُم.

فكَّرتُ في الأمر. سيكون ضربًا من الوقاحة أن نقترِح على مصَّاص الدماء أنه يجِب أن يتحدَّث إلى نادي جدتي لأنني

أنقذتُ دماءه من المُستنزِفين، لكنه رُبما يقترِح الأمر إذا ما قدَّمت له بعض التلميحات؟ لم أحِب الأمر، لكنني سأفعله من أجل جدتي بكُل تأكيد، وعدتُها قائِلة: "سأسأله في المرَّة التالية التي يزورنا فيها؟".

قالت جدتي: "يُمكِنه أن يأتي ليتحدَّث لي على الأقل، ورُبما يُمكِنني تسجيل مُذكِّراته؟". تمكَّنتُ من سماع أفكارها وهي تُفكِّر في الضجّة التي سيُثيرها الأمر، قبل أن تقول بتقوى: "سيكون الأمر مُمتعًا للغاية لأعضاء النادي الآخرين".

تظاهرتُ بالضحك قبل أن أقول: "سأقترِح عليه الأمر، وسنرى ماذا سيقول".

كان من الواضِح أن جدتي قد انهمكَت في إحصاء دجاجاتها قبيل مُغادرتي.



لم أُفكِّر في ذهاب رينيه لينر إلى سام ليسرد قصَّة القِتال الذي دارَت رَحاه في ساحة انتظار السيارات. فقد كان رينيه مشغولًا كالنحلة. وعندما ذهبتُ إلى العمل بعد ظهيرة اليوم، افترضتُ أن التوتُّر الذي شعرتُ به يسود الأجواء كان بسبب مقتل ماديت، قبل أن أكتشِف أنني مُخطِئة.

دفعني سام إلى المخزَن لحظة دخولي، كان يتقافَز غضبًا. نَظَر لي من الأعلى إلى الأسفل بحدّة.

لم يغضَب مني سام من قبل، ولذلك سُرعان ما وجدتُ نفسي على وشك البُكاء.

قال سام: "وإذا اعتقدتِ أن هُناك زبونًا خطيرًا، فأخبريني، وسأتعامَل معه. لا تتعاملي معه بنفسكِ". لم أُدرِك أنه كان خائِفًا عليَّ، سوى عندما كرَّرها للمرَّة السادِسة.

التقطتُ ذلك منه أثناء ابتعادي عنه قبل أن أتلافى سماع أفكاره، فعادةً ما يؤدي الاستماع لأفكار مُديرك إلى كارثة.

لم يخطُر ببالي أن أطلُب مُساعدة سام... أو أي شخص آخر.

تابَع سام حديثه قائِلًا: "وإذا اعتقدتِ أن شخصًا ما يتعرَّض للأذى في ساحة انتظار السيَّارات الخاص بنا، يجِب أن تكون حركتك التالية هي الاتصال بالشُّرطة، لا الخروج إلى هُناك مثل المُقتَص".

تحوَّل لونه اللطيف الذي لطالما كان الأحمر، إلى أحمر أكثر من ذي قبل، وبدا شعره الذهبي الخفيف وكأنه لم يُصفِّفه.

قُلت: "حسنًا". حاولتُ السيطرة على صوتي وفتحتُ عيني على اتساعهما كيلا تنهمِر منهما الدموع وأنا أسأله: "هل ستطرُدني؟".

صاح وقد بدا أكثر غضبًا: "لا! لا! لا أريد أن أفقدكِ!". أمسَك بكتفيَّ وهزَّني برفق، ثُم وقف يُطالعني بعينيه الزرقاوين

الواسعتين، فشعرتُ بدفقةٍ من الحرارة تنبعِث منه. يُسرِّع اللمس إعاقتي، مما يُحتِّم عليَّ سماع الشخص الذي يلمسني. حدَّقتُ في عينيه للحظةٍ طويلةٍ، ثُم عُدتُ لوعيي، وقفزتُ للخلف ويداه تنخفِضان.

استدرتُ، وغادرتُ غُرفة المخزَن، وأنا أشعُر بالخوف.

لقد عَرَفتُ بعض الأمور المُقلِقة. سام يشتهيني؛ كما أنني لم أستطِع سماع أفكاره بوضوحٍ مثل الآخرين. فقد حظيتُ بموجاتٍ من الانطباعات عن شعوره، لكن ليس عن أفكاره. يُشبِه الأمر لبس خاتِم لتحسين المزاج عوضًا عن استلام فاكس.

ماذا سأفعل حيال أي من المعلومتين إذًا؟

لا شيء أبدًا.

لم أنظُر إلى سام على أنه رجل يصلُح للمُعاشرة من قبل -أو على الأقل يصلُح لمُعاشرتي- لعدّة أسباب. لكن أيسرها هو أنني لم أنظُر إلى أي شخص بهذه الطريقة من قبل، ليس لأنني أُعاني من نقص في هرموناتي -لكن عجبًا، هل أمتلِك أي هرمونات من الأساس- بل لأنني أكبح جماحها باستمرار، لأن الجنس -بالنسبة لي- عبارة عن كارِثة. هل يُمكِنك تخيُّل معرِفة كُل ما يُفكِّر فيه شريكك الجنسي؟ حسنًا، بدءًا من عبارات: "يا إلهي، انظُر إلى هذه الشامة... إن مؤخرتها كبيرة بعض الشيء... أتمنى لو تتحرَّك إلى اليمين قليلًا... لماذا لا تفهم التلميحات؟". حسنًا، لقد فهمتم الفكرة العامة. صدقوني،

إنها فكرة تقشعِر لها الأبدان. ولا توجد طريقة للحفاظ على الحذر العقلي أثناء مُمارسة الجنس.

وهُناك سبب آخر، هو أنني أُحِب سام بوصفه مُديرًا، وأحِب وظيفتي، التي تُخرِجني وتُبقيني نشيطة وتُكسِبني لُقمة عيشي كيلا أغرِق في العُزلة مثلما تخشى جدتي. كما أن العمل في مكتبٍ أمر صعب بالنسبة لي، أما الذهاب إلى الكُلية فمُستحيل، بسبب التركيز الكئيب الضروري. إنه يستنزفني فحسب.

لذلك، والآن، أردتُ التفكير في اندفاع الشهوة الذي شعرتُ به منه. لم يكُن الأمر وكأنه قدَّم لي اقتراحًا شفويًّا أو رماني على أرضية المخزَن. لقد شعرتُ بمشاعِره، ويُمكِنني تجاهُلها إذا أردت. قدَّرت رقة هذا الأمر، وتساءلت عمَّا لو كان سام قد لمسني عن قصد، وأنه يعرِف حقيقتي بالفعل.

حَرِصتُ على ألا أبقى معه بمُفردي، لكن عليَّ أن أعترِف... عانيتُ من صدمةٍ في تلك الليلة.

***

كانت الليلتان التاليتان أفضل، فقد عُدنا إلى علاقتنا المُريحة، وشعرتُ بالارتياح. لقد خاب أملي، فقد كُنت مشغولة منذ أن أدى قتل ماديت إلى ازدهار الأعمال في ميرلوت. دارَت كُل أنواع الشائِعات حول بون تيمبس، وصاغ فريق شرِفبورت الإخباري خبرًا صغيرًا عن موت ماديت بيكنز المروّع.

وعلى الرغم من أنني لم أحضر جنازتها، إلا أن جدتي فعلَت، وقالَت إن الكنيسة كانت مُزدحِمة تمامًا. ماديت السمينة المسكينة، بفخذها المعضوض، أكثر إثارةً في موتها مما كانت عليه في حياتها.

كُنت على وشك التقدُّم بطلب للحصول على إجازة لمُدة يومين، فشعرتُ بالقلق من أن أفقِد التواصُل مع بِل مصَّاص الدماء، فقد كُنت بحاجةٍ لنقل طلب جدتي إليه. لم يعُد إلى الحانة، وبدأت أتساءل لو كان سيعود يومًا.

كما لم يعُد ماك ودينيس إلى ميرلوت بدورهما، لكن رينيه لينر وهويت فورتِنبيري تحققَّا من معرِفتي بأنهما يُهدِّداني بأشياءَ مروّعة. لا أستطيع أن أقول إنني شعرتُ بانزعاجٍ كبير. فحُثالة المُجرمين مثل الفِئران يجوبون الطُّرق السريعة ومُتنزهات المقطورات في أمريكا، كما أنهم ليسوا أذكياء ولا يتمتَّعون بما يكفي من الأخلاق للاستقرار في حياةٍ مُنتِجة. لم يتركوا علامة إيجابيّة في هذا العالَم قط، أو يصلوا إلى مستوًى راقٍ على الإطلاق، حسب طريقة تفكيري. ولذلك تجاهلتُ تحذيرات رينيه. لكنه استمتَع بنقلها بكُل تأكيد. كان رينيه لينر صغير الحجم مثل سام، لكنه تمتَّع ببشرةٍ داكنةٍ وشعر أسود خشِن كثيف شابه بعض اللون الرمادي، بينما كان سام أشقر ذا بشرة حمراء. وغالبًا ما أتى رينيه إلى الحانة ليشرب البيرة ولزيارة آرلين لأنها (كما كانت مُغرَمة بإخبار كُل من في الحانة) زوجته السابِقة المُفضَّلة. في حين كانت لديه ثلاث زوجات سابِقات.

أما هويت فورتِنبيري فكان باهتًا أكثر من رينيه. فلم يكُن ذا بشرة داكِنة أو فاتِحة، كما أنه لم يكُن ضخمًا أو صغير الحجم. ودائِمًا ما بدا مُبتهِجًا ويميل لترك إكرامية لائِقة. بالإضافة إلى أنه مُعجَب بشقيقي جيسون أكثر مما يستحِق الأخير من وجهة نظري.

شعرتُ بالسعادة لأن رينيه وهويت لم يكونا موجودين عندما عاد مصَّاص الدماء.

جَلَسَ إلى الطاوِلة نفسها.

شعرتُ ببعض الخجل الآن ومصَّاص الدماء يجلِس أمامي بالفعل. وجدتُ أنني نسيتُ كُل شيء بشأن توهُّج بشرته الدقيق، مع أنني بالغتُ في تقدير طوله وخطوط فمه الواضِحة.

سألته: "ماذا يُمكِنني أن أُحضِر لك؟".

نَظَرَ إليَّ. كُنتُ قد نسيتُ أيضًا مدى عُمق عينيه. لم يبتسِم أو يرمِش؛ بل كان ساكنًا للغاية. وللمرَّة الثانية، استرخيتُ في حضرة صمته. وعندما خفضتُ دروع مقاومتي، تمكَّنتُ من الشعور بعضلات وجهي تسترخي. بدا الأمر جيِّدًا مثل الحصول على تدليك (كما أعتقِد).

سألني: "ماذا تكونين؟". هذه هي المرَّة الثانية التي يريد أن يعرِف بها.

أجبته: "أنا نادِلة". أسأت فهمه عمدًا للمرَّة الثانية. استطعت الشعور بابتسامتي تعود إلى مكانها الصحيح مرَّة أخرى، تبخَّرَت القلة القليلة الموجودة من سلامي النفسي.

قال: "نبيذًا أحمر". لم أستشِف إذا ما أُصيب بخيبة الأمل من نبرة صوته.

قُلت: "بكُل تأكيد، لا بُد وأن يأتي الدم الاصطناعي على متن الشاحِنة غدًا. اسمعني، هل يُمكِنني التحدُّث إليك بعد العمل؟ أريد أن أطلُب منك معروفًا".

قال دون أن يبدو سعيدًا حيال الأمر: "بالطبع، فأنا مدينٌ لك".

شعرتُ بالانزعاج من نفسي، فقُلت: "ليس معروفًا لي، بل لجدتي. إذا كُنت واعيًا -حسنًا، أعتقِد أنك ستكون كذلك- عندما أنتهي من العمل في تمام الساعة الواحِدة والنصف، هل تُمانِع مُقابلتي عند باب الموظَّفين في الجُزء الخلفي من الحانة؟". أومأتُ برأسي نحو الباب، وتراقَص شعري المُصفَّف على شكل ذيل حِصان حول كتفيَ، تتبَّعَت عيناه حركة شعري.

"سأكون مسرورًا بالقيام بذلك".

لم أعرِف إذا ما كان يقوم بالمُجاملة التي تُصِر جدتي على أنها كانت المعيار السائِد في الماضي، أم أنه كان يسخَر مني فحسب.

قاومتُ إغراء أن أُخرِج له لساني أو أُصدِر له صوتًا ساخرًا. ودُرتُ على عقبيَّ وسرتُ نحو طاولة الحانة. وعندما جلبتُ له نبيذه، أعطاني إكرامية بقيمة عشرين بالمئة. وبعد ذلك بوقتٍ

قصير، نظرتُ نحو طاولته لأكتشِف أنه قد اختفى، تساءلت عمَّا إذا كان سيفي بوعده.

غادَرت آرلين وداون قبل أن أستعِد للمُغادرة، لسببٍ مُهِم، ألا وهو أن جميع حامِلات المناديل في منطقتي كانت نصف فارِغة. ودَّعتُ مديري، عندما استعدتُ حقيبتي من الخزانة الموجودة في مكتب سام، حيث أترُكها أثناء ساعات العمل الرسميّة. تمكَّنتُ من سماعه داخِل حمَّام الرجال، رُبما يحاوِل إصلاح المرحاض الذي يُسرِّب. دخلتُ إلى حمَّام السيِّدات لأصفِّف شعري وأعيد وضع زينتي.

لاحظتُ عندما خرجتُ أن سام قد أغلق ضوء ساحة انتظار سيارات العُملاء بالفعل، ولم يعُد يُضيء ساحة انتظار سيَّارات الموظَّفين الآن سوى الضوء الأمني الموجود على عمود الكهرباء الذي يقِف أمام مقطورته. ومن الأشياء التي وفَّرت قدرًا لا بأس به من المُتعة لديان وآرلين، أن سام قد أخلى قطعة أرض أمام مقطورته، وزَرَعها بخشب البقس، واعتادتا مُضايقته باستمرارٍ بشأن خط سياجه الأنيق.

أما أنا... فاعتقدتُ أنها جميلة.

وكالعادة، وقفَت شاحِنة سام أمام مقطورته، لذا... لم يعُد هُناك سوى سيارتي في ساحة الانتظار.

تثاءبتُ، ونظرتُ من جانبٍ لآخر. لا أثر لبِل. فوجئتُ بمدى خيبة أملي، لقد توقَّعتُ أن يكون مُهذّبًا حقًّا، حتى لو لم يكُن هُناك وجود لقلبه. (هل لديه قلب من الأساس؟).

قُلت لنفسي وأنا أبتسِم: رُبما يقفِز من بين الأشجار، أو يظهر بطريقةٍ سحرية أمامي مُرتديًا حرملة سوداء مُخطَّطة باللون الأحمر. لكن شيئًا لم يحدُث. ولذلك سرتُ نحو سيارتي.

تمنيتُ الحصول على مُفاجأة، لكنني لم أتمنَّ المُفاجأة التي حصلتُ عليها.

قفز ماك راتراي من خلف سيارتي، وبخطوةٍ واحِدة... اقتربَ مني بما يكفي ليلكمني في وجهي. لم يتراجَع للحظة، فسقطتُ على الحصى ككيس من الإسمنت. صرختُ أثناء سقوطي، لكن اصطدامي بالأرض سلبني كُل الهواء الموجود في صدري وبعض الأجزاء من جلدي، كُنت صامِتة، ومشدوهة، وعاجِزة. ثُم رأيتُ دينيس، رأيتُها تؤرجِح قدمها ذات الحذاء الثقيل للخلف، حظيتُ بما يكفي من الحذر لأتكوَّم على نفسي قبل أن يبدأ آل راتراي بركلي.

كان الألم فوريًّا، وشديدًا، ولا هوادة فيه. أحطتُ وجهي بذراعيَّ بشكلٍ غريزي، واستقبلتُ الضربات على ساعديَّ، وساقيَّ، وظهري.

أعتقِد أنني كُنت واثقة -خلال الضربات القليلة الأولى- أنهما سيتوقَّفان ويهمسان ببعض التحذيرات والشتائِم قبل أن يترُكاني ويُغادِرا. لكنني أتذكَّر اللحظة التي أدركتُ فيها أنهما ينويان قتلي.

كان بإمكانيَ أن أرقُد هُناك بشكلٍ سلبي وأتلقى الضربات، لكنني لن أستلقي هُناك في انتظار القتل.

وفي المرَّة التالية التي اقتربَت مني فيها ساق، اندفعتُ نحوها وأمسكتُ بها بشدّة. حاولتُ عضَّهما، أو على الأقل إصابة أحدهما. لكنني لم أكُن مُتيقِّنة من هوية صاحِب القدم من بينهما.

ثُم سَمِعتُ صوت زمجرة من خلفي، قُلت لنفسي: اللعنة، لا، لقد أحضرا كلبًا. كان صوت الهدير عدائيًّا بكُل تأكيد، ولو امتلكتُ أي سيطرة على مشاعري، لانتصبَ الشعر على فروة رأسي.

تلقيتُ ركلة أخرى في عمودي الفقري، ثُم توقَّف الضرب.

تركَت الركلة الأخيرة شيئًا مروّعًا في نفسي. تمكّنتُ من سماع صوت أنفاسي، وشخيري، وصوت فقاقيع غريب يبدو وكأنه قادِمٌ من رئتيَّ.

تساءل ماك راتراي وهو يبدو مرعوبًا بشدَّة: "ما هذا بحق الجحيم؟".

سمعتُ صوت الزمجرة مرَّة أخرى، أقرَب، خلفي مُباشرةً. ومن اتجاهٍ آخر، سمعت زئيرًا من نوعٍ ما. بدأت دينيس تبكي، وبدأ ماك يُطلِق السباب. انتزعَت دينيس ساقها من قبضتي، التي أصبَحت ضعيفة للغاية. سَقَط ذراعايَ أرضًا، وبدوَا وكأنهما خارجان عن سيطرتي. ورغم أن رؤيتي كانت مشوَّشة، إلا أنني

تمكَّنتُ من رؤية أن ذراعي اليُمني كُسِرَت، كما شعرتُ بوجهي مُبلَّلًا. وخشيتُ استكمال تقييم إصاباتي.

بدأ ماك يصرُخ، ثُم تبِعته دينيس، وبدا أن جميع أنواع الأنشِطة تدور من حولي، لكنني لم أتمكَّن من الحركة. الأشياء الوحيدة التي تمكَّنت من رؤيتها هي ذراعي المكسور، ورُكبتيَ المُحطَّمة، والظلام تحت سيارتي.

ساد الصمت بمرور بعض الوقت. ومن خلفي... أنَّ الكلب. ولمَسَ أنفٌ مبلولٌ أذني، قبل أن يلعقني لسان دافئ. حاولت أن أرفَع يدي لأربُت على الكلب الذي وبلا شك أنقذ حياتي، لكنني لم أستطِع. تمكَّنتُ من سماع نفسي أتنهَّد، رغم أن الصوت بَدا وكأنه يأتي من مكانٍ بعيد.

لنواجِه الحقيقة، قُلت: "أنا أُحتضَر". بدأت الأمور تبدو أكثر واقعيَّة بالنسبة لي. صَمَتَت الضفادِع والصراصير التي لطالما استيقظَت ليلًا بسبب نشاط وضوضاء ساحة الانتظار، ولذلك خَرَج صوتي ضعيفًا قبل أن يتيه في الظلام. الغريب... أنني سَمِعت صوتين بعد فترة وجيزة.

ثُم دخلَت رُكبتان إلى مجال رؤيتي، اختبأتا خلف بنطال من الجينز الأزرق المُلطَّخ بالدماء. انحنى بِل مصَّاص الدماء لأتمكَّن من رؤية وجهه. لطَّخَت الدماء فمه، وبرزت أنيابه، وتلألأت باللون الأبيض خلف شفته السُّفلى. حاولتُ أن أبتسِم له، لكن وجهي لم يعمَل بطريقةٍ صحيحة.

قال بِل بصوتٍ هادئ: "سأرفعكِ".

همستُ: "سأموت لو فعلتَ ذلك".

تفحَّصني بعينيه بحرص، قبل أن يقول بعد هذا التقييم: "ليس بعد". الغريب... أن هذا جعلني أشعُر بتحسُّن؛ لأنه بالتأكيد رأى عددًا كبيرًا من الإصابات في حياته.

حذَّرني قائِلًا: "سيؤلمكِ هذا".

كان من الصعب تخيُّل أن أي شيءٍ لن يؤلِمني.

انزلقَ ذراعاه تحتي قبل أن أحظى بالوقت اللازِم لأشعُر بالخوف. صرخت، لكنه كان مجهودًا ضعيفًا.

قال أحدهم بعُجالة: "بسُرعة".

قال بِل وهو يضُم جسدي إلى جسده وكأنني لا أزِن شيئًا: "سنتوارى في الغابة بعيدًا عن الأنظار".

هل سيدفنني هُناك... بعيدًا عن الأنظار؟ بعد ما أنقذني لتوّه من الفَأرين؟ لم أهتَم بالأمر تقريبًا.

شعرتُ بارتياحٍ خفيفٍ عندما مددني أرضًا فوق سجادة من إبر الصنوبر في ظلام الغابة. ومن بعيد... تمكَّنت من رؤية وَهَج ساحة انتظار السيَّارات. شعرتُ بدمي يسيل على شعري، وشعرتُ بألم ذراعي المكسور، وبوجع الكدمات العميقة، لكن ما أثار خوفي هو ما لم أشعُر به.

لم أشعُر بساقي.

شعرتُ أن بطني مُمتلِئ وثقيل. واستقرَّت عبارة (النزيف الداخلي) في أفكاري، وهي في ضبابيتها تلك.

قال لي بِل: "ستموتين إذا لم تفعلي ما أطلُبه منكِ".

قُلت بصوتٍ ضعيفٍ وواهِن: "آسفة، لا أريد أن أُصبِح مصَّاصة دماء".

قال بلُطفٍ أكثر: "لا، لن تُصبحي مصَّاصة دماء، ستتعافين. بسُرعة... فلديَّ العلاج الصحيح، لكن سيتوجَّب عليكِ أن تتقبَّليه".

همست: "لا داعي للعلاج إذًا، لأنني راحِلة". تمكَّنتُ من الشعور بما يُمارِسه عليَّ.

وفي الجُزء الصغير من ذهني الذي لا يزال يتلقى إشارات من العالَم، سَمِعتُ بِل يُزمجِر وكأنه مُصاب، قبل أن يضغَط شيء ما على شفتي.

قال: "اشربي".

حاولتُ أن أخرِج لساني، وتمكَّنتُ من ذلك. كان ينزِف، ويضغط على جرحه ليَزيد من تدفُّق الدماء من معصمه إلى فمي. كدت أتقيَّأ، لكنني رغبتُ في العيش. أجبرتُ نفسي على ابتلاع السائِل، وابتلعتُ المزيد منه.

فجأة... أصبح مذاق الدم جيِّدًا، ومالحًا، إنه إكسير الحياة. ارتفعَ ذراعي الذي لم ينكسِر، وثبَّتَت يدي معصم مصَّاص الدماء على فمي. شعرتُ بتحسُّنٍ مع كُل جُرعة. وبعد دقيقة... غططتُ في النوم.

عندما استيقظتُ، كُنت لا أزال في الغابة، ولا أزال مُستلقيَة أرضًا. تمدَّد شخص ما إلى جواري؛ كان مصَّاص الدماء. تمكَّنتُ من رؤية تلألئه. وشعرتُ بلسانه يتحرَّك على رأسي، وهو يلعَق جروح رأسي، وبالكاد استطعتُ الانزعاج منه.

سألته: "هل طعمي مُختلِف عن طعم بقية البشر؟".

قال بصوتٍ أجش: "أجل، ماذا تكونين؟".

كانت هذه هي المرَّة الثالِثة التي يطرَح عليَّ فيها هذا السؤال. والثالِثة ثابِتة كما اعتادَت جدتي أن تقول.

قُلت: "مهلًا، أنا لم أمُت". تذكَّرتُ فجأة أنني كُنت قد توقَّعتُ أن أموت. حرَّكت ذراعي، الذي كان مكسورًا، وشعرتُ بالضعف يكتنِفه، لكنه لم يعُد يسقُط بتثاقُلٍ. شعرتُ بساقيَّ وحرَّكتهما أيضًا. شهقتُ وزفرتُ بشكلٍ تجريبيٍّ وشعرتُ بالسعادة من الألم الخفيف الناتِج عن تلك العملية. جاهدتُ لأجلِس، ورغم أن هذا تطلَّب جُهدًا كبيرًا، إلا أنه لم يكُن مُستحيلًا. بدا الأمر مثل أول يوم في نقاهتي بعد أن أُصِبتُ بالتهابٍ رئويٍّ في طفولتي. ضعيفة... لكن سعيدة. وعَرِفتُ أنني قدْ نجوتُ من شيءٍ فظيع.

وقبل أن أنتهي من تعديل مرقدي، وَضَع ذراعيه تحتي وضمَّني إليه. كان قد استند بظهره إلى جذع شجرة. شعرتُ براحةٍ تغمُرني وأنا أجلِس في حضنه، ورأسي يستريح على صدره.

قُلت: "إن حقيقتي هي... التخاطُر، أي أن بإمكانيَ سماع أفكار الناس".

بدا فضوليًّا وهو يسألني: "حتى أفكاري؟".

قُلت وبحر من السعادة الوردية يفيضِ ليغمُرني: "لا، ولهذا السبب أنا مُعجبة بك للغاية". ولم أكلِّف نفسي عناء تمويه أفكاري حتى.

شعرتُ بحركة صدره وهو يضحَك. فقد كانت ضحكته صدئة بعض الشيء.

هذيتُ بصوتٍ حالم: "لا يُمكِنني سماعُك على الإطلاق، وليس لديك أي فكرة عن مدى السلام الذي أشعُر به جرَّاء هذا الأمر. فبعد هذه الحياة من الثرثرة التي لا تنتهي، أجد نفسي أسمَع... لا شيء".

"وكيف تتدبَّرين أمر الخروج مع الرجل؟ فالفكرة الوحيدة التي تدور في أذهان الرجال في مثل عُمركِ... هي كيف ينامون معكِ".

"حسنًا، أنا... لا أتدبَّر... شيئًا. وبصراحة، يقتصِر تفكير الرجال في أي عُمر على مُضاجعة النساء. لا أواعِد أحدًا،

لأن الجميع يعتقِدون أنني مجنونة كما تعلَم، لأنني لا أستطيع إخبارهم بالحقيقة؛ ألا وهي أن كُل هذه الأفكار وكُل هذه الرؤوس تقودني للجنون. حظيتُ ببعض المواعيد عندما بدأتُ العمل بالحانة، رجال لم يسمعوا عني من قبل. لكن الأمور تبقى كما هي دومًا. لا يُمكِنك التركيز على الشعور بالراحة مع رجل، أو حتى العمل على نجاح العلاقة، عندما تتمكَّن من سماعهم يتساءلون عمَّا إذا كُنت تصبُغ شعركِ، أو أن مؤخرتك ليست جميلة، أو وهُم يتخيَّلون شكل صدركِ".

فجأة... شعرتُ بمزيدٍ من اليقظة، وأدركتُ كم كُنتُ أكشِف نفسي لهذا المخلوق.

قُلت: "معذرةً، لم أقصِد أن أثقِل كاهليك بمشكلاتي، شكرًا لإنقاذي من الفَأرين".

قال: "إنه خطئي أن الفُرصة قد سَنَحَت لهم للنيل منك من الأساس". استطعت تبيُّن بُركان من الغضب يتفجَّر تحت سطح صوته الهادئ، تابَع حديثه قائِلًا: "لو تحليتُ باللياقة اللازِمة لأكون هُنا في الميعاد، لما حدث ذلك. ولذلك فأنا مدين لكِ ببعضِ دمي، ومدين لكِ بالشفاء".

سألته: "هل ماتا؟". وليزيد إحراجي... خَرَج صوتي غريبًا.

"أجل".

ابتلعتُ ريقي. لم أشعُر بالندم لتخلُّص العالَم من الفَأرين. لكن توجَّب عليَّ مواجهة ذلك مُباشرةً، لم أستطِع تفادي

إدراك أنني أجلِس في حِضن قاتِل. ومع ذلك شعرتُ بالسعادة لجلوسي هُناك، ولوجود ذراعيه حولي.

قُلت قبل أن أعرِف ما سأقوله: "يتوجَّب عليَّ القلق بشأن ذلك، لكنني لستُ قَلِقة". شعرتُ بضحكته الصدِئة مرَّة أخرى.

"لماذا أردتِ التحدُّث معي الليلة يا سوكي؟".

توجَّب عليَّ التفكير بجديّة مرَّة أخرى. وعلى الرغم من أنني تعافيتُ بأعجوبةٍ من الضرب الجسدي المُبرِح، إلا أنني شعرتُ ببعض الضباب يجتاح ذهني.

قُلت بتردُّد: "جدتي حريصة للغاية على معرفة عُمرك". لم أكُن أعرِف مدى شخصية طرح هذا السؤال بالنسبة لمصَّاص الدماء. بينما يربُت مصَّاص الدماء المقصود على ظهري وكأنه يُهدئ قطّةً صغيرة.

قال: "لقد تحوَّلت إلى مصَّاص دماء عام (١٨٧٠)، عندما كُنت أبلُغ من العُمر ثلاثين عامًا". نظرتُ للأعلى؛ ورأيتُ وجهه المُتلألئ خاليًا من التعبيرات، وعينيه تتوهَّجان في قلب ظلام الغابة.

"هل قاتلتَ في الحرب؟".

"أجل".

"ينتابني شعور بأنك ستستشيط غضبًا. لكنك ستجعلها هي وناديها سُعداء للغاية لو أخبرتهم بعض الأمور عن الحرب، عمَّا كانت عليه حقًّا".

"نادٍ؟".

"إنها عضوة في نادي (أحفاد الموتى المجيدين)".

قال: "(الموتى المجيدين)". لم أتمكَّن من قراءة مشاعِره من بين كلماته، لكنني تمكَّنت من التيقُّن من أنه ليس سعيدًا.

"اسمعني، لستَ مُضطرًّا لإخبارهم بشأن الديدان، والعدوى، والمجاعة. فلديهم تصوُّرهم الخاص عن الحرب، وعلى الرغم من أنهم ليسوا أغبياء -فقد عاشوا أثناء نشوب حروب أخرى- إلا أنهم يرغبون في معرِفة المزيد عن الطريقة التي عاش بها الناس في ذلك الوقت، والأزياء الرسميّة، وتحرُّكات القوَّات".

"الأشياء النظيفة".

أخذت نفسًا عميقًا، ثُم قُلت: "نعم".

"وهل ستشعُرين بالسعادة لو قُمتُ بذلك؟".

"وما الفارِق الذي سيُحدثه الأمر؟ من شأن هذا أن يجعَل جدتي سعيدة، وبما أنك في بون تيمبس، ويبدو أنك تُريد أن تعيش هُنا، فسيكون ذلك بمثابة خطوة علاقات عامة جيّدة بالنسبة لك".

"وهل ستشعُرين بالسعادة لو قُمتُ بذلك؟".

لم يكُن رجلًا يُمكِن للمرء تفاديه، قُلت: "حسنًا، أجل".

"إذًا فسأفعل ذلك".

قُلت: "تطلب منك جدتي أن تتناوَل طعامك قبل أن تذهب من فضلك".

سَمِعتُ الضحكة الصدِئة مرَّة أخرى، أعمَق هذه المرَّة.

"أتطلَّع للقائها الآن. هل يُمكِنني الاتصال بكِ في ليلةٍ ما؟".

"بالتأكيد. إن ليلة الغد هي ليلتي الأخيرة في العمل، وفي اليوم التالي ستبدأ إجازتي التي ستستمِر لمُدّة يومين، لذا، ستكون ليلة الخميس مُناسِبة تمامًا". رفعت يدي لأنظُر إلى ساعتي. كانت تعمَل، لكن زجاجها مُغطًّى بدماءٍ جافّة. قُلت: "يا للقرف". بللت إصبعي بالبُصاق ونظَّفت زجاجها. وضغطتُ الزر المسؤول عن إضاءتها، وشهقتُ عندما رأيتُ الوقت.

قُلت: "يا إلهي، يجب أن أعود إلى المنزِل. أتمنى أن تكون جدتي قد نامَت".

قال بِل: "لا بُد أنها تشعُر بالقلق حيال خروجكِ بمُفردكِ في وقتٍ مُتأخّرٍ من الليل". بدا رافضًا للأمر، رُبما كان يُفكِّر في ماديت؟ شعرتُ بلحظةٍ من الغثيان الشديد، وتساءلتُ لو كان بِل قد عَرَفها بالفعل، ولو كانت دعته للذهاب إلى المنزل بصُحبتها. لكنني سُرعان ما رفضتُ الفكرة لأنني لم أكُن أرغب في التفكير بالطبيعة الغريبة والمروّعة لحياة ماديت وموتها؛ لم أرِد لهذا الرُّعب أن يُلقي بظلاله على سعادتي القليلة.

قُلت بتذمُّر: "إنه جُزءٌ من وظيفتي، ولا يُمكِنني القيام بشيءٍ تجاهه. لكنني لا أعمَل في ورديات الليل طوال الوقت على أي

حال، لكن عندما يتطلَّب مني الأمر العمل بها... أعمل بها".

ساعدني مصَّاص الدماء على النهوض على قدميَّ، ثُم وقف بسهولةٍ وهو يسألني: "لماذا؟".

"إكرامية أفضل، وعمل أصعب، ولا وقت للتفكير".

قال باستنكار: "لكن الليل أخطر".

وأنت خير من يعرِف. وبَّخته بلُطف قائِلة: "لا داعي لأن تبدو مثل جدّتي". كدنا نصِل إلى ساحة انتظار السيَّارات.

ذكَّرني: "أنا أكبر سنًّا من جدتكِ". وهو ما جعل المُحادثة قصيرة بعد ذلك.

وقفتُ أحدِّق في المشهَد، بعد خروجي من الغابة. كانت ساحة انتظار السيَّارات هادِئة وعلى حالها وكأن شيئًا لم يحدُث فيها، وكأنني لم أتعرَّض للضرب حتى الموت على تلك البُقعة من الحصى قبل ساعة واحِدة فقط، وكأن الفَأرين لم يلقيا حتفهما هُنا.

سيطر الظلام على الحانة، واختفَت مقطورة سام.

كان الحصى مُبلّلًا، لكن ليس بدمائي.

وانتظرتني حقيبتي على غطاء سيارتي.

سألته: "لكن ماذا عن الكلب؟".

استدرتُ لأنظُر إلى مُنقذي.

لكنه لم يكُن هُناك.

(٢)

استيقظتُ في وقتٍ مُتأخِّرٍ للغاية من صباح اليوم التالي، وهو ما لم يكُن مُفاجِئًا للغايَة. كانت جدتي تغُط في نوم عميقٍ عندما عُدتُ إلى المنزِل، وهو ما غَمَرني بالراحة، وتمكَّنتُ من دخول فراشي دون أن أُوقِظها.



جلستُ خلف طاوِلة المطبَخ لأشرَب فنجانًا من القهوة، بينما انهمَكَت جدتي في تنظيف الخزانة، عندما رنَّ جرس الهاتِف. جلَسَت جدتي على المقعَد بجوار النُّضُد، مقعدها الاعتيادي للدردشة، لتُجيبه.

قالت: "مرحبًا". ولسببٍ ما، لطالما بَدَت مُتضايِقة، وكأن المُكالمات الهاتفيّة هي آخر ما تُريده على وجه الأرض. بينما أعرِف يقينًا أن هذا ليس صحيحًا.

"أهلًا يا إيفرلي. لا، أجلِس هُنا لأتحدَّث مع سوكي، فقد استيقظَت لتوّها. لا، لم أسمَع أي أخبار اليوم. لا، لم يتَّصل بي أحد بعد. ماذا؟ أي إعصار؟ لقد كان الجو صحوًا

الليلة الماضية. فور تراكس كورنر؟ حقًّا؟ لا! لا، لم يفعَل! حقًّا؟ كلاهما؟ حسنًا... حسنًا... حسنًا. وماذا قال مايك سبِنسر؟".

مايك سبِنسر هو طبيبنا الشرعي. بدأ شعورٌ مُقبِّض يُخالجني، أنهيتُ قهوتي، وصببتُ لنفسي كوبًا آخرَ. أعتقِد أنني سأكون بحاجةٍ إليه.

أنهَت جدتي مُكالمتها بعد دقيقة، ثُم قالت: "لن تُصدِّقي ما حَدَث يا سوكي!".

أنا مُستعِدّة للمُراهنة على أنني سأُصدِّق.

سألتها محاولةً ألا أبدو مُذنِبة: "ماذا حَدَث؟".

"على الرغم من مدى صحو الطقس الليلة الماضية، إلا أنه لا بُد أن إعصارًا قد ضَرَب مِنطَقة فور تراكس كورنر! وقَلَب تلك المقطورة المُستأجَرة في المِنطَقة الخالية هُناك. كما قُتِل الزوجان اللذان يقطُنانها، حوصِرا تحت المقطورة بطريقةٍ ما وسُحِقا حتى الموت. قال مايك إنه لم يرَ شيئًا كهذا من قبل".

"هل طَلَب إرسال الجُثث للتشريح؟".

"حسنًا، أظُن أنه يتوجَّب عليه القيام بذلك، على الرغم من أن سبب الوفاة يبدو جليًّا بما يكفي، وفقًا لكلام ستيلا. لقد انقلبَت المقطورة على جانِبها، وانقلبَت سيارتهما فوقها بشكلٍ جُزئي، كما انقلعَت الأشجار الموجودة في الفناء".

همستُ وأنا أفكِّر في القوَّة اللازِمة للقيام بتمثيل هذا المشهَد: "يا إلهي".

"لم تُخبريني إذا ما جاء صديقكِ مصّاص الدماء الليلة الماضية يا عزيزتي؟".

قفزتُ في مكاني مدفوعةً بعُقدة الذنب، حتى أدركتُ ما يجول في ذهن جدتي، لقد غيَّرت الموضوع. اعتادَت على أن تسألني ما لو رأيتُ بِل كُل يوم، والآن، أخيرًا، يُمكِنني أن أجيبها بـ (أجل)، وليس ذلك من دواعي سروري.

وكما توقَّعتُ، اكتنَفَ الحماس جدتي بشدَّة. تحرَّكَت في أرجاء المطبخ برشاقةٍ وكأن الأمير تشارلز هو الضيف المُنتظَر.

سألتني: "ليلة الغد؟ في أي وقتٍ سيأتي؟".

"بعد حلول الظلام. هذا أقرَب ما توصَّلتُ إليه".

قالت: "نخضَع الآن للتوقيت الصيفي، وهكذا سيكون ذلك مُتأخِّرًا للغاية". تدبَّرَت في الأمر قليلًا قبل أن تُضيف: "جيِّد، سيتسنى لنا الوقت لتناوُل طعام العشاء والانتهاء منه قبل ظهوره. وسيكون لدينا غدًا بالكامِل لتنظيف المنزِل. أراهِن على أنني لم أنظِّف البِساط الموجود في تلك المِنطَقة منذ عام كامِل!".

ذكَّرتها قائِلة: "نحن نتحدَّث عن شخص ينام يومه بالكامِل على الأرض يا جدتي، لا أعتقِد أنه سينظُر إلى البِساط أبدًا".

قالت: "حسنًا، إن لم أفعَل ذلك من أجله، فسأفعله من أجلي، كي أشعُر بالفخر". ثُم سألتني بشكلٍ مُفحِم: "بالإضافة إلى ذلك، كيف لكِ أن تعرفي أين ينام أيتها الشابَّة؟".

"سؤال جيِّد يا جدتي. لا أعرِف أين ينام. لكن يتوجَّب عليه الابتعاد عن الضوء، وأن يُحافِظ على سلامته، وهكذا خمَّنت".

أدركتُ بعد وقت قصير للغاية أن شيئًا لن يقِف في طريق جدتي للدخول في وصلة فخر بالمنزِل. وبينما استعددتُ للذهاب إلى العمل، ذهبَت هي إلى المتجر واستأجَرت مُنظِّف سجاد وشرعَت بالتنظيف.

في طريقي إلى ميرلوت، انعطفتُ شمالًا قليلًا وقُدتُ سيارتي نحو مِنطَقة فور تراكس كورنر. كان مُفترَق طُرق قديمًا قِدم سُكنى الإنسان للمِنطَقة. والآن أصبَح رسميًّا من خلال إشارات الطُّرق والأرصِفة، ونصَّت المعرِفة العامَّة على أنه تقاطُع مساري صيد. وآجلًا أم عاجلًا، أعتقِد أننا سنرى منازِل ريفيّة، ومراكِز تسوُّق على جانبي الطريق، لكن في الوقت الحالي، لم يكُن هُناك سوى الغابات، كما أن الصيد لا يزال جيّدًا وفقًا لجيسون.

ونظرًا لأنه لم يكُن هُناك ما يمنعني، فقد قُدتُ سيارتي في المسار المُتعرِّج الذي يقود إلى المِنطَقة الخالية التي كانت تقِف فيها مقطورة الفأرين المُستأجَرة. أوقفتُ سيارتي وحدَّقتُ عبر الزُّجاج الأمامي بفزع. قبعَت المقطورة الصغيرة والقديمة للغاية مُحطَّمة على بُعد عشر أقدام عن موقِعها الأصلي. بينما

استقرَّت سيارتهما الحمراء المُنبعِجة على أحد طرفي المنزِل المُتنقِّل ذي الثنيات المُتقَنة، في حين تناثر الحُطام والشُّجيرات في سائِر أنحاء المِنطَقة الخالية، وكشفَت الغابة الموجودة خلف المقطورة عن أمارات عبور قوَّة ساحِقة عبرها؛ فقد تهشَّمَت الأغصان، وتدلى الجُزء العلوي من إحدى أشجار الصنوبر دون أن يُمسِكه سوى شريط من اللحاء. وتعلَّقت الملابِس على الأغصان، بل حتى كانت هُناك مقلاة.

هبطتُ من سيارتي ببطءٍ ونظرتُ حولي. وبمُنتهى الوضوح، كان الضرر لا يُصدَّق، خاصَّة مع علمي بأنه لم يكُن بسبب إعصار؛ لقد دبَّر مصَّاص الدماء بِل هذا المشهَد لتفسير وفاة آل راتراي.

شقَّت سيَّارة جيب قديمة طريقها على طول الأخاديد قبل أن تتوقَّف بجواري.

قال مايك سبِنسر: "حسنًا، سوكي ستاكهاوس! ماذا تفعلين هُنا يا فتاة؟ أليس لديكِ عمل لتذهبي إليه؟".

قُلت: "بلى يا سيِّدي. كُنت أعرِف الفَأري... آل راتراي. إن ما حَدَث لهما شيء فظيع". اعتقدتُ أن هذا بدا مُبهَمًا بما يكفي. واستطعتُ أن أرى الآن أن الشريف كان بصُحبة مايك.

قال الشريف بود ديربورن أثناء هبوطه من السيَّارة الجيب: "شيء فظيع. أجل، حسنًا. لقد سَمِعت أن جدالًا دار بينكِ وبين ماك ودينيس الأسبوع الماضي في ساحة انتظار ميرلوت".

شعرتُ بقشعريرةٍ باردةٍ في مكانٍ ما بالقُرب من كبدي والرجلان يقفان أمامي.

كان مايك سبِنسر يعمَل مُديرَ جنازات في إحدى داري الجنازات الموجودتين في بون تيمبِس. ونظرًا لأن مايك طالما كان سريعًا ومُحدَّدًا في عمله، فقد رَغِب الجميع في أن يُدفَنوا بواسِطة دار جنازات (سبِنسر وأبنائه)؛ لكن على ما يبدو فلم يرغَب في ذلك سوى بيض البشرة. أما ذوو البشرة الملوَّنة فاختاروا الدفن في دار جنازات (سويت ريست). كان مايك رجلًا سمينًا، متوسِّط العُمر، بشعرٍ وشارِبٍ بلون الشاي الخفيف، وكان مولعًا بأحذيَة رُعاة البقر، وربطات العُنق التي لا يستطِيع لبسها عندما يعمَل في دار جنازات (سبِنسر وأبنائه). وقد لبس كليهما الآن.

بينما كان الشريف ديربورن -الذي اشتهرَ بأنه رجل صالِح- أكبر سنًّا بعض الشيء من مايك، لكنه يتمتَّع بشكلٍ لائِق، ويشتهِر بالقوَّة من شعره الرمادي الثقيل إلى حذائه السميك. كما يمتاز بوجه قبيح وعينين بُنيَّتين سريعتين. وكان صديقًا جيِّدًا لوالدي.

قُلت بصراحةٍ وبصوتٍ مُنخفِض: "أجل يا سيدي، لقد خُضنا جدالًا".

سَحَب الشريف سيجارة مالبورو، وأشعلها بقداحةٍ معدنيةٍ عادية، قبل أن يقول: "هل تريدين إخباري بالأمر؟".

وارتكبتُ خطأً. كان يجِب أن أخبِره فحسب. كان من المُفترَض بي أن أكون مجنونة، واعتقَد بعض الناس أنني إنسانة

غِرَّة كذلك. ولكن رغم ذلك، لم أجِد غضاضة في شرح نفسي لبود ديربورن. لا غضاضة، عدا الحِس السليم.

سألته: "لماذا؟".

وفجأة... رمقني بحدةٍ بعينيه البُنيَّتين الصغيرتين، واختفى الود من الأجواء.

قال بصوتٍ شابه بعض الإحباط: "سوكي". لم أستطِع أن أصدِّقه للحظة.

قُلت وأنا ألوِّح بيدي نحو الدمار: "لم أقُم بذلك".

وافقني الرأي قائِلًا: "لا، لم تقومي به، ولكن في الوقت نفسه... لقد ماتا بعد أسبوع من شجارهما مع شخص ما، أشعُر بأنه يجِب عليَّ أن أطرَح بعض الأسئِلة".

أعدتُ النظر في فكرة التحديق فيه بقسوة. سيمنحني ذلك شعورًا مُرضيًا، لكنني لم أعتقِد أن الشعور بالرضا يستحِق ذلك. فقد اتضحَ لي أنه يُمكِن لشُهرتي بالسذاجة أن تكون مُفيدة.

قد أكون غير مُتعلِّمة وغير لبِقة، لكنني لستُ غبيّة أو حمقاء.

اعترفتُ وأنا أخفِض رأسي لأنظُر إلى حذائي: "حسنًا، لقد كانا يؤذيان صديقي".

تبادَل مايك سبِنسر وبود ديربورن النظرات، قبل أن يسألني الأخير: "هل تقصِدين مصّاص الدماء الذي يعيش في منزِل كومبتون القديم؟".

قُلت: "أجل يا سيدي". شعرتُ بالدهشة عند معرفة المكان الذي يعيش فيه بِل، لكنهما لم يعرِفا ذلك. بفضل تمتُّعي بتحكُّم جيِّد فيما يظهَر على وجهي، بعد سنوات من تعمُّد عدم التعليق على الأشياء التي أسمَعها والتي لم أكُن أرغَب في معرِفتها. يقع منزِل كومبتون القديم أمامنا عبر الحقول مُباشرةً، على الجانِب نفسه من الطريق. وتقبع الغابة والمقابِر في مُنتصَف الطريق بين منزلينا. قُلت لنفسي: كم هذا مُفيد لبِل، ثُم ابتسمت.

سألني سبِنسر برعونة: "هل تسمَح لكِ جدَّتكِ بالتواصُل مع مصَّاص الدماء ذلك يا سوكي ستاكهاوس؟".

أجبته بخُبث، وأنا أتحرَّق شوقًا لسماع ما ستقوله جدتي عندما يتهمها شخص ما بأنها لا تهتَم بي: "يُمكِنك التحدُّث معها بشأن ذلك بكُل تأكيد، هل تعلَم أن آل راتراي حاوَلا استنزاف بِل؟".

قاطعني الشريف مُتسائِلًا: "إذًا فقد حاوَل آل راتراي استنزاف مصَّاص الدماء؟ فتصدَّيتِ لهما؟".

قُلت محاوِلةً ألا أتحلى بالحزم: "أجل".

قال غارِقًا في أفكاره: "إن استنزاف مصَّاصي الدماء أمر غير قانوني".

سألته: "ألا يُعتبَر قتل مصَّاص دماء لم يُهاجِمك جريمة؟".

رُبما أكون قد بالغتُ في التظاهُر بالسذاجة بعض الشيء.

فقد أجابني الشريف بحزم: "تعرفين جيِّدًا أنها جريمة، ورغم أنني لا أتفِق مع القانون في ذلك. إلا أنه قانون، وسأُطبِّقه".

سأل مايك سبِنسر: "إذًا فقد سَمَحَ لهما مصَّاص الدماء بالرحيل؟ دون أي تهديد بالانتقام؟ دون أن يقول أي شيء كأن يتمنى لو ماتا؟".

يا له من غبي.

ابتسمتُ لهما قبل أن أقول: "هذا صحيح". ثُم نظرتُ إلى ساعتي، وتذكَّرتُ الدماء التي لطَّخَت وجهي، دمائي، التي نزفتها بعد أن ضربني آل راتراي. توجَّب عليَّ النظر عبر تلك الدماء لمعرِفة الوقت.

ثُم قُلت: "معذرة، يجِب أن أذهَب إلى العمل، وداعًا يا سيّد سبِنسر، وداعًا أيها الشريف".

قال الشريف ديربورن: "وداعًا يا سوكي". بدا أن في جَعبته المزيد من الأسئِلة ليطرحها، لكنه لم يستطِع التفكير في طريقةٍ لصياغتها. أستطيع الجزم بأنه ليس سعيدًا بالشكل العام، وأشُك في ظهور أي إعصار على شاشات الرادار في أي مكان. ومع ذلك، ها هي ذي المقطورة، والسيَّارة، والشجرة، وآل راتراي ميتين تحتها. إلى أي نتيجة ستتوصَّل سوى أن الإعصار هو ما قتلهما؟ أعتقِد أن الجسدين قد أُرسِلا إلى التشريح، وتساءلت عن مقدار ما يُمكِن أن يُقال عن مثل هذا الإجراء في مثل تلك الظروف.

إن العقل البشري مُذهِل. لا بُد أن الشريف ديربورن يعلَم أن مصَّاصي الدماء أقوياء للغاية. لكنه لم يستطِع تخيُّل مدى قوَّة الأمر؛ قوي بما يكفي ليقلِب مقطورة، ليُدمِّرها. كما كان من الصعب بالنسبة إليَّ أن أفهَم الأمر، رغم معرفتي التامَّة بأن أي إعصار لم يضرِب مِنطَقة فور كورنر.

ثرثَر كُل زبائِن الحانة عن أخبار القتل. وتراجَع مقتَل ماديت للمركز الثاني خلف وفاة دينيس وماك. أمسكتُ بسام وهو ينظُر لي عدَّة مرَّات، وفكَّرتُ فيما حَدَث في الليلة الماضيَة وتساءلتُ عن مدى معرفته بالأمر. لكنني خشيتُ السؤال في حالة لم يرَ شيئًا. عَرِفتُ أن هُناك أشياء قد حَدَثت الليلة الماضية وأنني لم أشرحها بشكلٍ مُرضٍ بعد، لكنني شعرتُ بالامتنان يغمُرني لكوني على قيدِ الحياة حتى إنني توقَّفتُ عن التفكير فيهما.

لم أبتسِم لهذه الدرجة من قبل أثناء حملي للمشروبات، ولم أقُم بتغييرات بهذه السُّرعة قط، ولم أتلقَّ أوامِر بهذا الانضباط من قبل. وحتى رينيه ذو الشعر الكثيف لم يتمكَّن من إبطائي، رغم إصراره على توريطي في مُحادثاته الطويلة كُلما اقتربتُ من طاولته التي يتشاركها مع هويت واثنين من أصدِقائه الآخرين.

لَعِبَ رينيه دور الفرنسي المجنون في بعض الأحيان، رغم أن أي لكنة فرنسيَّة تحدَّث بها كانت مُزيَّفة. تَرَك أهله إرثهم يتلاشى. وعاشَت كُل امرأة تزوَّجها حياة قاسيَة وصعبة. حَدَث زواجه القصير من آرلين عندما كانت صغيرة ولم تُنجِب أي

أطفالٍ بعد، وأخبرتني أنها قامَت ببعض الأمور من وقتٍ لآخرَ أرعبتها، وهي تُفكِّر فيها الآن. لقد نضجَت منذ ذلك الحين، لكن رينيه لم ينضَج. ولدهشتي، كانت آرلين مُغرَمة به.

انتاب الحماس جميع من في الحانة هذه الليلة بسبب الأحداث غير الطبيعيَّة التي تحدُث في بون تيمبس. لقد قُتِلَت امرأة، وكان هذا لُغزًا؛ وعادةً ما تُحَل جرائِم القتل في بون تيمبِس بسهولةٍ تامّة. ثُم قُتِل زوجان بوحشيّةٍ على يد مخلوق خارِق للطبيعة. وعَزوتُ ما حَدَث بعد ذلك لتلك الإثارة. هذه حانة شعبيّة، لا يزورها سوى عدد قليلٍ من سُكَّان المدينة الذين يمرُّون بشكلٍ مُنتظِم، ولم أُعان سابقًا من مُشكلةٍ كبيرةٍ مع الاهتمام غير المرغوب به. لكن في تلك الليلة، وَضَع أحد الرجال الجالسين على الطاوِلة المجاوِرة لطاوِلة رينيه وهويت -وهو رجل أشقَر سمين بوجهٍ أحمر عريض- يده على ساقي عندما أحضرتُ له جعته.

وهذا لا يحدُث في ميرلوت.

فكَّرتُ في ضربه بالصينيَّة على رأسه عندما شعرتُ بيده تبتعِد. وشعرتُ بشخصٍ ما يقِف خلفي مُباشرة. أدرتُ رأسي ورأيتُ رينيه، الذي غادَر مقعده دون أن أشعُر به حتى. تتبَّعتُ ذراعه ووجدته يُمسِك بيد الرجُل الأشقَر ويعتصِرها في قبضته. اكفهَرَّ وجه الرجُل الأشقر.

قال الأشقر مُعترضًا: "مهلًا يا رجُل، دعني! لم أقصِد أي شيء".

قال رينيه: "تنُص قواعِدنا على ألا تلمَس أي شخص يعمَل هُنا". رُبما يكون رينيه قصيرًا ونحيفًا، لكن جميع الموجودين هُنا كانوا واثقين تمامًا من أن فتانا المحلي قادِر على الفتك بزائرنا القوي.

"حسنًا، حسنًا".

"اعتذِر للسيِّدة".

قال الرجُل مُرتبكًا: "أعتذِر إلى سوكي المجنونة؟". لا بُد أنه زارنا من قبل إذًا.

مؤكدٌ أن قبضة رينيه اعتصَرَت يده أكثر، لأنني رأيتُ الدموع تترقرَق في عيني الرجل الأشقر.

"أنا آسف يا سوكي، هل هذا جيِّد؟".

أومأتُ برأسي بأقصى ما أستطيع من شموخ. تَركَ رينيه يد الرجُل فجأة وحرَّك إبهامه ليأمُره بالمُغادرة. وعلى الفور تقريبًا... تحرَّك الأشقر نحو الباب. قبل أن يتبعه صديقه.

وعندما بدا أن الزبائِن قد عادوا لاستئناف مُحادثاتهم، قُلت لرينيه بصوتٍ خفيض: "توجَّب عليك تركي أتعامَل مع الأمر بنفسي". لقد أمددنا ماكينة النميمة بمخزونٍ يكفيها لتظل تعمَل لعدَّة أيام". تابعت حديثي قائِلة: "لكنني أقدِّر لك دفاعك عني".

قال رينيه: "لا أريد لأحدٍ أن يعبَث مع إحدى صديقات آرلين، كما أن ميرلوت يُعتبر مكانًا لطيفًا، ونرغَب جميعًا في

الحفاظ عليه كذلك. بالإضافة إلى أنك أحيانًا ما تُذكِّرينني بسيدني كما تعرفين".

سيدني هي شقيقة رينيه التي انتقلَت إلى باتون روج منذ عام أو اثنين. وكانت شقراء ذات عينين زرقاوين؛ لكن بخلاف ذلك، لم أستطِع تبيُّن أي وجه للشبه فيما بيننا. لكن لا يبدو أنه من اللباقة البوح بذلك. سألته: "هل ترى سيدني كثيرًا؟".

انهمكَ هويت والرجل الآخر الجالِس معهما إلى الطاوِلة في تبادُل إحصائيات ونتائِج فريق شريفبورت كابتِنز*.

هزَّ رأسه وكأنه يود لو يحدُث الأمر أكثر من ذلك قبل أن يقول: "بين الفينة والأخرى، إنها تعمَل في مقصَف المُستشفى".

ربتُّ على كتفه وقُلت: "يجِب أن أعود إلى العمل".

رَفَعَ سام حاجبه وهو ينظُر لي عندما وصلتُ إلى البار لاستلام طلبي التالي. وسَّعتُ عينيَّ لأكشِف له عن مدى دهشتي لتدخُّل رينيه، فهزَّ كتفيه برفق، وكأنه يقول إنه لا يوجد تفسير للسلوك البشري.

لكنني لاحظتُ، عندما دخلتُ خلف الباب لأجلب المزيد من المناديل، أنه قد أخرَج مضرب البيسبول الذي يحتفِظ به تحسُّبًا لحالات الطوارئ.

---

* شرفِبورت كابتِنز: فريق بيسبول شهير. (المُترجم)

***

أبقتني جدتي مشغولة طوال اليوم التالي. كنسَت ونظَّفَت الغُبار ومَسَحَت، بينما فركتُ الحمَّامات... وتساءلتُ أثناء تفريشي للوعاء بفُرشاة المرحاض: هل يحتاج مصَّاصو الدماء حتى لاستخدام دورة مياه؟ كما جعلتني جدتي أنظِّف الأريكة من شعر القطَّة، وأفرِّغ كُل حاويات القمامة، وأُلمِّع كُل الطاوِلات، وأغسِل الغسَّالة والمُجفِّف، يا إلهي.

وأدركتُ أن جدتي تعتبِر مصَّاص الدماء بِل رفيقي الحميم، عندما حثَّتني على الاستحمام وتبديل ملابسي. وجعلني هذا أشعُر بشعورٍ غريب بعض الشيء. لأنه... أولًا: يبدو أن جدتي يائِسة للغاية بشأن حصولي على حياةٍ اجتماعيّةٍ حتى إن مصَّاص الدماء كان كافيًا لجذب انتباهي؛ وثانيًا: أن لديَ بعض المشاعِر التي تدعَم هذه الفكرة؛ وثالثًا: أن بِل قادِر على استقراء كُل هذا بدِقَّةٍ بالغة؛ ورابعًا: هل يُمكِن لمصَّاصي الدماء أن يُعجَبوا بالبشر أصلًا؟

استحممتُ، وتزيَّنتُ، وارتديتُ فستاني، لأنني أعرِف أنه من شأن جدتي أن تستشيط غضبًا لو لم أقُم بذلك. كان فُستانًا قصيرًا أزرق اللون، ملأت الزهور الصغيرة نسيجه، وكان أضيَق مما تُحِب جدتي، وأقصَر مما يعتبره جيسون مُناسبًا لشقيقته. وقد سَمِعتُ ذلك في المرَّة الأولى التي ارتديتُه بها. لبستُ قُرطي الكروي الأصفر الصغير، وصفَّفتُ شعري مشدودًا للأعلى قبل أن أُثبِّته من الخلف بمشبك شعرٍ أصفر على شكل موزة.

رمقتني جدتي بنظرةٍ غريبة، وشعرتُ بالحيرة في تفسير مغزاها. كان بإمكاني تبيُّن الأمر بمُنتهى السهولة من خلال الاستماع لأفكارها، لكنه تصرُّف فظيع ليُمارِسه المرء مع الشخص الذي يعيش معه، وهكذا حَرَصتُ على عدم القيام بذلك. بينما ارتدَت تنورة وبلوزة كانت غالبًا ما ترتديها في اجتماعات (أحفاد الموتى المجيدين)، لأنها ليسَت جيِّدة بما يكفي لارتياد الكنيسة، وليسَت متواضعة بما يكفي للارتداء اليومي.

كُنتُ أكنِس الشُّرفة الأماميّة التي نسينا بشأنها تمامًا، عندما حَضَر. قام بحضور يليق بمصَّاص دماء؛ في لحظةٍ لم يكُن هُنا، وفي اللحظة التي تليها... ها هو ذا، يقِف في أسفل الدرج ليُطالِعني.

ابتسمتُ قبل أن أقول: "لم تُخفني".

بَدا مُحرَجًا قليلًا، قال: "إن الظهور بهذه الطريقة محض عادة سخيفة فحسب، لا أتسبَّب بكثيرٍ من الضوضاء".

فتحتُ الباب، ودعوته للدخول: "تفضَّل بالدخول". صَعَد درجات السلم وهو يتلفَّت حوله.

قال: "أتذكَّر هذا المنزِل، لكنه لم يكُن كبيرًا للغاية".

سبقته بالدخول إلى غُرفة المعيشة قبل أن أقول: "تتذكَّر هذا المنزِل؟ ستُحِب جدتي هذا". ناديتُ جدتي أثناء دخولنا.

دَخَلَتْ إلى غُرفة المعيشة دون أن تتخلى عن كثير من كبريائها، وأدركتُ للمرَّة الأولى أنها عانت مع خُصلات شعرها الكثيفة البيضاء، التي كانت مُصفَّفةً وناعِمةً على سبيل التغيير، وهو يدور حول رأسها في لفّةٍ مُعقّدة. كما أنها قد وضعت أحمر شفاه أيضًا.

أثبَت بِل براعته في المُعاملات الاجتماعيّة مثل جدتي تمامًا. فقد حيَّيا بعضهما بعضًا، وشكرا بعضهما بعضًا، وتبادلا الثناء، قبل أن يجلِس بِل أخيرًا على الأريكة، ثُم جلسَت جدتي على مقعدِها المُريح، بعد أن جلبَت صينيَّة اعتلاها ثلاثة أكواب من شاي الخوخ، دون أن تترُك لي بُدًّا من الجلوس بجوار بِل. ولم تكُن هُناك طريقة للتملُّص من ذلك دون أن تكون واضِحة وضوح الشمس، لذلك جلستُ بجواره، لكنني جلستُ على الحافّة، وكأنني على استعدادٍ للنهوض في أي لحظةٍ لإعادة ملء كوبه بالشاي المُثلَّج.

لَمَسَ طرف الكوب بشفتيه بأدبٍ جمٍّ قبل أن يضعه. في حين تجرَّعتُ أنا وجدتي جُرعتين عصبيتين كبيرتين من كوبينا.

اختارَت جدتي موضوعًا افتتاحيًّا مؤسِفًا لبدء الحديث، حيث قالت: "أعتقِد أنك قد سَمِعت عن ذلك الإعصار الغريب".

قال بِل بصوتٍ هادئ كالحرير: "أخبريني عن الأمر". لم أجرؤ على النظر إليه، لكنني جلستُ وقد شبَّكتُ يديَّ في حجري، وقد خفضتُ ناظري إليهما.

وهكذا قصَّت عليه جدتي قصَّة الإعصار الغريب وموت الفَأرين. وأخبرته أن الأمر برمَّته بدا فظيعًا للغاية، لكنه أمر لا ريب فيه، وأعتقِد أن بِل قد استرخى قليلًا عندما وَصَلت لهذا الحد.

قُلتُ دون أن أرفَع ناظري: "لقد ذهبتُ إلى هُناك في طريقي إلى العمل، إلى المقطورة".

سألني بِل دون أن يشوب صوته أي شيء سوى الفضول: "هل وجدت الأمر يبدو كما توقَّعتِ؟".

قُلت: "لا، لم يُشبِه الأمر أي شيء توقَّعته. وشعرتُ... بالدهشة حقًّا".

قالت جدتي بدهشة: "لقد رأيتِ ما تُسبِّبه الأعاصير من ضررٍ من قبل يا سوكي".

غيَّرتُ الموضوع قائِلة: "من أين أحضرتَ قميصك يا بِل؟ يبدو لطيفًا". كان يرتدي بنطالًا كاكي اللون من ماركة (دوكرز) وقميص جولف مُخطَّطًا باللونين الأخضر والبُني، وخُفًّا لامِعًا دون كعب، وجوارِب خفيفة بُنيَّة اللون.

قال: "من متجَر (ديلاردز)". حاولتُ تخيُّله يتجوَّل في المركز التُجاري بمونرو، حيثُ ربما... يلتفِت الآخرون للنظر إلى هذا المخلوق الغريب بجلده المتوهِّج وعينيه الجميلتين. من أين سيأتي بالمال ليدفَع ثمن مُشترياته؟ وكيف يغسِل ثيابه؟ وهل ينام في تابوته عاريًا؟ وهل لديه سيَّارة؟ أم تُراه يطفو إلى أي مكانٍ يرغَب في الذهاب إليه؟

شعرَت جدتي بالسعادة جرَّاء عادات بِل الطبيعيَّة في التسوُّق. وهو ما أصابني بدفقةٍ ألمٍ أخرى، وأنا أرى مدى سعادتها لرؤية خطيبي المُفترَض في غُرفة معيشتها، حتى لو كان (وفقًا للروايات الشعبيَّة) ضحيةً لڤيروس يجعله يبدو ميِّتًا.

انهَمَكت جدتي في استجواب بِل. وأجاب جميع أسئلتها بكياسةٍ وحُسن نيّة واضِح. حسنًا... إنه رجل ميِّت مؤدَّب.

سألته جدتي: "هل انحدَر قومك من هذه المِنطَقة؟".

أجابها بِل على الفور: "أهل والدي هُم آل كومبتون، بينما أهل والدتي هُم آل لودَرمِلكس". وبدا مُسترخيًا للغاية.

قالت جدتي بسعادة: "هُناك الكثير من آل لودَرمِلكس على قيد الحياة، لكنني أخشى أن السيِّد جيسي كومبتون قد مات العام الماضي".

قال بِل: "أعرِف، ولهذا عُدت. فقد آلت الأرض إليَّ، وبما أن الأمور تغيَّرت في ثقافتنا تجاه من هُم من نوعي، فقد قرَّرتُ المُطالبة بها".

سألته جدتي: "هل تعرِف آل ستاكهاوس؟ قالت سوكي إن لديك تاريخًا طويلًا". لقد صاغَت سؤالها بشكلٍ جيِّدٍ، وهو ما دفعني للابتسام وعيني على يديَّ.

ولتكتمِل بهجة جدتي، أجابها بِل: "أتذكَّر جوناس ستاكهاوس، استقرَّ أهلي هُنا عندما لم تكُن بون تيمبِس سوى

حُفرة في الطريق على حافة الحدود. انتقَل جوناس ستاكهاوس إلى هُنا مع زوجته، وأبنائهما الأربعة عندما كُنت شابًّا في السادِسة عشرة من عُمري. أليس هذا هو المنزِل الذي بناه؟ على الأقل بشكلٍ جُزئي؟".

لاحظتُ أن إيقاع صوت بِل ومُفردات حديثه يختلِفان قليلًا عندما يُفكِّر في الماضي. وتساءلتُ عن عدد التغييرات التي شابَت اللهجة العاميَّة ولُغته الإنجليزية على مدار القرن الماضي.

بالطبع دخلَت جدتي إلى جنَّة الأسلاف. وأرادَت أن تعرِف كُل شيء عن جوناس، جد جد جد جد جدها، ولذلك سألته: "هل كان لديه عبيد؟".

أجابها: "إذا كُنت أتذكَّر بشكلٍ صحيحٍ يا سيدتي، فقد كان لديه عبدةٌ للمنزل، وعبدٌ للفناء. كانت عبدة المنزِل سيِّدة متوسِّطة العُمر، بينما كان عبد الفناء شابًّا ضخم البنيان، قويًّا للغاية، ويُدعى ميناس. لكن آل ستاكهاوس غالبًا ما مالوا للعمل في حقولهم بأنفُسهم، كما مال أهلي كذلك للأمر نفسه".

قالت جدتي: "هذا بالضبط هو نوع الأشياء التي ستُحِب مجموعتي الصغيرة أن تسمعها! هل أخبرتك سوكي بـ...".

حدَّدَت جدتي وبِل، بعد كثير من المُجاملات المُهذَّبة، موعدًا لحضور بِل لاجتماعٍ ليليٍّ لجمعية الأحفاد.

"والآن، لو سمحتِ لي أنا وسوكي، فرُبما نتمشى قليلًا. إنها ليلة لطيفة".

وببطء، لأتمكَّن من رؤيته، مدَّ يده نحوي وأمسَك يدي، ثُم ساعدني على النهوض. كانت يده بارِدة وقويَّة وناعِمة. لم يكُن بِل يطلُب إذن جدتي حقًّا، لكنه لم يتجاهَل استئذانها كذلك.

قالَت جدتي والسعادة تغمُرها بشدّة: "تفضَّلا طبعًا، فلديَّ كثير من الأشياء لأهتم بها. سيتعيَّن عليكَ إخباري بجميع الأسماء المحليَّة التي تتذكَّرها منذ أن كُنت...". وتحتَّم على جدتي أن تصمُت هُنا، كيلا تقول شيئًا يجرحه.

أكملتُ جملتها بشكلٍ مُفيد: "مُقيمًا هُنا في بون تيمبِس".

قال مصَّاص الدماء: "بالطبع". واستطعتُ تبيُّن أنه يُحاوِل كبح ابتسامة من حركة شفتيه.

أصبحنا عند الباب بطريقةٍ ما، وعَرفتُ أن بِل قد حملني ونقلني إلى هُنا بسُرعة. ابتسمتُ، من كُل قلبي. فأنا أُحِب كُل ما هو غير متوقّع.

قُلت لجدتي: "سنعود بعد قليل". أعتقِد أنها لم تُلاحِظ انتقالي الغريب، لأنها كانت مُنهمِكة في جمع أكواب الشاي.

قالت: "لا تُسرِعا في القدوم من أجلي، سأكون بخير".

بالخارِج، تعاوَنت الضفادِع، والشُّرُوغ*، والحشرات في أوبرا الريف الليليّة الخاصَّة بها. أمسَك بِل بيدي أثناء تجوُّلنا في الفناء، وسط رائِحة العُشب المقصوص والأشياء المُزدهِرة.

* الشُّروغ: صِغار الضفادِع. (المُترجم)

خرجَت تينا، قطَّتي، من بين الظلال مُطالِبة بحقِّها في الدغدغة، فانحنيتُ صاغِرة وحككتُ رأسها. ولدهشتي، داعبَت ساقي بِل، وهو نشاط لم يفعل شيئًا لدحضه.

سألني بصوتٍ مُحايِد: "هل تُحبين هذا الحيوان؟".

قُلت: "إنها قطَّتي، تُدعى تينا، وأجل... أُحبُّها حُبًّا جمًّا".

لم يُعلِّق، بل وَقَف ثابتًا، مُنتظرًا حتى مَضَت تينا لحال سبيلها في قلب الظلام خارِج ضوء الشُّرفة.

سألته بعد ما شعرتُ أنني أحمِل على عاتقي واجِب ضيافته: "هل ترغَب في الجلوس على الأرجوحة أو على مقاعِد الحديقة؟ أم تُراكَ تُفضِّل المشي؟".

"دعينا نسرْ لبعض الوقت، فأنا بحاجةٍ لتمديد قدمي".

أزعجتني تلك المعلومة قليلًا بطريقةٍ ما، لكنني بدأتُ في المشي نحو نهاية الممر الطويل باتجاه طريق الأبرشيّة المكوَّن من حارتين والذي يمتد أمام منزلينا.

"هل أزعجكِ ما حَدَث للمقطورة؟".

حاولتُ التفكير في طريقةٍ جيِّدةٍ لصياغة الأمر.

"أشعُر بالـ... هشاشة الشديدة عندما أُفكِّر فيما حَدَث للمقطورة".

"كُنتِ تعرفين أنني قوي".

أملتُ رأسي من جانبٍ إلى آخر وأنا أتدبَّر الأمر، قبل أن أجيبه: "أجل، لكنني لم أُدرِك المدى الكامِل لقوَّتك، أو مدى اتساع مُخيِّلتك".

"تطوَّرَت قدرتنا على إخفاء ما نقوم به على مرِّ السنين".

"أعتقِد إذًا أنك قد قتلتَ عددًا لا بأس به من البشر".

قال: "بعضهم". وقالها بنبرةٍ تُخفي جُملة "تعوَّدي على الأمر" بين حروفها.

شبكتُ يديَ خلف ظهري قبل أن أسأله: "هل صرتَ أشد جوعًا بعد ما تحوَّلتُ لمصَّاص دماء؟ كيف حَدَث ذلك؟".

لم يتوقَّع هذا السؤال، نَظَر إليَّ. واستطعتُ الشعور بعينيه تنظُران إلى عينيَّ رغم كوننا الآن في قلب ظلامٍ دامس، كما كانت الغابة قريبة من حولنا، وأقدامنا تسحق الحصى.

قال: "أما بالنسبة لكيف تحوَّلتُ إلى مصَّاص دماء، فهذه قصَّة طويلة. لكن أجل، لقد قَتَلتُ عن طريق الخطأ عندما كُنت أصغَر سنًّا... عدّة مرَّات. لم أكُن مُتيقِّنًا متى سيتسنى لي الأكل مرَّة أخرى، هل تفهمين قصدي؟ لطالما طوردنا بطبيعة الحال، ولم يكُن هُناك شيء يُدعى الدماء الاصطناعيَّة بعد. كما لم يكُن هُناك الكثير من الناس آنذاك. لكنني كُنت رجلًا صالحًا عندما كُنت على قيد الحياة... أعني قبل أن أُصاب بالڤيروس. ولذلك حاولتُ التحلي بالتحضُّر الكافِي حيال الأمر، واخترتُ الأشرار كضحايا لي، ولم أتغذَّ على الأطفال قط. أو على

الأقل، نجحتُ في عدم قتل أي طفل. لكن الأمر مُختلِف للغاية في الوقت الحالي، حيث يُمكِنني الذهاب إلى العيادة الليليَّة لأي مدينة للحصول على بعض الدماء الاصطناعيَّة، رغم أنها مُقرِفة. أو يُمكِنني الدفع لفتاة ليل لأحصُل على ما يكفيني من الدماء لأشعُر بالشبع لعدَّة أيام. أو يُمكِنني فتنة شخص ما، كي يسمَح لي بعضِّه بدافِع الحُب، وسأنسى بشأن كُل شيء. كما أنني لستُ بحاجةٍ للكثير في الوقت الحالي".

قُلت: "أو يُمكِنك مواعدة فتاة تُعاني من خللٍ في دماغها".

"أو أنكِ الحُلو، والفَأران كانا الوجبة الرئيسة".

تعوَّدي على الأمر.

قُلت بانبهار: "يا للهول، أمهلني دقيقة".

وهذا ما فعله. لم يُمهِلني رجل واحِد من بين المليون ذلك الوقت دون أن يتحدَّث. فتحتُ عقلي، وخفضتُ حصون دفاعي تمامًا، استرخيتُ. غمرني صمته بالكامِل. فوقفتُ مكاني، وأغلقتُ عينيَّ، وتنهَّدتُ بارتياحٍ أعمق من قُدرة أي كلمات على وصفه.

سألني، وكأن بإمكانه معرِفة الأمر: "هل أنتِ سعيدة الآن؟".

تنفَّستُ بعمقٍ قبل أن أجيبه: "أجل". وشعرتُ في تلك اللحظة أن ذلك السلام -بغض النظر عمَّا فعله المخلوق الواقِف بجواري- لا يُقدَّر بثمنٍ بعد عُمر كامِل من صراخ أدمِغة أخرى داخِل دماغي.

قال: "تجعلينني أشعُر بحالٍ أفضل بدوركِ". وفاجأني قوله!

سألته بذهولٍ وببطء: "وكيف هذا؟".

"لا خوف، ولا عجلة، ولا تجريم. لستُ مُضطرًّا لاستخدام فتنتي لأحافِظ على ثباتكِ، كي أحظى بمُحادثةٍ معكِ".

"فتنة؟".

أجابني شارحًا: "شيء يُشبِه التنويم المغناطيسي، يستخدِمه جميع مصَّاصي الدماء، بطريقةٍ أو بأخرى. لأننا كي نحصُل على الغذاء -قبل تطوير الدماء الاصطناعيَّة- توجَّب علينا إقناع الناس بأننا غير مؤذين... أو التحقُّق من أنهم لم يرونا على الإطلاق... أو إيهامهم بالتفكير في أنهم قد رأوا شيئًا آخرَ".

"وهل يُمكِنني أن أسقُط فريسة لفتنتك؟".

قال وهو يبدو مصدومًا: "بالطبع".

"حسنًا، قُم بها".

"انظري إليَّ".

"الظلام دامِس".

"لا يهم. انظُري إلى وجهي". تقدَّم ليقِف في مواجهتي، وترك يديه تسترخيان على كتفيَّ، وهو ينظُر إليَّ من علُ. استطعتُ رؤية البريق الخافِت لبشرته وعينيه، ونظرتُ إليه، مُتسائِلة عمَّا إذا كُنتُ سأبدأ بالنقنقة كالدجاجة أو بخلع ملابسي.

لكن... شيئًا لم يحدُث. شعرتُ فقط بالاسترخاء شبه المُخدِّر الذي يُصيبني كُلما كُنت معه.

سألني وهو يلهث قليلًا: "هل تشعُرين بتأثيري؟".

قُلت بتواضع: "أنا آسفة، لكن لا، لا أرى سوى بريقك".

قال: "يُمكِنكِ رؤية ذلك؟". لقد نَجَحتُ في إثارة دهشته مرَّة أخرى.

"بالتأكيد. ألا يُمكِن للجميع رؤيته؟".

"لا، وهذا غريب يا سوكي".

"حسنًا، هل يُمكِنني رؤيتك تُحلِّق؟".

بدا مُستمتِعًا وهو يسألني: "هُنا؟".

"بالطبع، ولمَ لا؟ ما لم يكُن لديك سببٌ وجيهٌ يمنع ذلك؟".

"لا، أبدًا". ترك ذراعيَّ وبدأ بالارتفاع.

شهقتُ طربًا. حلَّق في الظلام، يلتمِع مثل الرُّخام الأبيض في ضوء القمر. وعندما ارتفع قدمين عن سطح الأرض، بدأ يحوم في مكانه. اعتقدتُ أنه كان يبتسِم لي.

سألته: "هل يُمكِنكم جميعًا أن تفعلوا ذلك؟".

"هل يُمكِنكِ الغناء؟".

"لا، لا يُمكِنني التحكُّم في النغمات".

قال: "حسنًا، لا يُمكِننا جميعًا أن نقوم بالأشياء أنفسها كذلك". هَبَطَ بِل ببطءٍ وحطَّ أرضًا دون صوت، قبل أن يُتابع حديثه قائِلًا: "يشعُر مُعظَم البشر بالقلق من مصَّاصي الدماء. لكن لا يبدو أنكِ تشعُرين بالمثل".

هززتُ كتفيَّ. ومن أنا لأكون شديدة القلق تجاه شيء خارِج عن المألوف؟ بدا أنه يتفهَّم لأنه قال -بعد لحظة من الصمت- استأنفنا خلالها السير: "هل كان الأمر صعبًا عليكِ دائمًا؟".

قُلت: "أجل، دائمًا". لم أتمكَّن من قول شيء خلاف ذلك، رغم أنني لم أرغَب في التذمُّر، تابعتُ حديثي: "كان الأمر أسوأ عندما كُنتُ صغيرة للغاية، لأنني لم أعرِف كيف أُنشئ الحصون لحمايتي، وسَمِعتُ أفكارًا لم يُفترَض بي أن أسمعها بالطبع، وكرَّرتُها مثل بقية الأطفال. لم يعرِف والدايَ ماذا يُفترَض بهما أن يفعلا بشأني، وأحرَج الأمر والدي تحديدًا. في النهاية... أخذتني والدتي إلى طبيب نفسي للأطفال، وشخَّص حالتي جيِّدًا، لكنها لم تتقبَّل الأمر، وما انفكَّت تُحاوِل إخبار أهلي أنني أقرأ لُغة أجسادهم وأنني شديدة الانتباه، وهكذا امتلكتُ سببًا وجيهًا لتخيُّل أنني أسمَع أفكار الناس. بالطبع لم يُمكِنها الاعتراف بأنني حرفيًّا أسمَع أفكار الناس، لأن هذا لا يتماشى مع مُعتقداتها".

صمتُّ قليلًا قبل أن أُتابع: "ولم أفلِح في المدرسة لأن التركيز فيها كان أمرًا شديد الصعوبة في ظلِّ وجود القليل من الآخرين. لكن كُلما كان هُناك اختبار، حظيتُ بدرجةٍ عاليةٍ لأن

الأطفال الآخرين صبُّوا جام تركيزهم على أوراقهم... ومنحني هذا فسحة لا بأس بها. ظنَّ أهلي في بعض الأوقات أنني كسول لأنني لا أُبلي حسنًا في العملِ اليومي. وظنَّ المُدرِّسون أحيانًا أنني أعاني من صعوبات التعلُّم؛ عجبًا... لن تُصدِّق النظريات التي أطلقوها. ولا بُد أنهم فحصوا عينيَّ وأذنيَّ كُل شهرين، وقاموا بـ... بفحص دماغي... يا إلهي. تكبَّد أهلي المساكين الكثير من النقود. لكنهم لم يتقبَّلوا الحقيقة اليسيرة قط. على الأقل ظاهريًّا كما تعلم".

"لكنهم عَرِفوا ذلك يقينًا".

"أجل. فذات مرَّة، عندما حاوَل والدي أن يُقرِّر إذا ما كان سيدعَم رجلًا يُريد فتح محل قطع غيار سيَّارات، طلب مني الجلوس معه عندما جاء الرجُل إلى المنزِل. وبعد رحيله، أخذني للخارِج وأشاح بنظره وهو يسألني: هل يقول هذا الرجل الحقيقة يا سوكي؟ كانت أغرَب لحظة في حياتي".

"كم كان عُمركِ؟".

"لا بُد أنني كُنت أصغَر من سبع سنوات، لأنهما ماتا وأنا في الصف الثاني".

"كيف ماتا؟".

"فيضان. حاصرتهما مياهه عند الجسر الموجود غربًا".

لم يُعلِّق بِل بالطبع، فقد رأى من الوفيات ما يكفيه دهرًا.

سألني بعد عدَّة لحظات: "وهل كان الرجُل يكذِب؟".

"أجل، بكُل تأكيد. لقد كان يُخطِّط لسلب نقود والدي والهروب بها".

"تتمتَّعين بهبة".

شعرتُ بزاويتي فمي تهبِطان وأنا أقول: "نعمة... صحيح".

"تجعلكِ مُختلِفة عن غيركِ من البشر".

قُلت: "كما تُريد". مشينا في صمتٍ للحظةٍ ثُم أضفت: "إذًا فأنت لا تعتبِر نفسك بشرًا على الإطلاق؟".

"لم أفعل ذلك منذ وقت طويل".

سألته: "وهل تؤمِن حقًّا بأنك قد فقدتَ روحك؟". هذا ما تُبشِّر به الكنيسة الكاثوليكيَّة بشأن مصَّاصي الدماء.

قال بِل بشكلٍ عرضيٍّ تقريبًا: "ليس لديَّ أي وسيلة لمعرِفة ذلك". كان من الواضِح أنه قد فكَّر في الأمر كثيرًا، حتى إنها أصبحت فكرة مألوفة لديه، تابع حديثه قائِلًا: "أنا شخصيًّا لا أعتقِد ذلك. فهُناك شيئًا بداخلي ليس قاسيًا، ولا قاتِلًا، حتى بعد كُل تلك السنين. على الرغم من أنني يُمكِن أن أكون كليهما".

"إن إصابتك بالڤيروس ليسَت خطأك".

أصدَر بِل صوتًا ساخرًا، رغم أنه قد تمكَّن من القيام بذلك بطريقةٍ أنيقة، قبل أن يقول: "كانت هناك نظريات طالما كان

هُناك مصَّاصو دماء. ورُبما كانت تلك النظرية صحيحة". ثُم بدا وكأنه آسِف لأنه قال ذلك، قبل أن يُضيف بطريقةٍ أكثر ارتجاليّة: "لو كان ما يحوِّلنا إلى مصَّاصي دماء ڤيروس، فإنه انتقائي للغاية".

سألته: "وكيف يُصبِح المرء مصَّاص دماء؟". كُنتُ قد قرأتُ جميع أنواع النظريات، لكن الإجابة هذه المرَّة ستأتيني من فم مصَّاص دماء.

"سيتعيَّن عليَّ أن أستنزِفكِ، في جلسةٍ واحدة أو على مدار يومين أو ثلاثة، حتى تقفي مُترنِّحة على حافَّة الموت، ثُم أعطيكِ دمائي. بعدها ستستلقين كالجُثّة لمُدّة ثمانٍ وأربعين ساعة، وأحيانًا لثلاثة أيام، ثُم ستنهضين وتسيرين ليلًا، وستشعُرين بالجوع".

جعلتني الطريقة التي نَطَق بها كلمة "الجوع" أرتجِف.

"ولا توجَد طريقة أخرى؟".

"أخبرني مصَّاصو دماء آخرون أنه يُمكِن للبشر الذين اعتادوا التعرُّض للعض، يومًا تلو الآخر، أن يتحوَّلوا إلى مصَّاصي دماء بشكلٍ غير متوقَّع تمامًا. لكن هذا يتطلَّب تغذية مُتتالية وعميقة. أما البعض الآخر، وفي ظلِّ الظروف أنفسها، فيُصابون بفقر الدم فحسب. ثُم مرَّة أخرى، عندما يكون الناس على وشك الموت لسببٍ ما، كحادِث سيَّارة أو جُرعة مُخدِّرات زائِدة، يُمكِن للعمليةٍ أن... تحدُث بشكلٍ خاطئ للغاية".

استسلمتُ للقشعريرة، وقُلت: "لقد حان وقت تغيير الموضوع. ما الذي تُخطِّط لفعله بأرض كومبتون؟".

"أُخطِّط للعيش هناك قدر ما أستطيع، فقد سئِمتُ التنقُّل من مدينةٍ إلى أخرى. لقد نشأتُ في هذه البلدة، والآن، بعد أن امتلكتُ حقي القانوني في الوجود، وأصبَح بإمكانيَ الذهاب إلى مونرو أو شِريفبورت أو نيو أورلينز للحصول على الدماء الاصطناعية، أو للدفع لفتاة ليل مُتخصِّصة في التعامُل مع نوعِنا، وجدتُ نفسي أُفضِّل البقاء هُنا. أو على الأقل التحقُّق من إمكانيَّة القيام بذلك، فأنا أتجوَّل منذ عقود".

"ما حال المنزِل؟".

قال مُعترفًا: "بحالٍ سيئةٍ للغاية، حاولتُ تنظيفه، وهو ما يُمكِنني القيام به ليلًا فقط، لكنني بحاجةٍ إلى عُمَّالٍ ليقوموا ببعض الإصلاحات. فبينما أجيد النجارة قليلًا، إلا أنني لا أفقه شيئًا في الكهرباء".

بالطبع لا يفقه شيئًا فيها.

تابع بِل حديثه، بطريقةٍ جعلته يبدو للعالَم بأسره كصاحِب منزل قلِق آخر: "يبدو لي أن المنزِل قد يحتاج لتجديد الأسلاك".

"هل لديك هاتِف؟".

قال بدهشة: "بكُل تأكيد".

"ما مُشكِلتك مع العُمَّال إذًا؟".

"من الصعب التواصُل معهم ليلًا، ومن الصعب إقناعهم بمُقابلتي لأتمكَّن من شرحِ ما يجِبِ القيام به. إنهم يشعرون بالخوف، أو يظنون أنه مقلَب". احتلَّ الإحباط قدرًا لا بأس به من صوت بِل، رغم أنه أشاح بوجهه بعيدًا عني.

ضَحِكتُ قبل أن أقول: "يُمكِنني الاتصال بهم لو أردت، إنهم يعرِفونني. وعلى الرغم من أن الجميع يعتقِدون أنني مجنونة، إلا أنهم يعرِفون أنني صادِقة".

قال بِل بعد بعض التردُّد: "سيكون ذلك معروفًا كبيرًا، يُمكِنهم العمل أثناء النهار، بعد ما ألتقي بهم لمُناقشة العمل وتكلِفته".

قُلت دون تفكير: "لا بُد من أن عدم قُدرتك على الخروج في وضح النهار أمر مُزعِج". لم أُفكِّر في الأمر بهذه الطريقة من قبل.

قال بِل بصوتٍ جاف: "بكُل تأكيد".

قُلت: "ناهيك عن اضطرارك لإخفاء مكان نومك". وأدركتُ خطئي.

وعندما شعرتُ بصمت بِل... اعتذرتُ فورًا.

قُلت: "آسِفة". لو لم يكُن المكان غارِقًا في ظلامٍ دامس، لتمكَّن من رؤية وجهي يحمَر خجلًا.

قال بِل بجفاء: "إن مكان نوم مصَّاص الدماء أثناء النهار هو أكثر أسراره حمايةً".

"أنا آسِفة".

قال بعد لحظة صمت سيِّئة: "اعتذار مقبول". وصلنا إلى الطريق، ونظرنا يمينًا ويسارًا وكأننا في انتظار سيَّارة أجرة. استطعتُ رؤيته بوضوح الآن تحت ضوء القمر، بعد أن خرجنا من بين الأشجار. وتمكَّن من رؤيتي بوضوح كذلك. نَظَر لي نظرةً شامِلة، ثُم قال: "إن فُستانك بلون عينيكِ".

قُلت له: "شكرًا". أنا مُتيقِّنة من أنني لا أستطيع رؤيته بالوضوح نفسه.

"لكنه ليس طويلًا للغاية كذلك".

"معذرةً؟".

قال: "من الصعب عليَّ الاعتياد على ارتداء الشابات للقليل من الملابِس".

قُلتُ بشكلٍ لاذع: "كان لديك بعض العقود لتعتاد على ذلك، بحقك يا بِل! لقد كانت الفساتين أقصَر قبل أربعين عامًا!".

قال بنبرةٍ حملَت حنينًا للماضي: "أحِب التنانير الطويلة، كما أحِب ذلك اللباس السُّفلي الذي ترتديه النساء تحتها، الذي يُدعى التنورة الداخليَّة".

أصدرتُ صوتًا وقِحًا.

سألني: "هل ارتديتِ تنورةً داخليَّةً يومًا".

قُلتُ بسخط: "لديَ تنورة تحتيَّة بيج جميلة للغاية مُزيَّنة بالدانتيل، لو كُنت رجلًا بشريًّا، لظننتُكَ تحاوِل استدراجي للتحدُّث عن ملابسي الداخليَّة!".

ضَحِكَ، تلك الضِّحْكة العميقة غير المُستخدَمة التي تترُك أثرًا عميقًا في نفسي قبل أن يقول: "هل ترتدين تلك التنورة التحتيَّة يا سوكي؟".

أخرجتُ له لساني لأنني أعرِف أن بإمكانه رؤيتي جيّدًا. رفعت طرف تنورة ثوبي قليلًا، لأكشِف عن دانتيل التنورة التحتيَّة وإنشين آخرين من فخذي.

سألته: "سعيد؟".

"ساقاكِ جميلتان للغاية، لكنني ما زلتُ أفضِّل الفساتين الطويلة أكثر".

قُلت له: "أنت عنيد".

"هذا ما اعتادَت زوجتي أن تقوله دائمًا".

"هل كُنت مُتزوِّجًا؟".

"أجل، لقد تحوَّلتُ إلى مصَّاص دماء عندما كُنتُ في الثلاثين من عُمري. كان لديَّ زوجة، وخمسة أطفال، كما عاشَت معنا شقيقتي سارة، التي لم تتزوَّج أبدًا، بعد ما قُتِل خطيبها في الحرب".

"الحرب الأهليّة".

"أجل، لقد عُدتُ من ساحة المعركة، بعد ما كُنت أحد المحظوظين. أو على الأقل هذا ما اعتقدته آنذاك".

قُلتُ بتهوُّر: "لقد قاتلتَ لمصلحة الكونفدراليّة، لو كُنت لا تزال تمتلِك زيَّك الرسمي، وارتديته في الملهي الليلي، لسقطت السيدات فرحًا".

قال بكآبة: "لم يتبقَّ لي الكثير من الزي الرسمي بعد انتهاء الحرب، مررنا بحالةٍ من التقشُّف وتضوَّرنا جوعًا". بدا وكأنه يهز نفسه، قبل أن يُتابع حديثه بصوتٍ بعيدٍ وبارِد: "لم يكُن له معنًى بالنسبة لي قبل أن أتحوَّل لمصَّاص دماء".

قُلت: "أنا آسِفة، لقد فتحتُ موضوعًا يُزعجك. عمَّ يجِب أن نتحدَّث؟".

استدرنا وبدأنا برحلة العودة إلى المنزِل، قال: "حياتكِ، أخبريني عمَّا تفعلينه عندما تستيقظين في الصباح؟".

"أنهَض من الفِراش، وأُرتِّبه على الفور، ثُم أتناوَل طعام الإفطار، المكوَّن من خُبز مُحمَّص، وأحيانًا حبوب الإفطار، وأحيانًا بيض، وقهوة، ثُم أغسِل أسناني وأستحِم وأرتدي ملابسي. أحيانًا أحلِق شعر قدميَّ كما تعلَم. وأذهَب إلى العمل، إذا كان يومًا من أيام العمل. وإن لم يكُن لديَ ما أفعله حتى حلول الليل، فرُبما أذهَب للتسوُّق، أو أصطحِب جدتي إلى المتجر، أو أستأجِر فيلمًا لأشاهِده، أو أتمتَّع بحمَّام شمس.

كما أنني أقرأ كثيرًا. وأعتبِر نفسي محظوظة لأن جدتي لا تزال رشيقة. ولأنها تقوم بالغسيل، والكي، ومُعظَم الطبخ".

"وماذا عن علاقتكِ بالشباب؟".

"لقد أخبرتك بذلك الأمر. إنه مُستحيل فحسب".

سألني بلُطف: "ماذا ستفعلين إذًا يا سوكي؟".

قُلتُ بصوتٍ خافِت: "سأتقدَّم في السن حتى أموت". لقد تطرَّق إلى نقطتي الحسَّاسة أكثر من مرَّة.

ولدهشتي... مدَّ بِل يده وأمسَك بيدي. الآن وقد أثرنا بعضُنا غضب بعض قليلًا، وضغطنا على بعض المناطِق المؤلِمة، بدا الجو أكثر صحوًا. حرَّك النسيم حول وجهي في خضم الليل الهادئ.

سألني: "هل تُريدين خلع مشبَك الشعر؟".

لم يكُن هُناك سبب يحول بيني وبين القيام بذلك. سحبتُ يدي من بين يديه وأمسكتُ بالمشبَك. هززتُ رأسي وحرَّرتُ شعري. دسستُ المشبَك في جيبه، بما أن فُستاني لم يكُن فيه أي جيب. ثُم بدأ بِل يُمرِّر أصابعه عبر شعري، ويفرده على كتفيَّ، وكأن ذلك هو أكثر شيء طبيعي في العالَم.

لمستُ سالفيه، حيث بدا أن اللمس أمر مسموح به، وقُلت: "إنها طويلة".

قال: "كانت هذه هي الموضة. من حُسن حظي أنني لم أطِل لحيتي مثلما فَعَل الكثير من الرجال، وإلا لظلَّت طويلة للأبد".

"لستَ مُضطرًّا للحلاقة أبدًا؟".

"لا، لحُسن حظي كُنت قد حلقتُ لتوِّي". بدا مهووسًا بشعري، قبل أن يقول بصوتٍ خافت: "يبدو فضيًّا في ضوء القمر".

"ماذا تُحِب أن تفعَل؟".

استطعتُ رؤية شبح ابتسامة في قلب الظلام.

قال: "أُحِب القراءة بدوري، ومُشاهدة الأفلام طبعًا، لقد تابعتُ تطوُّرها عبر الزمان. كما أُحِب التمتُّع بصُحبة الأشخاص الذين يعيشون حياة طبيعيَّة. وفي بعض الأحيان، أتوق لصُحبة مصَّاصي دماء آخرين، على الرغم من أن مُعظمهم يعيشون حياة مُختلِفة تمامًا عن حياتي".

سرنا في صمتٍ للحظة.

سألته: "هل تُحِب مُشاهدة التلفاز؟".

قال: "أحيانًا، اعتدتُ لفترةٍ على تسجيل المُسلسلات ومُشاهدتها ليلًا عندما اعتقدتُ أنني قد أنسى ما يعنيه أن يكون المرء بشريًّا. لكنني توقَّفتُ بعد فترة، لأنه طبقًا للأمثِلة التي رأيتُها في تلك المُسلسلات، من الجيِّد أن أنسى البشرية".

ضَحِكتُ، وسرنا نحو دائِرة الضوء المُحيطة بالمنزِل. حيث توقَّعتُ أن تكون جدتي بانتظارنا على أرجوحة الشُّرفة الأمامية، لكنها لم تكُن هُناك. ولم يتوهَّج سوى مصباح خافِت واحِد في غُرفة المعيشة. قُلت لنفسي بغضب: حقًّا يا جدتي؟

إن هذا يُشبِه تمامًا إحضار رجل جديد للمنزل بعد انتهاء موعدنا الأول. لقد وجدت نفسي أتساءل عمَّا إذا كان بِل سيُحاوِل تقبيلي أم لا. رُبما يعتقِد أن هذا تجاوُز للحدود، طبقًا لآرائه حول الفساتين الطويلة. لكن بقدر ما بدت لي فكرة تقبيل مصَّاص دماء ضربًا من الغباء، إلا أنني أدركتُ أنني أريد القيام بذلك حقًّا، أكثر من أي شيء آخر.

شعرتُ بضيقٍ يجتاح صدري، مرارة، من شيء آخر محرومة منه. وفكَّرت: ولِمَ لا؟

أوقفته بعد ما سحبتُ يده بلُطفٍ. رفعتُ نفسي وطبعتُ قُبلةً بشفتيَّ على وجنته اللامِعة. استنشقتُ رائحته، العادية والمالِحة قليلًا. فاحَت منه رائِحة كولونيا خافِتة.

شعرتُ برجفة جسده. أدار رأسه كي يلمَس شفتيَّ بشفتيه. وبعد لحظة، مددتُ ذراعيَّ لأطوِّق عُنقه. ازدادَت قُبلته عُمقًا، ففتحتُ شفتيَّ. لم يُقبِّلني أحد بهذه الشهوة من قبل. مضيتُ قدمًا حتى ظننتُ أن العالَم بأسره قد سكن في تلك القُبلة بفم مصَّاص الدماء الذي استكان على فمي. تمكَّنت من الشعور بتسارُع أنفاسي، وبدأتُ أرغَب في أشياءَ أخرى.

فجأة... تراجَع بِل. بدا مُهتزًّا، وهو الأمر الذي أسعَدني بشدّة. قال وهو يُمسِّد شعري لمرَّةٍ أخيرة: "تصبحين على خيرٍ يا سوكي".

قُلت وقد بدوتُ مُرتعِدةً بدوري: "وأنت من أهله يا بِل، سأحاوِل الاتصال بكهربائيٍّ ما غدًا. وسأخبرك بما سيقوله".

"تعالي إلى المنزِل غدًا مساءً... إذا لم يكُن يوم عمل؟".

قُلت وأنا ما زلتُ مُنهمِكة في استجماع شتات نفسي: "أجل".

قال: "أراكِ آنذاك إذًا. شكرًا يا سوكي". استدار ليقطَع الغابة عائِدًا إلى منزله. وبمُجرَّد أن ابتلعه الظلام، أصبَح خفيًّا.

وقفتُ دون حراك كالبلهاء، حتى هززتُ نفسي ودخلتُ لأذهَب إلى الفراش.

أمضيتُ قدرًا لا بأس به من الوقت مُستلقية في الفراش دون نوم، أتساءل عمَّا إذا كان بإمكان الموتى الأحياء القيام بـ... بالأمر حقًّا. كما تساءلتُ أيضًا عمَّا إذا كان من المُمكِن إجراء مُناقشة صريحة مع بِل بخصوص ذلك الأمر. فقد بدا قديم الطِراز في بعض الأحيان، كما بدا عاديًّا مثل أي ابن جيران. حسنًا، ليس حقًّا، لكن طبيعي للغاية.

بدا لي أنه أمر رائِع ومُثير للشفقة أن المخلوق الوحيد الذي قابلته منذ سنوات وأردتُ أن أُمارِس الجنس معه لم يكُن في الواقِع بشريًّا. لقد حدَّت قُدرتي على التخاطُر من اختياراتي

بشدَّة. بالطبع كان بإمكاني مُمارَسة الجنس لمُجرَّد مُمارسته؛ لكن توجَّب عليَّ الانتظار لأُمارِس جنسًا يُمكِنني الاستمتاع به بالفعل.

لكن ماذا لو فعلناها، واكتشفتُ بعد كُل هذه السنين أنني لست جيِّدة في ذلك؟ أو رُبما لن أشعُر بشعورٍ جيِّد. رُبما تُبالِغ كُل الكُتب والأفلام في وصف الأمر. كما تُبالِغ آرلين، التي لم يبدُ أنها تفهم أن حياتها الجنسيَّة ليسَت شيئًا أرغَب في معرفة تفاصيله.

وأخيرًا تمكَّنتُ من النوم، وحظيتُ بأحلامٍ طويلةٍ وكئيبة.

في الصباح التالي، أجريتُ بعض المُكالمات الهاتفية، في الفاصِل بين إجابة جميع أسئِلة جدَّتي حول مسيرتي مع بِل والحديث عن خططنا المُستقبليَّة. وجدتُ اثنين من الكهربائيين، وسبَّاكًا، وبعض العُمَّال الآخرين الذين منحوني أرقامًا هاتفيَّة يُمكِنني مُكالمتهم عليها ليلًا، وتثبتُّ من فهمهم جميعًا أن المُكالمة القادِمة من بِل كومبتون ليست مقلبًا.

وأخيرًا... تمدَّدتُ في الشمس وشعرتُ بالدفء، قبل أن تأتي جدَّتي وهي تحمِل الهاتِف من أجلي.

قالت: "إنه مُديركِ". جدَّتي تُحِب سام، الذي لا بُد أنه قد قال شيئًا من شأنه أن يُسعِدها لأنها ابتسمَت كقط شيشاير.

قُلت: "مرحبًا يا سام". رُبما لم أبدُ سعيدةً لأنني عَرِفتُ أن خطبًا ما قد حَدَث في العمل.

قال: "لم تستطِع دون القدوم يا عزيزتي".

قُلت رغم معرفتي بأنني يجِب أن أحل محلَّها: "تبًّا!... لكن لديَّ بعض الخطط يا سام". كانت هذه سابِقة فريدة من نوعها، سألته: "متى تحتاجني؟".

سألني: "هل يُمكِنكِ القدوم من الخامِسة إلى التاسِعة؟ من شأن هذا أن يُساعِدنا كثيرًا".

"وهل سأحصُل على يوم إجازة آخر؟".

"ماذا عن تقسيم وردّية مع دون في ليلةٍ أخرى؟".

أصدرتُ صوتًا ينِم عن وقاحة شديدة، فظهر العبوس جليًّا على وجه جدتي التي وقفَت بجواري، وعَرَفتُ أنني سأتلقى مُحاضرة لاحقًا. قُلت في مضض: "تبًّا!، حسنًا... سأراك في الخامِسة".

أجابني: "شكرًا يا سوكي، كُنت أعرِف أن بإمكانيَ الاعتماد عليكِ".

حاولتُ أن أشعُر بالرضا تجاه ذلك، لكنه بدا كفضيلةٍ مُمِلة. يُمكِنك دائمًا الاعتماد على سوكي لتتقدَّم وتمُد يد المُساعدة لأنها لا تمتلِك حياة!

بالطبع، سيكون من الأفضَل أن أزور بِل بعد التاسِعة مساءً. فسيكون مُستيقِظًا طوال الليل على أي حال.

لم يبدُ العمل بطيئًا إلى هذا الحد من قبل. وواجهتُ صعوبة في التركيز بما يكفي لأبقيَ أسوار حصون فكري مرفوعة،

لأنني غَرِقتُ في التفكير في بِل. من حُسن حظي أنه لم يكُن هُناك الكثير من الزبائِن، وإلا لكُنتُ قد سَمِعتُ الكثير من الأفكار غير المرغوب فيها. في الواقِع... لقد اكتشفتُ أن الدورة الشهريّة لآرلين قد تأخَّرَت، وأنها تخشى من أن تكون حامِلًا، فعانقتها... قبل أن أتمكَّن من منع نفسي. حدَّقَت في وجهي بدهشةٍ قبل أن تتحوَّل للونِ الأحمر.

سألتني بلهجةٍ شابها الكثير من التحذير: "هل قرأتِ أفكاري يا سوكي؟". كانت آرلين أحد الأشخاص القلائِل الذين اعترفوا بقُدرتي فقط دون أن يُثقِلوا كاهلي بمحاولة شرحها، أو بتصنيفي على أنني مهووسة لامتلاكي مثل هذه القُدرة. لاحظتُ أيضًا أنها لم تتحدَّث عن الأمر كثيرًا أو بأي صوت عادي.

اعتذرتُ قائِلة: "آسِفة، لم أقصِد القيام بذلك، أنا لستُ في كامل تركيزي اليوم فحسب".

قالت آرلين وهي تلوِّح بإصبعها في وجهي، وخُصل من شعرها المتموِّج تهتز على وجنتها: "لا بأس إذًا، لكن لا تقرئي أفكاري من الآن فصاعدًا".

شعرتُ بالرغبة في البُكاء وأنا أقول: "آسِفة". ثُم اندفعتُ نحو المخزَن لأستجمِع شتات نفسي. تحتَّم عليَّ التماسُك كيلا تخونني دموعي وتنهمِر.

سَمِعتُ الباب يُفتَح من خلفي.

صِحت: "مهلًا... لقد قُلتُ إنني آسِفة يا آرلين!". لم أرغب بشيءٍ سوى البقاء بمُفردي، وأحيانًا تخلِط آرلين بين التخاطُر والموهِبة النفسيَّة. شعرتُ بالخوف من أن تسألني إذا كانت حامِلًا حقًّا. لأنه سيكون من الأفضَل لها أن تشتري مجموعة الحمل المنزلي المُبكِّر.

قال أحدهم: "سوكي". إنه سام، أدارني نحوه ووَضَع يده على كتفي، قبل أن يسألني: "ما الأمر؟".

كان صوته لطيفًا، مما زاد من رغبتي في البُكاء.

قُلت: "يجِب أن تبدو لئيمًا لأنني لا أريد البُكاء!".

ضَحِك ضحكة صغيرة، وليسَت كبيرة. ولفَّ ذراعه من حولي.

لم يكُن ينوي الاستسلام أو الرحيل، سألني: "ما الأمر؟".

قُلت: "أنا...". وتوقَّفت. لم يسبِق وأن ناقشتُ مُشكلتي بشكلٍ صريحٍ أبدًا (هكذا فكَّرتُ بها) مع سام أو مع أي شخص آخر. حيثُ يعرِف جميع المُقيمين ببون تيمبس الشائِعات عن سبب غرابتي، لكن لا يبدو أن أحدًا يُدرِك أنه قد توجَّب عليَّ الاستماع إلى ثرثرتهم العقليَّة دون توقُّف، سواء أردتُ ذلك أو لا... كُل يوم، ثرثرة لا تتوقَّف أبدًا...

قال بصوتٍ هادئ وواقعي: "هل سَمِعتِ شيئًا أزعجكِ؟". لَمَسَ مُنتصف جبهتي، للإشارة إلى أنه يعرِف يقينًا كيف يُمكِنني أن (أسمَع).

"أجل".

"لا يُمكِنكِ التوقُّف عن الأمر، أليس كذلك؟".

"لا".

"وتكرهينه للغاية يا عزيزتي، أليس كذلك؟".

"أجل".

"ليس خطأك إذًا، أليس كذلك؟".

قُلت: "حاولتُ ألا أسمَع، لكنني لا أستطيع الحفاظ على حذري طوال الوقت". شعرتُ بدمعةٍ تفِر دون أن أتمكَّن من السيطرة عليها لتسيل على وجنتي.

"هل هذا ما تفعلينه؟ كيف تُحافظين على حذركِ يا سوكي؟".

لقد بدا مُهتمًّا حقًّا، ليس وكأنه يعتقِد أنني عاجِزة عاطفيًّا. رفعتُ ناظريَّ، وتأملتُ عينيه الزرقاوين اللامعتين، اللتين بادلتاني النظر عن قُرب.

"أنا فقط... من الصعب وصف الأمر ما لم تتمكَّن من القيام به... وكأنني أرفع سياجًا... لا، ليس سياجًا، بل هو أشبه بربط لوحين فولاذيين بعضهما ببعض... بين عقلي وعقول الآخرين".

"هل يتوجَّب عليكِ رفع تلك الألواح عاليًا؟".

"أجل، ويتطلَّب الأمر الكثير من التركيز. يُشبِه الأمر تقسيمًا ذهنيًّا في كثيرٍ من الأوقات. ولهذا السبب يعتقِد الناس

أنني مجنونة. فنصف عقلي يغرِق في محاولة تثبيت الألواح الفولاذيَّة، بينما ينهمِك النصف الآخر في تلقي طلبات الزبائِن، ولذلك لا يتبقى الكثير في بعض الأحيان للقيام بمُحادثةٍ مُتماسِكة". شعرتُ بدفقةٍ من الارتياح تغمُر جسدي، لمُجرَّد أنني قد تمكَّنتُ من التحدُّث عن الأمر.

"هل تسمعين كلمات؟ أم تتلقين انطباعات فحسب؟".

"يعتمِد على هوية من أستمِع إليه، وحالته العقليَّة. إذا كان ثملًا، أو مُضطربًا بشدَّة، فيقتصِر الأمر على الصور، والانطباعات، والنوايا. أما إذا كان واعيًا وفي كامِل قواه العقليَّة، فسأحصُل على كلمات وبعض الصور".

"يقول مصَّاص الدماء إنكِ لا تستطيعين سماعه".

جعلتني فكرة قيام مُحادثة بين بِل وسام أشعُر بغرابةٍ شديدة، فأجبته: "هذا صحيح".

"وهل هذا مُريح بالنسبة لك؟".

قُلت: "أجل". وقصدتُ ذلك من كُل قلبي.

"هل يُمكِنكِ سماعي يا سوكي؟".

قُلت بتردُّد: "لا أرغب في المُحاولة!". تحرَّكتُ نحو باب المخزَن ووقفتُ هُناك وأنا أُمسِك بالمقبض في يدي. أخرجتُ منديلًا من جيب بنطالي القصير، ومسحتُ به أثر الدمعة على

وجنتي قبل أن أقول: "سأضطَر إلى الاستقالة لو قرأت أفكارك يا سام! وأنا أحبُّك، وأحِب المكان هُنا".

قال بشكلٍ عارض: "جرِّبي القيام بذلك أحيانًا يا سوكي!". ثُم استدار لفتح صندوق من الويسكي باستخدام أداة فتح الصناديق الحادَّة التي يحتفِظ بها في جيبه، قبل أن يقول: "ولا تقلقي بشأني. ستحظين بوظيفةٍ طالما ترغبين بها".

مسحتُ الطاوِلة التي سَكَبَ عليها جيسون الملح. فقد جاء في وقتٍ سابقٍ ليتناوَل الهامبرجر والبطاطِس المقليَّة وكوبين من البيرة.

فكَّرتُ في عرض سام.

لن أحاوِل الاستماع إليه اليوم؛ لأنه جاهِز وفي انتظاري. سأنتظِر حتى يُصبِح مشغولًا بالقيام بشيءٍ آخر. سأتسلَّل إليه وأتنصَّت عليه. لقد دعاني، وهو أمر فريد من نوعه تمامًا.

لقد كان من الجميل أن يدعوك أحدهم.

ضبطتُ مكياجي وصفَّفتُ شعري. كُنت سأطلِق سراحه، بما أن بِل يُحبُّه بهذه الطريقة، وكان الأمر مُزعجًا طوال المساء. لقد حان وقت الرحيل، لذلك استعدتُ حقيبتي من الخزانة الموجودة في مكتب سام.

***

استقرَّ منزِل كومبتون بعيدًا عن الطريق، مثل منزِل جدَّتي تمامًا. لكنه كان أكثر وضوحًا لطريق الأبرشيَّة من منزلها، كما أنه يطل على المقبرة، بينما يفتقِر منزلها لهذا الأمر. يرجع ذلك (بشكلٍ جُزئيٍّ) إلى أن منزِل كومبتون قد بُنيَ عاليًا. فقد اعتلى قمَّة ربوةٍ، وكان مكونًا من طابقين. بينما حظي منزِل جدَّتي ببعض غُرف النوم الاحتياطيَّة بالدور العلوي، وعُليَّة، لكن كُل هذا كان أشبَه بنصف طابِق علوي.

امتلك آل كومبتون منزلًا جميلًا حقًّا في مرحلةٍ ما من تاريخ العائِلة الطويل. وتمتَّع ببعض اللياقة، حتى في الظلام. لكنني عَرَفتُ أن بإمكان المرء أن يرى في وضح النهار أن الأعمِدة تتقشَّر، والجوانِب الخشبيَّة تتلوى، وأن الفناء لم يكُن سوى غابة. ويُمكِن لأي فناء في لويزيانا أن يخرُج نموُّه عن السيطرة بسُرعةٍ كبيرةٍ تحت وطأة الدفء الرطْب، ولم يكُن من شيَم السيِّد كومبتون العجوز أن يستأجِر شخصًا ليُساعِده في عمله بالفناء. وعندما أصبَح ضعيفًا للغاية، كان الإهمال قد وطَّد أواصِره على الأمر بسهولة.

لم يُزوَّد الطريق الدائري بحصًى جديدٍ منذ سنوات عديدة؛ وتحرَّكت سيارتي نحو الباب الأمامي. رأيتُ أن ضوء المنزِل بأكمله كان مُضاءً، وبدأتُ أُدرِك أن الليلة لن تمُر مثلما مرَّت سابِقتها. فقد وقفَت سيارةٌ أخرى أمام المنزِل، من طراز لينكون كونتيننتال، بيضاء اللون بسقفٍ أزرق داكِن. أُلصِق على المصد مُلصَق اختلطَ فيه اللونان الأبيض والأزرق، وكُتِبَ عليه:

"شُرب مصَّاصي الدماء". ومُلصَق أحمر وأصفر كُتِبَ عليه: "زمِّر... إذا كُنتَ مُتبرعًا بالدماء!". بينما كشفَت لوحة السيَّارة عن كلمة "فانجس"*.

رُبما ينبغي عليَّ العودة إلى المنزِل طالما أن بِل لديه رفقة بالفعل.

لكنني مدعوَّة، وهو ينتظِرني. رفعتُ يدي بتردُّدٍ وطرقتُ الباب.

فتحَته لي مصَّاصة دماء.

التمعَت بجنون. وبَلَغَ طولها على الأقل مئة وثمانين سنتيمترًا، كما أنها كانت من أصولٍ أفريقيَّة. ارتدَت رداءً من الليكرا. حمَّالة صدر رياضيَّة باللون الوردي المُميِّز لطيور الفلامينجو وبنطالًا ضيِّقًا يصِل لمُنتصف الساق باللون نفسه، وفوقهما قميص رجالي أبيض مفتوح الأزرار، يُشكِّل زِيّ مصَّاص دماء.

ظننتُ أنها تبدو رخيصة للغاية، ولا بُد أنها شهيَّة للغاية من وجهة نظر الرجال.

قالت مصَّاصة الدماء: "مرحبًا أيها الفرخ البشري الصغير".

وأدركتُ فجأة أنني في خطرٍ شديد. لقد حذَّرني بِل مرارًا وتكرارًا من أنه مُختلِف عن بقيَّة مصَّاصي الدماء، وأنه حتى هو...

---

* فانجِس: كلمة إنجليزيّة تعني "أنياب". (المُترجِم)

يمُر بلحظاتٍ لا يكون فيها لطيفًا. لم أستطِع قراءة أفكار هذه المخلوقة، لكنني تمكَّنتُ من سماع القسوة التي شابَت صوتها.

رُبما تكون قد آذَت بِل، ورُبما تكون عشيقته.

مرَّت كُل تلك الأفكار في ذهني بسُرعة، لكن أيها لم يظهَر على وجهي. فقد حظيتُ بأعوامٍ طويلةٍ من الخبرة في السيطرة على وجهي. شعرتُ بابتسامتي المُشرِقة تظهَر على وجهي بشكلٍ وقائي، وبظهري يستقيم، وقُلت بسعادة: "مرحبًا! من المُفترَض بي أن آتي إلى هُنا لأُعطي بِل بعض المعلومات، هل هو هُنا؟".

ضَحِكَت مصَّاصة الدماء في وجهي، وهو شيء لم يكُن غريبًا عليَّ، فازدادت ابتسامتي إشراقًا. إن هذه المخلوقة تشع بالخطر مثلما يشع أي مصباح بالحرارة.

صرخَت من فوق كتفها النحيل، والبُني، والجميل: "هذه الفتاة البشرية الصغيرة تقول إن لديها بعض المعلومات من أجلك يا بِل!".

حاولتُ ألا أُظهِر ارتياحي بأي شكلٍ من الأشكال.

تابَعت حديثها: "هل تُريد أن ترى هذه الشيء الصغير؟ أم أنني يجِب أن أعضَّها عضَّة حُب فحسب؟".

قُلت لنفسي بغضب: على جُثتي، ثُم أدركتُ أن الأمر قد يكون على جُثتي حرفيًّا.

لم أسمَع رد بِل، لكن مصَّاصة الدماء تراجَعت، فدخلتُ إلى المنزِل القديم. لن يُجدي الفرار نفعًا؛ حيثُ يُمكِن لمصَّاصة الدماء أن تُسقِطني أرضًا قبل أن أقطع خمس خطوات. ما زلتُ لم أرَ بِل بعد، ولن أستطيع التحقُّق من أنه بخيرٍ ما لم أرَه. سأستجمِع شجاعتي وأتمنى الأفضل، أنا جيِّدة للغاية في القيام بذلك.

اكتظَّت الغُرفة الأماميَّة الكبيرة بالناس والأثاث الأسود القديم. أدركتُ بعد أن أمعنتُ النظر أنهم ليسوا أناسًا، لا؛ بل هُم شخصان، واثنان من مصَّاصي الدماء الغريبين.

كان مصاصا الدماء ذكرين أبيضيِ اللون. يتمتَّع أحدهما بقصَّة شعر عسكرية ووشوم على كُل بوصة مرئيَّة من جسده. أما الآخر فكان أطوَل من المرأة، رُبما يبلُغ طوله مئة وأربعة وتسعين سنتيمترًا، ويُزيِّن رأسه شعر أسود داكِن طويل، ويتمتَّع ببنيةٍ مُذهلة.

أما البشريان... فكانا أقل إثارةً للإعجاب. كانت المرأة شقراء ومُمتلِئة الجسد، في الخامِسة والثلاثين من عُمرها أو أكبر قليلًا، وربما تضع الكثير من مُستحضرات التجميل. لكنها بدت بالية كحذاءٍ قديم. أما الرجل فحكايته حكاية، كان لطيفًا، أوسَم رجل رأيته في حياتي. ولا يُمكِن أن يزيد عُمره على واحِد وعشرين عامًا. كما كان أسمَر اللون، ورُبما من أصولٍ إسبانيّة، صغير الحجم ونحيل البنية. لم يرتدِ شيئًا سوى بنطال قصير من الجينز، وبعض مُستحضرات التجميل. وضعتُ ذلك في الحُسبان، لكنني لم أجده جذابًا.

ثُم تحرَّكَ بِل. رأيته يقِف وسط ظلال الرواق المُظلِم المؤدي من غُرفة المعيشة إلى مؤخِّرة المنزِل. نظرتُ إليه، محاولةً تبيُّن وضعي في هذا الموقِف غير المُعتاد. مما أثار استيائي، أنه لم يبدُ مُطمئِنًا على الإطلاق. كان وجهه ساكنًا للغاية، ولا يُمكِن قراءة ملامحه أبدًا. لكان من الرائِع في تلك المرحلة لو أن بإمكانيَ اختلاس النظر إلى دماغه، على الرغم من أنني لم أستطِع أن أُصدِّق أنني قد فكَّرتُ في هذا الأمر.

قال مصَّاص الدماء ذو الشعر الطويل وهو يبدو مسرورًا: "حسنًا، يُمكِننا قضاء أُمسية رائِعة الآن، هل هذه إحدى صديقاتك يا بِل؟ إنها طازجة للغاية".

فكَّرتُ في بعض الكلمات المُنتقاة التي تعلَّمتها من جيسون.

قُلت بأدبٍ جم، وكأنها أمسية عادية للغاية: "لو سمحتم لي بدقيقةٍ مع بِلٍ، لقد نسَّقتُ الأمور مع العُمَّال للمنزل". حاولتُ أن أبدو عملية وغير شخصيّة، رغم أن ارتدائي لقميص، وبنطال قصير، وحذاء رياضي لم يُقدم الدعم الكافي للاحترام المهني. لكنني تمنيتُ أن أكون قد أوصلتُ الانطباع بأن الأشخاص اللُّطفاء الذين قابلتهم خلال يوم عملي لا يُمكِن أن يُشكِّلوا أي تهديد.

قال مصَّاص الدماء ذو الوشوم: "ومع ذلك، فقد سَمِعنا أن بِل يتبع حمية غذائيّة تعتمِد على الدماء الاصطناعيّة فقط، أعتقِد أن ما سمعناه لم يكُن صحيحًا يا ديان".

أمالَت مصَّاصة الدماء رأسها ورمقتني بنظرةٍ طويلةٍ قبل أن تقول: "لستُ واثقة من ذلك، تبدو عذراء بالنسبة لي".

لم أكُن أعتقِد أن ديان تتحدَّث عن غشاء البكارة.

تقدَّمتُ عدَّة خطوات عرضيّة نحو بِل، مُتمنيّة بشدّة أن يتقدَّم ليُدافِع عني لو ساءت الأمور، لكنني وجدتُ نفسي غير مُتيقِّنة تمامًا من هذا الأمر. حافظتُ على ابتسامتي، مُتمنِّية أن يتحدَّث، أو أن يتحرَّك.

ثُم فعل، قال بصوتٍ باردٍ وناعمٍ للغاية، حتى إنه لم يكُن ليتسبَّب في تموُّجٍ في الماء لو كان حجرًا: "سوكي تخُصُّني".

نظرتُ إليه بحدّة، لكنني تمتَّعتُ بالذكاء الكافي لأبقي فمي مُغلقًا.

سألتني ديان: "ما مدى جودة اهتمامكِ ببِل صديقنا؟".

أجبتُها مُستخدِمةً إحدى كلمات جيسون دون أن تختفي ابتسامتي: "هذا ليس من شأنكم اللعين". أقنعتهم أنني مزاجيّة.

سادت لحظة صمت مليئة بالتوتُّر. بدأ الجميع -البشر منهم ومصَّاصو الدماء- يفحصونني من كثب، بما يكفي لعد الشُّعيرات الموجودة على ذراعي. ثُم بدأ الرجل الطويل يضحَك، قبل أن يحذو الآخرون حذوه. تقدَّمت بضع خطوات نحو بِل أثناء انهماكهم في الضحك. ثبَّت عينيه الداكنتين عليَّ

-لم يُشاركهم الضحك- وانتابني شعور واضِح بأنه يرغَب -مثلما أرغَب- في أن أستطيع قراءة أفكاره.

تمكَّنتُ من معرفة أنه في خطرٍ من نوعٍ ما. وأنا في خطر، طالما أنه في خطر.

قال الرجل الطويل بتمعُّن: "لديكِ ابتسامة ظريفة". أحببته أكثر وهو يضحَك.

قالت ديان: "تبدو جميع نساء البشر ظريفات بالنسبة لك يا مالكوم".

جَذَب مالكوم الرجل الطويل نحوه، وقبَّله قُبلة طويلة. شعرتُ بقليلٍ من الغثيان يملؤني، لأن هذه الأمور تُعتبر خاصَّة. قال مالكوم وهو يبتعِد بعد لحظة: "هذا صحيح". ظهرَت أمارات خيبة الأمل على وجه الرجُل الشاب، تابَع مالكوم حديثه قائِلًا: "لكنْ هُناك شيء نادِر في تلك المرأة، رُبما تمتلِك دماءً غنيّة".

قالت المرأة الشقراء بصوتٍ من شأنه أن يُشقِّق الطلاء: "إنها سوكي ستاكهاوس المجنونة فقط".

نظرتُ إلى المرأة بقليلٍ من الاهتمام. ثم تعرَّفتُ عليها في النهاية، عندما مسحتُ نصف الطريق ونصف مُستحضرات التجميل. جانيلا لينوكس، لقد عَملت في ميرلوت لأسبوعين قبل أن يطرُدها سام. وانتقلَت إلى مونرو كما أخبرتني آرلين.

لفَّ مصَّاص الدماء ذو الوشوم يده حول جانيلا وأمسك بثدييها. تمكَّنتُ من الشعور بوجهي يحمر خجلًا، لقد شعرتُ بالاشمئزاز. لكن الأمر ازداد سوءًا عندما وضعَت جانيلا -التي افتقرَت إلى الحياء مثل مصَّاص الدماء- يدها على عضوه الذكري ودلَّكته.

على الأقل اكتشفتُ بوضوحٍ أنه يُمكِن لمصَّاصي الدماء أن يُمارِسوا الجنس.

لكنني لم أكُن مُتحمِّسة لهذه المعرِفة في الوقت الحالي.

راقبني مالكوم، وتعمَّدتُ أن أُظهِر له نفوري مما يحدُث.

قال لبِل بابتسامةٍ مليئةٍ بالترقُّب: "إنها بريئة".

قال بِل مرَّة أخرى: "إنها تخُصُّني". هذه المرَّة كان صوته أكثر كثافةً، لم يكُن تحذيره ليكون أكثر وضوحًا لو كان أفعى مُجلجلة.

قالت ديان: "والآن يا بِل، لا يُمكِنك أن تُخبرني بأنك تُلبي كُل احتياجاتك من هذه الشيء الصغير، فأنت تبدو شاحبًا ومُترهِّلًا. يبدو أنها لم تكُن تعتني بك جيّدًا".

اقتربتُ من بِل أكثر.

قالت ديان التي بدأتُ أكرهها حقًّا: "هاك، خُذ عضَّة من امرأة ليام أو من جيري فتى مالكوم الوسيم".

لم تتفاعَل جانيلا مع حقيقة أنها تُعرَض فيما بينهم، رُبما لأنها انهمكَت في فك بنطال ليام الجينز، لكن صديق مالكوم الوسيم، جيري، تحرَّكَ عن طيب خاطِر نحو بِل. ابتسمتُ وكأن فكي على وشك التشقُّق عندما لفَّ ذراعه حول بِل، وحكَّ أنفه بعُنق بِل، وفَرَك صدره في قميصه.

كان من المروّع رؤية التوتُّر وهو يسود وجوه مصَّاصي الدماء، حيث تنزلِق أنيابهم للخارِج، ورأيتُها تتمدَّد بالكامِل لأول مرَّة. حسنًا، يبدو أن الدماء الاصطناعيّة لا تُلبي احتياجات بِل.

بدأ جيري يلعَق بُقعة من قاعِدة عُنق بِل. كان الحفاظ على حذري أكثر مما يُمكِنني التعامُل معه. وبما أن ثلاثة من الحاضرين كانوا مصَّاصي دماء، جانيلا مشغولة تمامًا، لم يترُك هذا سوى جيري. استمعتُ إليه وكدتُ أتقيّأ.

ارتجفَ بِل تحت وطأة الإغراء، وكان في الواقِع ينحني ليُنشِب أنيابه في عُنق جيري عندما قُلت: "لا! إنه مُصاب بڤيروس سينو!".

طالعني بِل من فوق كتف جيري، وكأنه أفاق من تأثير تعويذة لتوّه. تنفَّس بصعوبة، لكن أنيابه تراجعت. استفدتُ من تلك اللحظة وتقدَّمت عدّة خطوات أخرى. كُنت على بُعد ياردة من بِل الآن.

قُلت: "سينو إيدز".

يؤثِّر المُدمنون على الكحول والمُخدّرات بشدّة على مصَّاصي الدماء بشكلٍ مؤقَّت، وقيل إن بعضهم يستمتِع بهذا التأثير؛ لكن دماء البشر المُصابين بالإيدز لا تفعل ذلك، وكذلك الأمراض المنقولة جنسيًّا، أو أي أمراض أخرى ابتُليَ بها البشر.

باستثناء سينو إيدز. فحتى هو لم يقتُل مصَّاصي الدماء مثلما يقتُل ڤيروس الإيدز البشر، لكنه يترُك الموتى الأحياء ضُعفاء للغاية لمُدَّة شهر تقريبًا، ويُصبِح من السهل بشكلٍ نسبيٍّ القبض عليهم وخزوقتهم. وبين الحين والآخر، إذا تغَذى مصَّاص الدماء على دماء إنسان مُصاب أكثر من مرَّة، فإنه يموت بالفعل -يُعيد الموت؟- دون أن يخزوَق. وكان مرض سينو إيدز، الذي لا يزال نادرًا في الولايات المُتحِدة الأمريكيّة، يكتسِب أرضًا في موانئ مثل نيو أورليانز، حيث يمُر البحَّارة وبقية المُسافرين القادمين من العديد من البلدان بالمدينة وهُم في مزاجٍ احتفالي.

تجمَّد جميع مصَّاصي الدماء في أماكِنهم، وحدَّقوا في جيري وكأنه الموت قد أتاهُم مُتنكِّرًا؛ ورُبما كان كذلك بالنسبة لهم.

استدار الشاب الوسيم وهاجمني على حين غِرَّة. ورغم أنه لم يكُن مصَّاص دماء، إلا أنه كان قويًّا، من الواضِح أنه في المراحِل الأولى من المرض، فضربني بالجدار على يساري. ثُم طوَّق عُنقي بإحدى يديه ورفع الأخرى ليلكُمني في وجهي.

كانت يدايَ لا تزالان ترتفِعان للدفاع عن نفسي عندما أمسَك أحدهم بيد جيري، وتجمَّد جسده تمامًا.

قال بِل: "اترُك عُنقها".

قالها بصوتٍ مُرعبٍ حتى إنني شعرتُ بالخوف بدوري. بحلول ذلك الوقت، تراكَمَت عليَّ المخاوِف بسُرعةٍ كبيرةٍ حتى إنني لم أعتقِد أنني سأشعُر بالأمان مرَّة أخرى أبدًا. لكن أصابع جيري لم تسترخِ، فأصدرتُ صوتًا خافتًا كالنحيب دون أن أرغَب في ذلك على الإطلاق. حرَّكت عيني بشكلٍ جانبي، وأدركتُ عندما نظرتُ إلى وجه جيري الرمادي أن بِلًا يُمسِك بيده، بينما أمسَك مالكوم بساقيه. فانتابَ الخوف جيري حتى إنه لم يُدرِك ماذا يطلُبان منه.

بدأت رؤيتي للغُرفة تغرِق في الضبابيَّة، والأصوات تغدو وتروح. وحاول دماغ جيري اقتحام حصون دماغي. عجزتُ عن إبعاده، تشوَّش دماغه برؤى العشيق الذي نقل الڤيروس إليه، والذي حوَّله إلى مصَّاص دماء، والذي قتله جيري في نوبةٍ من الغيرة. استقرأ جيري موته على يدِ مصَّاصي الدماء الذين أراد قتلهم، ولم يقتنِع بأنه قد انتقَم بما يكفي من مصَّاصي الدماء الذين أصابهم بالعدوى.

تمكَّنتُ من رؤية وجه ديان يظهَر من خلف كتف جيري... مُبتسِمة.

قبل أن يكسِر بِل معصَم جيري.

صَرَخَ ثُم انهار على الأرض. وبدأ الدم يغزو رأسي مرَّة أخرى، فكدتُ أفقِد الوعي. رَفَع مالكوم جيري وحمله إلى الأريكة وكأنه سجادة ملفوفة. لكن وجه مالكوم حمل عدائيَّة مُفرِطة، فعَرَفتُ أن جيري سيُحالِفه الحظ لو مات بسُرعة.

تقدَّم بِل أمامي ليقِف مكان جيري. ومسَّدَت أصابِعه -الأصابِع ذواتها التي هشَّمَت معصَم جيري للتو- عُنقي برِفقٍ كما كانت جدتي لتفعَل. ثُم وَضَع إصبعه على شفتيَّ ليتحقَّق من أنني سألتزِم الصمت.

ثُم لفَّ ذراعه حولي، واستدار ليواجِه مصَّاصي الدماء الآخرين.

قال ليام بصوتٍ رائعٍ وكأن جانيلا لم تكُن تُمسِّده بحميميّةٍ فوق الأريكة: "كان هذا عرضًا مُسليًا للغاية". لم يُزعِج نفسه بالتحرُّك قيد أنمِلة طوال الأمر برمّته. وظَهرَ وشمٌ جديدٌ من وشومه للعيان، وهو وشم لم يكُن من المُمكِن أن أتخيَّله قط. شعرتُ بالغثيان يجتاح معدتي، بينما تابَع هو حديثه قائِلًا: "لكنني أعتقِد أننا يجِب أن نعود إلى مونرو. وسنحظى بحديثٍ صغيرٍ مع جيري عندما يستفيق، أليس كذلك يا مالكوم؟".

رَفَع مالكوم جيري الفاقِد الوعي على كتفه وأومأ برأسه لليام، بينما ظهرَت علامات خيبة الأمل جليَّة على وجه ديان.

اعترضَت قائِلة: "لكننا لم نكتشِف كيف عَرَفَت هذه الفتاة الصغيرة بعد يا رفاق".

حرَّك مصَّاصا الدماء الآخران ناظريهما نحوي. وبشكلٍ عرضي، استغرَق ليام لحظة ليصِل لنشوته. أجل... يُمكِنُ لمصَّاصي الدماء أن يفعلوا ذلك. تنهَّد تنهيدة قصيرة ثُم قال: "شكرًا لكِ يا جانيلا، وهذا سؤال جيِّد يا مالكوم. وكالعادة... تصِل ديان للُب الموضوع بمُنتهى السُّرعة".

ضَحِكَ مصَّاصو الدماء الثلاثة وكأنه قال نُكتة جيِّدة للغاية، رغم أنني اعتقدتُ أنها مُخيفة.

سألني بِل: "لا يُمكِنكِ التحدُّث بعد يا عزيزتي، أليس كذلك؟". وضَغَط على كتفي وهو يسألني، وكأنني لم أفهم التلميح بعد.

هززتُ رأسي.

قالت ديان: "يُمكِنني أن أجعلها تتحدَّث".

فأجابها بِل برفقٍ: "لقد نسيتِ شيئًا يا ديان".

قالت ديان دون أن تبدو خائِفة أو مُقتنِعة: "أجل، إنها تخُصُّك".

قال بِل: "يجِب أن نُكرِّر الزيارة في وقتٍ آخر". وأخبرهم صوته بوجوب مُغادرتهم وإلا فسيتحتَّم عليهم قتاله.

وَقَف ليام، وأغلق سحاب سرواله، وأشار إلى امرأته البشرية قائِلًا: "إلى الخارِج يا جانيلا، لقد طردنا". تموَّج الوشم على ذراعه السميك وهو يُمدِّده. تحسَّسَت جانيلا صدره

وكأنها لم تكتفِ منه بعد، فضربها على يدها بخفةٍ وكأنها ذُبابة. بدت غاضِبة، لكنها لم تشعُر بأي خوف مما كُنت سأشعُر به لو كُنت مكانها. لم تكُن هذه هي المرَّة الأولى التي يُعامِلها فيها بهذه الطريقة.

حَمَل مالكوم جيري وخَرَج به من الباب الأمامي دون أن ينبِس ببنت شفة. لو كان مص دماء جيري قد أصابه بالڤيروس، فإن أعراض الإصابة لم تظهَر عليه بعد. ذهبت ديان أخيرًا، علَّقت حقيبتها على كتفها ورمقتني بنظرةٍ سريعةٍ وهي ترحَل.

قالت بلين: "سأترُككما بمُفردكما أيها العاشقان إذًا. لقد كان هذا مُمتعًا يا حبيبي". ثُم أغلقَت الباب من خلفها.

وبمُجرَّد أن سمعت مُحرِّك السيارة يعمَل بالخارِج... فقدت الوعي.

لم يحدُث لي ذلك مُطلقًا في حياتي، وأتمنى ألا يحدُث مرَّة أخرى، لكنني شعرتُ بامتلاكي لبعض العُذر.

بدا لي أنني أقضي الكثير من الوقت برفقة بِل فاقِدة لوعيي. كانت تلك فكرة حاسِمة، وعَرِفتُ أنها تستحِق الكثير من التفكير، لكن ليس في تلك اللحظة. وعندما استفقتُ، هاجمني كُل ما رأيته وسَمِعته بضراوةٍ، حتى كدتُ أتقيَّأ. وعلى الفور أسندني بِل إلى حافَّة الأريكة. لكنني نجحتُ في السيطرة على معدتي، رُبما لأنه لم يكُن هُناك الكثير فيها.

همست: "هل يتصرَّف مصَّاصو الدماء بهذه الطريقة؟". آلمني حلقي وشعرتُ بالكدمات تُزيِّنه حيث اعتصره جيري، تابعتُ حديثي: "هذا مروّع".

قال بِل بصوتٍ أجوَف: "حاولتُ اللحاق بكِ في الحانة عندما لم أجدكِ في المنزِل، لكنكِ كُنتِ قد غادرتِ".

بدأت بالبُكاء، رغم علمي بأن هذا لن يُجدي نفعًا في أي شيء. كُنت مُتيقِّنة من أن جيري قد أصبَح في عداد الموتى الآن، وشعرتُ بأنه ينبغي عليَّ أن أفعل شيئًا حيال الأمر، لكنني لم أستطِع التزام الصمت عندما كان على وشك نقل العدوى إلى بِل. أزعجتني أمور كثيرة في هذه الفترة القصيرة بشدَّة حتى إنني لم أعرِف من أين يُفترَض بي أن أبدأ بالانزعاج. ففي خمس عشرة دقيقة... شعرتُ بالخوف على حياتي، وبالخوف على حياة بِل (حسنًا... على وجوده)، وأجبِرتُ على مُشاهدة أفعال جنسيَّة توجَّب عليها أن تكون خاصَّة، ورأيتُ حبيبي المُحتمَل يسقُط فريسة لشهوة الدم (التركيز على الشهوة)، وكدت أختنِق حتى الموت على يد مُحتال مريض.

وبعد إعادة التفكير، منحتُ نفسي الإذن في البُكاء. جلستُ وبكيتُ ومسحتُ وجهي بالمنديل الذي أعطاني بِل إياه. ومثَّل فضولي لمعرِفة سبب امتلاك مصَّاص دماء لمنديل مُجرَّد وميض صغير من الحياة العادية، المُبلَّلة بفيضان دموعي العصبيّة.

تحلى بِل بما يكفي من العقل كيلا يضمني بذراعه. جلس أرضًا، واستطاع الإشاحة بنظره بعيدًا بينما انهمكتُ في تجفيف نفسي.

قال فجأة: "عندما يعيش مصَّاصو الدماء في عُرُن، فإنهم غالبًا ما يُصبِحون أكثر قسوة لأنهم يُهاجِمون بعضهم بعضًا. لا يرون سوى مصَّاصي الدماء باستمرار، ولذلك يتم تذكيرهم بمدى بُعدهم عن كونهم بشرًا. كما أنهم يسنون القوانين لأنفُسهم. أما مصَّاصو الدماء مثلي، الذين يعيشون بمُفردهم، فيتذكَّرون إنسانيتهم السابِقة بشكلٍ أفضل قليلًا".

استمعتُ إلى صوته الناعِم، وتدبَّرتُ أفكاره ببطءٍ وهو يحاوِل شرح ما لا يُمكِن تفسيره لي.

"إن حياتنا مُغريَة وأخَّاذة يا سوكي، وقد كانت كذلك لعدّة قرون بالنسبة لبعضنا. ولن تُغيِّر الدماء الاصطناعيّة والقبول البشري على مضض من ذلك بين ليلة وضُحاها... أو حتى على مدى عقد من الزمان. إن ديان وليام ومالكوم معًا منذ خمسين عامًا".

قُلت: "يا له من أمر جميل". حَمَل صوتي شيئًا لم أسمعه يشوبه من قبل؛ المرارة. تابعت حديثي: "إنها ذكرى زواجهم الذهبيّة".

سألني بِل: "هل يُمكِنكِ نسيان ذلك؟". اقتربَت عيناه الداكنتان أكثر وأكثر، وأصبح فمه على بُعد بوصتين من فمي.

قُلت دون تفكير: "لا أعرِف. هل تعرِف أنه لم أكُن أعرِف أن بإمكانك القيام بذلك؟".

رفع حاجبيه مُستفسِرًا وهو يقول: "هل تقصدين...؟".

قُلت: "أن يحدُث لك...". توقَّفت، وحاولتُ التفكير في شيءٍ مُناسِبٍ لأقوله. فقد رأيتُ فظاظة في هذه الأمسية أكثر مما رأيتُ طَوال حياتي، ولم أرغَب في إضافة المزيد إليها. تابعت حديثي مُتجنِّبةً النظر في عينيه: "انتصاب".

بدا وكأنه يحاوِل ألا يبدو مُستمتِعًا وهو يقول: "ها قد أصبحتِ تعرفين بشكلٍ أفضل، يُمكِننا مُمارسة الجنس، لكن لا يُمكِننا أن نُنجِب أو أَن نحظى بأطفال. ألا تجعلكِ حقيقة أنه لا يُمكِن لديان أن تحظى بأطفالٍ تشعُرين ببعض التحسُّن؟".

انفجرَت صمامات مشاعري. فتحتُ عينيَ ونظرتُ إليه بثباتٍ وأنا أقول: "لا... تسخَر... مني".

قال وهو يرفع يده ليلمَس وجنتي: "يا سوكي العزيزة".

راوغتُ يده ووقفتُ على قدميَّ. لم يُقدِّم يد المُساعدة، وهذا شيء جيِّد، لكنه جلس أرضًا يُراقبني بثبات، لم أستطِع قراءة التعبير الذي ارتسمَ على وجهه. تراجعَت أنياب بِل، لكنني عَرفتُ أنه ما زال يتضوَّر جوعًا... بشدَّة.

قبعَت حقيبتي أرضًا بجوار الباب الأمامي. سرت... لكن دون ثبات شديد. أخرجتُ قائِمة الكهربائيين من جيبي ووضعتها على الطاوِلة.

قُلت: "يجِب أن أذهَب".

ظَهَرَ أمامي فجأة، بعد ما قام بأحد أمور مصَّاصي الدماء تلك مرَّة أخرى، سألني ويداه بجواره ليظهِر لي أنه لن يلمسني ما لم أوافِق على ذلك: "هل يُمكِنني تقبيلكِ قُبلة الوداع؟".

قُلت بحدّة: "لا، لن أحتمِلها بعد ما رأيتهم".

"سآتي لرؤيتكِ".

"أجل... رُبما".

مدَّ يده بجواري ليفتَح لي الباب، لكنني اعتقدتُ أنه سيحتضِنني، فأجفلت.

دُرتُ على عقبيَّ وكدتُ أركُض نحو سيارتي، والدموع تشوِّش رؤيتي مرَّة أخرى. غمرتني السعادة بسبب قِصَر المسافة التي قُدتها وصولًا للمنزل.

(٣)

رنَّ الهاتِف. سحبتُ وسادتي فوق رأسي. ستُجيبه جدَّتي بكُل تأكيد! وعندما استمرَّ الضجيج المُزعِج، أدركتُ أن جدتي قد ذهبَت للتسوُّق أو للعمل في الفِناء بالخارِج. مددتُ يدي نحو الطاولة بجوار الفِراش، باستسلامٍ غير ممزوج بالسعادة. ارتعدَت يدي تحت تأثير الصُّداع والندَم الذي يشعُر به المرء عندما يُعاني من صُداع الكحول (رغم أن صُداعي كان عاطفيًّا وليس للكحول يدٌ فيه) ورفعتُ السمَّاعة.

قُلت: "نعم؟". لكنها لم تخرُج من بين شفتيَّ بصورةٍ صحيحة، تنحنَحتُ لأجلو حُلقي وحاولت مرَّة أخرى: "ألو؟".

"سوكي؟".

"أجل، سام؟".

"أجل، اسمعيني، هل يُمكِنكِ أن تُسدي لي معروفًا يا عزيزتي؟".

سألته: "ماذا؟". فاليوم يوم عمل على أي حال، ولم أرغَب في تقسيم ورديتي مع داوِن أيضًا.

"هل يُمكِنكِ أن تذهبي إلى منزِل داوِن لتعرفي علامَ تنوي؟ لأنها لا تُجيب على هاتِفها، ولم تأتِ إلى العمل. وقد وصلَت شاحِنة التوصيل للتو، ويجِب أن أُخبِر هؤلاء الرجال أين يضعون الأشياء".

قُلت له وقد بدا لي أن فراشي القديم لم يتمسَّك بي بهذه الطريقة من قبل: "الآن؟ تُريدني أن أذهب الآن؟".

سألني: "هل هذا مُمكِن؟". وللمرَّة الأولى، بدا وكأنه يتفهَّم مزاجي غير العادي. لم أرفُض لسام أي طلبٍ من قبل.

قُلت: "أعتقِد ذلك". جعلتني الفكرة نفسها أشعُر بالإرهاق والتعب مرَّة أخرى. لم أكُن أُحِب داون كثيرًا، ولم تُحبني كثيرًا بدورها. فقد كانت مُقتنِعة أنني قرأتُ أفكارها وأخبرتُ جيسون بشيءٍ كانت تُفكِّر به، مما دفعه للانفصال عنها. ولو أخذتُ حياة جيسون الرومانسيّة على محمل الجد، لما تسنى لي الوقت للأكل أو النوم.

استحممتُ وارتديتُ ملابِس العمل، وتحرَّكتُ ببطء. لم أستعِد توازني بعد. تناولتُ صحنًا من حبوب الإفطار ونظَّفتُ أسناني وأخبرتُ جدَّتي بالمكان الذي سأذهب إليه عندما وجدتها؛ كانت بالخارِج تزرع زهور البتونيا في حوضٍ بجوار الباب الخلفي. بدت وكأنها لم تفهم قصدي، لكنها ابتسمَت ولوَّحَت لي على أي حال. كان سمع جدَّتي يضعَف أكثر بمرور الأسابيع، لكنني أدركتُ أن هذا ليس غريبًا، خصوصًا وأنها في

الثامِنة والسبعين من عُمرها. إن قوَّتها وصحتها الجيِّدة ضربٌ من المُعجزات، ناهيك عن ذهنها الحاد.

أثناء ذهابي لمُهِمّتي غير المُرحَّب بها، فكَّرت بمدى الصعوبة التي واجهتها جدَّتي في تربية طفلين آخرين بعد أن قامَت بتربية طفليها. توفيَ والدي -ابنها- عندما كُنت في السابِعة وجيسون في العاشِرة. وعندما كُنت في الثالِثة والعشرين من عُمري، توفيَت ابنتها -عمتي ليندا- بعد صراعٍ مع سرطان الرحم. ثُم سقطَت هادلي -ابنة العمة ليندا- فريسةً للثقافة الفرعيَّة نفسها التي خَرَج الفئران من تحت مظلَّتها حتى قبل وفاة العمَّة ليندا، ولا نعرِف حتى يومِنا هذا ما إذا عَرِفَت هادلي بموت والدتها. وتكالَب كُل هذا ليُشكِّل حُزنًا كبيرًا لتجاوُزه، لكن جدَّتي لطالما ظلَّت قويَّة من أجلِنا.

رمقتُ الشُّقق الثلاث المُزدوَجة الصغيرة التي تراصَّت على أحد جانبي شارِع بيري عبر زُجاجي الأمامي، مبنًى مُتهالِك أو اثنان يقعان خلف الجزء الأقدَم من وسط مدينة بون تيمبِس، وتعيش داون في أحدهما. وجدتُ سيارتها، سيَّارة خضراء صغيرة، في ممر أحد المنازِل الأفضل حالًا، أوقفت سيارتي خلفها. علَّقَت من دون سلّة نباتات البجونيَّة بجوار الباب الأمامي، لكنها بدت جافَّة.

طرقتُ على الباب، وانتظرتُ لدقيقةٍ أو اثنتين، قبل أن أطرُقه مرَّة أخرى.

سألني صوت مألوف: "هل تحتاجين لبعض المُساعدة يا سوكي؟". استدرتُ ووضعتُ يدي فوق عينيَّ لأحميهُما من الشمس. وَقَفَ رينيه لينر بجوار شاحِنته الصغيرة، بعد أن صفّها على الجانِب الآخر من الشارِع بجوار أحد المنازِل الصغيرة التي تملأ بقية الحي.

قُلت: "حسنًا". لم أكُن واثقة إذا كُنت بحاجةٍ للمُساعدة أو لا، أو إذا كان بإمكان رينيه أن يمُدَّني بالمُساعدة اللازِمة. تابعت حديثي: "هل رأيت داون؟ لم تأتِ إلى العمل اليوم، ولم تظهر أمس كذلك. وطلب مني سام أن أمُر بها".

قال رينيه: "توجَّب على سام أن يأتي ليؤدي عمله القذِر".

جعلتني طريقته أُدافِع عن مُديري بطريقةٍ مُنحرفةٍ قائِلة: "لقد جاءت الشاحِنة، ولا بُد من تفريغها". ثُم استدرت وطرقتُ الباب مرَّة أخرى قبل أن أصيح: "اسمحي لي بالدخول يا داون".

ثُم نظرتُ إلى الشُّرفة الخرسانيَّة. بدأت حبوب لقاح الصنوبر تتساقَط منذ يومين، وغطَّت أرض شُرفة داون بطبقةٍ صفراء صلبة، لم يُعكِّر صفوها سوى آثار أقدامي. بدأت القشعريرة تغزو فروة رأسي.

وبالكاد لاحظتُ حقيقة أن رينيه يقِف بارتباكٍ بجوار باب شاحنته، غير واثق مما إذا كان سيبقى أم سيرحَل.

تكوَّنَت شقة داون المزدوَجة الصغيرة للغاية من طابقٍ واحِد، ووقع الباب المؤدي إلى النصف الآخر على بُعد عدَّة أقدام من

بابها الأمامي. كما كان ممره الصغير فارِغًا، ولم يكُن هُناك أي ستائِر مُعلَّقة على النوافِذ، وبدا الأمر وكأن داون ليس لديها أي جيران في الوقت الحالي. بينما تحلَّت داون بالفخر الكافي لتعليق ستائِر بيضاء زيَّنتها زهور ذهبيّة داكِنة. كانت الستائِر مُغلَقة، لكن قِماشها كان خفيفًا وغير مُبطَّن، ولم تُغلِق داون ستائِرها الألمونيوم الرخيصة التي يبلُغ عرضها بوصَة واحِدة. نظرتُ إلى الداخِل ورأيتُ غُرفة المعيشة التي لا تحتوي سوى على بعض أثاث سوق السلع المُستعمَلة. استقرَّ كوب قهوة على طاولةٍ بجوار مقعد مُتكتِّل، بينما دُفِعَت أريكة قديمة مُغطَّاة بمفرش من الكروشيه الأفغاني يدوي الصُّنع إلى الحائِط.

قُلت لرينيه: "أعتقِد أنني سأذهب من الخلف". انطلقَ عبر الشارِع وكأنه كان في انتظار إشارتي، فابتعدتُ عن الشُّرفة الأمامية. دستُ العُشب المُغبَّر بقدميَّ، المُصفرَّتين بفعل تساقُط حبوب لقاح الصنوبر، وعَرِفتُ أنه سيتعيَّن عليَّ تنظيف حذائي ورُبما حتى تغيير جواربي قبل الذهاب إلى العمل. حيث يتحوَّل كُل شيء إلى اللون الأصفر خلال موسِم حبوب لقاح الصنوبر. السيَّارات، والنباتات، والأسقُف، والنوافِذ، تُغطى جميعًا بضبابٍ ذهبي. كما تحتوي البحيرات وبرك مياه الأمطار على زُبدٍ أصفر حول الحواف.

كانت نافِذة حمَّام داون مُرتفِعة للغاية حتى إنني لم أستطِع النظر بالداخِل. كما كانت قد أسدلَت ستائِر غُرفة النوم، لكنها لم تُغلِقها بإحكام، وهكذا تمكَّنتُ من اختلاس النظر من بين

الشرائِح، استلقَت داون في فراشها على ظهرها. أُلقِيَت أغطية الفراش بعُنف، بينما فُتِحَت ساقاها. تورَّم وجهها وتغيَّر لونه، وبرز لسانها من فمها. وزحفَت عليه ذُبابة ما.

استطعتُ سماع رينيه يأتي من خلفي.

قُلت: "اذهب واتصل بالشُّرطة".

"ماذا تقولين يا سوكي؟ هل ترينها؟".

"اذهب واتصل بالشُّرطة!".

تغلَّب رينيه على رغبة مُتسرِّعة بالفرار قبل أن يقول: "حسنًا، حسنًا!".

جعلني بعض التضامُن النسائي لا أرغَب في أن يرى رينيه داون بهذه الطريقة دون موافقتها، بينما كانت زميلتي النادِلة أبعَد ما تكون عن الموافقة.

وقفتُ وظهري للنافِذة، وشعرتُ بإغراءٍ شديدٍ لإلقاء نظرةٍ أخرى على أمل أن أكون قد ارتكبتُ خطأً في المرَّة الأولى. حدَّقتُ في الشقة المزدوَجة المُجاوِرة لشقّة داون، والتي تقع رُبما على بُعد ستة أقدام، وتساءلتُ كيف بإمكان قاطنيها تجنُّب سماع وفاة داون، والتي كانت عنيفة.

وهُنا جاء رينيه مرَّة أخرى، واحتلَّ تعبيرٌ من القلق الشديد قسمات وجهه الذي لوَّحه الطقس، وبَدَت عيناه البُنيَّتان لامِعتين بشكلٍ مُثيرٍ للريبة.

سألته: "هل يُمكِنك الاتصال بسام أيضًا؟"، فاستدار دون أن ينبِس ببنت شفة وعاد إلى مكانه. لقد كان يُبلي حسنًا. وعلى الرغم من ميله الدائِم للنميمة، إلا أن رينيه قد اعتاد تقديم المُساعدة كُلما رأى مُحتاجًا. تذكَّرتُ قدومه إلى منزِل جدَّتي ليُساعِد جيسون في تعليق أرجوحة الشُّرفة، وهي ذكرى عشوائيّة ليومٍ مُختلفٍ تمامًا عن هذا اليوم.

أشبَهَت الشقّة المزدوَجة المُجاوِرة لداون شقّتها تمامًا، ولذلك نظرتُ إلى شباك غُرفة النوم مُباشرةً. وهُنا... ظهر وجه، وفُتِحَت النافِذة. وخَرَج منها رأس أشعَث ليسألني بصوتٍ رجالي عميق وبطيء: "ماذا تفعلين يا سوكي ستاكهاوس؟".

نظرتُ إليه للحظة، وأخيرًا تعرَّفتُ عليه، وحاولت جاهِدةً ألا أنظُر إلى صدره العاري الناعِم.

"جي بي؟".

"بشحمه ولحمه".

لقد ارتدتُ المدرسة الثانوية مع جي بي دو رون. وفي الواقِع، كان عددٌ لا بأس به من مواعيدي الغراميَّة مع جي بي، الذي كان لطيفًا لكنه أبسَط من أن يهتَم بقراءتي لأفكاره من عدمها. وبإمكانيَ تقدير وسامة جي بي، حتى في ظلِّ ظروف اليوم. فعندما تكون هرموناتك تحت السيطرة كهرموناتي، لا يتطلَّب الأمر الكثير لتأجيجها. تنهَّدتُ عندما رأيتُ ذراعي جي بي المفتولي العضلات وعضلات صدره.

سألني مرَّة أخرى: "ماذا تفعلين هُنا؟".

قُلت دون أن أعرِف إذا ما كان ينبغي عليَّ أن أُخبِره أم لا: "يبدو أن شيئًا سيِّئًا قد حَدَث لداون، لقد أرسلني رئيسي في العمل إلى هُنا لأرى لماذا لم تأتِ إلى العمل".

اندفع جي بي خارِج النافِذة وهو يقول: "وهل هي بالداخِل؟". ولحُسن حظي، لبس بنطالًا قصيرًا.

قُلت وأنا أرفع يدي: "لا تنظُر بالداخِل من فضلك". فجأة... وبدون سابِق إنذار بدأتُ بالبُكاء. لقد فعلتُ ذلك كثيرًا مؤخَّرًا كذلك. تابعت حديثي: "إنها تبدو بحالٍ سيِّئةٍ للغاية يا جي بي".

قال: "أوه يا عزيزتي".

وليُبارِك الله فيه، لفَّ ذراعه حولي ورَبَت على كتفي. لو كانت هُناك أي أنثى في الجوار بحاجةٍ لبعض المواساة، فتلك كانت أولويَّة بالنسبة لجي بي دو رون.

قال بمواساةٍ وكأن من شأن ذلك أن يُفسِّر كُل شيء: "إن داون تُحِب العُنف".

قد يكون الأمر كذلك بالنسبة لبعض الناس، لكن ليس بالنسبة لي.

سألته على أمل أن يكون لديَ منديل في جيب بنطالي القصير: "أي عُنف؟".

نظرتُ إلى جي بي ورأيتُ وجهه يحمَر قليلًا.

قال: "يا عزيزتي، لقد كانت تُحِب... لستِ بحاجةٍ لسماع ذلك يا سوكي".

لقد حظيتُ بسُمعةٍ واسعة النِّطاق فيما يتعلَّق بالفضيلة، وهو الأمر الذي وجدته مُثيرًا للسُّخرية بطريقةٍ ما. أما في الوقت الحالي... فقد كان أمرًا غير مُريحٍ.

قُلت: "يُمكِنك أن تُخبرني، فقد عَمِلتُ معها". وأومأ جي بي برأسه ببطءٍ، وكأن ذلك منطقيٌّ.

قال: "حسنًا يا عزيزتي. إنها تُحِب الرجال أن... تُحب أن يضربوها ويعضُّوها". بدت علامات الاستغراب على وجه جي بي من تفضيلات داون، ولا بُد أن ذلك قد ظَهَر جليًّا على وجهي أيضًا، لأنه قال: "أعرِف، لا يُمكِنني فهم سبب تفضيل بعض الناس لأمورٍ كتلك أيضًا".

لم يكُن من شيَم جي بي أن يتجاهَل فُرصة كهذه، وضع كلتا ذراعيه حولي وبدأ يربُت عليَّ، لكنه بدا أكثر تركيزًا على مُنتصف ظهري (تحقَّق لمعرِفة ما إذا ارتديتُ حمالة صدر) ثُم خفض يده قليلًا (أتذكَّر أن جي بي يُفضِّل المؤخِّرات القويَّة).

تسارَعَت أسئلة كثيرة على طرف لساني، لكنها ظلَّت حبيسة داخِل فمي. وَصَل شُرطيان إلى المكان، كينيا جونز، وكيفين بريور. من وجهة نظر سُكَّان البلدة، لم يُعيِّن رئيس شُرطة البلدة كينيا وكيفين، سوى بدافِع الاستمتاع بروح الدُّعابة التي يتمتَّع بها، لأن طول كينيا لا يقِل عن مئة وثمانين سنتيمترًا، وبشرتها

بلون الشوكولاتة المُرَّة، كما تمتَّعت ببنيةٍ قويةٍ تصلُح لمُقاوَمة الأعاصير. في حين بلغ طول كيڤين حوالي مئة وسبعين سنتيمترًا، وزيَّن النمش كُل بوصة مرئيّة من جسده الشاحِب، وتمتَّع ببنيةٍ نحيلةٍ خالية من الدهون كجسد عدَّاء. ومن الغريب أن الشُّرطيين اللذين يبدأ اسمهما بحرف الـ"كـ" كانا على وفاقٍ تام، رغم أنهما خاضا عدَّة شجارات لا تُنسى.

والآن، بدا كلاهُما كالشُّرطيين.

سألتني كينيا: "ماذا هُناك يا آنسة ستاكهاوس؟ قال رينيه إن خطبًا ما قد أصاب داون جرين؟". تفحَّصَت جي بي أثناء حديثها، بينما تفحَّص كيڤين الأرضِ من حولنا. لم يكُن لديَّ أي فكرة عن السبب، لكنني كُنت مُتيقِّنة تمامًا من أنه يفعل ذلك مدفوعًا بسببٍ جيّدٍ يعرِفه رجال الشُّرطة.

قُلت: "أرسلني مُديري إلى هُنا لمعرفة سبب تغيُّب داون عن العمل أمس، وعدم حضورها اليوم، طرقت بابها، فلم تُجِبني، لكن سيَّارتها كانت هُنا. شعرتُ بالقلق بشأنها، ولذلك دُرت حول المنزِل مُتفحِّصةً النوافِذ، ووجدتها هُناك". أشرت خلفهما، فاستدار الشُّرطيان لينظُرا إلى النافِذة. ثُم تبادلا نظرة وأومأ كُل منهما برأسه وكأنهما أجريا مُحادثة كامِلة. قبل أن تذهَب كينيا إلى النافِذة، وينطلِق كيڤين نحو الباب الخلفي.

نسيَ جي بي أن يربُت وهو يُراقِب عمل الشُّرطيين. في الواقِع، فَتَح فمه قليلًا، ليكشِف عن أسنانه المثاليَّة. أراد الذهاب

للنظر عبر النافِذة أكثرِ من أي شيء آخر، لكنه لم يتمكَّن من تجاوُز كينيا، التي احتلَّت أي مساحة مُتاحة إلى حدٍّ كبير.

لم أعُد أرغَب في أفكاري الخاصَّة بعد الآن. استرخيت، وخفضتُ أسوار حصون دفاعي، واستمعتُ إلى أفكار الآخرين. ومن بين كُل هذا الضجيج، انتقيتُ خيطًا وركَّزتُ عليه.

عادَت كينيا جونز للنظر نحونا دون أن ترانا حقًّا، وغَرِقَت في التفكير في كُل ما يتعيَّن عليها هي وكيڤين فعله لإبقاء التحقيق مثاليًّا بأقصى ما يُمكِن لشُرطة بون تيمبِس القيام به، وفكَّرَت في الأشياء السيِّئة التي سَمِعتها عن داون وعن حُبِّها للجنس العنيف، كما فكَّرَت بأن نهاية داون بهذه الطريقة السيِّئة لم تكُن شيئًا غريبًا، على الرغم من أنها شعرَت بالأسف تجاه أي شخص ينتهي به الأمر والذُّباب يزحَف على وجهه. وشعرَت بالندم على تناوُل تلك الكعكة الإضافيَّة هذا الصباح في (نَت هَت) لأنها قد تتقيَّؤها، ومن شأن هذا أن يُحرِجها بوصفها ضابِطة شُرطة سمراء.

انتقلتُ لأستمِع لقناةٍ أخرى.

انغَمَس جي بي في التفكير في مقتَل داون أثناء مُمارستها للجنس العنيف على بُعد خطوات منه، وعلى الرغم من أن الأمر كان مروِّعًا، إلا أنه كان مُثيرًا بعض الشيء، كما أن جسد سوكي لا يزال جميلًا. وتمنى لو يتمكَّن من مُضاجعتها الآن،

لأنها حُلوة ولطيفة جدًّا. كما تناسى الإهانة التي شَعَر بها عندما أرادته داون أن يضربها، لكنه لم يستطع القيام بذلك، وكانت تلك إهانة قديمة.

غيَّرتُ القناة.

فكَّر كيڤين من موقعه قاب قوسين أو أدنى من رُكن المنزِل أنه من الأفضل له هو وكينيا ألا يُفسِدا أي دليل، وأنه سعيد لأن أحدًا لم يعرِف بمُضاجعته لداون جرين من قبل. كما استشاط غضبًا لأن أحدهم قتل امرأة يعرِفها، وتمنى ألا يكون القاتِل أسود البشرة، كيلا يَزيد ذلك من توتُّر العلاقة بينه وبين كينيا.

غيَّرتُ القناة.

تمنى رينيه لينر أن يأتي شخصٌ ما ليُخرِج الجُثة من المنزِل، وألا يعرِف أحد بمُضاجعته لداون جرين. لم أتمكَّن من تبيُّن أفكاره بالضبط، لأنها كانت سوداء ومُعقَّدة للغاية. حيث إنني لا أستطيع قراءة أفكار بعض الأشخاص بشكلٍ واضح. لقد كان مُضطربًا للغاية.

جاء سام مُسرعًا نحوي، قبل أن يُبطئ من سُرعته عندما رأي جي بي يتحسَّسني. لم أتمكَّن من قراءة أفكار سام، لكنني استطعتُ الإحساس بمشاعره (والتي كانت في الوقت الحالي مزيجًا بين القلق، والترقُّب، والغضب) لكنني لم أستطِع قراءة فكرة واحِدة. وكان هذا رائعًا وغير متوقّع حتى إنه دفعني للخروج من حِضن جي بي، وأردتُ أن أذهَب إلى سام،

وأُمسِك بيده، وأنظُر في عينيه، وأتفحَّص ما يدور في رأسه. تذكَّرتُ المرَّة التي لمسني فيها، فتراجعت. والآن، شَعَرَ بي في دماغه، وعلى الرغم من استمراري في السير نحوه، إلا أن دماغه أجفل مُتراجعًا. وعلى الرغم من دعوته لي، إلا أنه لم يعرِف أنني سأكتشِف أنه يختلِف عن الآخرين. لكنني أدركتُ ذلك قبل أن يُغلِق باب دماغه في وجهي.

لم أشعُر بأي شيءٍ مثل ذلك من قبل قط. يُشبِه الأمر إغلاق باب حديدي في وجهي.

أوشكتُ على التواصُل معه بشكلٍ غريزي، لكن يدي سقطَت إلى جانبي، حين نَظَر سام عمدًا إلى كيڤين، وليس إليَّ.

سأله سام: "ما الأمر أيها الضابِط؟".

"سنقتحِم هذا المنزِل يا سيِّد ميرلوت، ما لم يكُن لديك مِفتاحٌ رئيس".

ولماذا سيمتلِك سام مِفتاحًا؟

قال جي بي في أذني: "إنه مالِك العقار".

قفزتُ في مكاني، قبل أن أسأله بمُنتهى الغباء: "حقًّا؟".

"إنه يمتلِك الشُّقق الثلاث المُزدوجة".

بَحَث سام في جيبه، قبل أن يُخرِج مجموعة من المفاتيح. بَحَث بينها بخبرةٍ، قبل أن يتوقَّف عند مِفتاح بعينه ويَنتشِله من بينها، قبل أن يُسلِّمه إلى كيڤين.

سأله كيفين: "هذا يفتَح البابين الأمامي والخلفي؟". أومأ سام برأسه، دون أن ينظُر إليَّ بعد.

تحرَّك كيفين نحو الباب الخلفي للشقة المُزدوجة، ليختفي على الأنظار، وتحلَّينا جميعًا بالهدوء الكافي حتى إننا سَمِعنا صوت المِفتاح وهو يدور في القِفل. ثُم دلف إلى غُرفة النوم مع المرأة الميِّتة، فتمكَّنَّا من رؤية علامات الاشمئزاز تظهر جليَّة على وجهه عندما شمَّ الرائِحة. غطى أنفه وفمه بإحدى يديه، قبل أن ينحني فوق الجُثة، ويضع إصبعه على عُنقها. نظر عبر النافِذة وهزَّ رأسه لشريكته. أومأت كينيا برأسها وتوجَّهت إلى الشارِع لتستخدِم جهاز لاسلكي سيَّارة الدوريَّة.

سألني جي بي: "اسمعي يا سوكي، ما رأيكِ في الخروج لتناوُل العشاء معي الليلة؟ فقد كان هذا صعبًا عليكِ، ولا بُد أنكِ ترغبين في بعض المرح لتعويض ذلك".

قُلت: "شكرًا يا جي بي". وتابعتُ مُدركةً لأن سام يسمعني: "من اللطيف حقًّا أن تسألني، لكن يراودني شعور بأنني سأعمل لساعاتٍ إضافيّةٍ اليوم".

وللحظة، هَرِبَت المشاعِر من وجه جي بي الوسيم، قبل أن يتسلَّل الفهم ليُدغدِغ دماغه، فقال: "أجل، سيتوجَّب على سام أن يُعيِّن شخصًا آخرَ، لديَّ ابنة عم تعيش في سبرنغ هيل وبحاجةٍ إلى وظيفة، رُبما سأتصِل بها. وسيُمكِننا أن نعيش بعضُنا بجوار بعضاالآن".

ابتسمتُ له، على الرغم من أنني مُتيقِّنة تمامًا من أنها كانت ابتسامة واهِنة للغاية، ووقفتُ بجوار الرجل الذي عملتُ معه لمُدّة عامين.

قال بصوتٍ خافِت: "أنا آسف يا سوكي".

أجبته بصوتٍ خافِتٍ بدوري: "علامَ؟".

هل سيعترِف بما حَدَث بيننا؟ أو بالأحرى... بما لم يحدُث؟

"على إرسالكِ لتفقُّد داون، فقد توجَّب عليَّ أن آتي إلى هُنا بنفسي، لأنني كُنت مُتيقِّنًا من تعلُّقها بشخصٍ جديدٍ ومن أنها بحاجةٍ إلى تذكيرٍ بأنه من المُفترض بها أن تعمَل. وفي المرَّة الأخيرة التي توجَّب عليَّ فيها القدوم إلى هُنا لإحضارها، صَرَخَت فيَ بشدَّة، ولم أرغَب في التعامُل مع ذلك مرَّة أخرى. ولذلك أرسلتكِ إلى هُنا كالجبان، لتجديها بهذه الحالة".

"أنت مليءٌ بالمُفاجآت يا سام".

لم يلتفِت لينظُر إليَّ أو ليُجيبني، لكنه احتضنَ أصابعي بأصابعه. وللحظةٍ طويلة، وقفنا في الشمس نُمسِك بعضُنا بأيدي بعضٍ والناس يتحرَّكون من حولنا. كانت راحة يده ساخِنة وجافَّة، وأصابعه قويّة. وشعرتُ بأنني أتواصَل مع شخصٍ آخرَ حقًّا. ثُم استرخَت قبضته، وتقدَّم ليتحدَّث إلى المُحقِّق، الذي خَرَج من سيَّارته، فبدأ جي بي يسألني كيف كانت داون، ليعود العالَم إلى روتينه القديم نفسه.

كان التناقُض بين العالمين قاسيًا. شعرتُ بالتعب والإرهاق يُصيبانني من جديد، وتذكَّرتُ ما حدث في الليلة السابِقة بتفاصيلَ أكثر مما أردت. بدا العالَم مكانًا سيِّئًا ورهيبًا، وجميع مُقيميه من المُشتبه بهم، أما أنا... فحمل يتجوَّل في وادي الموت بجرسٍ حول رقبته. ذهبتُ إلى سيارتي، وفتحت بابها، وجلستُ في المقعد بشكلٍ جانبي. سأجلِس حين أستطيع، لأنني سأقِف كثيرًا اليوم.

تبعني جي بي. لم يعُد من المُمكِن أن يبتعِد عني الآن، بعد ما اكتشفني من جديد. تذكَّرتُ عندما عقدَت جدَّتي آمالًا عظيمةً على نشوب علاقة دائِمة فيما بيننا، عندما كُنت في المدرسة الثانوية. لكن التحدُّث إلى جي بي، أو حتى قراءة أفكاره، كان أمرًا مُثيرًا للاهتمام مثل قراءة قارئ بالِغ لكتاب تمهيدي لرياض الأطفال. ومن سُخرية القدر وجود مثل هذا المُخ الغبي داخِل هذا الجسد الجميل.

ركع أمامي وأمسَك بيدي، ووجدتُ نفسي أتمنى لو تأتي سيِّدة ذكيَّة غنيَّة لتتزوَّج جي بي، وتعتني به، وتستمتِع بما سيُقدِّمه لها. من المؤكَّد أنها ستحظى بصفقةٍ جيِّدة.

سألته فقط لأُشتِّت نفسي: "أين تعمَل الآن؟".

قال: "في مستودَع والدي".

مثَّلَت هذه الوظيفة ملاذه الأخير، حيث إنه دائمًا ما يعود إليها عندما يُطرَد من الوظائِف الأخرى بسبب قيامه بشيءٍ غبي،

أو عدم الحضور، أو الإساءة البالِغة لأحد المُشرفين. علمًا بأن والده يُدير متجرًا لقطع غيار السيَّارات.

"كيف حال أهلك؟".

"بخير، يجِب أن نقوم بشيءٍ ما معًا يا سوكي".

قُلت لنفسي: لا تُغرني بذلك.

ستغلبني هرموناتي يومًا ما، وتدفعني للقيام بشيءٍ أندم عليه؛ ويُمكِنني القيام بما هو أسوأ من ذلك مع جي بي. لكنني سأصمُد وأتمنى شيئًا أفضَل. قُلت: "شكرًا يا عزيزي، رُبما نفعل ذلك يومًا ما. لكنني مُنزعِجة في الوقت الحالي".

سألني بشكلٍ مُباشِر: "هل تُحبين مصَّاص الدماء هذا؟".

"من أين أتيتَ بهذا؟".

قال: "هكذا أخبرتني داون". قبل أن يكفهِر وجهه عندما تذكَّر أن داون ميِّتة. وسُرعان ما وجدتُ ما قالته داون، عندما مسحت دماغ جي بي، قالت: "إن مصَّاص الدماء الجديد هذا مُعجَب بسوكي ستاكهاوس، رغم أنني سأُناسِبه أكثر. إنه بحاجةٍ لامرأةٍ يُمكِنها تحمُّل بعض المُعاملة القاسية، في حين ستصرُخ سوكي لو لمسها".

من غير المُجدي أن أغضَب من شخصٍ ميِّت، لكنني دلَّلتُ نفسي بالسماح لها بالقيام بذلك لفترةٍ وجيزة.

ثُم تقدَّم المُحقِّق نحونا، فنهض جي بي واقفًا على قدميه قبل أن يتحرَّك مُبتعدًا.

جَلَس المُحقِّق على الأرض أمامي مثلما جَلَس جي بي، لا بُد إذًا أنني أبدو بحالٍ سيِّئة.

سألني: "أنتِ الآنسة ستاكهاوس؟". استخدَم ذلك الصوت الشديد الهدوء الذي يستخدِمه مُعظم المهنيين في أوقات الأزمات، تابع حديثه: "أنا آندي بليفلور".

عاش آل بليفلور في جميع أنحاء بون تيمبِس منذ أن أُسِّسَت، ولذلك لم أشعُر بالاستمتاع أمام وسامته البالِغة. في الواقِع، شعرتُ بالأسف، على ما أعتقد، لأن النظر إلى المُحقِّق بليفلور المفتول العضلات أمرٌ مُمتِعٌ. فقد تخرَّج قبل جيسون، بينما تخلّفتُ عن شقيقته بورشيا بعامٍ دراسي.

حاول التهدئة من روعي، سألني بصوتٍ خافت ليس مُحايِدًا تمامًا: "هل يُبلي شقيقكِ حسنًا؟". وبدا كأنه قد خاض جولة أو اثنتين مع جيسون.

أجبته: "يُبلي حسنًا، حسب الوقت القليل الذي أراه فيه".

"وماذا عن جدتكِ؟".

ابتسمت قائِلة: "وجدتها تزرع الزهور بالخارِج هذا الصباح".

قال: "هذا رائِع". ثُم هزَّ رأسه بصدقٍ، في تعبير يدُل على الإعجاب الممزوج بالدهشة، قبل أن يُضيف: "والآن، لقد فهمتُ أنكِ تعملين في ميرلوت؟".

"أجل".

"وكذلك داون جرين؟".

"أجل".

"متى رأيتها لآخر مرَّة؟".

قُلت: "قبل يومين، في العمل".

شعرتُ بإرهاقٍ شديدٍ بالفعل. أسندتُ رأسي بشكلٍ جانبيٍّ على مسند رأس مقعد السائِق، دون أن أرفع قدمي عن الأرض أو ذراعي عن عجلة القيادة.

"هل تحدَّثتِ معها بعد ذلك؟".

حاولت أن أتذكَّر قبل أن أجيبه: "لا أعتقِد ذلك".

"هل كُنتِ قريبة من الآنسة جرين؟".

"لا".

"ولماذا أتيتِ إلى هُنا اليوم؟".

شرحتُ لك أنني توليتُ وردية داون في العمل البارِحة، وأخبرته بمُكالمة سام التليفونيّة هذا الصباح.

"هل أخبركِ السيِّد ميرلوت عن السبب الذي حال دون قدومه إلى هُنا بنفسه؟".

"أجل، كانت هُناك شاحِنة تُفرِغ حمولتها. وتوجَّب على سام أن يدُل الرجال على مكان وضع الصناديق". كما قام سام أيضًا ببعضِ عمليات التفريغ بنفسه، نصف الوقت، لتسريع العملية قليلًا.

"هل تعتقدين أن هُناك أي علاقة تربِط بين السيِّد ميرلوت وداون؟".

"إنه رئيسها في العمل".

"لا، أقصِد خارِج نطاق العمل".

"لا".

"تبدين واثقة للغاية".

"أنا واثقة للغاية".

"وهل تربِطك علاقة بسام؟".

"لا".

"كيف يُمكِنكِ أن تكوني واثقة لهذه الدرجة إذًا؟".

سؤال جيِّد. لأنني سَمِعتُ من وقتٍ لآخرَ أفكارًا تُشير إلى أنها على الرغم من أنها لا تكره سام، إلا أنها لم تكُن مُعجبة به حقًّا! لكنها لم تكُن إجابةً ذكيَّةً للغاية لأقدِّمها لحضرة المُحقِّق.

قُلت: "لأن سام يُحافِظ على مهنيّة كُل الأمور في الحانة". بدت كحجةٍ واهية، حتى بالنسبة لي. لكن تصادَف أنها الحقيقة الكامِلة.

"هل تعرفين شيئًا عن حياة داون الشخصيَّة؟".

"لا".

"ألم تكونا صديقتين؟".

قُلت: "ليس تمامًا". انجرفَت أفكاري عندما أطرَق المُحقِّق برأسه مُفكِّرًا، أو على الأقل هذا ما بدا عليه الأمر.

"وما السبب في ذلك؟".

"أعتقِد أننا لم نجِد شيئًا مُشتركًا فيما بيننا".

"مثل ماذا؟ أعطِيني مثالًا".

تنهَّدتُ بشدَّة، ونفختُ شفتيَّ في غضب. كيف يُمكِنني أن أضرب له مثالًا، إن لم يكُن بيننا شيءٌ مُشترك؟

قُلتُ ببطء: "حسنًا، لقد تمتَّعَت داون بحياةٍ اجتماعيّةٍ نشِطة، وأحبَّت الوجود برفقة الرجال. لكن فكرة قضاء الوقت مع النساء لم تُعجِبها كثيرًا. وتنحدِر عائِلتها من مونرو، ولذلك لم يكُن لديها روابط عائِلية هُنا. كما أنها تشرَب الخمر، وأنا لا أشربها. وأنا أقرأ كثيرًا، وهو شيء لا تفعله. هل يكفي هذا؟".

تفحَّص آندي بليفلور وجهي لمعرفة إذا ما كُنت أشعُر بالضيق. ولا بُد أنه اطمأن لما رآه.

"إذًا لم تريا بعضكما بعضًا خارِج نطاق ساعات العمل؟".

"هذا صحيح".

"ألا يُعتبَر طلب سام ميرلوت منكِ أن تتفقَّدي داون غريبًا إذًا؟".

قُلت بصرامة: "لا، على الإطلاق". على الأقل، لا يبدو الأمر غريبًا الآن، بعد ما وصف سام نوبة غضب داون، ولذلك تابعتُ حديثي قائِلة: "يقع منزلها في طريقي إلى الحانة، وليس لديَّ أطفال مثل آرلين، وبقية النادِلات يعملن في الحانة. ولذلك كان الأمر سهلًا عليَّ".

قُلتُ لنفسي: هذا معقول للغاية. لأنني لو قُلت إن داون صرخت في وجه سام في المرَّة الأخيرة التي أتى فيها إلى هُنا، لولَّدَ ذلك انطباعًا سيئًا للغاية.

"ماذا فعلتِ بعد انتهاء العمل منذ يومين يا سوكي؟".

"لم أذهب إلى العمل، فقد حظيتُ بيوم عطلة".

"وماذا كانت خطَّتكِ لقضاء هذا اليوم؟".

"أخذتُ حمَّامًا شمسيًّا، وساعدتُ جدَّتي في تنظيف المنزل، ثُم أتانا ضيف".

"ومن يكون هذا الضيف؟".

"بِل كومبتون".

"مصَّاص الدماء".

"هذا صحيح".

"كم تأخَّر السيِّد كومبتون في منزلك؟".

"لا أعرِف. رُبما حتى مُنتصف الليل، أو الساعة الواحِدة صباحًا".

"وكيف بدا بالنسبة لكِ؟".

"بدا على خير ما يُرام".

"لم يبدُ مُنفعلًا؟ أو مُنزعجًا؟".

"لا".

"يجِب أن نتحدَّث إليكِ أكثر في قسم الشُّرطة يا آنسة ستاكهاوس. فسيستغرِق هذا بعض الوقت هُنا كما ترين".

"أظن أنه لا بأس بذلك".

"هل يُمكِنك أن تأتي بعد بضع ساعات؟".

نظرتُ إلى ساعتي قبل أن أقول: "إن لم يُردني سام أن أعمل".

"يتمتَّع هذا بأولويةٍ على العمل في الحانة يا آنسة ستاكهاوس كما تعلمين".

حسنًا! لقد استشطتُ غضبًا. ليس لأنه اعتقد أن التحقيق في جريمة القتل أكثر أهميةً من الذهاب إلى العمل في الوقت المُحدَّد؛ لأنني أتفِق معه في هذا. بل لتحيُّزه غير المُعلَن ضد وظيفتي.

"قد تعتقِد أن وظيفتي لا تعني الكثير، لكنها وظيفة أجيد القيام بها، وأُحبّها. كما أنني أستحِق الاحترام، تمامًا كشقيقتك المُحاميَة يا آندي بليفلور، ولا تنسَ هذا رجاءً. أنا لستُ غبيّة، ولستُ عاهِرة".

احمرَّ وجه المُحقِّق ببطءٍ وبطريقةٍ غير جذَّابة، قبل أن يقول بعناد: "أعتذِر".

كان لا يزال يُحاوِل إنكار العلاقة القديمة، والمدرسة الثانوية المُشتركة، ومعرِفة العائلتين بعضهما ببعض. وفكَّر في أنه قد توجَّب عليه العمل كمُحقِّق في مدينةٍ أخرى، حيث يُمكِنه مُعاملة الناس بالطريقة التي يعتقِد أن ضابِط الشُّرطة يجِب أن يُعامِلهم بها.

قُلت له: "لا، ستكون مُحقِّقًا أفضَل هُنا لو استطعتَ التغلُّب على هذه الفكرة".

اتسعَت عيناه الرماديتان في صدمة، وشعرتُ بالسعادة تغمُرني بشكلٍ طفوليٍّ لأنني تمكَّنت من هزِّه، رغم أنني

تحقَّقتُ يقينًا من أنني سأدفع ثمن هذا عاجلًا أم آجلًا. لطالما فعلت كُلما منحتُ الناس لمحةً عن إعاقتي.

في الغالِب، لم يتمكَّن مُعظَم الناس من الابتعاد عني بسُرعةٍ كافيةٍ عندما كشفتُ لهم عن قُدرتي على قراءة الأفكار، لكن آندي بليفلور كان مفتونًا بالأمر، فقال: "هذا صحيح إذًا". وتنهَّد وكأننا نجلِس في مكانٍ ما بمُفردنا، وليس في ممر شقّة مزدوجة مُتهالِكة في ريف لويزيانا.

قُلت بسُرعة: "لا، انسَ الأمر. جُل ما في الأمر أن بإمكانيَ المعرفة بناءً على الطريقة التي ينظُر بها الناس أثناء تفكيرهم".

فكَّر في فك أزرار بلوزتي عمدًا، لكنني توخَّيتُ الحذر الآن، وعُدتُ إلى حالتي الطبيعيَّة من الحصار المُحصَّن، ولم أقُم بما هو أكثر من ابتسامة مُشرِقة. ورغم ذلك، استطعت معرفة أنني لم أنجَح في خداعه.

قُلت بصرامةٍ وأنا أطوِّح قدميَّ داخِل السيَّارة: "تعالَ إلى الحانة عندما تكون مُستعدًّا للحديث معي، سيُمكِننا الحديث في المخزَن أو في مكتب سام".

عجَّت الحانة بالبشر عندما وصلتُ إليها. استدعى سام تيري بليفلور، ابن عم آندي الثاني لو كُنت أتذكَّر بشكلٍ صحيح، ليعتني بالحانة ريثما يتحدَّث إلى رجال الشُّرطة في منزل داون. خاض تيري حربًا شعواءَ في ڤيتنام، وعاشٍ في قحطٍ بسبب إعاقة حكومية من نوعٍ ما. لأنه جُرِح، وأُسِرَ،

واعتُقِل لمُدَّة عامين، والآن... أصبحَت أفكاره مُخيفة للغاية في أغلب الأحيان، حتى إنني توخيتُ مزيدًا من الحذر كُلما وجدتُ نفسي بالقُرب منه. عاش تيري حياة صعبة، وحتى التصرُّف بطريقةٍ طبيعيةٍ كان صعبًا عليه أكثر مني. من حُسن الحظ أنه لا يُعاقِر الخمر.

قبَّلته اليوم قُبلة خفيفة على وجنته عندما ذهبتُ لجلب صينيتي وغسل يديَّ. وتمكَّنتُ من رؤية لافاييت رينولد، الطبَّاخ، عبر نافِذة المطبَخ الصغيرة، وهو يُقلِّب البُرجر ويغمِس سلَّة البطاطِس المقليَّة في الزيت المغلي. تُقدِّم حانة ميرلوت بعض الشطائِر، وهذا كُل شيء. لا يُريد سام أن يُدير مطعمًا، بل حانة يتوفَّر فيها بعض أنواع الطعام.

قال تيري وهو يرفع حاجبيه: "وما سبب تلك القُبلة؟ ليس الأمر وكأنني لا أتشرَّف بها".

كان تيري أصهَبَ، ورغم أنه كان بحاجةٍ للحلاقة، إلا أنني استطعتُ معرِفة أن الشيب قد غزا شارِبه. قضى تيري الكثير من الوقت بالخارِج، لكن بشرته لم تكتسِب أي سمرة قط، بل خشُنَت واحمرَّت، مما جعل الندبات التي تُزيِّن خده الأيسر تبرز بشكلٍ أكثر وضوحًا، ولم يبدُ أن هذا يُزعِجه أبدًا. ضاجعته آرلين ذاتَ ليلة عندما كانت ثمِلة، وأخبرتني أنه يُعاني من ندوبٍ كثيرة أسوأ من تلك الموجودة على خدّه.

قُلت: "لوجودك هُنا فحسب".

"هل صحيح ما يتداولونه بشأن داون؟".

وضعَ لافاييت طبقين في فتحة التقديم، وغَمز لي برموشه الثقيلة الزائِفة. يضع لافاييت الكثير من مُستحضرات التجميل، واعتدتُ على ذلك حتى إنني لم أعُد أُفكِّر في الأمر بعد الآن، لكن الظل الذي زيَّن به عينيه، أعاد ذكرى الفتى -جيري- إلى ذهني. الذي سمحت له بالذهاب مع مصَّاصي الدماء الثلاثة دون أدنى قدر من الاحتجاج، ورغم أن هذا كان على الأرجَح خاطِئًا، إلا أنه كان واقعيًّا. لم أستطِع منعهم من أخذه، ولن أتمكَّن من إقناع الشُّرطة بمُطاردتهم قبل فوات الأوان، فقد كان يُحتَضَرُ على أي حال، وكان يأخُذ معه أكبر عدد مُمكِن من البشر ومصَّاصي الدماء؛ وقد كان قاتلًا كذلك. أخبرتُ ضميري بأن هذا هو آخر نقاش سنخوضه بشأن جيري.

صاح تيري ليُعيدني إلى أرض الواقِع: "آرلين، البُرجر جاهِز".

جاءت آرلين وحملَت الأطباق، ولم تنسَ أن ترمقني بنظرةٍ تعدني فيها أنها ستستجوِبني في أول فُرصة تسنَح لها. كانت تشارليز توتين تعمَل أيضًا، حيث جاءت لتحل محل إحدى العاملات المُنتظِمات كُلما مرضَت إحداهُن أو لم تحضُر. تمنَّيتُ لو تحل تشارليز محل داون بدوامٍ كامل، فلطالما أحبَبتها.

قُلت لتيري، الذي بدا وكأنه لم يُمانِع فترة الصمت الطويلة التي حظيتُ بها: "أجل، لقد ماتت داون".

"ماذا حدث لها؟".

قُلت: "لا أعلَم، لكن الأمر لم يكُن سلميًّا". فقد رأيت بعض الدماء على الملاءات، ليس كثيرًا، لكنها دماء.

قال تيري: "ماديت؟".

فَهِمتُ قصده على الفور، قُلت: "رُبما". من المؤكَّد أن قاتِل ماديت هو نفسه الشخص الذي فعل ذلك في داون.

بالطبع جاء جميع من في أبرشيَّة رينارد في ذلك اليوم، لو لم يكُن من أجل تناوُل طعام الغداء، فلتناوُل فنجان من القهوة بعد الظهيرة أو كوب من البيرة. ولو لم يتمكَّنوا من تعديل جدول أعمالهم في ذلك الوقت، لانتظروا حتى انتهاء الدوام قبل أن يمروا في طريقهم للمنزل. ستُراهِن على رغبة الناس في الحديث، طالما قُتِلَت شابتان في بلدتنا في شهرٍ واحد؟

عاد سام في حوالي الساعة الثانية، والحرارة تشع من جسده، وقطرات العرق تتكثَّف على وجهه جرَّاء الوقوف في الفناء الذي يفتقِر للظل في مسرح الجريمة. وأخبرني أن آندي بليفلور سيأتي ليتحدَّث معي قريبًا.

قُلت، رُبما بقليلٍ من الكآبة: "لا أعرِف لذلك سببًا، فأنا لم أتسكَّع مع داون أبدًا. هل أخبروك بما حدث لها؟".

قال سام: "لقد خنقها أحدهم بعد ما ضربها قليلًا، لكنهم وجدوا بعض علامات العض القديمة أيضًا، مثل ماديت".

قُلت، ردًّا على تعليقه غير المُعلَن: "هُناك الكثير من مصَّاصي الدماء يا سام".

قال: "سوكي". صُبغَ صوته بالجدية والهدوء، مما ذكَّرني بالطريقة التي أمسَك بها يدي في منزِل داون، ثُم تذكَّرتُ الطريقة التي أغلق بها دماغه، عندما عَرِف أنني كُنت أتقصى، لقد عَرِفَ كيف يُبقيني بالخارِج، تابَع حديثه قائِلًا: "بِل رجل جيِّد كمصَّاص دماء يا عزيزتي، لكنه ليس بشرًا".

قُلت بصوتٍ خافتٍ للغاية لكنه حاد للغاية: "ولا أنت أيضًا يا عزيزي". أوليته ظهري، مُسلَّحةً برغبتي في ألا يعرِف سبب غضبي الحقيقي منه، لكنني أردته أن يعرِف ذلك على أي حال.

عملتُ بأقصى جَهدي. وبغض النظر عن أخطائها، إلا أن داون كانت فعَّالة. لم تتمكَّن تشارليز من مواكبة الوتيرة. أرادت ذلك حقًّا، وكُنت مُتيقِّنة تمامًا من أنها قادِرة على مواكبة وتيرة الحانة، لكن الليلة... سيتوجَّب عليَّ أنا وآرلين أن نتحمَّل المسؤولية.

كسبتُ الكثير من المال من الإكراميات في هذه الليلة، واستمرَّ الأمر حتى حلول الليل عندما اكتشف الناس أنني الشخص الذي اكتشف جُثتها بالفعل. أبقيتُ وجهي رزينًا، وتغلَّبتُ على الأمر فحسب، لأنني لم أرغب في الإساءة للعُملاء الذين لم يُريدوا سوى معرفة ما يُريد جميع سُكَّان المدينة معرفته.

سمحتُ لنفسي بالاسترخاء قليلًا، في طريق عودتي إلى المنزِل. لقد كُنت مُنهكة. وآخر من توقَّعتُ رؤيته، بعد ما قُدت سيارتي على الطريق الصغير الذي يخترِق الغابة ليؤدي إلى منزلنا، هو بِل كومبتون. اتكأ على شجرة صنوبر بانتظاري. تجاوزته قليلًا، وكدتُ أُقرِّر تجاهُله تمامًا، قبل أن أتوقَّف.

فَتَح لي الباب، فخرجتُ دون أن أنظُر في عينيه. بدا مُستريحًا في آناء الليل، بطريقةٍ لم أستطِع أن أكونها قط. فقد شابَت طفولتي الكثير من المُحرَّمات بشأن الليل والظلام والأشياء التي تتخبَّط.

وبالتفكير في الأمر، كان بِل أحد تلك الأشياء، ولذلك لا عجب في أنه قد شعر بالراحة.

سألني بصوتٍ أعلى قليلًا من الهمس: "هل ستنظُرين إلى قدميكِ طوال الليل؟ أم أنك ستتحدَّثين معي؟".

"لقد حَدَث شيء يجِب أن تعرِف بشأنه".

قال: "أخبريني". حاوَل أن يفعل شيئًا بي، لأنني شعرتُ بقوَّته تحوم حولي، لكنني قاومتها، فتنهَّد.

قُلت بضجر: "لا أستطيع الوقوف، لنجلِس على الأرض أو شيء من هذا القبيل، فقدمايَ مُتعبتان".

حملني ووضعني على غطاء السيَّارة ردًّا على ذلك، ثُم وَقَف أمامي، عاقِدًا ذراعيه، وبدا من الواضِح أنه ينتظِر.

"أخبريني".

"لقد قُتِلَت داون، بالطريقة نفسها التي قُتِلَت بها ماديت بيكنز".

"داون؟".

شعرتُ فجأة بتحسُّنٍ طفيفٍ يغزوني، قُلت: "النادِلة الأخرى في الحانة".

"تلك الصهباء التي تتزوَّج كثيرًا؟".

شعرتُ بمزيدٍ من التحسُّن، أجبته: "لا، بل ذات الشعر الداكِن، تلك التي ظلَّت تصدِم كُرسيك بفخذها لتلفِت نظركَ".

"أوه، تلك النادِلة. لقد أتت إلى منزلي".

"داون؟ متى؟".

"بعد ما غادرتِ تلك الليلة، الليلة التي كان فيها مصَّاصو الدماء الآخرون هُناك. إنها محظوظة للغاية لأنهم لم يروها، فقد كانت واثِقة للغاية من قُدرتها على التعامُل مع أي شيء".

رفعتُ ناظري إليه مُتسائِلة: "ولماذا تقول إنها محظوظة للغاية؟ ألم تكُن لتحميها؟".

كانت عينا بِل مُظلمتين تمامًا في ضوء القمر، قال: "لا أعتقِد ذلك".

"أنت...".

"أنا مصَّاص دماء يا سوكي، ولا أفكِّر مثلما تُفكِّرين، ولا أهتم بالناس بشكلٍ تلقائي".

"لكنك قُمت بحمايتي".

"أنتِ مُختلِفة".

"حقًّا؟ أنا نادِلة، مثل داون. وأنحدِر من عائلةٍ متواضعة، مثل ماديت. كيف أختلِف عنهما؟".

كُنت في حالةٍ من الغضب المُفاجئ، وعَرِفتُ ما سيحدُث.

لمس مُنتصف جبهتي بإصبعه البارِد وقال: "مُختلِفة، فأنتِ لستِ مثلنا، ولا مثلهم أيضًا".

شعرتُ بوهجٍ من الغضب الشديد حتى إنه كان شبه عارِم. تراجعتُ وضربتُه، وهو شيء مجنون لأقوم به. بدا الأمر كضرب شاحِنة برِنك مُدرَّعة. رفعني من فوق السيَّارة بلمح البصر وثبَّتني إليه، قَيَّدَ ذراعيَّ إلى جانبيَّ بإحدى ذراعيه.

صرخت: "لا!". ركلته وقاومته، لكن كان من الأفضَل أن أُحافِظ على طاقتي. وفي النهاية... تدليتُ أمامه.

تقطَّعت أنفاسي، وكذلك أنفاسه. لكنني لم أعتقِد أن السبب نفسه كان وراء الأمرين.

سألني: "لماذا تظُنين أنني لا بُد أن أعرِف بما حدث لداون؟". بدا منطقيًّا تمامًا، حتى ليظُن الأمر أن صراعًا لم يحدُث فيما بيننا.

قُلت بغضب: "حسنًا يا سيِّد الظلام، لقد وجدوا آثار عض قديمة على فخذ ماديت، وأخبر رجال الشُّرطة سام بأنهم قد وجدوا آثار عض قديمة على داون كذلك".

ولو تمكَّنت من نعت الصمت في تلك اللحظة بصفةٍ، فستكون: تأمُّلي. وبينما استغرق في التفكير، أو أيًّا كان ما يفعله مصَّاصو الدماء، ارتخت قبضة عناقه. وبدأ يفرُك ظهري دون تركيز بإحدى يديه، وكأنني جرو يئِن.

"أنتِ تُلمِّحين إلى أنهما لم تموتا مُتأثِّرتين بتلك العضَّات".

"لا، بل مُختنقتين".

قال: "إنه ليس مصَّاص دماء إذًا". وقالها بلهجةٍ لا تقبل الشك.

"ولمَ لا؟".

"لو تغذى مصَّاص دماء على هاتين المرأتين، لاستنزفهما بدلًا من خنقهما. ليس هُناك منطِق من إهدارهما بمثل هذه الطريقة".

وفقط عندما بدأتُ أشعُر بالارتياح مع بِل، قرَّر أن يقول شيئًا باردًا للغاية، وخاصًّا بمصَّاصي الدماء للغاية، فتوجَّب عليَّ أن أبدأ من جديد.

قُلت بضجر: "إذًا، فإما أن يكون مصَّاص دماء ماكِرًا يتمتَّع بقدرٍ كبيرٍ من التحكُّم بالنفس، أو أنه شخص مُصمِّم على قتل النساء اللاتي كُنَّ مع مصَّاصي الدماء".

"هممم".

لم أشعُر بالرضا تجاه أي من هذين الاختيارين.

سألني: "هل تعتقدين أنني فعلت ذلك؟".

ضربني السؤال على حين غِرَّة، وتلوَّيتُ في حضنه لأنظُر إليه.

ذكَّرته قائلَةً: "لقد أبديتَ قدرًا لا بأس به من الاهتمام مُقارنةً بقسوة قلبك، ماذا تُريدني حقًّا أن أُصدِّق؟".

كان من الرائِع عدم معرِفة ذلك، وكدت أبتسِم.

قال بِل: "كان بإمكانيَ قتلهما، لكنني لم أكُن لأفعل ذلك هُنا، أو الآن". لم يكُن له أي لون تحت ضوء القمر باستثناء البؤرتين الداكنتين اللتين تُمثِّلان عينيه، وحاجبيه المقوَّسين الداكنين، تابع حديثه قائِلًا: "هذا هو المكان الذي أريد البقاء فيه، أريد وطنًا".

مصَّاص دماء... يتوق لوطن.

قرأ بِل التعبير الذي ارتسم على قسمات وجهي، فقال: "لا تشعُري بالشفقة تجاهي يا سوكي، سيكون ذلك خطأً". وبدا وكأنه يُريدني أن أنظُر في عينيه.

"لا يُمكِنك أن تفتنني يا بِل، أو أيًّا كان ما تفعله. لا يُمكِنك أن تسحرني لسحب قميصي للأسفل كي تعضني، ولا يُمكِنك

إقناعي بأنك لم تكُن هُنا من قبل، ولا يُمكِنك القيام بأي من أعمالك المُعتادة. يجب أن تكون اعتياديًّا معي، أو أن تُجبِرني فحسب".

قال وهو يضع فمه على فمي تقريبًا: "لا، لا يُمكِنني إجبارك".

قاومتُ رغبتي في تقبيله. لكنني على الأقل عَرَفتُ أنها رغبتي الخاصَّة، وليست رغبة مُصطنعة.

قُلتُ وأنا أُكافِح لأمضي قدمًا: "إذًا فإن لم تكُن أنت، فلا بُد من أن ماديت وداون قد عرفتا مصَّاص دماء آخر. فقد ذهبَت ماديت إلى حانة مصَّاصي الدماء في شرِفبورت، ورُبما فعلَت داون ذلك بدورها. هل ستأخُذني إلى هُناك؟".

سألني بفضول: "لماذا؟".

لم أتمكَّن من شرح الشعور بالتعرُّض للخطر لشخصٍ لم يعتد الشعور به، على الأقل ليلًا، كذبتُ عليه قائِلة: "لستُ مُتيقِّنة من أن آندي بليفلور سيُجابِه مُشكلة في ذلك".

قال: "ألا يزال هُناك أفراد من عائِلة بليفلور هُنا؟". وشاب صوته شيءٌ آخر، وتصلَّبت ذراعاه من حولي حتى إنني شعرتُ بالألم.

قُلت: "أجل، هُناك الكثير منهم. آندي مُحقِّق شُرطة، أما شقيقته بورشيا فمُحامية، وابن عمه تيري مُحارِب قديم وساقٍ، ويعمل بدلًا من سام. وهناك الكثير منهم".

"بليفلور...".

بدأ يسحقني بين قبضتيه.

قُلت بصوتٍ حادٍّ مليءٍ بالذُّعر: "بِل".

خفَّف قبضتيه على الفور وقال بطريقةٍ رسمية: "معذرة".

قُلت: "يجِب أن أخلُد إلى النوم، فأنا مُتعبة حقًّا يا بِل".

وضعني على الحصى دون صعوبة، ونظر إليَّ.

قُلت: "قُلت لمصَّاصي الدماء الآخرين إنني أخصُّك".

"أجل".

"وماذا يعني ذلك بالضبط؟".

قال: "يعني أنهم لو حاولوا أن يتغذَّوا عليكِ، فسأقتُلهم، ويعني أنكِ البشرية الخاصَّة بي".

قُلت بحذر: "لا بُد من أن أعترِف بأنني سعيدة لأنك فعلت ذلك، لكنني لستُ واثقة حقًّا مما يتطلَّبه كوني البشرية الخاصَّة بك، ولا أتذكَّر أنني سُئِلتُ عمَّا إذا كان هذا مقبولًا بالنسبة لي".

"مهما كان الأمر، فهو على الأرجح أفضل من الاحتفال مع مالكوم، وليام، وديان".

لم يرغَب في تقديم إجابة مُباشِرة.

"هل ستأخذني إلى الحانة؟".

"متى إجازتك التالية؟".

"بعد ليلتين".

"سنتقابَل عند الغروب إذًا، وسأتولى القيادة".

"هل تملك سيارة؟".

سألني: "وكيف أتنقَّل في الأرجاء برأيكِ؟". ربما ظهرَت ابتسامة على وجهه المُشرِق. استدار وذهب ليذوب في زحام الغابة، قبل أن يقول دون أن ينظُر لي: "اجعليني فخورًا يا سوكي".

تركني واقِفة بفمٍ مفتوحٍ على مصراعيه.

سأجعله فخورًا بالفعل.

(٤)

دارَت أفكار نصف زبائِن حانة ميرلوت حول أن لبِل يدًا في العلامات التي زيَّنت جُثتي المرأتين. بينما دارَت الخمسون بالمئة المُتبقِّيَة حول أن بعض مصَّاصي الدماء القادمين من بلدات أو مُدن أكبر حجمًا قد عضُّوا ماديت وداون عندما كانتا بالخارِج ترتادان بعض الحانات، وأنهما تستحِقان ما حدث لهما، طالما أنهما اشتهتا مُضاجعة مصَّاص دماء. في حين فكَّر البعض في أن الفتاتين تعرَّضتا للخنق على يد مصَّاص دماء، والبعض الآخر في أنهما واصلتا شق طريقهما غير الشرعي حتى انتهى بهما الأمر في الكارِثة.

لكن القلق انتاب كُل من جاء إلى حانة ميرلوت بشأن مقتل امرأة أخرى كذلك. لم أتمكَّن من إحصاء المرَّات التي طُلِب مني فيها أن أتوخى الحذر، وأن أراقِب صديقي بِل كومبتون، وأن أُغلِق بابي، وألا أسمَح لأي أحد بدخول منزلي... وكأنني لا أفعل تلك الأشياء عادةً.

جاء جيسون لإبداء بعض التعاطُف وبعض الشك بوصفه رجلًا واعَد كلتا المرأتين. لقد مرَّ بالمنزِل ذات يوم وبقيَ هُناك لحوالي ساعة كامِلة، بينما حاولتُ أنا وجدَّتي تشجيعه على

الاستمرار في عمله مثلما سيفعل أي رجل بريء، لكن وللمرَّة الأولى حسبما أتذكَّر، شَعَر شقيقي الوسيم بالقلق حقًّا. لم أكُن سعيدةً تمامًا لأنه في ورطة، لكنني لستُ آسِفة عليه كذلك. وأعلم أنه تصرُّفٌ وضيعٌ ومُثيرٌ للشفقة مني.

لكنني لستُ مثالية.

لستُ مثالية حتى إنني وعلى الرغم من موت امرأتين كُنت أعرِفهما، أمضيت قدرًا كبيرًا من الوقت أتساءل عما قصده بِل بجُملة "اجعليني فخورًا". ولم يكُن لديَّ أي فكرة عن الزي المُناسِب لزيارة حانة مصَّاصي الدماء، ولم أرغب في ارتداء أي زي غبي، كما سَمِعتُ أن بعض زوَّار الحانة قد فعلوا.

وبكُل تأكيد... لم أعرِف أي شخص يُمكِنني سؤاله.

لم أكُن طويلة أو نحيلة بما يكفي لارتداء هذه الملابِس الضيِّقة المصنوعة من الألياف اللدْنة التي ارتدتها ديان مصَّاصة الدماء.

أخيرًا، جذبتُ فستانًا من الجُزء الخلفي لخزانة ملابسي، فُستانًا لم تواتِني فُرصة مُناسِبة لارتدائه. كان فُستانًا لطيفًا يصلُح لموعد، لو رغبتُ في المصلحة الشخصيّة للشخص الذي أواعِده. كان مقصوصًا بشكلٍ مُربعٍ ومُنخفضٍ عند الرقبة، وبلا كُمين، وضيِّقًا وأبيض اللون، وتناثرت زهور حمراء زاهية ذوات سيقان خضراء طويلة على قِماش الفُستان بشكلٍ رقيق. أبرَز سمرتي، وأظهَر ثديي. كما لبستُ قرطين من

المينا الحمراء، وحذاء أحمر عالي الكعب، وأمسكتُ بمحفظةٍ صغيرةٍ من القش الأحمر. وضعتُ القليل من مُستحضرات التجميل، وصفَّفتُ شعري المموَّج لينسدِل على ظهري.

فتحَت جدتي عينيها على مصاريعهما عندما خرجتُ من الغُرفة.

قالت: "تبدين جميلة للغاية يا عزيزتي، لكن ألن تشعُري ببعض البرد في هذا الفُستان؟".

ابتسمتُ قائِلة: "لا أعتقِد ذلك يا سيِّدتي، الجو دافئ للغاية بالخارِج".

"ألا ترغبين في ارتداء سُترة جميلة بيضاء فوق ذلك الفُستان؟".

ضَحِكتُ قائِلة: "لا، لا أعتقِد ذلك".

طردتُ مصَّاصي الدماء الآخرين من ذهني حتى عاد المظهر المُثير جيِّدًا مرَّة أخرى. فقد انتابني الحماس الشديد للخروج في موعد، رغم أنني طلبته من بِل بنفسي، وكان أقرب لمُهِمّة تقصي حقائِق. حاولتُ أن أنسى هذا الأمر أيضًا، لأتمكَّن من الاستمتاع بنفسي.

اتصل بي سام ليُخبرني أن راتبي جاهِز. وسألني إذا كنت سآتي لاستلامه، وهو الشيء الذي عادةً ما فعلته لو لم أكُن سأعمَل في اليوم التالي.

قُدتُ سيارتي ذهابًا إلى ميرلوت، وشعرتُ بالقلق ينتابني للذهاب وأنا مُتأنِّقة بهذه الطريقة.

عندما وصلتُ إلى الباب، حصلتُ على لحظة صمت شابها الذهول. كان ظهر سام لي، لكن لافاييت طالعني عبر فتحة التقديم، كما جَلَس رينيه وجي بي إلى البار. ولسوء حظي، جَلَس شقيقي، جيسون، هُناك بدوره، واتسعَت عيناه بدهشةٍ عندما التفتَ ليرى ما الذي يُحدِّق به رينيه.

صاح لافاييت بحماس: "تبدين بحالٍ جيِّدةٍ يا فتاة! من أين لكِ هذا الفُستان؟".

قُلت بسُخرية: "عجبًا، لطالما امتلكت هذا الشيء القديم منذ البداية". فضَحِك.

التفتَ سام ليرى إلامَ يُحدِّق لافاييت، قبل أن تتسِع عيناه دهشةً بدوره.

قال بانبهار: "يا إلهي المجيد". اتجهتُ نحوه وسألته عن شيك راتبي، والخجل الشديد يغمُرني تمامًا.

قال: "تعالي إلى المكتب يا سوكي".

تبعته إلى حُجيرته الصغيرة التي تقبع بجوار المخزن. عانقني رينيه نصف عِناق عندما مررتُ بجواره، وقبَّلني جي بي على وجنتي.

نقَّب سام في أكوام الورق التي تعلو سطح مكتبه، حتى وجد شيك راتبي في النهاية. لكنه لم يُسلِّمه لي رغم ذلك.

سألني سام، على مضضٍ تقريبًا: "هل ستذهبين إلى مكانٍ خاص؟".

قُلت، محاولة أن أتسِم بالواقعيّة: "لديَّ موعِد".

قال سام: "تبدين رائِعة". رأيته يبتلِع ريقه بصعوبة، وهو ينظُر لي شزرًا.

"شكرًا لك. هل... يُمكِنني الحصول على شيك راتبي يا سام؟".

قال: "بالتأكيد".

أعطاني إياه، فدسسته في حقيبتي.

"وداعًا إذًا".

قال: "وداعًا". لكن بدلًا من أن تحمِل كلِمته إشارة بوجوب الرحيل، تقدَّم سام وبدأ يتشمَّمني. قرَّب وجهه من عُنقي واستنشَق، قبل أن يُغلِق عينيه الزرقاوين اللامعتين لفترةٍ وجيزة، وكأنه ينوي تقييم عطري. ثُم زَفَر بلُطفٍ، فشعرتُ بأنفاسه الساخِنة على جلدي.

خرجتُ من الباب، وغادرتُ الحانة في حيرةٍ من أمري واهتمامٍ بسلوك سام.

عندما وصلتُ إلى المنزِل، وجدتُ سيَّارة غريبة تقِف أمام المنزِل، سيَّارة كاديلاك سوداء، تلتمِع ككأسٍ زُجاجي. لا بُد أنها سيَّارة بِل. تساءلت: من أين لهم بالمال الكافي لشراء هذه السيَّارات؟ ثُم هززتُ رأسي، وصعدتُ درجات الشُّرفة الأماميَّة ودخلتُ إلى المنزِل. التفتَ بِل نحو الباب بترقُّب؛ من مجلسه على الأريكة ليتحدَّث إلى جدتي، التي جلسَت على أحد ذراعي مقعد قديم محشو.

عندما رآني، تحقَّقتُ يقينًا من أنني قد بالغتُ في الزي، ومن أنه يستشيط غضبًا. ظلَّ وجهه ثابتًا تمامًا، لكنه نظر لي شزرًا، وانحَنَت أصابِعه وكأنه يستخدِمها كمغرفة.

سألته بقلق، وأنا أشعُر بوجنتي تحمرَّان خجلًا: "هل هذا جيِّد؟".

قال أخيرًا: "أجل".

لكنه توقَّف لفترةٍ طويلةٍ بما يكفي لإثارة غضب جدَّتي. فقالت بصوتٍ ودود ظاهريًّا، لكنه صارِم فيما عدا ذلك: "سيتوجَّب على أي شخص يمتلِك ذرة من العقل أن يعترِف بأن سوكي إحدى أجمل الفتيات على الإطلاق".

وافقها القول بصوتٍ يفتقِر إلى أي عطف بشكلٍ مُثيرٍ للفضول: "أجل".

حسنًا، تبًّا له!، لقد بذلتُ قصارى جُهدي. استقمتُ في وقفتي وقُلت: "هلَّا ذهبنا إذًا؟".

قال مرَّة أخرى: "أجل". ثُم وقف قبل أن يُضيف: "وداعًا يا سيِّدة ستاكهاوس، لقد كان من دواعي سروري رؤيتكِ مرَّة أخرى".

أجابته بهدوء: "حسنًا، ليحظَ كلاكما بوقتٍ جيِّد، وقُد بحذرٍ يا بِل، ولا تشرب كثيرًا".

رفع أحد حاجبيه وهو يقول: "لن أفعل يا سيِّدتي".

وتركت جدَّتي قوله يمضي قدمًا.

فَتَح لي بِل باب السيَّارة، وأبقاه مفتوحًا حتى دخلت وأنا أقوم بسلسلةٍ من المناورات المحسوبة لإبقاء أكبر قدر مُمكِن من جسدي داخِل الفُستان. ثُم أغلَق الباب ورَكِب في مقعد السائِق. تساءلتُ عمَّن علَّمه كيفيَّة قيادة السيَّارة، رُبما كان هنري فورد بنفسه.

قُلت دون أن أنظُر إليه: "أنا آسفة لأنني لم أختَر الزي الصحيح".

تقدَّمنا ببطءٍ على الطريق الوعر الذي يقودنا إلى الغابة، وترنَّحَت السيَّارة حتى توقَّفَت.

سألني بِل بصوتٍ لطيفٍ للغاية: "من قال ذلك؟".

صحتُ به: "لقد نظرتَ لي وكأنني ارتكبتُ خطأً ما".

"بل كُنتُ أُشكِّك في قُدراتي على إدخالكِ وإخراجكِ من هُناك دون أن أضطر لقتل شخص يُريدكِ".

سألته وأنا ما زلتُ على العهد في عدم النظر إليه: "يا لك من شخصٍ ساخر".

قبضَ بيده على مؤخِّرة عُنقي، وأجبرني على النظر إليه، قبل أن يسألني: "هل أبدو كشخصٍ ساخِر؟".

كانت عيناه الداكنتان واسعتين، ولا ترمِشان.

اعترفتُ قائِلة: "حسنًا... لا".

"تقبَّلي ما قُلته إذًا".

أحكَم الصمت قبضته على جُزءٍ كبيرٍ من رحلتنا إلى شرِيفبورت، لكن الأمر لم يكُن مُزعِجًا، فقد شغَّل بِل بعض الأشرطة في مُعظَم الأوقات، كما بدا مُنحازًا للغاية لكيني جي*.

تقع حانة "فانغتازيا"** الخاصَّة بمصَّاصي الدماء في منطِقة تسوُّق بضواحي شرِيفبورت، بالقُرب من محل "سام" ومتجر "تويز آر أص". كانت في قطاع التسوُّق، الذي أغلَقَت جميع متاجِره أبوابها في هذه الساعة باستثناء الحانة. ارتفع اسم المكان مكتوبًا باللون الأحمر الجازاني فوق الباب، بينما طُلِيَت الواجِهة باللون الرمادي المُميِّز للفولاذ، وتوسَّطها باب أحمر فاضِحًا تبايُن الألوان. لا بُد من أن مالِك هذا المكان قد

---

* كيني جي: عازِف ساكسفون أمريكي ناجِح. (المُترجِم)

** فانغتازيا: تلاعُب بالكلمات عن طريق مزج كلمتين هُما فانغ والتي تعني "ناب" وتُشير عادةً إلى مصَّاصي الدماء، وفانتازيا. (المُترجِم)

اعتقد أن اللون الرمادي أقل وضوحًا من اللون الأسود، لأن الديكور الداخلي كان مُزيَّنًا بالألوان أنفسها.

أوقفتني مصَّاصة دماء لتتفحَّص هويتي على باب الحانة. بالطبع تعرَّفت على بِل بوصفه أحد أبناء جنسها وحيَّته بإيماءةٍ لطيفةٍ برأسها، لكنها تفحَّصتني باهتمام. كانت شاحِبة كالطباشير، كجميع مصَّاصي الدماء القوقازيين، كما كانت لافِتةً للنظر في فُستانها الأسود الطويل بكُمَّيْه الطويلين. تساءلتُ عمَّا إذا كانت نظرة "مصَّاصة الدماء" المُبالغ فيها التي ارتسمَت على وجهها هي إحدى شيَمها الخاصَّة، أم أنها تسلَّحت بها لأن الزبائِن البشريين اعتقدوا أنها مُناسِبة.

قُلت: "لم يفحَص أحد هويتي منذ سنوات". وبحثتُ عن رُخصة قيادتي في حقيبتي الحمراء، حيث وقفنا في رواق مدخَل صندوقي الشكل.

قالَت بما يُفترَض بها أن تكون ابتسامة لطيفة: "لم يعُد بإمكانيَ تحديد أعمار البشر بعد الآن، ويجِب أن نتوخى الحذر الشديد كيلا نخدِم أي قاصرين". ثُم رمقَت بِل بنظرةٍ جانبيةٍ، وعيناها تتحرَّكان للأعلى وللأسفل في اهتمامٍ هجومي، عليَّ أنا على الأقل.

ثُم قالَت له بصوتٍ هادئ وعذبٍ يُشبِه صوته: "لم أرك منذ بضعة شهور".

أجابها: "أنا أقوم بالتعميم". فأومأت برأسها.

همستُ له أثناء سيرنا في الرواق القصير وعبورنا للأبواب الحمراء المزدوجة نحو القاعة الرئيسة: "ماذا كُنتَ تقول لها؟".

"بأنني أحاوِل العيش بين البشر".

رغبتُ في سماع المزيد، لكنني ألقيتُ أول نظرة شامِلة على التصميم الداخلي لحانة "فانغتازيا". اصطبغ كُل شيء بالألوان الرمادي، والأسود، والأحمر. وبُطِّنَت الجدران بصور مؤطَّرة لكُل مصَّاص دماء سينمائي كشف عن نابيه على الشاشة الفضيَّة، بدءًا من بيلا لوجوسي، مرورًا بجورج هامِلتون، ووصولًا لغاري أولدمان، ومن الشهير إلى الغامِض. وبالطبع كانت الإضاءة خافِتة، ولم يكُن هُناك شيء غير معتاد في ذلك؛ أما غير المعتاد فهو الزبائِن، والعلامات المُعلَّقة.

امتلأت الحانة عن آخرها، وانقسَم الزبائِن البشريون بين مجموعات مصَّاصي الدماء والسُّيَّاح. ارتدى أعضاء الجماعة (جماعة مُحبي الأنياب، كما يُطلَق عليهم) أفضل أزيائهم أناقة. والتي تراوَحت بين العباءات والبدلات التقليديَّة بالنسبة للرجال، والعديد من المُتشبِّهات بباتريسيا آدامز بين النساء. بينما تراوَحَت الملابِس بين نُسخ من تلك التي ارتداها براد بيت وتوم كروز في فيلم "مُقابلة مع مصَّاص دماء" وحتى بعض الملابِس الحديثة التي تأثَّرَت بوضوح بفيلم "الجوع". كما ارتدى بعض (مُحبي الأنياب) أنيابًا مُزيَّفة، ورَسَم بعضهم

الآخر قطرات من الدماء من زوايا أفواههم، أو علامات ثقوب على أعناقِهم. لقد كانوا غير عاديين، ومُثيرين للشفقة بشكلٍ غير اعتيادي.

في حين بدا السُّيَّاح مثل السُّيَّاح في أي مكانٍ آخر، ورُبما أكثر ميلًا للمُغامَرة من مُعظمهم. لكن للتحلي بروح الحانة، ارتدوا جميعًا الملابِس السوداء مثل (مُحبي الأنياب). رُبما كان ذلك جُزءًا من برنامِج سياحي؟ (اتشِح بالسواد من أجل زيارتك المُثيرة لحانة مصَّاصي دماء حقيقيَّة! اتبع القواعِد، وستكون بخير، لتُلقي نظرةً على هذا العالم السُّفلي الغريب).

وتناثَر مصَّاصو الدماء -رُبما خمسة عشر منهم- بين مجموعات البشر، كما تتناثَر المجوهرات الحقيقية في صندوقٍ من الماسات المُزيَّفة. وفضَّل مُعظمهم ارتداء الملابِس الداكِنة أيضًا.

وقفتُ في مُنتصف المكان، أتلفَّتُ حولي باهتمام، ودهشةٍ، وبعض النفور، فهمس بِل: "تبدين كشمعةٍ بيضاء في قلبٍ منجم للفحم".

ضَحِكتُ، ثم سرنا بين الطاوِلات المُتناثِرة في الأرجاء نحو البار. هذا هو البار الوحيد الذي رأيته على الإطلاق يعرِض عبوات من الدم الدافئ المُعلَّب. طلب بِل واحِدة بطبيعة الحال، بينما أخذتُ نفسًا عميقًا وطلبتُ كأسًا من الجِن والتونيك. ابتسَم لي الساقي، وكَشَف لي عن أن أنيابه

قد برزَت قليلًا مدفوعةً بمُتعة خدمتي. حاولتُ أن أبتسِم وأن أبدو متواضِعة في الوقت نفسه. كان من الهنود الحُمر، بشعرٍ أسود طويلٍ وأملس، وأنفٍ خشن، وفم بشفتين نحيلتين، وبنية مَرِنة.

قال الساقي: "كيف حالك يا بِل؟ لم نرك منذ وقت طويل. هل هذه هي وجبتك الليلة؟". ثُم أومأ برأسه نحوي وهو يضع مشروباتنا على البار أمامنا.

"هذه صديقتي سوكي، ولديها بعض الأسئِلة التي تحتاج إلى إجابات".

قال الساقي وهو يبتسِم لي مرَّة أخرى: "تحت أمرِك يا جميلة الجميلات". ووجدتُ نفسي أُحِبّه أكثر عندما يُغلِق فمه.

سألته وأنا أُخرِج صورتي ماديت وداون المنشورتين في الصحيفة من حقيبتي: "هل رأيتَ إحدى هاتين المرأتين هُنا في الحانة؟". ثُم أخرجتُ صورة شقيقي، ببعض الشك وأضفتُ: "أو هذا الرجُل؟".

قال الساقي وهو يبتسِم لي مرَّة أخرى: "أجل... رأيتُ المرأتين، ولا... لم أرَ الرجُل، رغم أنه يبدو لذيذًا، إنه شقيقكِ على الأرجح؟".

"أجل".

همس: "يا لنظرية الاحتمالات".

من حُسن حظي أنني حظيتُ بتدريبٍ مُكثَّفٍ على التحكُّم في الوجه، سألته: "هل تتذكَّر مع من تسكَّعت هاتان المرأتان؟".

أجابني بسُرعة قبل أن يتجهَّم وجهه: "هذا سؤال لا أعرِف إجابته، وهذا شيء لا نُلاحظه هُنا. ولن تفعلي ذلك بدوركِ".

قُلتُ بأدبٍ مُدرِكة أنني قد انتهكت إحدى قواعِد الحانة لتوّي: "شكرًا جزيلًا". فمن الخطير أن نسأل عمَّن غادَر المكان، ومع مَن غادر، كما هو واضِح، تابعتُ حديثي: "أُقدِّر لك هذا".

نظر إليَّ مُتدبِّرًا، قبل أن يُشير إلى صورة داون قائلًا: "أرادت تلك المرأة... أن تموت".

"وكيف عَرفتَ ذلك؟".

قال بشكلٍ واقعيٍّ، حتى إنني تمكَّنت من معرفة أنه يعرِف ذلك يقينًا: "كُل من يأتي إلى هُنا يرغَب في الموت، بشكلٍ أو بآخر، فهذا ما نُمثِّله... الموت".

ارتجفتُ. أمسكني بِل من ذراعي وجذبني إلى إحدى الطاوِلات التي فرغَت لتوّها. وتأكيدًا لتصريح الرجل الهندي، عُلِّقَت لافِتات جدارية على مسافاتٍ مُتباعِدةٍ تنُص على: "ممنوع العض في مقر العمل" أو "ممنوع التسكُّع في ساحة انتظار السيارات" أو "تولَّ أمورك الشخصيَّة في مكانٍ آخر" أو "رعايتك موضِع تقدير، أما المضي قدمًا فعلى مسؤوليتك الشخصيَّة".

انتزع بِل غطاء الزُّجاجة بإصبعٍ واحدٍ ورشف رشفة. حاولتُ ألا أنظُر إليه، لكنني فشلتُ. وبالطبع رأى التعبير الذي ارتسمَ على وجهي، وهزَّ رأسه قائلًا: "هذا هو الواقِع يا سوكي، أنا بحاجةٍ إليه لأعيش".

تلطَّخَت أسنانه ببُقعٍ حمراء.

قُلت، محاولةً أن أتماشى مع واقعية حديث الساقي: "بالطبع". ثُم أخذتُ نفسًا عميقًا قبل أن أسأله: "هل تعتقِد أنني أرغب في الموت لأنني أتيتُ إلى هُنا معك؟".

قال: "أعتقِد أنكِ ترغبين في معرفة سبب وفاة أشخاص آخرين". لكنني لم أكُن مُتيقِّنة تمامًا من أن هذا هو ما اعتقده حقًّا.

لم أكُن أعتقِد أن بِل قد أدرك أن وضعه الشخصي محفوفٌ بالمخاطِر. ارتشفتُ رشفةً من شرابي، وشعرتُ بدفء الجِن المُزدهِر ينتشِر بداخلي.

اقترَبَت إحدى (مُحبي الأنياب) من طاوِلتنا. ورغم أن بِل حاول إخفائي بشكلٍ جُزئيٍّ، إلا أن الأمر لم يؤتِ ثماره، فقد رأوني جميعًا أدخُل إلى المكان بصُحبته. كانت نحيلة، وذات شعر مُجعَّد، وتلبس نظارة وضعتها في حقيبتها أثناء رحلة سيرها إلينا. اتكأت على الطاوِلة وقرَّبت فمها للغاية من فم بِل.

قالَت بصوتٍ تمنَّت أن يكون مُغريًا: "مرحبًا أيها الخطير". ثُم ربتَت على زُجاجة دماء بِل بظفرٍ مطلي باللون القُرمزي وهي

تُضيف: "لديَ دماء حقيقيَّة". وضربَت عُنقها لتتحقَّق من أنه قد فَهِمَ قصدها.

أخذتُ نفسًا عميقًا للسيطرة على أعصابي، فأنا من دعوتُ بِل للقدوم لهذا المكان؛ ولم يدعُني هو. وليس بإمكانيَ التعليق على ما سيختار أن يفعله هُنا، رغم أنني حظيتُ بصورةٍ ذهنيةٍ حيَّةٍ بشكلٍ مُدهشٍ بشأن ترك علامة صفعة على الوجنة المُنمَّشة لتلك العاهِرة الشاحِبة. بقيتُ ساكِنة تمامًا كيلا أعطي بِل أي إشارات حول ما أُريد.

قال بِل بلُطف: "لديَّ رفيقة".

قالت الفتاة مُعترِفة بوجودي بنظرة ازدراء: "لكنها لا تملِك أي علامات عضٍّ على عُنقها". ورُبما قالت أيضًا: "دجاجة جبانة!". ورفرَفت بيديها كالأجنِحة. وتساءلتُ لو كانت النيران تلتهِب خارِجةً من عيني المليئتين بالغضب.

قال بِل مرَّة أخرى، دون أن يبدو لطيفًا هذه المرَّة: "لدي رفيقة".

قالت وعيناها الكبيرتان الشاحبتان تلتمِعان بالإهانة: "أنت لا تعرِف ما تفتقِده".

قال: "بل أعرِف".

تراجَعَت وكأنني صفعتها بالفعل، ثُم اندفعت نحو طاوِلتها.

ومما أثار اشمئزازي أنها كانت أول أربعة. يرغَب هؤلاء الأشخاص -الرجال منهم والنساء- في علاقةٍ حميمةٍ مع مصَّاص دماء، ولا يخجلون من ذلك.

وتعامَل بِل بهدوءٍ معهم جميعًا.

سألني بعد أن غادَرنا رجل في الأربعين من عُمره بعينين دامعتين بسبب رفض بِل: "لماذا لا تتحدَّثين؟".

أجبته بقدرٍ كبيرٍ من ضبطِ النفس: "لا يوجد ما يُقال".

"كان بإمكانكِ مُساعدتي في صرفهم. هل تُريدينني أن أترُككِ؟ هل يلفت انتباهكِ شخص آخر هُنا؟ لأنه يُمكِنني معرِفة أن لونغ شادو، الساقي، يرغَب في قضاء الوقت برفقتكِ".

قُلت: "لا! بحق السماء!". لم أكُن لأشعُر بالأمان مع أي من مصَّاصي الدماء الآخرين الموجودين هُنا في الحانة، بل وسأشعُر بالرُّعب لأنهم مثل ليام أو ديان. حدَّق بي بِل بعينيه الداكنتين وبدا وكأنه ينتظرني لأقول شيئًا آخرَ، فأضفت: "رغم أنه قد توجَّب عليَّ أن أسألهم لو كانوا قد رأوا داون وماديت هُنا".

"هل تُريدينني أن آتي معكِ؟".

قُلت: "من فضلك". وبدوتُ خائِفة أكثر مما أردتُ. قصدتُ أن أسأله كما لو أنه من دواعي سروري أن أحظى برفقته.

قال: "لقد تفحَّصكِ مصَّاص الدماء الوسيم الذي يجلِس هُناك مرَّتين". وتساءلتُ عمَّا إذا كان يستشيط غضبًا.

قُلت بعد لحظة وأنا مُسلَّحة بالشك: "أنت تستفزني".

كان مصَّاص الدماء الذي أشار إليه وسيمًا، بل ومُشعًّا في الواقِع؛ أشقر بعينين زرقاوين، طويل القامة، وعريض المنكبين. كما ارتدى حذاءً طويل الرقبة، وبنطالًا من الجينز، وسُترة. بدا أشبه بالرجال الذين يظهَرون على أغلِفة الروايات الرومانسيَّة، وأخافني حتى الموت.

قال بِل: "يُدعى إريك".

"كم عُمره؟".

"الكثير، إنه أكبر الموجودين في هذه الحانة سنًّا".

"هل هو قاسٍ؟".

"جميعنا قُساة يا سوكي. فنحن أقوياء وعنيفون للغاية".

قُلت: "أنت لست قاسيًا". رأيته يتجهَّم، فأضفتُ: "أنت ترغَب في العيش بين البشر، ولن تقوم بأشياءَ مُعاديةٍ للمُجتمع".

قال بضحكةٍ قصيرة: "وها أنتِ ذي، تنطقين بشيءٍ ذكي، فقط عندما اعتقدتُ أنكِ ساذجة للغاية لتسيري في الأرجاء وحدكِ. حسنًا، سنذهب للتحدُّث إلى إريك".

جَلَسَ إريك -الذي تفحَّصني مرَّة أو اثنتين حقًّا- مع مصَّاصة دماء جميلة مثله تمامًا. وكانا قد صدَّا بالفعل بعض الهجمات التي شنَّتها جحافِل البشر عليهما. بل وفي الواقِع، زحفَ شاب مُتيَّم على الأرض بالفعل ليُقبِّل حذاء الأنثى، فحدَّقت به قبل أن تركُله في كتفه. يُمكِنك بكُل سهولة معرفة أنها قد بذلَت جُهدًا مُضنيًا كيلا تركُله في وجهه. أجفل السائحون، ونهض زوجان منهم ليُغادِرا في عجلةٍ من أمرهما، لكن (مُحبي الأنياب) بدوا وكأنهم قد اعتادوا هذا المشهد.

وعندما اقتربنا، رفع إريك ناظريه عابسًا، حتى أدرك هوية المتسلِّلين نحوهما.

قال وهو يومئ برأسه: "بِل". بدا لي أن مصَّاصي الدماء لا يتصافحون.

وبدلًا من السير إلى الطاوِلة مُباشرةً، وقف بِل على مسافةٍ حذرةٍ منها، وبما أنه أمسَك بذراعي من فوق المرفق، فقد تحتَّم عليَّ أن أقِف بدوري. يبدو أن هذه هي المسافة اللطيفة التي تُناسِب هذين الزوجين.

سألته الأنثى: "ومن تكون صديقتك؟". ورغم أن لكنة خفيفة قد شابَت حديث إريك، إلا أن المرأة تحدَّثَت بأمريكيةٍ خالِصة، كما أشارَ وجهها المُستدير وملامحها الحُلوة إلى انحدارها من أصولٍ ريفية. ثُم ابتسمَت، فبرز ناباها، مما دمَّر تلك الصورة تمامًا.

قُلت بأدب: "مرحبًا، أنا سوكي ستاكهاوس".

قال إريك: "يا لكِ من حُلوة". تمنَّيتُ لو أنه يقصِد شخصيتي.

قُلت: "ليس بشكلٍ خاص".

حدَّق إريك في وجهي مَدهوشًا للحظة. ثُم ضَحِك، وهكذا فعلت المرأة.

قال مصَّاص الدماء الأشقر: "هذه بام، وأنا إريك يا سوكي". أومأ بِل وبام برأسيهما بإيماءة مصَّاصي الدماء.

ثُم سادَت لحظة من الصمت. كدت أتحدَّث خلالها، لولا أن بِل ضغط على ذراعي.

قال بِل: "تود صديقتي سوكي أن تطرَح عليكما بعض الأسئِلة".

تبادَل مصَّاصا الدماء النظرات بملل.

قالت بام بصوتٍ ملأه الازدراء: "كم يبلُغ طول أنيابنا؟ وما نوع التابوت الذي ننام فيه؟". ويُمكِن للمرء على الفور أن يعرِف أنها تكره الأسئِلة التي يطرحها عليها السُّيَّاح.

قُلت: "لا يا سيِّدتي". وتمنَّيتُ ألا يضغَط بِل على ذراعي. واعتقدتُ أنني كُنتُ هادِئة ومؤدَّبة.

حدَّقَت فيَّ بذهول.

ما الداعي لكُل هذا الذهول بحق الجحيم؟ لقد سئِمتُ هذا الأمر قليلًا. وقبل أن يتمكَّن بِل من إعطائي المزيد من التلميحات المؤلِمة، فتحتُ حقيبتي وأخرجتُ الصورتين، وسألتهما: "أود أن أعرِف إذا كُنتما قد رأيتُما هاتين المرأتين في هذه الحانة". لن أُخرِج صورة جيسون أمام تلك المرأة، فسيُشبِه هذا وضع وعاء من اللبن أمام قطَّة.

نظرا إلى الصورتين، وظلَّ وجه بِل ساكنًا، حتى رَفَع إريك ناظريه وقال بهدوء وهو يربُت على صورة داون: "لقد كُنتُ مع تلك المرأة، إنها تُحِب الألم".

تمكَّنت من تبيُّن دهشة بام من إجابة إريك عليَّ من حاجبيها المرفوعين. وبَدَت وكأنها مُلزَمة بأن تحذو حذوه بطريقةٍ ما، فقالت: "لقد رأيتهما، لكنني لم أكُن مع أي منهما. وهذه المرأة". ثُم أشارَت إلى صورة ماديت، وقالت: "مخلوقة مُثيرة للشفقة".

قُلت: "شكرًا جزيلًا لكُما، هذا كُل ما أردتُ معرِفته". واستدرتُ في سبيلي للمُغادرة، لكن بِل ظلَّ مُمسكًا بيدي.

سأله إريك: "هل أنت مُرتبِط تمامًا بصديقتك تلك يا بِل؟".

استغرقني الأمر لحظة حتى فَهِمتُ ما يقصِده. تساءل إريك الرائِع الجمال لو كان بإمكانه استعارتي.

قال بِل: "إنها تخصني". ورغم أنه لم يزأر كما فعل مع مصَّاصي الدماء الأشرار القادمين من مونرو، إلا أنه بدا حازمًا للغاية.

أمال إريك رأسه الذهبي، لكنه تفحَّصني مرَّة أخرى، قبل أن يستقِر ناظراه على وجهي في النهاية.

بدا بِل وكأنه يسترخي. انحنى أمام إريك، وشَمل بام في تلك الإيماءة بطريقةٍ ما، قبل أن يتراجَع لخطوتين، ويسمَح لي أخيرًا بإدارة ظهري لهما.

سألته بهمسٍ غاضب: "يا إلهي، لم فعلت ذلك؟". سأصاب بكدمةٍ كبيرةٍ غدًا.

قال بِل وهو يبدو كمصَّاص دماء: "إنهما أكبر مني سنًّا بقرون".

"هل هذه هي الطريقة التي تحدِّدون بها المقامات؟ حسب العُمر؟".

قال بِل مُفكِّرًا: "تحديد المقامات، هذه ليسَت طريقة سيِّئة لصياغة الأمر". كاد يضحَك، عَرَفتُ ذلك من الطريقة التي تلوَّت بها شفتاه.

قال بعد أن عُدنا لمقاعِدنا واستأنفنا شُرب مشروباتنا: "لو كُنتِ مُهتمَّة، لسمحتُ لكِ بالذهاب مع إريك".

قُلت بحدَّة: "لا".

"لماذا لم تنبِسي ببنت شفة عندما جاء (مُحبو الأنياب) إلى طاولتنا محاولين إغوائي بتركِكِ؟".

لم يعمَل دماغانا على الموجة نفسها. ورُبما لم تكُن الفروق الاجتماعيَّة الدقيقة شيئًا يهتَم به مصَّاصو الدماء. ولذلك سيتعيَّن عليَّ شرح شيء لا يحتاج لكثيرٍ من الشرح.

أصدرتُ صوتًا وقحًا للغاية مدفوعًا بسخطي المُطلَق.

قُلت بحدَّة: "حسنًا، اسمعني جيِّدًا يا بِل! لقد تحتَّم عليَّ دعوتك، عندما أتيتَ إلى منزلي. وتحتَّم عليَّ دعوتك، عندما أتيتَ معي إلى هُنا. بينما لم تدعُني أنت للخروج قط. ولا يُحتَسَب انتظارك لي في ممر منزلي بالمُناسبة، ولا مُطالبتي بالمرور على منزلك لترك قائِمة العُمَّال. وهكذا... فإنني دائمًا ما أدعوك للخروج. فكيف يُمكِنني أن أطلُب منك البقاء معي، إذا لم ترغَب في ذلك؟ وإذا ما سمحَت لك أولئك الفتيات بمصِّ دمائهن -أو هذا الرجل كذلك- فلا أشعُر أن لدي الحق في منعك من ذلك!".

قال بِل: "إن إريك أوسَم مني بكثير، وأقوى، وأفهم أن مُمارسة الجنس معه ستكون تجرِبة لا تُنسى. كما أنه عجوز، ولا يحتاج سوى إلى رشفةٍ من الدماء للحفاظ على قوَّته. ولم يعُد يقتُل أبدًا تقريبًا. وهكذا، فهو رجل جيِّد في عُرف مصَّاصي الدماء. ولا يزال بإمكانكِ الذهاب معه، لأنه لا يزال يتفحَّصكِ، وكان ليحاوِل فتنتكِ لو لم أكُن بصُحبتكِ".

قُلت بعناد: "لا أرغب في الذهاب مع إريك".

قال: "ولا أرغب في الذهاب مع أي من (مُحبي الأنياب)".

ثُم جلسنا في صمتٍ للحظةٍ أو اثنتين، قبل أن أقول بغموض: "نحن على وفاق إذًا".

"أجل".

استغرقنا بضع لحظات أخرى لنتدبَّر في الأمر.

ثُم سألني: "هل تُريدين مشروبًا آخرَ؟".

"أجل، ما لم تكُن بحاجةٍ للعودة".

"لا، الأمر على ما يُرام".

ذَهَب إلى البار. ثُم غادرت بام صديقة إريك، الذي بدا مُنهمِكًا في عد رموشي. حاولتُ أن أستمرَّ في النظر إلى يديَّ دلالةٍ على التواضُع. ثم شعرتُ بقطوفٍ من الطاقة تتدفَّق فوقي، فانتابني شعور غير مُريح بأن إريك يُحاوِل فتنتي. خاطرتُ بإلقاء نظرةٍ خاطِفة، وتحقَّقت بما يكفي من أنه ينظُر لي بترقُّب. هل يُفترض بي أن أخلع فُستاني؟ أو أن أنبَح كالكلبة؟ أو أن أركُل بِل في ساقيه؟ اللعنة.

عاد بِل مع مشروباتنا.

قُلت بكآبة: "سيعرِف أنني لستُ طبيعية". ولم يبدُ بِل بحاجةٍ لمزيدٍ من التفسير.

قال بِل وهو يبدو غاضبًا للغاية: "إنه ينتهِك القواعِد ويُحاوِل فتنتكِ مُباشرةً بعد ما أخبرته أنكِ لي". لم يسكُن الغضب صوته مثلما أفعل عندما أغضَب، بل بدا وكأن الصقيع يجتاح كلماته.

أضفتُ بهمسٍ دون أن أفعل شيئًا حيال الأمر: "يبدو أنك تُخبِر الجميع بذلكَ".

شرح لي بِل الأمر مرَّة أخرى: "هذا تقليد خاص بمصَّاصي الدماء، إذا قُلتُ إنكِ تخصينني، فلن يُحاوِل أي شخص آخر أن يتغذَّى عليكِ".

قُلت بحدّة: "يتغذَّى عليَّ! يا لها من جُملة لطيفة". فارتسم تعبير يدُل على السخط على قسمات وجه بِل لثانيتين.

قال دون أن يبدو صوته مُحايدًا كالمعتاد: "أنا أحميكِ".

قُلت: "ألم يخطُر لك أنني...". ثُم توقَّفتُ للحظة، وأغلقتُ عينيَ، وعددتُ من واحِد إلى عشرة.

غامرتُ بإلقاء نظرة على بِل، ووجدتُ عينيه مُثبَّتتين على وجهي، ولا ترمِشان. كان بإمكاني عمليًّا سماع صوت دوران التروس.

توقَّع بصوتٍ خافتٍ بقية جُملتي: "أنكِ... لا تحتاجين للحماية؟ أنكِ... تحمينني؟".

لم أنطِق ببنت شفة. يُمكِنني القيام بذلك.

لكنه أمسَك بمؤخِّرة رأسي بيده، وأدار وجهي ناحيته وكأنني دُمية (لقد أصبحَت عادته تلك مُزعِجة للغاية). نَظَر في عينيَّ بقسوةٍ شديدةٍ حتى إنني اعتقدتُ أن عينيه حفرتا أنفاقًا مُلتهبةً في دماغي.

زممتُ شفتي وصحت في وجهه: "بِخ!". شعرتُ بقدرٍ لا بأس به من عدم الارتياح. بدأت أنظُر لبقية الموجودين في الحانة، بعد ما خفضت أسوار حصوني، لأستمِع إلى أفكارهم.

قُلت له: "مُملون، هؤلاء الناس مُملون".

سألني: "حقًّا يا سوكي؟ فيمَ يُفكِّرون؟".

شعرتُ بالراحة تكتنِفني لسماع صوته، بغض النظر عن أن قدرًا لا بأس به من الغرابة قد شابه. قُلت: "الجنس، والجنس، والمزيد من الجنس".

كان هذا صحيحًا، فجميع الموجودين في هذه الحانة يُمارِسون الجنس في خيالهم. حتى السُّيَّاح، الذين لم يُفكِّروا في الغالِب في مُمارسة الجنس مع مصَّاصي الدماء بأنفُسهم، بل فكَّروا في مُضاجعة (مُحبي الأنياب) لمصَّاصي الدماء.

"وفيمَ تُفكِّرين أنتِ يا سوكي؟".

أجبته بسُرعةٍ وصدقٍ لأنني تلقيتُ صدمة غير سارَّة للتو: "ليس في الجنس".

"حقًّا؟".

"كُنت أُفكِّر في فُرص خروجنا من هُنا دون أي مشكلات".

"ولماذا تُفكِّرين في ذلك؟".

"لأن أحد هؤلاء السُّيَّاح شُرطي مُتنكِّر، وقد ذهب لتوِّه إلى دورة المياه، وهو يعرِف أن هُناك مصَّاص دماء بالداخِل، يمُص

عُنق إحدى (مُحبات الأنياب). وقد استدعى الشُّرطة لتوِّه عبر اللاسلكي الصغير الخاص به".

قال بهدوء: "إلى الخارِج".

نهضنا من على الطاوِلة بسلاسةٍ وتحرَّكنا نحو الباب. لقد اختفَت بام، وعندما مررنا بطاوِلة إريك، أشار له بِل بإشارةٍ ما. وبالسلاسة نفسها، نهض من على طاولته ليكشِف عن طوله الفارِع، وانطلق إلى الخارِج بخطواتٍ سريعةٍ حتى إنه عبر الباب أولًا، وأمسَك بذراع الحارِسة وجذبها للخارِج برفقتنا.

تذكَّرت بينما كُنّا على وشك الخروج من الباب الساقي، لونغ شادو، الذي أجاب أسئلتي عن طيب خاطِر، ولذلك التفتُّ وأشرتُ بإصبعي في اتجاه الباب، لأخبره بأن يرحَل بما لا يدع مجالًا للشك. بدا مُنزعِجًا كأي مصَّاص دماء يحترِم نفسه، وألقى بمنشفته، في الوقت نفسه الذي جذبني فيه بِل عبر الأبواب المزدوجة.

انتظرنا إريك بالخارِج بجوار سيَّارته... سيَّارة كورڤيت بطبيعة الحال.

قال بِل: "ستُهاجِم الشُّرطة المكان".

"وكيف عَرِفتَ ذلك؟".

وجد بِل نفسه عاجزًا أمام ذلك السؤال.

قُلت لأنقِذه من حيرته: "أنا من أخبرته".

التمعَت عينا بِل الزرقاوان الواسعتان على الرغم من الظلام الدامِس الذي يُحكِم قبضته على ساحة انتظار السيَّارات. وتوجَّب عليَّ أن أشرَح.

تمتمتُ: "لقد قرأتُ أفكار ضابط شُرطة". ونظرتُ لأرى كيفيَّة تقبُّل إريك لذلك، وكيف حدَّق بي بالطريقة نفسها التي نظر إليَّ بها مصَّاصو دماء مونرو، بتمعُّنٍ ونهم.

قال: "هذا مُثير للاهتمام، لقد حظيتُ بذات قُدرات خاصَّة ذات مرَّة، وكانت لا تُصدَّق".

قُلت بكآبةٍ أكثر مما قصدت: "وهل اعتقدَتْ ذات القُدرات الخاصَّة الشيء نفسه؟".

وتمكَّنتُ من سماع أنفاس بِل المُتلاحِقة.

ضَحِكَ إريك، قبل أن يُضيف بشكلٍ غامض: "لوهلةٍ".

سَمِعنا صافرات الإنذار تدوي من بعيد. دون أن نتبادَل المزيد من الكلمات، انسحب إريك والحارِسة إلى سيارته وذهبا في عتمة الليل، وبطريقةٍ ما... بدت السيَّارة أهدأ من سيَّارات الآخرين. أما أنا وبِل، فربطنا حزامي الأمان في عجالة، وغادرنا ساحة انتظار السيارات من أحد المدخلين، بينما دهمت الشُرطة المكان من المدخَل الآخر. كانت الشاحِنة المُجهَّزة للقبض على مصَّاصي الدماء معهم، وهي وسيلة نقل سُجناء خاصَّة مزوَّدة بقُضبانٍ فضيّة. قادها شُرطيان

من مصَّاصي الدماء، وقفزا منها ليندفعا نحو باب الملهى الليلي بسُرعةٍ جعلتهما غير واضحين لرؤيتي البشرية.

قُدنا السيَّارة لمسافةٍ لا بأس بها قبل أن يتوقَّف بِل فجأة في ساحة انتظار سيَّارات في مركزٍ تُجاريٍّ مُظلمٍ آخر.

قُلت: "ماذا...". لكنني لم أستكمِل سؤالي. فكَّ بِل حزام أماني، وأرجَع المقعَد للخلف، وأمسكني قبل أن أتمكَّن من النُطق بحرفٍ آخر من سؤالي. قاومته في البداية، خشية أن أكون قد أثرتُ غضبه، لكنني شعرتُ وكأنني أدفع شجرة. ثُم وجدت شفتيه على شفتيَّ، وعَرِفتُ بمَ يشعُر حقًّا.

ويا ويلي... لكم كان يجيد التقبيل. رُبما واجهنا مُشكِلة في التواصُل على بعض المُستويات، لكن هذا لم يكُن أحدها... أبدًا. قضينا وقتًا رائعًا لما يُقارِب خمس دقائِق. وشعرتُ بكُل الأشياء الصحيحة تتحرَّك عبر جسدي في موجات. وعلى الرغم من الإحراجِ الناتِج عن وجودي في مقعد السيَّارة الأمامي، إلا أنني نجحتُ في الشعور بالارتياح، في الغالِب لأنه كان قويًّا ومُراعيًا للغاية. وأصدر صوتًا يُشبِه الزئير.

قال بصوتٍ خشن: "سوكي!".

تحرَّكتُ مُبتعدةً عنه، رُبما بمسافة نصف بوصة.

قال: "إذا فعلتِ ذلك مرَّة أخرى، فسأضاجعكِ سواء أردتِ ذلك أو لا". عَرِفتُ أنه يقصِد ذلك حقًّا.

قُلت أخيرًا، دون أن أجعل الأمر يبدو كسؤال: "أنت لا تُريد القيام بذلك".

أمسَك يدي وأراني أنه يريد ذلك بالفعل قبل أن يقول: "بلى، أريده".

فجأة... توهَّج ضوء ساطِع بجوارنا.

قُلت: "الشُّرطة". تمكَّنتُ من رؤية شخص يخرُج من سيَّارة دوريَّة ويتحرَّك نحو نافِذة بِل، قبل أن أُتابع حديثي بتردُّدٍ خوفًا من تداعيات دَهْم الشُرطة لحانة "فانغتازيا" :"لا تدعه يعرِف أنك مصَّاص دماء يا بِل". وعلى الرغم من أن مُعظَم قوَّات الشُّرطة تُحِب انضمام مصَّاصي الدماء إليهم في العمل، إلا أنه كان هُناك الكثير من التحيُّز ضدهم في الشارِع، خصوصًا عندما يكون مصَّاص الدماء جُزءًا من ثُنائي مُختلط.

طرقت يد الشُّرطي الثقيلة على النافِذة.

شغَّل بِل المُحرِّك، وضغط على زر فتح النافِذة، لكنه تحلى بالصمت، وأدركتُ أن نابيه لم يتراجعا بعد. وإذا فتح فمه، فسيكتشِف الضابِط أنه مصَّاص دماء.

قُلت: "مرحبًا يا حضرة الضابِط".

قال الرجل بأدبٍ: "مساء الخير". ثُم انحنى لينظُر إلينا عبر النافِذة، قبل أن يقول: "تعرِفان أن جميع المحلات هُنا قد أغلقَت... أليس كذلك؟".

"بلى يا سيِّدي".

"الآن، يُمكِنني معرفة أنكما كُنتما تعبثان قليلًا، ولا يُمكِنني اتهامكما بشيءٍ، لكن عليكما العودة إلى المنزِل والقيام بهذا النوع من الأشياء هُناك".

أومأتُ برأسي بلهفةٍ وقُلت: "هكذا سنفعل". ونَجَح بِل في إمالة رأسه جانِبًا.

قال رجُل الدوريَّة بشكلٍ عرضي: "نحن نَدْهَم حانة على بُعد عدَّة بنايات من هُنا". ورغمَ أنني لم أتمكَّن من رؤية ملامحه، إلا أنه بدا قوي البنية ومتوسِّط العُمر، تابع حديثه مُتسائلًا: "هل أتيتُما من هُناك بأي حالٍ من الأحوال؟".

قُلت: "لا".

قال الشُّرطي: "حانة مصَّاصي الدماء".

"لا، لم نأتِ من هُناك".

"دعيني أُسلِّط هذا الضوء على رقبتكِ يا سيِّدتي، لو لم تُمانعي ذلك".

"على الإطلاق".

وهكذا فعل، سلَّط ضوء مصباحه القديم على عُنقي، ثُم على عنق بِل، قبل أن يقول: "حسنًا، كُنت أتحقَّق فحسب. لتذهبا الآن".

"حسنًا، سنذهب".

أومأ بِل برأسه بشكلٍ أكثر فظاظة. ملت إلى جانبي، وأغلقتُ حزام أماني، وجهَّز بِل عصًا نقل السيَّارة، ريثما انتظر الشُّرطي، قبل أن نتحرَّك.

لقد شعر بِل بالغيظ، وظلَّ صامتًا مُتجهِّمًا (على ما أعتقِد) طوال الطريق حتى وصلنا إلى المنزِل، بينما مِلتُ لاعتبار الأمر برُمته مُضحكًا.

شعرتُ بالسعادة تغمُرني عندما وجدتُ أن بِل لم يُبالِ بجاذبيتي الشخصيَّة، مثل البقيَّة. وبدأتُ أتمنى أن يرغَب في تقبيلي مرَّة أخرى، رُبما لفترةٍ أطول، وبقوةٍ أكبر، ورُبما حتى... يُمكِننا القيام بما هو أكثر من ذلك؟ حاولتُ ألا أرفع سقف توقُّعاتي عاليًا. وفي الواقِع، هُناك شيء أو اثنان لم يعرِف بِل بشأنهما عني، ولم يعرِفهما أحد على الإطلاق، وقد حرصتُ تمامًا على خفض سقف توقُّعاتي.

عندما وصلنا إلى منزِل جدَّتي، هبط ليفتَح لي الباب، وهو ما جعلني أرفع حاجبيَ؛ لكنني لستُ الشخص الذي يُمانِع التصرُّف بأدب. وافترضتُ أن بِل يُدرِك أنني أتمتَّع بذراعين حقيقيين، وقدرٍ كافٍ من الذكاء لأتمكَّن من فهم آلية فتح الباب. لكنه تراجَع للخلف عندما هبطتُ من السيَّارة.

شعرتُ بالألم. إنه لا يرغَب في تقبيلي مرَّة أخرى؛ ويندَم على ما فعلناه من قبل. ورُبما يتلهَّف للذهاب إلى بام اللعينة، أو

رُبما حتى إلى لونغ شادو. وبدأتُ أرى أن القُدرة على مُمارسة الجنس لقرونٍ عديدةٍ قد فسَحَت المجال لكثيرٍ من التجارِب. هل ستكون قارِئة الأفكار أمرًا سيِّئًا ليُضيفها إلى قائِمته؟

ضممتُ كتفي معًا ولففتُ ذراعي حول صدري.

سألني بِل على الفور وهو يلفُّني بذراعه: "هل تشعُرين بالبرد؟". لكنه كان المُعادِل الجسدي للمعطف، وبدا وكأنه يُحاوِل البقاء بعيدًا عني قدر الإمكان.

قُلت وأنا أُحافِظ على هدوء صوتي: "آسفة لأنني أزعجتك، ولن أطلُب منك المزيد". عندما انتهيتُ من حديثي، أدركتُ أن جدَّتي لم تُحدِّد له موعدًا ليتحدَّث إلى جمعية الأحفاد، لكنها ستتفِق مع بِل على الموعِد المُناسِب.

وقف ساكِنًا قبل أن يقول: "أنت... ساذجة... بشكلٍ... لا... يُصدَّق". دون أن يُضيف مُلحقًا يشرَح فيه معنى الدهاء، كما فعل من قبل.

قُلت بذهول: "حسنًا... حقًّا؟".

قال: "أو أنكِ أحد هؤلاء الحمقى؟". بدا ذلك أقل مُتعةً بكثير، مثل كوازيمودو* أو شيء من هذا القبيل.

قُلت بمرارة: "أعتقِد أنه عليك أن تكتشِف ذلك بنفسك".

* كوازيمودو: شخصيّة خياليّة، والبطل الرئيس لرواية أحدب نوتردام للروائي الفرنسي ڤيكتور هوجو. (المُترجم)

قال بكآبةٍ وهو ما لم أفهمه على الإطلاق: "من الأفضلِ أن أكون أنا من سيكتشِف ذلك". ثُم سار معي إلى الباب، وتمنَّيتُ بكُل تأكيد أن أحظى بقُبلةٍ أخرى، لكنه قبَّلني بخفةٍ على جبيني قبل أن يهمس: "تصبحين على خيرٍ يا سوكي".

أسندتُ خدي على خده للحظة، قبل أن أقول: "شكرًا على اصطحابي إلى هُناك". ثم ابتعدتُ بسُرعةٍ قبل أن يظن أنني على وشك طلب أي شيء آخر، وأضفت: "لن أتصِل بك مرَّة أخرى".

وقبل أن أتخلى عن إصراري، انزلقتُ داخِل المنزِل المُظلِم، وأغلقتُ الباب في وجهه.

(٥)

من المؤكَّد أنه كان في جَعبتي الكثير لأُفكِّر فيه في اليومين التاليين. بالنسبة لشخصٍ لطالما خزَّن أشياءَ جديدةً كيلا يشعُر بالملل، فقد خزَّنت ما يكفيني لعدَّة أسابيع. فقد كان البشر في "فانغتازيا" مادةً تصلُح للفحص، ناهيك عن مصَّاصي الدماء، وانتقلتُ من الشوق للقاء مصَّاص دماء واحِد، لمُقابلة أكثر مما اهتممتُ بمعرفتهم يومًا.

استُدعيَ الكثير من الرجال من قاطني بون تيمبِس والمناطِق المُحيطة بها لقِسم الشُّرطة للإجابة على بعض الأسئِلة التي تتعلَّق بداون جرين وعاداتها. من المُحرِج بما يكفي، أن المُحقِّق بليفلور تسكَّع في الحانة في أوقات فراغه، ولم يُعاقِر من الخمر سوى زُجاجة جعَة واحِدة، لكنه انهمك في مُراقبة كُل ما يحدُث من حوله. ونظرًا لأن ميرلوت لم تكُن معقلًا للنشاط غير القانوني، لم يعُد أحد يهتَم كثيرًا بمُجرَّد أن يعتاد على وجود آندي في الجوار.

لكنه لطالما بدا أنه يختار طاوِلة في قسمي، وبدأ يلعب معي لعبة صامِتة، بأن يُفكِّر بشيءٍ استفزازي، كُلما اقتربتُ من طاوِلته، محاولًا حثِّي على قول شيء ما. لم يبدُ أنه يفهم مدى

عدم لياقة هذا الأمر، لكن لُب الأمر كان الاستفزاز، لا الإهانة، فقد أرادني أن أقرأ أفكاره مرَّة أخرى، دون أن أستطيع معرفة سبب هذا.

ثُم تخيَّلني أضاجِع شقيقي، رُبما في المرَّة الخامِسة أو السادِسة التي أحضرتُ له فيها شيئًا، أعتقِد أنها كانت مياهًا غازيَّة للحمية. شعرتُ بالتوتُّر الشديد عندما ذهبتُ للطاوِلة (وأنا أعرِف بوجوب توقُّعي لشيءٍ ما، دون أن أعرِف ماهيته) حتى إنني خرجتُ من نِطاق الغضب مُندفِعة نحو باب البُكاء دون تفكير. لقد ذكَّرني هذا بالعذاب العسير الذي تعرَّضتُ له في المدرسة الابتدائيَّة.

رفع آندي ناظريه بوجهٍ مُترقِّب، وعندما رأى عيني تغرورقان بالدموع، مرَّت مجموعة مُذهِلة من المشاعِر على وجهه بتتابُعٍ سريع، النصر أولًا، يليه الألم، ثُم الخجل الشديد.

سكبتُ المياه الغازيَّة اللعينة على قميصه.

وسرتُ خلف البار نحو الباب الخلفي مُباشرة.

سألني سام، الذي كان في عقبي تمامًا، بحدَّة: "ماذا حدث؟".

هززتُ رأسي، غير راغِبة في التفسير، وأخرجتُ منديلًا قديمًا من جيب بنطالي القصير لأمسَح به عينيَّ.

سألني سام بصوتٍ أكثر هدوءًا وأشد غضبًا: "هل قال لكِ أشياءَ سيِّئة؟".

قُلت بيأس: "بل فكَّر فيها، لينتزِع مني اعترافًا بذلك. إنه يعرِف".

قال سام: "يا له من ابن عاهِرة". وهو الأمر الذي صدمني حتى عُدتُ إلى رشدي، لأن سام لا يشتِم أبدًا.

وبِمُجرَّد أن بدأتُ بالبكاء، حتى بدا وكأنني لا أستطيع التوقُّف. قرَّرت الحصول على كفايتي من البُكاء على بعض الأمور التعِسة الصغيرة.

قُلت مُحرجة من شلالات الدموع التي تنهمِر من عيني: "فقط عُد إلى الداخِل، سأكون بخيرٍ خلال دقيقة".

سَمِعتُ باب الحانة الخلفي يُفتَح ويُغلَق، وتخيَّلتُ أن سام قد نفَّذ ما طلبته منه. لكنني سَمِعتُ صوت آندي بليفلور بدلًا من ذلك وهو يقول: "أنا آسف يا سوكي".

قُلت: "أدعى الآنسة ستاكهاوس بالنسبة لك يا آندي بليفلور، ويبدو لي أنه من الأفضل أن تبحث عن قاتِل ماديت وداون بدلًا من الانشغال بمُمارسة الألعاب الذهنيّة السيِّئة معي".

استدرتُ ونظرتُ إلى الشُّرطي، الذي بدا مُحرجًا بشكلٍ رهيب، حتى إنني اعتقدتُ أنه صادِق في ندمه.

أرجَح سام ذراعيه، مدفوعًا بطاقة الغضب.

قال بصوتٍ حمل بين طيَّاته الكثير من العُنف المكبوت: "إذا عُدتَ إلى هُناك وقرَّرت الجلوس، فاجلِس في منطِقة نادِلة أخرى يا بليفلور".

نَظَر آندي إلى سام. كان أقوى منه بمرَّتين على الأقل، ويفوقه طولًا ببوصتين. لكنني كُنت مُستعِدة للمُراهنة على سام في تلك اللحظة، وبدا أن آندي لا يرغَب في المُخاطرة بدوره، ولو بدافِع المنطِق السليم. أومأ برأسه فحسب، قبل أن يسير نحو سيَّارته المتوقِّفة في ساحة الانتظار. التمعَت أشعة الشمس على الخُصل الشقراء التي تناثرت في شعره البُني.

قال سام: "أنا آسف يا سوكي".

"ليس خطأك".

"هل ترغبين في إجازة؟ يبدو أننا لسنا مشغولين للغاية اليوم".

قُلت له: "لا، سأُنهي نوبتي".

ورغم أن تشارلز توتين تولَّت زمام الأمور، إلا أنني لم أشعُر بالرضا تجاه المُغادرة، لأنه كان يوم إجازة آرلين.

عُدنا إلى الحانة، وعلى الرغم من أن العديد من الأشخاص نظروا إلينا بفضولٍ عندما دخلنا، إلا أن أحدًا لم يسألنا عمَّا حدث. لم يكُن هُناك سوى شخصين يجلِسان في منطقتي، وكانا مشغولين في الأكل، بينما امتلأ كأساهما عن بكرة أبيهما، ولذلك لم يكونا في حاجةٍ إليَّ. بدأتُ برصِّ كؤوس النبيذ، بينما اتكأ سام على مساحة العمل بجواري.

"هل سيتحدَّث بِل كومبتون إلى أعضاء جمعية "أحفاد الموتى المجيدين" الليلة حقًّا؟".

"طبقًا لجدتي، أجل".

"هل ستذهبين؟".

قُلت: "لم أُخطِّط للقيام بذلك". لم أرغَب في رؤية بِل ما لم يتصِل بي ويُحدِّد موعِدًا لرؤيتي.

لم يقُل سام أي شيء آخر آنذاك، بل لاحقًا بعد الظهيرة، عندما ذهبتُ لأخذ حقيبتي من مكتبه، حين دخل وانشغل بالعبث في بعض الأوراق الموضوعة على مكتبه. أخرجتُ فُرشاة الشعر وانهمكتُ في فكِّ تشابُك خُصلات شعري. بدا واضِحًا أن سام يرغَب في التحدُّث إليَّ، من الطريقة التي ارتبك بها، فشعرتُ بموجةٍ من السخط تنتابني تجاه التصرُّفات غير المُباشِرة التي يتخذها الرجال.

كان بإمكانه أن يسألني عن إعاقتي بشكلٍ مُباشر، بدلًا من مُمارسة الألعاب عليَّ، مثل آندي بليفلور.

ومثل بِل، الذي كان بإمكانه أن يُعلِن عن نواياه، بدلًا من تصرُّفاته غير المفهومة.

قُلتُ بحدَّةٍ أكثر مما قصدت: "حسنًا؟".

احمرَّ خجلًا تحت وطأة نظراتي.

"كُنت أتساءل لو كُنتِ ترغبين في الذهاب إلى اجتماع "الأحفاد" معي، وتناوُل فنجان من القهوة بعد ذلك".

شعرتُ بالذهول، فتوقَّفَت فُرشاتي في مُنتصف الطريق، وراودتني بعض الأفكار، كالشعور بيده عندما أمسَكتُ بها أمام شقَّة داون جرين المزدوجة، والجدار الذي واجهته في دماغه، ومدى حماقة مواعدة رئيسك في العمل.

قُلت بعد توقُّف ملحوظ: "بالطبع".

بدا كأنه يزفِر قبل أن يقول: "جيِّد. سآتي لاصطحابكِ من منزلكِ في السابِعة وعشرين دقيقة أو نحو ذلك. وسيبدأ الاجتماع في السابعة والنصف".

"حسنًا، أراكَ هُناك إذًا".

أمسكتُ بحقيبتي واندفعتُ نحو سيَّارتي، خوفًا من أن أفعل شيئًا غريبًا لو بقيتُ هُنا أكثر من ذلك. ولم أستطِع أن أُقرِّر إذا ما توجَّب عليَّ أن أضحَك من الفرح أو أن أتأوَّه على حماقتي.

وصلتُ إلى المنزِل في تمام الساعة السادِسة إلا رُبعًا. كانت جدَّتي قد تناوَلت عشاءها على المنضدة بالفعل، لاضطرارها للرحيل مُبكِّرًا للذهاب بالمُرطِّبات إلى اجتماع "الأحفاد"، الذي عُقِد في مبنى البلديَّة.

قالت جدَّتي فجأة: "أتساءل لو كان بإمكانه الحضور لو كُنا قد عقدنا هذا الاجتماع في قاعة الزمالة المعمدانيَّة؟".

لم أُجابِه مُشكلة في التمسُّك بتسلسُل أفكارها، لذلك أجبتها: "أعتقِد ذلك، لأنني أعتقِد أن فكرة خوف مصَّاصي

الدماء من الرموز الدينيَّة ليسَت صحيحة، لكنني لم أسأله عن ذلك".

استمرَّت جدتي في حديثها قائِلة: "لديهم صليب كبير مُعلَّق هُناك".

قُلت: "سأحضُر الاجتماع بعد كُل شيء، سآتي مع سام ميرلوت".

تفاجأت جدَّتي للغاية، وسألتني: "سام؟ رئيسكِ في العمل؟".

"أجل يا سيِّدتي".

قالت: "هممم. حسنًا، حسنًا".

بدأت جدَّتي تبتسِم وهي تضع الأطباق على المنضدة. حاولت التفكير فيمَا سأرتديه بينما تناولنا شطائِرنا وسلطة الفواكِه. انتاب جدَّتي الحماس بشأن الاجتماع، والاستماع إلى بِل، وتقديمه إلى أصدِقائها، والآن حلَّقت في مكانٍ ما بالفضاء الخارجي (رُبما حول كوكب الزهرة) بما أنني قد حظيتُ بموعِد، مع رجل بشري.

قُلت: "سنخرُج بعد ذلك، ولذلك أعتقِد أنني سأعود إلى المنزِل بعد ساعة من انتهاء الاجتماع تقريبًا".

لم يكُن هُناك الكثير من الأماكِن لتناوُل القهوة في بون تيمبِس، ولم تكُن تلك المطاعِم هي الأماكِن التي ترغَب بالبقاء فيها.

قالت جدَّتي: "حسنًا يا عزيزتي، خُذي وقتكِ".

كانت قد ارتدَت ملابِسها بالفعل، وساعدتها بعد الانتهاء من طعام العشاء على رصِّ صواني الكعك المُحلى، وإناء القهوة الكبير الذي اشترته لمثل هذه المُناسبات. أوقفت جدَّتي سيَّارتها أمام الباب الخلفي، وهو الأمر الذي وفَّر علينا الكثير من الخطوات. شعرَتْ بالسعادة، والإطراء بقدر استطاعتها، وتحدَّثت طوال الوقت الذي رصصنا فيه الأشياء في سيَّارتها. هذا هو نوع الليالي الذي تُفضِّله.

خلعتُ ملابِس العمل، ودخلتُ إلى الحمَّام بأقصى سُرعة. وحاولت التفكير فيمَا سأرتديه، أثناء انشغالي بغسل جسدي بالصابون. بالتأكيد لن أرتدي اللونين الأسود أو الأبيض؛ فقد سئِمتُ ألوان زي نادِلات حانة ميرلوت. حلقتُ شعر قدميَّ مرَّة أخرى، لكنني لم أملِك الوقت الكافي لغسل شعري وتجفيفه، كما أنني قُمت بذلك ليلة البارِحة على أي حال. فتحتُ خزانة ملابسي، وحدَّقتُ بمحتوياتها. لقد رأى سام الفُستان الأبيض الذي تُزيِّنه الزهور، ولن تُناسِب سُترة الجينز أصدِقاء جدتي بما يكفي. أخيرًا، أخرجتُ بنطالًا كاكي اللون، وبلوزة حريريَّة برونزيَّة بكُمَّين قصيرين، كما أن لديَّ صندلًا وحزامًا من الجلد البُني، سيُناسِبانها جيِّدًا. ثُم علَّقتُ سلسلة حول عُنقي، ولبستُ قُرطين ذهبيين كبيرين، وأصبحتُ مُستعِدة تمامًا. ورنَّ سام جرس الباب، وكأنه عَرِف التوقيت المثالي لذلك.

سيطرَت علينا لحظة من الإحراج عندما فتحتُ الباب.

"أنت مُرحَّب بدخولك، لكنني لا أعتقِد أن لدينا وقتًا لـ...".

"سأُحِب أن أدخُل وأجلِس قليلًا، لكنني لا أعتقِد أن لدينا وقتًا لـ...".

فضَحِكنا معًا.

أغلقتُ الباب جيِّدًا، بينما هرع سام ليفتَح باب شاحِنته الصغيرة. شعرتُ بالسعادة لأنني ارتديتُ بنطالًا، وتخيَّلتُ نفسي أحاوِل الصعود إلى المقصورة العالية بإحدى تنوراتي القصيرة.

سألني بأمل: "هل تحتاجين إلى دفعة؟".

قُلت محاولة كبح جماح ابتسامتي: "أعتقِد أنني أتولى الأمر جيِّدًا".

جلسنا في صمتٍ طوال الطريق إلى مبنى البلديَّة، الذي يقع في الجُزء الأقدم من بون تيمبِس؛ الجُزء الذي سبق الحرب. لم يكُن الهيكل من عصر ما قبل الحرب، لكن كان هُناك مبنًى بالفعل في المكان نفسه، قبل أن تُدمِّره الحرب، رغم أنه يبدو أن أحدًا لا يمتلِك سجلًّا لما كان عليه قبل ذلك.

تكوَّنت جمعية "أحفاد الموتى المجيدين" من مجموعةٍ مُختلطة. فقد كان بينهم بعض الأعضاء الكبار السن والهشِّين للغاية، وبعض الأعضاء غير الكِبار في السن والذين يتمتَّعون بحيويةٍ شديدة، بل حتى كان بينهم مجموعة من الرجال والنساء في مُنتصف العُمر. لكن لم يكُن بينهم أي أعضاء من الشباب،

وهو ما ندبته جدَّتي في كثيرٍ من الأحيان، وهي ترمقني بالكثير من النظرات ذوات المغزى.

تولى السيِّد ستيرلنغ نوريس، وهو صديق قديم لجدَّتي ورئيس بلديَّة بون تيمبِس، مسؤولية الترحيب بالحضور في هذه الليلة، ووقف عند الباب يُصافِح كُل من يدخُل أو يحظى بمُحادثةٍ صغيرةٍ معهم.

قال نوريس: "تزدادين جمالًا في كُل يوم يا آنسة سوكي، كما أننا لم نرك منذ أمد بعيد يا سام! أخبريني يا سوكي... هل مصَّاص الدماء هذا صديقكِ حقًّا؟".

"أجل يا سيِّدي".

"هل يُمكِنكِ تأكيد سلامتنا وأمننا جميعًا؟".

"أجل، أنا مُتيقِّنة من هذا. إنه... شخص لطيف للغاية". مخلوق؟ كيان؟ ولو أحببتُ الموتى الأحياء، فهو خير من يُمثِّلهم؟

قال السيِّد نوريس بشك: "طالما أنكِ مُتيقِّنة من ذلك، كان الأمر برُمته ليُعد قصَّة خياليَّة في زمني".

تسلَّحتُ بابتسامتي المرِحة التي يتوقَّعون رؤيتها قبل أن أقول: "لا يزال الزمن زمنك يا سيِّد نوريس".

ضَحِكَ وأشار لنا بالدخول، وهو ما توقَّعناه منه. أمسَك سام بيدي وقادني إلى الصف ما قبل الأخير من المقاعِد المعدنيَّة،

ولوَّحت لجدَّتي أثناء جلوسنا في أماكِننا. لقد حان وقت بدء الاجتماع، وقد احتوَت القاعة بين جدرانها حوالي أربعين شخصًا، وهو تجمُّع كبير بالنسبة لبون تيمبِس. لكن بِل لم يظهَر بعد.

تقدَّمت رئيسة جمعيّة "الأحفاد"، وهي امرأة ضخمة وقويَّة تُدعى ماكسين فورتِنبيري، إلى المنصَّة.

قالت: "مساء الخير! مساء الخير! لقد اتصل ضيف شرف اجتماعنا اليوم وأخبرنا بأنه يواجِه مُشكِلة في سيَّارته وسيتأخَّر لبضع دقائِق. وهكذا سنمضي قدمًا ونعقِد اجتماعنا ريثما يأتي".

استقرَّت المجموعة، وانتهينا من كُل الأمور المُمِلَّة، بينما جَلَسَ سام بجواري عاقِدًا ذراعيه فوق صدره، ومُسنِدًا ساقه اليُمنى فوق كاحِل يُسراه. حَرِصتُ بشكلٍ خاصٍ على رفع أسوار حصوني والحفاظ على ابتسامتي، وانكمشتُ قليلًا عندما مال سام نحوي هامِسًا: "لا بأس في الاسترخاء قليلًا".

همستُ له: "أظُن أنني مُسترخيَة".

"لا أعتقِد أنكِ تعرفين كيف تسترخين".

رفعتُ حاجبي في مواجهته. لديَّ بعض الأشياء التي سأقولها للسيِّد ميرلوت بعد انتهاء الاجتماع.

ثُم حضر بِل. سادَت لحظة من الصمت التام بينما تكيَّف هؤلاء الذين لم يروه من قبل مع رؤيته. وإن لم تكُن في رفقة مصَّاص دماء من قبل، فهذا شيء عليك أن تعتاده حقًا. بدا

بِل أكثر وحشيَّة تحت إضاءة المصابيح الفلورسنت، مما كان عليه تحت الإضاءة الخافِتة لحانة ميرلوت، أو في الإضاءة الخافِتة بالقدر نفسه في منزله، ولم يكُن هُناك أي طريقة يُمكِن اعتباره بها رجلًا عاديًّا. كان شحوبه ملحوظًا للغاية بالطبع، وبدت عيناه العميقتان أكثر شحوبًا وبرودةً. ارتدى بدلة خفيفة زرقاء اللون، وكُنت مُستعِدة للمُراهنة على أنه قد ارتداها مدفوعًا بنصيحة جدَّتي. بدا رائعًا حقًّا، بحاجبيه المقوَّسين، وأنفه القوي المُنحني، وشفتيه المنحوتتين، ويديه البيضاوين بأصابِعهما الطويلة وأظافِرهما المُشذَّبة بعنايةٍ... تبادَل حديثًا قصيرًا مع رئيسة الجمعيَّة، التي فُتِنَت بسحر ابتسامته المُقتضبة.

لم أعرِف إذا ما كان بِل قد نثر فتنته في سائِر أنحاء الغُرفة، أم أن هؤلاء الأشخاص استعدوا فقط للاهتمام، لكن الحضور بأكمله صمت مُترقِّبًا.

ثُم رآني بِل، وأُقسِم أن حاجبيه قد ارتعشا. انحنى لي قليلًا، فأومأتُ له برأسي، دون أن أجِد ابتسامة مُناسِبة أُقدِّمها له. وحتى وسط الحشد، وجدتني أقِف على حافَّة بركة صمته العميق.

قدَّمَت السيِّدة فورتِنبيري بِل للحضور، لكنني لا أتذكَّر ما قالته أو كيف تجنَّبَت حقيقة أن بِل كان مخلوقًا من نوعٍ مُختلِف.

ثُم بدأ بِل يتحدَّث. رأيتُ بقليلٍ من الدهشة، أنه قد كان لديه بعض الملحوظات. وبجواري، انحنى سام للأمام، مُثبِّتًا عينيه على وجه بِل.

قال بِل بهدوء: "ولم يكُن لدينا أي لحافات، وكمية قليلة من الطعام، بينما فرَّ الكثيرون".

لم تكُن تلك إحدى الحقائِق المُفضَّلة للأحفاد، لكن بعضهم أومأ برأسه موافقًا. ولا بُد أن هذا يُطابِق ما تعلَّموه في دراستهم.

رفع رجل عجوز يجلِس في الصف الأول يده.

"هل عَرِفتَ جدي الأكبر، توليڤر همفريز يا سيِّدي؟".

قال بِل بعد لحظة، وبوجهٍ خالٍ من الملامِح: "أجل، لقد كان توليڤر صديقي".

وللحظةٍ، اجتاحَ شيء مأسوي صوته حتى إنني اضطُررتُ لإغلاق عينيَ.

سأله العجوز مُرتجِفًا: "وكيف كان؟".

أجابه بِل بابتسامةٍ ساخرة: "حسنًا، لقد كان متهوِّرًا، وهذا ما تسبَّب في وفاته، كما كان شُجاعًا. ولم يكسِب في حياته قط سنتًا لم يُنفِقه".

"وكيف توفي؟ هل كُنت هُناك؟".

قال بِل بقلق: "أجل، لقد كُنت هُناك، ورأيتُ قناصًا شماليًّا يُصيبه من الغابة على بُعد حوالي عشرين ميلًا من هُنا. لقد كان بطيئًا لأنه تضوَّر جوعًا، مثل بقيَّتنا تمامًا. في مُنتصف الصباح

تقريبًا، صباح بارِد، رأى توليڤر فتًى من قوَّاتنا يُصاب بطلقٍ ناريٍّ وهو مُختبئ خلف ساتِر سيئ في مُنتصف الميدان. لم يمُت الفتى، لكنه أصيب بجروحٍ مؤلِمة. لكن كان بإمكانه مُناداتنا، وهكذا فعل، طوال الصباح. نادانا، وطلب مُساعدتنا. وعَرِف أنه سيموت لو لم يُقدِّم له أحدهم يد المُساعدة".

سيطر الصمت على الغُرفة تمامًا حتى أصبح بإمكان المرء أن يسمَع صوت سقوط الدبوس.

تابع بِل حديثه قائلًا: "صَرَخَ، وبدأ يئِن. حتى كدت أرديه قتيلًا بنفسي، لأسكِته قليلًا، لأنني عَرِفتُ يقينًا أن الخروج لإنقاذه كان بمثابة الانتحار، لكنني لم أستطِع حمل نفسي على قتله. وقُلت لنفسي: ستكون تلك جريمة قتل، وليس حربًا. لكنني تمنيتُ لاحقًا لو أنني أرديته قتيلًا، لأن توليڤر كان أقل قُدرة مني على تحمُّل توسُّلات الفتى. وبعد ساعتين، أخبرني أنه يعتزِم محاولة إنقاذه، فجادلته كثيرًا. لكنه أخبرني أن الله يُريد منه أن يُحاوِل القيام بذلك. فقد كان يُصلي ونحن راقدون في الغابة".

صمتَ قليلًا ثُم قال: "وعلى الرغم من أنني أخبرتُ توليڤر بأن الله لا يُريده أن يُضيع حياته سُدًى -وأن لديه زوجة وأطفالًا يدعون الله من أجل أن يعود إلى منزله آمنًا- إلا أنه طَلَبَ مني تشتيت انتباه العدو ريثما يُحاوِل إنقاذ الفتى. ركض إلى الميدان بارتياح تام وكأنه في يومٍ ربيعي، حتى وَصَل إلى الصبي المُصاب. لكن رَصاصة شقَّت صمت الميدان، وسَقَطَ

توليڤر صريعًا. وبعد فترة، بدأ الصبي بالصراخ طالبًا المُساعدة مرَّة أخرى".

سألته السيِّدة فورتِنبيري بصوتٍ هادئٍ قدر استطاعتها: "وماذا حَدَث له؟".

قال بصوتٍ بعث القشعريرة في جسدي: "لقد عاش، نجا خلال النهار بطريقةٍ ما، حتى تمكَّنَّا من استعادته ليلًا".

بطريقةٍ ما، عاد هؤلاء الناس للحياة مرَّة أخرى أثناء حديث بِل، وكانت تلك ذكرى سيعتز بها الرجل العجوز الجالِس في الصفِّ الأول، ذكرى تقول الكثير عن شخصيَّة سلفه.

لا أعتقِد أن أحدًا ممن حضروا الاجتماع الليلة كان مُستعدًّا لتأثير السماع عن الحرب الأهليَّة من أحد الناجين. لقد فُتِنوا؛ وتحطَّموا.

دوى صوت تصفيق مدوٍّ عندما أجاب بِل على السؤال الأخير، أو على الأقل كان أقرَب ما يكون للتصفيق المدوي الناتِج عن أربعين شخصًا. وحتى سام، غير المُعجَب ببِل، لم يستطِع منع نفسه من التصفيق.

أراد الجميع التحدُّث مع بِل بشكلٍ شخصيٍّ بعد انتهاء الاجتماع ما عداي أنا وسام. وبينما أحاط الأحفاد بضيفهم المُتردِّد، تسلَّلنا أنا وسام إلى شاحِنته الصغيرة. ذهبنا إلى مطعم "كراوداد"، وهو مطعَم يُقدِّم بعض الطعام الجيِّد حقًّا. لم أكُن جائِعة، لكن سام تناول فطيرة ليمون مع قهوته.

قال سام بحذر: "كان هذا مُثيرًا للاهتمام".

فأجبته بالحذر نفسه: "حديث بِل؟ أجل".

"هل تُكنِّين له المشاعِر؟".

وبعد كُل هذه المراوغة، قرَّر سام أن يقتحِم البوابة الرئيسة بشكلٍ مُباشر.

قُلت: "أجل".

قال سام: "ليس لديكِ مُستقبل معه يا سوكي".

"من ناحيةٍ أخرى، لقد كان موجودًا لفترةٍ من الوقت. وأتوقَّع أن يظل موجودًا لبضع مئات أخرى من السنين".

"لا تعرفين أبدًا ما سيحدُث لمصَّاص دماء".

لم أستطِع مُجادلته في ذلك، لكنني... وكما أشرتُ لسام، لا يُمكِنني معرفة ما سيحدُث لي بوصفي بشريَّة أيضًا.

تجادلنا في ذلك الأمر لفترةٍ طويلة. وفي النهاية، قُلت بغضب: "ما خطبك يا سام؟".

ازدادت بشرته المتورِّدة احمرارًا، ونظر في عينيَّ بعينيه الزرقاوين قبل أن يقول: "أنا مُعجب بكِ يا سوكي. كصديقة، أو رُبما كشيءٍ آخرَ في بعض الأحيان...".

عجبًا؟

"أكره فقط أن أراكِ تأخُذين مُنعطفًا خاطئًا".

نظرتُ إليه. وتمكَّنتُ من الشعور بالشك يعتلي قسمات وجهي، وبحاجبيَ يتقاربان، وبرُكن فميَ يتجه للأعلى.

قُلت بصوتٍ يتماشى مع التعبير الذي ارتسم على وجهي: "بالتأكيد".

"لطالما كُنت مُعجبًا بكِ".

"حتى إنك اضطررتَ للانتظار حتى يُبدي شخصٌ آخرُ اهتمامه بي، قبل أن تُفاتحني في الأمر؟".

قال: "أنا أستحِق ذلك". وبدا وكأنه يتدبَّر شيئًا ما في ذهنه، شيئًا يرغب في قوله، لكنه لا يملِك العزم الكافي للقيام بالأمر.

ومهما كان ذلك الأمر، فيبدو أنه لا يستطيع البوح به.

قُلتُ مُقترحة: "لنذهب". فقد اعتقدتُ أنه طالما أنه يصعب إعادة المُحادثة إلى أرضٍ مُحايِدة، فعليَّ العودة إلى المنزِل إذًا.

كانت رحلة العودة مُضحِكة. لأن سام بدا وكأنه على وشك التحدُّث دائمًا، قبل أن يهز رأسه ويُقرِّر التحلي بالصمت. بينما استشطتُ غضبًا ورغبتُ في ضربه.

وصلنا إلى المنزِل في وقتٍ مُتأخِّر أكثر مما اعتقدت. كان ضوء غُرفة جدَّتي مُضاء، لكن بقية المنزِل غَرِقت في ظلامٍ دامس. لم أرَ سيَّارتها، ولذلك افترضتُ أنها قد أوقفتها بالخلفً

لتفريغ بقايا الطعام في المطبخ. أما ضوء الشُّرفة الأماميَّة فكان مُضاءً في انتظاري.

هَبَط سام ليفتَح لي باب الشاحِنة الصغيرة، وهبطتُ بدوري. لكن قدمي زُلَّت بسبب الظلام، وكدت أتعثَّر نوعًا ما. أمسكني سام... في البداية أمسَك ذراعيَّ بقوَّة ليُثبِّتني، قبل أن تلتف يداه حولي، ويُقبِّلني.

افترضتُ أنها ستكون قُبلة صغيرة ما قبل النوم، لكن فمه لم يُودِّع فمي. ورغم أن الأمر كان أكثر من مُمتع حقًّا، إلا أن صوتًا داخليًّا صرخ فيَّ فجأة: "إنه رئيسكِ في العملِ".

انفصلتُ عنه بلُطف. فأدرك على الفور أنني أتراجَع، وحرَّك يديه على ذراعيَّ حتى أمسَك بيديَّ. وسرنا نحو الباب دون أن نتبادل كلمةً واحِدة.

قُلت بصوتٍ خافتٍ كيلا أوقِظ جدَّتي، وكيلا أبدو حيويَّة: "لقد حظيتُ بوقتٍ مُمتع".

"وأنا أيضًا. هل تُريدين تكرار ذلك في وقتٍ ما؟".

قُلت: "سنرى". لم أكُن أعرِف كيف أشعُر تجاه سام حقيقةً.

انتظرتُ حتى سَمِعتُ شاحنته تبتعِد قبل أن أُغلِق ضوء الشُّرفة الأماميّة وأدلِف إلى المنزِل. ففككتُ أزرار بلوزتي أثناء سيري، فقد كُنت مُنهكة وأتوق للنوم.

لكن كان هُناك خطأ ما.

توقَّفتُ في مُنتصف غُرفة المعيشة، وتلفَّتُّ حولي.

يبدو كُل شيء على ما يُرام، أليس كذلك؟

بلى، يبدو كُل شيء في مكانه المُناسِب.

لقد كانت الرائِحة.

رائِحة كريهة نوعًا ما.

رائِحة نحاسيَّة قوية ومالِحة.

رائِحة دماء.

فاحَت الرائِحة من حولي من الأسفل، ولم تأتِ من الأعلى، حيث قبعت غُرفة نوم الضيوف في عُزلةٍ أنيقة.

ناديت: "جدَّتي؟". وكَرِهتُ الرعدة التي شابَت صوتي.

أجبرتُ نفسي على الحركة، وتوجَّهتُ إلى باب غُرفتها. كانت نظيفة. بدأتُ أفتَح الأضواء أثناء حركتي في المنزِل.

كانت غُرفتي كما تركتها.

والحمَّام فارغًا عن بكرة أبيه.

ومكان الاستحمام خاليًا.

فتحت الضوء الأخير. ووجدتُ المطبخ...

صرختُ... مرارًا وتكرارًا. وحرَّكتُ يدي في الهواء بلا هُدًى، وجسدي يرتعِد أكثر مع كُل صرخة أُطلِقها. سَمِعتُ

شيئًا يتحطَّم من خلفي، لكنني لم أشغل بالي بالقلق بشأنه الآن. أمسَكتني يدان كبيرتان وأجبرتاني على الحركة، ووقف جسد ضخم ليحول بيني وبين ما رأيته على أرضيَّة المطبَخ. لم أتعرَّف على بِل، لكنه حملني وتحرَّك بي نحو غُرفة المعيشة، حيث لم يعُد بإمكاني رؤية المزيد.

قال بقسوة: "اخرسي يا سوكي! لن يُجدي هذا نفعًا!".

لو كان لطيفًا معي، لما توقَّفتُ عن الصراخ.

قُلت دون أن أستعيد قُدرتي على التفكير: "آسفة، أنا أتصرَّف مثل ذلك الفتى".

حدَّق بي دون أن يفهم قصدي.

قُلت بخدر: "ذلك الفتى الموجود في قصَّتك".

"يجب أن نتصِل بالشُّرطة".

"بكُل تأكيد".

"يجب أن نتصِل بهم عبر الهاتِف".

"انتظر... كيف أتيتَ إلى هُنا؟".

"أوصلتني جدَّتكِ إلى المنزِل، لكنني أصررتُ على القدوم معها إلى هُنا أولًا لأساعِدها في تفريغ السيَّارة".

"لماذا لا تزال هُنا إذًا؟".

"كُنت في انتظاركِ".

"هل رأيتَ من قتلها إذًا؟".

"لا. لقد ذهبتُ إلى المنزِل، عبر المقبرة، لأغيِّر ملابسي".

كان يرتدي بنطالًا من الجينز الأزرق، وقميصًا لفرقة الروك الشهيرة "جريتفول ديد"*، وفجأة... بدأت أضحَك.

قُلت وضحكاتي تتعالى بشدَّة: "هذا مُضحِك للغاية".

فجأة... غرقتُ في نوبة بُكاء. رفعتُ سماعة الهاتِف، واتصلتُ بالنجدة.

فوصَل آندي بليفلور خلال خمس دقائِق.

***

جاء جيسون بمُجرَّد أن استطعتُ الوصول إليه. جرَّبتُ الاتصال به في أربعة أو خمسة أماكِن مُختلِفة، وأخيرًا... وجدته في حانة ميرلوت. تولى تيري بليفلور مسؤولية الحانة بدلًا من سام الليلة، وعندما انتهى من تبليغ جيسون بضرورة العودة إلى منزِل جدَّته، سألته لو كان بإمكانه الاتصال بسام ليُخبره أنني أُعاني من بعض المشكلات ولن يُمكِنني العمل لبضعة أيام.

لا بُد أن تيري قد اتصل بسام على الفور، لأن سام جاء إلى

* جريتفول ديد: تعني الميِّتين المُمتنين أو الشاكِرين. وهو ما يُعتبر من سُخرية القدر لأن جدَّتها ماتت مُمتنة له لأنه حضر الاجتماع من أجلها. (المُترجم)

منزلي بعد أقل من ثلاثين ثانية، وهو لا يزال يرتدي الملابِس أنفسها التي ارتداها في الاجتماع الليلة. ونظرتُ إلى الأسفل عندما رأيته، وتذكَّرتُ أنني فتحتُ أزرار بلوزتي أثناء سيري في غُرفة المعيشة، وهي حقيقة نسيتُ أمرها تمامًا؛ لكنني كُنتُ على ما يُرام. واتضحَ لي أن بِل لا بُد وأنه قد صحَّح الوضع، وهو ما قد أجده مُحرجًا لاحقًا، أما الآن... فقد شعرتُ بالامتنان له.

جاء جيسون، فأخبرته أن جدَّتي ميِّتة، وأنها ماتَت ميتة شنيعة، فنظر إليَّ فحسب. لم يبدُ أن هُناك أي شيء دار في رأسه في تلك اللحظة، وكأن شخصًا ما قد سلبه قُدرته على استيعاب الحقائِق الجديدة. ثُم استوعَب ما قُلته، فخرَّ ساقِطًا على رُكبتيه في مكانه، وركعتُ على رُكبتيَّ أمامه. لفَّ ذراعيه حولي، وأسند رأسه على كتفي، وبقينا هكذا لوهلة. كُنا كُل ما تبقى بعضنا لبعض.

جَلَسَ بِل وسام في الفناء الأمامي على مقاعِد الحديقة، بعيدًا عن طريق الشُّرطة. وسُرعان ما طُلِبَ مني أنا وسام الخروج إلى الشُّرفة الأماميَّة على الأقل، فاخترنا الجلوس في الخارِج بدورنا. كان الجو مُعتدلًا، فجلستُ في مواجهة المنزِل، الذي أضيئت أنواره بالكامِل ككعكة عيد الميلاد، وبدا الأشخاص الداخلون إليه والخارجون منه كالنمل الذي دُعيَ للحضور إلى الحفلة. وأحاط الجميع بالبقايا التي كانت جدَّتي يومًا ما.

سألني جيسون أخيرًا: "ماذا حدث؟".

قُلت ببطءٍ شديد: "لقد عُدتُ من الاجتماع، وعَرَفتُ أن هُناك شيئًا خاطئًا، بعد ما غادَر سام في شاحِنته الصغيرة، فبدأتُ بالبحث في الغُرف". كانت هذه هي تفاصيل قصَّة كيف وجدتُ جدَّتي ميِّتة، النُّسخة الأصليَّة، تابعتُ حديثي: "قبل أن أجدها عندما دلفتُ إلى المطبخ".

أدار جيسون رأسه ببطءٍ شديدٍ حتى تلاقَت أعيُننا، وقال: "أخبريني".

هززتُ رأسي بصمت. لكن كان من حقِّه أن يعرِف، قُلت: "لقد ضُربَت حتى الموت، لكن يبدو أنها حاولَت المُقاوَمة حسبما أعتقِد. وأيًّا يكُن من فعل ذلك، فقد قطَّعها، قبل أن يخنقها، هذا ما يبدو عليه الأمر".

لم أتمكَّن من النظر حتى إلى وجه شقيقي، قبل أن أقول بصوتٍ يُشبِه الهمس: "إنه خطئي".

قال جيسون بفتورٍ وبطء: "وكيف يكون خطأك؟".

"أعتقِد أن القاتِل جاء لقتلي مثلما قتل ماديت وداون، لكنه وجد جدَّتي هُنا بدلًا مني".

استطعتُ أن أرى الفكرة تترسَّخ في دماغ جيسون.

"كان من المُفترَض أن أعود إلى المنزِل الليلة أثناء وجودها في الاجتماع، لكن سام طلب مني الخروج في اللحظة الأخيرة. كانت سيَّارتي هُنا كالعادة، لأننا ذهبنا في شاحِنة سام الصغيرة.

وأوقفَت جدَّتي سيَّارتها بالخلف حتى تتولى أمر تفريغها، ولذلك لم يبدُ وكأنها هُنا، بل أنا بمُفردي. أوصلَت بِل إلى منزله، لكنه ساعدها في التفريغ قبل أن يذهب لتبديل ملابسه، وبعد ما غادَر... قتلها القاتِل أيًّا كانت هويته".

سألني جيسون وكأن بِل لا يجلِس بجواره: "وكيف تعرفين أنه ليس بِل؟".

استشطتُ غضبًا من غباء شقيقي، فقُلت: "وكيف نعرِف أنه ليس أي شخص آخر؟ يُمكِن أن يكون أي شخص، أي شخص نعرِفه. لا أعتقِد أنه بِل، ولا أعتقِد أن بِل قتل ماديت وداون، لكنني أعتقِد أن قاتِل ماديت وداون هو قاتِل جدَّتي".

قال جيسون بصوتٍ عال: "هل تعرفين أن جدَّتنا تركَت لك هذا المنزِل برمّته؟".

بدا الأمر وكأنه ألقى بدلوٍ من الماء المُثلَّج في وجهي، ورأيتُ سام يجفل بدوره، بينما أظلمَت عينا بِل وازدادَتا برودة.

قُلت: "لا. لطالما افترضتُ أننا سنتشارك هذا المنزِل مثلما تشاركنا الآخر". وعنيتُ بذلك منزِل والدينا، الذي يسكُنه جيسون في الوقت الحالي.

"كما تركَت لكِ كُل الأراضي كذلك".

قُلت: "لماذا تقول ذلك؟". وكدتُ أبكي مرَّة أخرى، لولا أنني قد استنزفتُ كُل دموعي.

صاح: "لأنها لم تكُن عادِلة! لم يكُن الأمر عادلًا، والآن... لم يعُد بإمكانها تصحيحه".

بدأتُ أرتعِد. جذبني بِل من على المقعد وبدأ يسير معي ذهابًا وإيابًا في الفناء. بينما جلس سام أمام جيسون وانخرط معه في نقاشٍ جديٍّ بصوتٍ مُنخفِض مليء بالانفعال.

ورغم أن بِل لفَّ ذراعه حولي، إلا أنني لم أتوقَّف عن الارتعاد.

سألته دون أن أتوقَّع منه إجابة: "هل يقصِد هذا؟".

قال: "لا". رفعتُ ناظريَّ بدهشة، فتابع حديثه: "لا، لقد عجز عن مُساعدة جدَّتكما، ولم يستطِع تقبُّل فكرة انتظار شخص ما لكِ ليقتُلكِ قبل أن يقتُلها بدلًا منكِ. واحتاج لتفريغ غضبه في شيءٍ ما. وبدلًا من أن يغضب منكِ لأنكِ لم تُقتلي، استشاط غضبًا بشأن أشياءَ أخرى. لم أكُن لأدع الأمر يُقلِقني لو كُنتُ مكانكِ".

قُلت له بصراحة: "أعتقِد أنه من المُدهِش للغاية أن تقول ذلك".

أجابني بِل كومبتون، مصَّاص الدماء: "لقد درستُ بعض الحصص الليليَّة في علم النفس".

ولم أستطِع منع نفسي من التفكير بأنه لطالما درس الصيَّادون فرائسهم، ثُم سألته: "ولماذا تركَت لي جدَّتي كُل هذا؟ لماذا لم تترُكه لجيسون؟".

قال: "رُبما ستكتشفين سبب ذلك لاحقًا". وكان هذا يُناسِبني تمامًا.

ثُم خَرَج آندي بليفلور من المنزِل، ووقف على درجات السلم، ناظرًا إلى السماء وكأن هُناك دليلًا قد نُقِش عليها.

قبل أن يصيح بحدَّة: "كومبتون".

قُلت بصوتٍ بدا كالزمجرة: "لا".

شعرتُ ببِل وهو ينظُر إليَّ بدهشةٍ طفيفة، وهو ما بدا وكأنه ردة فعل ضخمة منه.

قُلت بغضب: "سيحدُث الأمر الآن".

قال: "لقد كُنتِ تحمينني، واعتقدتِ أن الشُّرطة ستشتبِه بي لقتل هاتين المرأتين. ولهذا السبب... أردتِ التثبُّت من إمكانيَّة وصول مصَّاصي الدماء الآخرين إليهما. والآن تعتقدين أن بليفلور هذا سيتَّهمني بقتل جدَّتكِ".

"أجل".

أخذ نفسًا عميقًا. كُنا في قلب الظلام، بالقُرب من الأشجار التي تصطف على جانبي الفناء. صَرَخ آندي باسم بِل مرَّة أخرى.

قال بِل بلُطف: "أنا مثلكِ تمامًا، مُتيقِّن من أنكِ كُنتِ الضحية المقصودة يا سوكي".

وبدا الأمر صادِمًا عندما سَمِعته من بين شفتي شخص آخر.

"وأنا لم أقتلهما، ولذلك إذا كان القاتِل هو نفسه الشخص الذي قتلهما، فأنا لم أفعلها، وسيرى ذلك. حتى لو انحدر من نسل آل بليفلور".

بدأنا السير إلى الأضواء مرَّة أخرى، ولم أرغَب في أيٍّ من ذلك. أردتُ أن تختفي الأضواء، والناس، جميعًا، وبِل أيضًا. أردتُ أن أكون وحيدة في المنزِل مع جدَّتي، وأردتُها أن تبدو سعيدة، كما كانت في آخر مرَّة رأيتُها بها.

كان الأمر طفوليًّا وعديم الجدوى، لكن يُمكِنني أن أتمنَّاه رغم ذلك. لقد ضللتُ سبيلي في هذا الحلم، ضللتُ حتى إنني لم أرَ الضرر قادمًا إلا بعد فوات الأوان.

وَقَف شقيقي -جيسون- أمامي وصفعني على وجهي.

كان الأمر غير متوقَّع ومؤلمًا حتى إنني فقدتُ توازُني وترنَّحتُ جانبًا، قبل أن أسقُط على رُكبتي بشدَّة.

بدا أن جيسون سيستكمِل ما بدأه، لكن بِل ظهر أمامي فجأة، جاثمًا، وكاشفًا عن أنيابه حتى بدا مُخيفًا بشدّة. دفع سام جيسون وأسقطه أرضًا، ورُبما ضَرَب وجه جيسون بالأرض مرَّة كإجراءٍ احترازي.

أثار هذا العرض العنيف غير المتوقَّع دهشة آندي بليفلور. لكنه بعد ثانية، وقف على العُشب بين مجموعتينا الصغيرتين.

نَظَر إلى بِل قبل أن يبتلِع ريقه، ويقول بصوتٍ هادئ: "هدئ من روعك يا كومبتون، لن يضربها مرَّة أخرى".

أخذ بِل نفسًا عميقًا، محاولًا السيطرة على جوعه إلى دماء جيسون. لم أتمكَّن من قراءة أفكاره، لكنني تمكَّنتُ من قراءة لُغة جسده.

كما لم يُمكِنِّي قراءة أفكار سام بالضبط، لكنني تمكَّنتُ من معرفة أنه يستشيط غضبًا.

بينما كان جيسون يبكي، ولم تكُن أفكاره سوى فوضى كئيبة مشوَّشة ومُتشابِكة.

في حين لم يُحِب آندي بليفلور أيًّا منَّا، وتمنى لو أن بإمكانه أن يحبِس كُل واحِد منَّا لسببٍ أو لآخر.

دفعتُ نفسي للوقوف على قدميَّ بإرهاق، ولمستُ البُقعة المؤلِمة في وجنتي، مُستفيدةً من الألم في تشتيت انتباهي عن الألم الذي غزا قلبي، وعن الحُزن العميق الذي اجتاحني.

واعتقدتُ أن هذه الليلة لن تنتهي أبدًا.

قال الكاهِن إن الجنازة كانت الأكبر على الإطلاق في أبرشيَّة رينارد. وتحت سماء أوائِل الصيف الرائِعة، دُفِنَت جدَّتي بجوار والدي ووالدتي في مقبرة عائِلتنا في المقبرة القديمة التي تقع بين منزِل آل كومبتون وبين منزلها.

كان جيسون مُحقًّا، فقد أصبح منزلي الآن. انتقلَت ملكيَّة المنزِل والعشرين فدَّانًا المُحيطة به إليَّ، وكذلك حقوق التعدين. بينما قُسِّمَت أموال جدَّتي بالتساوي فيما بيننا، كما اشترطَت جدَّتي أن أتنازَل لجيسون عن نصف المنزِل الذي عاش فيه والدانا، لو رغبتُ في الاحتفاظ بكامِل حقوقي في منزلها. وكان من السهل القيام بذلك، حيث إنني لم أرغَب في تقاضي أي أموال من جيسون مُقابِل هذا التنازُل، رغم أن المُحامي الخاص بي بدا مُتشكِّكًا عندما أخبرته بذلك. سيستشيط جيسون غضبًا، لو طلبتُ منه الدفع مُقابِل نصفي في المنزِل؛ فحقيقة أنني كُنت مالِكةً جُزئيّةً لم تكُن أكثر من مُجرَّد خيال بالنسبة له. ورغم ذلك، فقد مثَّل ترك جدَّتي منزلها لي صدمةً كبيرة. يبدو أنها فهِمته أفضل مما فهمته أنا.

قُلت لنفسي: لقد كُنت محظوظةً لأنني حظيتُ بدخلٍ آخرَ بخلاف الحانة. حاولتُ التركيز على شيء آخر بخلافٍ خسارتها. إنه من شأن دفع الضرائِب على الأرض والمنزِل، بالإضافة إلى صيانة المنزِل، وهو الأمر الذي تولته جدتي بشكلٍ جُزئي، أن تَزيد دخلي حقًّا.

أحضرَتْ ماكسين فورتِنبيري قدر البيض وسلطة لحم الخنزير، وحاولت أن تُساعدني أكثر عن طريق تنظيف المطبخ، قبل أن تقول أثناء انهماكها في التنظيف: "أعتقِد أنكِ سترغبين في الانتقال من هُنا".

قُلت بدهشة: "لا".

اكفهرَّ وجه ماكسين السمين تحت وطأة القلق وهي تقول: "لكن يا عزيزتي... إن ما حدث هُنا...".

قُلت مُفسِّرة: "تفوق ذكرياتي الجيِّدة في هذا المطبخ تلك الذكريات السيِّئة".

فأجابتني بدهشة: "يا لها من طريقةٍ عظيمةٍ للنظر في الأمر يا سوكي، أنتِ حقًّا أذكى مما يفترِض الآخرون".

قُلت: "يا إلهي، شُكرًا يا سيِّدة فورتِنبيري". ولم تُجِبني عندما سَمِعَت النبرة الجافَّة التي سيطرت على صوتي، وربما كان ذلك ضربًا من الحكمة.

سألتني: "هل سيأتي صديقكِ إلى الجنازة؟".

كان المطبخ دافِئًا، ودسَّت ماكسين السمينة الضخمة وجهها في منشفة الأطباق. لقد قامَت صديقات جدَّتي -ليُبارِكهن الله- بتنظيف المكان الذي قُتِلَت فيه.

"صديقي؟ تقصدين بِل؟ لا... لن يأتي".

نظرَت لي بغباء.

قُلت: "تُقام الجنازة نهارًا بالطبع".

ما زالت لم تفهَم.

"لا يستطيع الخروج أثناء النهار".

قالت: "أجل، بالطبع!". ثُم ضربَت جانِب رأسها بإصبعها وكأنها تطرُق باب الفهم ليستيقِظ، قبل أن تُضيف: "يا لي من غبيَّة. هل ستحرقه أشعة الشمس حقًّا؟".

"حسنًا، يقول إنها ستفعل".

"أنا سعيدة للغاية لأنه تحدَّث إلينا في النادي كما تعلمين، فقد أحدثَ ذلك فارقًا كبيرًا في جعله جُزءًا من المُجتمع".

أومأتُ برأسي ذاهِلة.

قالت: "هُناك الكثير من المشاعِر بشأن جرائِم القتل يا سوكي. وهُناك الكثير من الأقاويل التي تتعلَّق بمصَّاصي الدماء، وبمسؤوليتهم عن تلك الجرائِم".

نظرتُ إليها بعينين غاضبتين.

قالت: "لا تصُبي جام غضبكِ عليَّ يا سوكي ستاكهاوس! وبما أن بِل تحلى باللُّطف الكافي لقصِّ هذه القصص المُثيرة في اجتماع الأحفاد، فإن مُعظم الناس لا يعتقِدون أن بإمكانه القيام بتلك الأشياء الفظيعة التي ارتكبها القاتِل". تساءلتُ عن الأقاويل التي تنتشِر، وارتعدتُ عندما فكَّرتُ في الأمر، بينما تابعَت هي حديثها: "لكنه حظي ببعض الزوَّار الذين لم يُحبَّهم الناس كثيرًا".

تساءلتُ لو كانت تقصِد مالكوم، وليام، وديان. فلم يُعجِبني مظهرهم كثيرًا بدوري، وقاومتُ رغبتي التلقائيَّة في الدفاع عنهم.

قُلت: "يختلِف مصَّاصو الدماء فيما بينهم كما يختلِف البشر تمامًا".

أومأت برأسها بشدّة، قبل أن تقول: "وهذا ما أخبرتُ به آندي بليفلور، حيث قُلتُ له: يجِب أن تُطارِد بعض هؤلاء الآخرين، الذين لا يُريدون أن يتعلَّموا كيف يعيشون بيننا، على عكس بِل كومبتون، الذي يبذُل قصارى جُهده للاستقرار. والذي أخبرني في دار الجنازات أنه قد انتهى من مطبخه أخيرًا".

لم يسعني إلا أن أُحدِّق فيها، محاوِلةً التفكير فيما قد يُغيِّره بِل في مطبخه، وفيمَ سيحتاج مطبخًا من الأساس؟

لكن لم ينجَح أي من عوامِل التشتيت في مُهِمته، وأخيرًا... أدركتُ أنني سأبكي مع كُل تعثُّر لفترةٍ من الوقت، وهكذا فعلت.

وَقَف جيسون بجواري في الجنازة، وبدا أنه قد تجاوَز نوبة غضبه تجاهي، وعاد لصوابه. لم يلمسني أو يتحدَّث إليَّ، لكنه لم يضربني كذلك. شعرتُ بالوحدة الشديدة، قبل أن أُدرِك عندما نظرتُ إلى جانِب التل، أن المدينة بأكملها تُشاركني حُزني. فقد اصطفَّت السيَّارات في ممرات المقبرة الضيِّقة على طول مجال رؤيتي، وتناثَر مئات الأشخاص المُتَّشحين بالسواد حول خيمة دار الجنازات. وقف سام هُناك، مُرتديًا بدلة (وبدا مُختلِفًا عمَّا يبدو عادةً)، وكذلك آرلين، التي وقفَت مع رينيه، مُرتديةً فُستانًا مُحتشِمًا تُزيِّنه الزهور. أما لافاييت

فوقف في مؤخِّرة الحشد مع تيري بليفلور، وتشارلز توتن؛ لا بُد وأن الحانة مُغلقة إذًا! كما وُجِدَ جميع أصدِقاء جدَّتي، الذين لا يزال بإمكانهم السير. بكى السيِّد نوريس علانيَة، ورفع منديله الأبيض الثلجي إلى عينيه. أما وجه ماكسين السمين فقد أثقلته تجاعيد الحُزن. وبينما قال الكاهِن ما يتوجَّب عليه قوله، ووقفنا أنا وجيسون بمُفردنا في منطِقة العائِلة على المقاعِد غير المستوية القابِلة للطي، شعرتُ داخلي بشيءٍ يترُكني ويُحلِّق للأعلى، نحو السماء الزرقاء؛ وعرفتُ أن جدَّتي الآن في مكانٍ أفضل، بغض النظر عمَّا حدث لها.

مضى باقي اليوم في هدوءٍ، حمدًا لله. لم أرغَب في تذكُّر تفاصيله، ولم أرغَب حتى في معرِفة ما يحدُث. لكن لحظة مُعيَّنة أبت ذلك، ووقفَت لي بالمرصاد.

وقفنا أنا وجيسون بجوار منضدة غُرفة الطعام في منزِل جدَّتي، وقد فرضت هُدنة مؤقَّتة نفسها علينا. استقبلنا المُعزين، الذين بذل مُعظمهم قصارى جُهدهم كيلا يُحدِّقوا في الكدمة التي زيَّنت وجنتي.

مضينا قدمًا، وفكَّر جيسون في العودة إلى المنزِل وتناوُل كأس من الشراب، دون أن يضطر لرؤيتي لفترةٍ من الوقت، وبعد ذلك... سيُصبِح كُل شيء على ما يُرام، وفكَّرتُ في الشيء نفسه تقريبًا بدوري. باستثناء فكرة الشراب.

تقدَّمت إلينا امرأة حسَنة النيَّة، من ذلك النوع من النساء الذي يُفكِّر في كُل تداعيات موقِف لم يكُن من اختصاصه أصلًا.

قالت: "آسِفة جدًّا من أجلكما أيها الطفلان".

نظرتُ إليها؛ ولم أستطِع تذكُّر اسمها مهما حاولت. إنها أحد أتباع الميثوديَّة*، ولديها ثلاثة أبناء بالغين. لكن اسمها ترك رأسي وفرَّ هاربًا بلا رجعة.

ثُم أضافَت وقناع من التعاطُف يحل محل ملامحها بشكل تلقائي: "من المُحزِن جدًّا رؤيتكما بمُفردكما هُنا اليوم كما تعلمان، لقد جعلني هذا أتذكَّر والدتكما ووالدكما بشدَّة".

نظرتُ إلى جيسون، قبل أن أنظُر إلى المرأة مرَّة أخرى، وأومئ برأسي قائِلة: "أجل".

لكنني قرأت أفكارها قبل أن تتحدَّث، وبدأت أشعُر بالخجل.

سألتني: "لكن أينَ شقيق آديل اليوم؟ خالكما الأكبر؟ من المؤكَّد أنه لا يزال على قيد الحياة؟".

قُلت بطريقةٍ من شأنها أن تُثبِّط عزيمة أي شخص يفوق هذه السيِّدة حساسيَّة: "لسنا على تواصُلٍ معه".

قالت: "لكنه شقيقها الوحيد! بالتأكيد يُمكِن لكما أن...". قبل أن تصمُت عندما نظرنا إليها معًا.

علَّق العديد من الأشخاص الآخرين على غياب خالنا بارتلِت، لكننا منحناهم إشارات تقول: "هذا شأن عائلي"

* الميثوديَّة: طائِفة بروتستانتيَّة ظهرت في القرن الثامِن عشر في المملكة المُتحدة. (المُترجِم)

وقطعنا الطريق عليهم على الفور. أما تلك المرأة -ماذا كان اسمها؟- فلم تكُن جيِّدة في قراءة تلك الإشارات. كانت قد أحضرت سلطة تاكو، خطَّطتُ لرميها في القمامة بعد رحيلها.

قال جيسون بعد رحيلها: "يجِب أن نُخبره". رفعت أسوار حصوني؛ فلم تكُن لي رغبة حقيقية في معرِفة ما يُفكِّر به.

قُلت: "اتصل به".

"حسنًا".

وكانت هذه هي كُل الكلمات التي تبادلناها لبقية اليوم.

(٦)

بقيتُ في المنزِل لمُدَّة ثلاثة أيام بعد الجنازة، كانت فترة طويلة للغاية؛ حتى إنني احتجتُ للعودة إلى العمل. لكنني ما انفككتُ أُفكِّر في الأشياء التي توجَّب عليَّ فعلها، أو هكذا أخبرتُ نفسي. نظَّفتُ غُرفة جدَّتي، حيث تصادَف أن مرَّت بي آرلين، فطلبتُ مُساعدتها، لأنه لم يكُن باستطاعتي أن أدخُلها بمُفردي في ظلِّ وجود كُل حاجيات جدَّتي بداخلها، فكُلها مألوفة للغاية ومُشبَّعة برائِحتها الشخصيَّة التي تُمثِّل مزيجًا بين بودرة جونسون للأطفال ومرهَم كامفو فنيك.

وهكذا ساعدتني صديقتي آرلين في حزم كُل شيء لأخذها إلى وكالة الإغاثة من الكوارِث، فقد ضربَت الأعاصير شمال أركنساس خلال الأيام القليلة الماضية، ومن المؤكَّد أنه يُمكِن لبعض الأشخاص الذين فقدوا كُل شيء أن يستفيدوا من كُل هذه الملابِس. فقد كانت جدَّتي أصغر حجمًا وأنحف مني، وبالإضافة لذلك، كان ذوقها مُختلِفًا للغاية، ولذلك لم أكُن أرغَب في شيءٍ مما تركت سوى المجوهرات، التي لم تلبسها كثيرًا، لكن ما ارتدته كان حقيقيًّا وثمينًا بالنسبة لي.

كان من المُدهِش مقدار ما تمكَّنَت جدَّتي من وضعه داخِل غُرفتها. لم أرغَب حتى في التفكير فيمَا خزَّنته في العُلية؛ سأتعامَل مع ذلك لاحقًا، عندما يحل الخريف، وتُصبِح العُلية بارِدة بشكلٍ مُحتمَل، ويتسنى لي الوقت للتفكير.

رُبما تخلَّصتُ من أشياءَ أكثر مما ينبغي، لكن القيام بذلك جعلني أشعُر بمزيدٍ من الكفاءة والقوَّة، وقد قُمتُ بعملٍ جذريٍّ فيما يتعلَّق بهذا الأمر. طَوَت آرلين وحزمَت أمتِعتها، ولم تحتفِظ سوى بالأوراق، والصور الفوتوغرافيَّة، والرسائِل، والفواتير، والشيكات المُلغاة. لأن جدَّتي -رحمها الله- لم تستخدِم قط أي بطاقة ائتمانيَّة ولم تشترِ أي شيء في الوقت المُحدَّد، وهو ما جعل عملية التصفية أسهل بكثير.

سألتني آرلين عمَّا سأفعله بسيَّارة جدَّتي، حيث إنها معها منذ خمس سنوات فحسب، ولم تقطَع سوى القليل من الأميال: "هل ستبيعين سيَّارتكِ وتحتفظين بها؟ صحيح أن سيَّارتكِ أحدث، إلا أنها أصغر حجمًا".

أجبتها: "لم أُفكِّر في ذلك". ووجدتُ أنني لا أستطيع التفكير في الأمر، وأن تنظيف غُرفتها هو جُل ما يُمكِنني فعله في ذلك اليوم.

وفي نهاية فترة ما بعد الظهيرة، خَلَت غُرفة النوم من أي أثرٍ لجدَّتي. ساعدتني آرلين في قلب المرتبة، وإعادة ترتيب الفراش بشكلٍ مُختلفٍ عمَّا اعتادته. كان فراشًا قديمًا عالي

القوائِم مُزيَّنًا بنقشة الأرز. ولطالما فكَّرتُ أن غُرفة نومها جميلة، وخَطَر لي الآن أنها قد أصبحت ملكي. وأن بإمكاني الانتقال إلى غُرفة النوم الأكبر وأحظى بدورة مياه خاصَّة بدلًا من استعمال تلك الموجودة في الرواق.

وفجأة... بات هذا بالضبط ما أردتُ فعله. فقد نُقِل الأثاث الموجود في غُرفة نومي من منزل والديَّ إلى هُنا عندما توفيا، وكان أثاثًا للأطفال؛ وأنثويًّا بشكلٍ مُفرِط، ويُذكِّرني بدُمى باربي وحفلات النوم.

لكن هذا لا يعني أنني نِمتُ بالخارِج كثيرًا، أو ارتدتُ الكثير من حفلات النوم.

لا، لا، لا، لم أكُن لأقع في ذلك الفخ. فقد كانت هذه هي سجيَّتي، وكان لديَّ حياة، وبإمكاني التمتُّع بالأشياء؛ وبالمُتع الصغيرة التي تُشجِّعني على الاستمرار.

قُلت لآرلين وهي تُغلِق الصندوق بالشريط اللاصِق: "رُبما أنتقِل إلى هُنا".

سألتني: "أليس هذا قريبًا للغاية؟". قبل أن تحمر خجلًا عندما أدركَت أنها بدت انتقاديَّة.

أجبتها: "سيكون من الأسهل أن أكون هُنا عوضًا عن أن أجلِس في الرواق لأفكِّر في أن الغُرفة فارِغة". تدبَّرَت آرلين تلك الفكرة، وهي تجلِس القُرفصاء بجوار صندوق الورق المقوى، ومُمسِكة بلفَّة الشريط اللاصِق في يدها.

قالت وهي تومئ برأسها الذي يُزيِّنه شعرها الأحمر المتوهِّج: "يُمكِنني فهم ذلك".

وضعنا صناديق الورق المقوى في سيَّارة آرلين، ووافقَتْ بلُطفٍ على توصيلها إلى مركز التجميع في طريقها للمنزِل. لقد قبلتُ العرض بمُنتهى الامتنان، لأنني لم أرغَب في أن ينظُر لي أحد من يعرفونني معرفة سابِقة بشفقة، بينما أتبرَّع بملابِس وأحذية ومنامات جدَّتي.

عانقتُ آرلين وقبَّلتها على خدها قبل أن تُغادِر، فحدَّقت بي، لأن هذا كان خارِج حدود صداقتنا حتى هذه اللحظة. حنَت رأسها نحوي وصدمَت جبهتها بجبهتي بلُطفٍ شديد.

قالت والحنان يملأ صوتها: "تعالي لرؤيتنا أيتها الفتاة المجنونة، لطالما أرادتكِ ليزا أن تُجالسيها مرَّة أخرى".

"أخبريها أن العمَّة سوكي تُلقي التحيَّة عليها، وعلى كوبي أيضًا".

قالت: "سأفعل". قبل أن تتجِه إلى سيَّارتها، وشعرها المتوهِّج ينتفِخ في كُتلةٍ مموَّجةٍ فوق رأسها، ويتألَّق جسدها داخِل زي النادِلة الذي ترتديه ليعد عيون المُشاهدين وعودًا كبيرة.

استُنزِفَت كامِل طاقتي عندما قطعَت آرلين الممر الذي يمتد ما بين الأشجار. شعرتُ بأن عُمري يتجاوَز المليون عام، وأنني وحيدة تمامًا. وهذه هي الطريقة التي ستكون عليها الأمور من الآن فصاعدًا.

ورغم أنني لم أشعُر بالجوع، إلا أن ساعة الأكل قد دقَّت. ذهبتُ إلى المطبخ، وأخرجتُ إحدى الحاويات البلاستيكيَّة العديدة من الثلاجة. وجدتها تحتوي على سلطة الديك الرومي والعنب، التي أحببتُها، لكنني جلستُ هُناك عند الطاوِلة أُنقِّب فيها بالشوكة فحسب. قبل أن أستسلِم، وأعيدها إلى المُجمِّد، وأذهب للحمَّام للاستحمام الذي كُنتُ في أمس الحاجة إليه. لطالما امتلأت زوايا الخزانات بالغُبار، ولم يكُن بإمكان مُدبِّرة منزِل جيِّدة كجدَّتي حتى أن تستطيع التغلُّب على الغُبار.

بدا الاستحمام رائِعًا. وبدا أن الماء الساخِن قد بخَّر بعضَ بؤسي. غسلتُ شعري بالشامبو، وفركتُ كُل شبر من جلدي، وحلقتُ ساقيَّ وإبطي. وبعد ما انتهيتُ، نتفتُ حاجبي، ووضعتُ مُرطِّبًا للبشرة، ومُزيلًا للعرق، ورذاذًا لفك تشابُك شعري، وكُل ما استطعتُ وضع يديَ عليه. وبينما انسدل شعري على ظهري في سلسلةٍ من الضفائِر الرطْبة، ارتديتُ مناmتي -تلك التي يُزيِّنها تويتي من الأمام- وأمسكتُ بمشطي. جلستُ أمام التلفاز لأشاهِد شيئًا ما بينما أُمشِّط شعري، وهي عملية لطالما كانت شاقَّة.

فشعرتُ بالخدر تقريبًا عندما انتهيتُ من هدفي الصغير.

رنَّ جرس الباب بينما سرتُ في غُرفة المعيشة، مُمسِكةً بمشطٍ في إحدى يديَّ وبمنشفةٍ في يدي الأخرى.

نظرتُ من ثَقب الباب، ورأيتُ بِل ينتظرني بصبرٍ في الشُّرفة الأماميَّة.

سمحتُ له بالدخول دون أن تغمُرني السعادة أو ينتابني الأسف على رؤيته.

طالعني بقليلٍ من الدهشة؛ بسبب مناماتي، وشعري المُبتَل، وقدميَّ الحافيتينِ، وبدون أي مكياج.

قُلت: "تفضَّل بالدخول".

"هل أنتِ واثقة؟".

"أجل".

دَخَل وبدأ يتلفَّت حوله كعادته قبل أن يسألني: "ماذا تفعلين؟". رأى كومة الأشياء التي وضعتها جانبًا لأنني اعتقدتُ أن أصدِقاء جدَّتي قد يرغبون في الحصول عليها؛ فعلى سبيل المثال، رُبما يشعُر السيِّد نوريس بالسعادة للحصول على تلك الصورة المؤطَّرة لوالدته ووالدة جدَّتي معًا.

قُلت: "لقد نظَّفتُ غُرفة نومها اليوم، وأعتقِد أنني سأنتقِل إليها". ثُم عجزتُ عن التفكير في أي شيء آخر لقوله. التفتَ لينظُر لي بحرص.

ثُم قال: "دعيني أُمشِّط شعركِ".

أومأتُ برأسي بلا مُبالاة. جَلَس بِل على الأريكة المُزيَّنة بالزهور، قبل أن يُشير إلى المسنَد القديم القابع أمامها. جلستُ عليه بطاعة، فمال للأمام قليلًا، وأحاطني بفخذيه. وبدأ بإزالة تشابُك شعري، بدءًا من قمَّة رأسي.

وكالعادة، كان صمت دماغه بمثابة مُتعة بالنسبة لي. وفي كُل مرَّة، كان أشبه بوضع قدمي في بركةٍ من الماء البارِد بعد نُزهة طويلة ومُترَّبة في يومٍ حار.

وعلى سبيل المُكافأة، بدت أصابع بِل الطويلة ماهِرة في التعامُل مع شعري الكثيف. جلستُ وأغلقتُ عيني، وهدأتُ بشكل تدريجي. شعرتُ بحركات جسده الطفيفة من خلفي وهو يُمشِّط شعري، قُلت لنفسي: أكاد أسمع دقَّات قلبه، ثُم أدركتُ مدى غرابة تلك الفكرة. فقلبه -بعد كُل شيء- لم يعُد ينبض.

تمتم بهدوءٍ وكأنه يُدرِك مدى سلامي النفسي الذي أشعُر به، ويُحاوِل ألا يُفسِد مزاجي العام: "اعتدتُ القيام بذلك لشقيقتي، سارة، التي كان شعرها أغمَق من شعركِ، بل حتى وأطوَل، حيث إنها لم تقُصَّه قط. وعندما كُنا طفلين، اعتادَت والدتي أن تطلُب مني أن أُمشِّط شعر سارة كُلما كانت مشغولة".

سألته بصوتٍ خدرٍ وببطء: "هل كانت سارة أصغر منك؟ أم أنها كانت أكبر؟".

"بل أصغر مني. كانت أصغر مني بثلاث سنوات".

"هل كان لديك أي أشقَّاء أو شقيقات آخرين؟".

قال ببطءٍ وكأنه بالكاد يتذكَّر: "فقدَت والدتي طفلين أثناء الولادة، كما فقدتُ شقيقي، روبرت، عندما كان في الثانية عشرة من عُمره وكُنت أنا في الحادية عشرة. أصيبَ بحُمى،

ولم يتحمَّلها، فقتلته. لو أصيب بها الآن، لحقنوه بالبنسلين، ولأصبح على خير ما يُرام، لكنهم لم يستطيعوا القيام بذلك آنذاك. نجَت سارة من الحرب، وكذلك والدتي، رغم أن والدي مات أثناء خدمتي العسكريَّة؛ بعد ما أُصيب بما عَرِفتُ بعد ذلك أنها سكتة دماغيَّة. وكانت زوجتي تعيش مع عائِلتي آنذاك، أما أبنائي...".

قُلتُ بحُزن، وبهمسٍ تقريبًا، لأنه فقد الكثير: "عجبًا يا بِل".

قال بعد ما استعاد صوته وضوحه البارِد: "لا تفعلي يا سوكي".

استمرَّ في العمل في صمتٍ لفترةٍ من الوقت، حتى أدركتُ أن المشط يسري في شعري بحُريَّة. التقطَ المنشفة البيضاء التي ألقيتُها على ذراع الأريكة، وبدأ يربت ببطءٍ على شعري حتى جفَّ، ثُم مرَّر أصابعه عبره لينفُشه قليلًا.

قُلت: "هممم". وعندما سَمِعتُ ذلك، أدركتُ أنه لم يعُد صوت شخص يتم تهدئته.

استطعتُ الشعور بأصابعه البارِدة ترفع الشعر بعيدًا عن عُنقي، قبل أن أشعُر بفمه عند مؤخِّرة عُنقي. لم أتمكَّن من الحديث، أو الحركة، فزفرتُ ببطءٍ محاولةً عدم إصدار أي صوت آخر. تحرَّكَت شفتاه نحو أذني، وأمسَك حلمتها بين أسنانه، قبل أن يندفِع لسانه بداخلها. لفَّ ذراعيه من حولي، لتتقاطعا فوق صدري، قبل أن يجذبني إليه.

وكمُعجِزة، عجزتُ عن سماع أي شيء سوى ما يقوله جسده، لا تلك الأشياء المُزعِجة المُنبعِثة من الأدمِغة والمُتخصِّصة في إفساد لحظات كتلك. قال جسده شيئًا يسيرًا للغاية.

رفعني بالقدر نفسه من السهولة التي بإمكاني أن أُدير بها طفلًا رضيعًا، وأدارني إليه حتى وجدتني أواجِهه، فجلستُ في حِضنه، وساقاي تُحيطان بجانبيه. لففتُ ذراعيَّ حوله وانحنيتُ قليلًا لأُقبِّله. استمرَّ الأمر دون توقُّف، لكن بعد فترة استقرَّ بِل على ايقاعٍ بلسانه، إيقاع يُمكِن لأي شخص معرفته مهما افتقرَ إلى الخبرة. انزلق قميص مناماتي إلى أعلى فخذي، وبدأتُ بفرك يديه بيديَّ دون حول ولا قوَّة. الغريب... أنني بدأتُ أُفكِّر في وعاء الكراميل الذي وضعته جدَّتي فوق الموقِد لإعداد وصفة حلوى، وفي اللون الذهبي الدافئ للكراميل الذائِب.

وقف، فوقفتُ وأنا لا أزال أحيط به، سألني: "أين؟".

أشرتُ إلى غُرفة جدَّتي السابِقة، فحملني كما كُنَّا، وساقايَ مُلتفَّتان من حوله، ورأسي مُستنِد إلى كتفه، ووضعني على الفراش النظيف. وقف بجوار الفراش، ورأيته في ضوء القمر القادِم من النوافِذ غير المُظلَّلة، وهو يخلع ملابسه بسُرعةٍ ودقَّة. ورغم أنني استمتعتُ بمُشاهدته كثيرًا، إلا أنني عرَفتُ أنني يجب أن أفعل المثل؛ لكنني ما زلتُ أشعُر بقليلٍ من الحرج، فخلعتُ قميص مناماتي، وألقيته على الأرض.

حدَّقتُ به، لم يسبِق لي أن رأيتُ شيئًا جميلًا ومُخيفًا للغاية مثله قط من قبل في حياتي.

قُلت بقلقٍ عندما دخل إلى الفراش بجواري: "عجبًا يا بِل، لا أريد أن أُخيِّب ظنَّك".

همس وعيناه تتوقان لجسدي كما يتوق الظمآن لشربة ماء في الصحراء القاحِلة: "هذا مُستحيل".

قُلت بصوتٍ بالكاد مسموع: "لا أتمتَّع بكثيرٍ من الخبرة".

قال: "لا تقلقي، فأنا أتمتَّع بالكثير". وبدأت يداه تتحسَّسان جسدي، وتلمِسانني في أماكِن لم يسبِق لأحد لمسها. ارتجفتُ من الدهشة، قبل أن أنفتِح أمام لمساته تمامًا.

سألته: "هل سيختلِف الأمر عن القيام به مع رجل عادي؟".

"أجل".

نظرتُ إليه بعينين سكنهما التساؤل.

هَمَس في أذني: "سيكون أفضل". وشعرتُ بوخزٍ من الإثارة الخالِصة.

مددتُ يدي ولمسته بقليلٍ من الخجل، فأصدر صوتًا بشريًّا للغاية. وبعد لحظة، بدأ الصوت يزداد عُمقًا.

سألته بصوتٍ خشنٍ مُرتعِد: "الآن؟".

قال وهو يعتليني: "أجل".

وبعد لحظة، اكتشفَ المدى الحقيقي لقلَّة خبرتي.

قال بلُطفٍ بالغ: "توجَّب عليكِ أن تُخبريني". ثُم حافظ على ثباته بجهدٍ واضحٍ تقريبًا.

توسَّلتُ إليه: "أرجوك... لا تتوقَّف!". مُعتقِدةً أنه لو توقَّف، فستفِر المُتعة هارِبة من قمَّة رأسي، وسيحدُث شيء جذري، إذا لم يستمِر في ذلك.

قال بتجهُّم: "ليس لدي أي نيَّة في التوقُّف، سيؤلمكِ هذا... يا سوكي".

وردًّا عليه، رفعتُ نفسي قليلًا. فأصدر ضجيجًا غير مُتماسِك قبل أن يدخُلني.

حبستُ أنفاسي، وعضضتُ شفتي، اللعنة، اللعنة، اللعنة!

قال بِل: "حبيبتي". لم يُنادِني أحد بهذا من قبل، تابع حديثه مُتسائِلًا: "كيف حالكِ؟".

وسواء كان مصَّاص دماء أم لا، فقد ارتجف من الجُهد الذي يبذله للتماسُك.

قُلت بلا دقَّة: "بخير". كُنت قد تجاوزتُ الأمر، وسأفقِد شجاعتي إذا لم نواصِل القيام به، قُلت: "الآن". ثُم عضضتُ كتفه بقوَّة.

شَهَق، وارتعد، وبدأ يتحرَّك بجديَّة. في البداية... غرقتُ في بحرٍ من الذهول، لكنني سُرعان ما بدأتُ باللحاق بالركب

ومواصلة الأمر. وجد تجاوُبي معه مُثيرًا للغاية، وبدأتُ أشعُر بأن شيئًا ما كان على وشك الحدوث، ولذلك قُلت... لأنطِق بشيءٍ جيِّدٍ ومؤثِّر: "أرجوك يا بِل! أرجوك!".

غرستُ أظافري في فخذيه، كدتُ أصِل، كدتُ أصلِ، وبعد ذلك... سَمَح له تغيير يسير في وضعنا بالضغط عليَّ بشكلٍ مُباشرٍ أكثر، وقبلٍ أن أتمكَّن من جمع قواي تقريبًا، وجدتُ نفسي أطير، وأحلِّق، وأرى لونًا أبيض تشوبه خطوط ذهبيَّة. ثم شعرتُ بأسنان بِل على رقبتي، قُلت: "أجل!". وشعرتُ بأنيابه تخترقني، مُخلِّفةً ألمًا يسيرًا، ومُثيرًا، وعندما انغرسَت بداخلي، شعرتُ به يشرَب من الجرح الصغير.

استلقينا هُناك لفترةٍ طويلة، نرتعِد من وقتٍ لآخرٍ بهزَّاتٍ ارتداديّةٍ صغيرة. لن أنسى طعمه ورائِحته أبدًا ما حييت، ولن أنسى أبدًا شعوري به بداخلي للمرَّة الأولى -مرَّتي الأولى على الإطلاق- ولن أنسى اللذَّة أبدًا.

أخيرًا تحرَّك بِل للاستلقاء بجواري، مُتكئًا على أحد مرفقيه، ووضع يده فوق معدتي.

قال: "أنا الأول".

"أجل".

قال: "عجبًا يا سوكي". وانحنى ليُقبِّلني، وشفتاه تلتهِمان خط حلقي.

قُلت بخجل: "يُمكِنك معرفة أنني لا أتمتَّع بكثيرٍ من الخبرة، لكن ألم يُزعِجك ذلك؟ أعني... على سبيل المُقارنة مع النساء الأخريات على الأقل؟ سأتحسَّن".

قال وهو يُقبِّلني على خدي: "يُمكِنكِ أن تُصبحي أكثر مهارةً يا سوكي، لكن لا يُمكِنكِ أن تُصبحي أفضل. أنت رائِعة".

"هل سأتألَّم؟".

"أعلَم أنكِ ستعتقدين أن هذا غريب، لكنني لا أتذكَّر جيِّدًا. فالعذراء الوحيدة الأخرى التي ضاجعتها كانت زوجتي، وحدث ذلك قبل قرن ونصف القرن... أجل، أتذكَّر، ستتألَّمين كثيرًا. ولن نكون قادِرين على مُمارسة الجنس مرَّة أخرى ليومٍ أو اثنين".

قُلت بعد برهة من الصمت، وشعرتُ بوجنتيَّ تحمرَّان خجلًا: "لكن دماءك تشفي".

ورأيته، في ضوء القمر، يعتدِل لينظُر إليَّ بشكلٍ مُباشرٍ أكثر، قبل أن يقول: "هكذا تفعل، هل ترغبين في ذلك؟".

"بالتأكيد، ألا ترغَب أنت فيه؟".

تنفَّس قبل أن يعض ذراعَه قائِلًا: "بلى".

كان الأمر مُفاجِئًا حتى إنني صرخت، لكنه فَرَكَ إصبعه في دمائه بشكلٍ عرضي، وقبل أن أتوتَّر، دسَّ إصبعه بداخلي. وبدأ يُحرِّكه بلُطفٍ بالغ، وللحظة... اختفى الألم بكُل تأكيد.

قُلت: "شكرًا، أشعُر بحالٍ أفضل الآن".

لكنه لم يُخرِج إصبعه.

قُلت: "عجبًا، هل ترغَب في القيام بالأمر مرَّة أخرى قريبًا؟ هل يُمكِنك القيام بذلك؟". وبدأتُ أتمنى ذلك، بينما استمرَّ إصبعه في الحركة.

قال وقد شابَ صوته الحُلو العميق بعض الاستمتاع: "انتظري وسترين".

همستُ وقد فقدتُ قدرتي على التركيز: "أخبرني ماذا تُريد مني أن أفعل".

وقد فعل...

***

عُدتُ إلى العمل في اليوم التالي. وبغض النظر عن قُدرات بِل العلاجيّة، إلا أنني شعرتُ بقليلٍ من عدم الارتياح، لكن يا ويلي... شعرتُ بمزيدٍ من القوَّة. وكان ذلك شعورًا جديدًا تمامًا بالنسبة لي، كما كان من الصعب ألا أشعُر -حسنًا، ستكون كلمة "بالغرور" كلِمة خاطِئة- رُبما ستكون كلمة "بالعجرفة" هي الأقرب بشكلٍ لا يُصدَّق.

بالطبع كانت المشكلات القديمة أنفسها بانتظاري في الحانة... تنافُر الأصوات، وضجيجها، وإلحاحها. لكن بدا

لي بطريقةٍ ما أنني أكثر قُدرة على التخفيف من حدَّة هذه الكلِمات، وعلى تنحيتها جانبًا. كان من الأسهل عليَّ أن أرفع أسوار حصوني، ومن ثم شعرتُ براحةٍ أكبر. أو رُبما بما أنني أشعُر بمزيدٍ من الاسترخاء -يا ويلي، فقد شعرتُ حقًّا بمزيدٍ من الاسترخاء- فقد كان من الأسهل أن أرفع أسوار حصوني؟ لا أعرِف. لكنني شعرتُ بتحسُّن، وتمكَّنتُ من قبول تعازي الزبائِن بهدوءٍ بدلًا من ذرف الدموع.

جاء جيسون على الغداء وتناوَل كوبين من البيرة مع شطيرة هامبُرجر، وهو ما يُخالِف نظامه الغذائي المُعتاد، فعادةً لا يشرَب خلال يوم العمل. وعَرِفتُ أنه سيستشيط غضبًا لو قُلت له أي شيء بشكلٍ مُباشر، ولذلك سألته فقط إذا كان كُل شيء على ما يُرام.

قال بصوتٍ مُنخفض: "استدعاني الشريف مرَّة أخرى اليوم".

تلفَّت حوله ليتحقَّق من أن أحدًا لا يسترِق السمع، لكن الحانة كانت مُمتلِئة قليلًا اليوم بما أن نادي الروتاري يجتمِع في مبنى البلدية.

خفضتُ صوتي مثله تمامًا، وسألته: "عمَّ سألك؟".

"كم مرَّة رأيتُ ماديت، وهل دائمًا ما حصلت على البنزين من المكان الذي اعتادَت العمل به... وهلُم جرًّا، وكأنني لم أجِب تلك الأسئِلة خمسًا وسبعين مرَّة من قبل. لقد نفد صبر

مُديري يا سوكي، ولا ألومه على ذلك. فقد تركتُ العمل ليومين على الأقل، ورُبما ثلاثة، مع كُل هذه الرحلات التي أذهب فيها لِقسم الشُّرطة".

قُلت بعدم ارتياح: "رُبما من الأفضل أن توكِّل مُحاميًا".

"هذا ما قاله رينيه".

ثُم وجدتُ نفسي أنظُر إلى رينيه لينير.

سألته: "ماذا عن سِد مات لانكستر؟".

تمتَّع سِدني ماثيو لانكستر، الابن الأصلي وشارِب الويسكي الحامِض، بسُمعةٍ لكونه مُحامي الدفاع الأكثر عدوانيّة في الأبرشيّة. وكُنت أحبّه لأنه لطالما عاملني باحترامٍ كُلما خدمته في الحانة.

قال جيسون: "رُبما يكون خياري الأفضل". بدا قاسيًا ومُتجهِّمًا مثلما يُمكِن لأي شخصٍ وسيم أن يبدو. تبادلنا نظرة، وعَرَفنا أن مُحامي جدَّتي كان مُسِنًّا أكثر من أن يتولى القضيّة لو قُبِض على جيسون، لا قدر الله.

تقوقع جيسون على نفسه حتى إنه لم يُلاحِظ أي شيء مُختلِف فيَّ، لكنني ارتديتُ قميص جولف أبيض (بدلًا من قميصي المُعتاد ذي العُنق الدائري) لأتمتَّع بحماية ياقته. لكن آرلين لم تكُن غافِلة كشقيقي، فقد راقبتني طوال الصباح، وبحلول الساعة الثالِثة، كانت واثقة تمامًا من أنها قد كشفَت سري.

قالت: "هل حظيتِ ببعض المُتعة يا فتاة؟".

احمرَّ وجهي خجلًا كحبَّة البنجر. خفَّفت كلمة "المُتعة" من وطأة وصف علاقتي مع بِل، لكنها كانت كلمة دقيقة للغاية. لم أكُن أعرِف إذا ما كُنت سأَسلُك الطريق السريع، وأقول: "لا، بل مارسنا الحُب". أم أنني سأُبقي فمي مُطبقًا، أو أُخبِر آرلين بأن هذا ليس من شأنها، أو أصرُخ فقط: "أجل".

"ومن يكون الرجل المحظوظ يا سوكي؟".

"حسنًا، إنه ليس...".

"ليس محليًّا؟ هل تواعدين أحد جنود مدينة بوسير هؤلاء؟".

قُلت بتردُّد: "لا".

"ماذا عن سام؟ لقد رأيتُ الطريقة التي ينظُر إليكِ بها".

"لا".

"من يكون إذًا؟".

تصرَّفتُ وكأنني أشعُر بالخجل. وقُلت لنفسي بصرامة: افردي ظهركِ يا سوكي ستاكهاوس، ادفعي ضريبة ما فعلتِ.

قُلت: "بِل". مُتمنِّيَة من كُل قلبي لو قالت: حسنًا.

قالت آرلين بذهول: "بِل؟".

لاحظتُ أن سام قد رفع رأسه وبدأ يسترِق السمع. وكذلك فعلَت تشارليز توتِن، بل حتى إن لافاييت دفع رأسه عبر فتحة تقديم الطعام.

قُلت، محاولةً التظاهُر بالحزم: "بِل، تعرفين بِل".

"بِل أوبرِغانو؟".

"لا".

"بِل...".

قال سام بشكلٍ قاطعٍ عندما فتحت فمي لأنطِق بالشيء نفسه: "بِل كومبتون، مصَّاص الدماء!".

شعرَت آرلين بالذهول، وأطلقت تشارليز توتِن شهقة صغيرة في الحال، بينما فَتَح لافاييت فمه على مصراعيه.

سألتني آرلين بمُجرَّد أن استعادت صوتها: "ألا يُمكِنكِ مواعدة شخص عادي يا عزيزتي؟".

قُلت: "لم يدعُني شخص بشري عادي للخروج".

استطعتُ الشعور باللون يعود لوجنتي. ووقفتُ هناك بظهرٍ مفرود، أشعُر بالتحدي، وكُنت واثقة من أنه يبدو جليًّا على محيايَ.

تمتمت تشارليز توتِن بصوتها الطفولي: "لكن يا عزيزتي، لقد أصيب بِل... بهذا الڤيروس يا حبيبتي".

قُلت: "أعلَم ذلك". وسَمِعتُ تلك النبرة المُميَّزة تشوب صوتي.

قال لافاييت وهو يعبث بطلاء أظافِره: "اعتقدتُ أنكِ ستقولين إنكِ تواعدين رجلًا أسود البشرة، لكنكِ انتقيتِ من هو أفضل، أليس كذلك يا فتاة؟".

لم ينبِس سام ببنت شفة. وقف هُناك فحسب مُتكِئًا على البار، بينما ارتسمَ خط أبيض حول فمه وكأنه يعض خده من الداخِل.

حدَّقتُ فيهم جميعًا واحدًا تلو الآخر، لأجبرهم على تقبُّل الأمر، أو التحدُّث.

كانت آرلين أول من نطق من بينهم، قالت: "حسنًا إذًا. سيتوجَّب عليه أن يُعاملكِ جيِّدًا، وإلا فسنخرِج أوتادنا!".

وتبادلوا الضحكات فيما بينهم ردًّا على ذلك، وإن كانت ضعيفة.

قال لافاييت: "وستوفِّرين ثمن الكثير من البقالة!".

لكن، وبخطوةٍ واحِدة، دمَّر سام كُل شيء، وذلك القبول المبدئي، عندما تحرَّك فجأة ليقِف بجواري، ويخفِض ياقة قميصي للأسفل.

سيطر الصمت على أصدِقائي، حتى كان من الصعب تخيُّل أن يشقَّه صوت مرَّة أخرى.

قال لافاييت بهدوءٍ شديد: "اللعنة!".

نظرتُ في عيني سام مُباشرة، وفكَّرتُ في أنني لن أسامحه مُطلقًا على ما فعله بي.

قُلت له وأنا أتراجَع وأعيد رفع الياقة مرَّة أخرى: "لا تلمَس ملابسي أبدًا، ولا تتدخَّل في حياتي الشخصيَّة".

قال: "أنا خائِف عليكِ، وقلق عليكِ". بينما أسرعت آرلين وتشارليز لتجدا شيئًا تفعلانه على عجلٍ من أمرهما.

"لا، لستَ كذلك، أو ليس تمامًا، أنت تستشيط غضبًا، حسنًا... اسمعني يا صاح... أنت لم تقِف في الصف أبدًا".

انسحبتُ لأمسَح الغطاء البلاستيكي لإحدى الطاوِلات، قبل أن أجمع كُل الملّاحات وأعيد ملأها. ثُم تفحَّصتُ عبوات الفلفل الأسود، والفلفل الحار، وصلصة التاباسكو على كُل طاوِلة، ومنضدة. وانهمكتُ في عملي، وأنا أنظُر أمامي فقط، حتى هدأت الأجواء بالتدريج.

عاد سام إلى مكتبه للقيام ببعض الأعمال الورقيَّة أو شيء من هذا القبيل، لم أهتم كثيرًا بما يفعله، طالما احتفظ بآرائه لنفسه. فما زال يُخالِجني الشعور بأنه قد رفع الستار عن منطقة خاصَّة من حياتي عندما كشف عن عُنقي، ولم أُسامِحه. بينما وجدت آرلين وتشارليز شيئًا لتفعلاه، كما فعلتُ بدوري، وبحلول الوقت الذي بدأ فيه حشد المُنتهين من عملهم بالتدفُّق إلى الحانة، أصبحنا مرتاحات إلى حدٍّ ما للتعامُل بعضُنا مع بعضٍ مرَّة أخرى.

دخلَت آرلين معي إلى دورة المياه، وسألتني: "اسمعي يا سوكي، يجِب عليَّ أن أسأل. هل يُبلي مصَّاصو الدماء حسنًا في أمور العُشَّاق كما يقول الجميع؟".

ابتسمتُ فحسب.

جاء بِل إلى الحانة هذا المساء، بعد حلول الظلام. عملتُ حتى وقت مُتأخِّر بعد ما جابهَت إحدى نادِلات الورديَّة المسائيَّة مُشكِلة في سيَّارتها. ظهر فجأة، رغم أنه لم يكُن موجودًا في مكانه منذ لحظة واحِدة، وأبطأ من سُرعته لأتمكَّن من رؤيته وهو يحضر. ولو راودَته أي شكوك حول إعلان علاقتنا، فإنه لم يُظهِرها. فقد أمسَك بيدي وقبَّلها في لمحةٍ قد تبدو زائِفة للغاية لو قام بها أي شخص آخر. لكنني شعرتُ بلمسة شفتيه على ظهر يدي تجتاح جسدي بأكمله، وعَرِفتُ أنه شعر بذلك بدوره.

همس: "كيف حالكِ هذا المساء؟".

وجدتُ نفسي أرتجِف، أجبته: "أشعُر بقليل من...". وعجزتُ عن إيجاد الكلمات المُناسِبة لإنهاء الجُملةً.

قال: "يُمكِنكِ أن تُخبريني بذلك لاحقًا، متى ستنتهين؟".

"بمُجرَّد أن تأتي سوزي إلى هُنا".

"تعالي إلى منزلي".

ابتسمتُ له وشعرتُ بالخفة والإشعاع وأنا أقول: "حسنًا".

أجابني بِل بابتسامة كشفت عن أنيابه، التي برزَت بسبب قُربه مني، ورُبما بدت هذه بادِرة... مُقلِقة إلى حدٍّ ما بالنسبة لأي شخص آخر غيري.

انحنى ليُقبِّلني، مُجرَّد لمسة خفيفة على وجنتي، ثُم استدار ليُغادِر. لكن الليلة انقلبَت رأسًا على عقب، بدءًا من تلك اللحظة.

دخل مالكوم وديان إلى الحانة، فتحا الباب على مصراعيه وكأنهما ينويان القيام بدخولٍ لافِت، وهو ما فعلاه بالفعل. تساءلتُ عن مكان ليام، رُبما يصف السيَّارة، فقد كان من المُبالغة الشديدة أن نتمنى أن يكونا قد تركاه في المنزِل.

اعتاد الناس في بون تيمبِس على وجود بِل، لكن مالكوم المتوهِّج، وديان التي تُضاهيه توهُّجًا أثارا الكثير من الضجَّة. كانت أول فكرة واتتني هو أنه من شأن هذا ألا يُساعِد الناس على تقبُّل فكرة وجودي مع بِل.

ارتدى مالكوم بنطالًا جلديًّا وقميصًا يُشبِه الدروع الحديديَّة، وبدا وكأنه قادِم لتوِّه من أحد أغلِفة ألبومات موسيقى الروك. أما ديان، فارتدت بدلة مصنوعة من الليكرا، أو من أي مادة قِماشيَّة أخرى رفيعة للغاية وقابِلة للتمدُّد، ومكوَّنة من قطعةٍ واحدةٍ باللون الأخضر الليموني. وكُنتُ على يقينٍ من أن بإمكاني عد شعر عانتها لو رغبتُ في ذلك. لا يتردَّد سود البشرة على حانة ميرلوت كثيرًا، لكن إذا كان هُناك أي شخص أسود البشرة بأمانٍ تامٍّ هُنا، فهي ديان. ورأيت لافاييت يُحدِّق عبر فتحة تقديم الطعام بإعجابٍ كبير، يشوبه بقليلٍ من الخوف.

صَرَخَ مصَّاصا الدماء بدهشةٍ مُصطنعةٍ عندما رأيا بِل، كزوجين من السكارى المُختلِّين. وحسبما رأيتُ، لم يكُن بِل

سعيدًا برؤيتهما، لكنه بدا وكأنه يتعامَل مع غزوهما بهدوء، مثلما يتعامل مع كُل شيء آخر تقريبًا.

قبَّل مالكوم بِل على فمه، وكذلك فعلَت ديان، وكان من الصعب معرفة أي التحيَّتين أساءت لزبائِن الحانة أكثر من الأخرى. وقُلت لنفسي: سيتوجَّب على بِل أن يُظهِر نفوره من الأمر، وبسُرعة، إذا أراد أن يُحافِظ على علاقته جيِّدةً مع سُكَّان بون تيمبِس.

تراجَع بِل -الذي لم يكُن أحمق- خطوة للخلف ولفَّ ذراعه حولي، لينأى بنفسه عن مصَّاصي الدماء، ويُعلِن انحيازه للبشر.

قالت ديان: "إذًا فلا تزال نادلتك الصغيرة على قيد الحياة". كان صوتها مسموعًا حتى إن صداه قد تردَّد في كافة أنحاء الحانة، تابعت حديثها: "أليس هذا رائِعًا؟!".

قال بِل بصوتٍ هادئ، وهو يقمع رغبة ديان في إحداث جلبة: "لقد قُتِلَت جدَّتها الأسبوع الماضي".

ثبَّتَت عينيها البُنيَّتين المليئتين بالجنون عليَّ، وشعرتُ بالبرد يغزوني.

ثُم سألتني ضاحِكة: "هل هذا صحيح؟".

هذه هي الضربة القاضية، لن يُسامِحها أحد بعد الآن. ولو حاول بِل أن يجِد طريقة ليُرسِّخ بها وجوده، لكان هذا هو

السيناريو الذي رغبتُ في كتابته. ومن ناحيةٍ أخرى، فإنه يُمكِن للاشمئزاز الذي شعرتُ به من البشر مُرتادي الحانة أن يُنتِج رد فعل عنيفًا ليغمُر بِل، وكذلك المُرتدِّين.

لكن بالطبع، بالنسبة لديان وأصدِقائها... كان بِل هو المُرتد.

مرَّرَت ظفرًا تحت ذقني وسألتني: "ومتى سيقتُلكِ أحدهم يا عزيزتي؟". فدفعتُ يدها بعيدًا.

كانت ستُهاجمني، لو لم يُمسِك مالكوم بيدها بتكاسُل ودون عناء تقريبًا. لكنني رأيتُ التوتُّر يظهر جليًّا في الطريقة التي يقِف بها.

قال وهو يبدو وكأنه يبذل قصارى جُهده للحفاظ على ثبات ديان: "سَمِعتُ أن هذه المدينة تفقِد موظفي الخدمة العديمي المهارة بمُعدلٍ رهيبٍ يا بِل. وأخبرتني العصفورة في شرِيفبورت أنك أنت وأصدِقاءك هُنا قد زُرتم حانة "فانغتازيا" لتطرحا بعض الأسئِلة حول هوية مصَّاص الدماء الذي كانت معه (مُحبتا الأنياب) المقتولتان".

تابع مالكوم حديثه وقد كَسَت الجديَّة وجهه حتى بدا مُرعِبًا للغاية: "وتعلم أنها حانة يجِب أن لا يعلَم بشأنها سوانا، لا أي شخص آخر، فبعضنا لا يرغب في حضور مُباريات البيسبول، و...". (استطعتُ معرفة أنه قد بدأ يُنقِّب في ذاكرته بحثًا عن فعل بشري مُقزِّز) قبل أن يستكمِل جُملته: "حفلات الشواء! فنحن مصَّاصو دماء!".

نطق الكلِمة بإجلالٍ وفتنة، ويُمكِنني أن أقول إن كثيرًا من الموجودين في الحانة قد وقعوا تحت تأثير فتنته. تمتَّع مالكوم بالذكاء الكافي ليرغَب في محو الانطباع السيئ الذي عَرِف يقينًا أن ديان قد خلَّفته، بينما يغمُر أولئِك -منَّا- الذين تركوا هذا الانطباع يظهر عليهم بالازدراء.

دُستُ على مشط قدمه بكُل ما أوتيتُ من قوَّة، فكشَّر عن أنيابه في وجهي. ورمش مُرتادو الحانة وهزُّوا رؤوسهم.

قال رينيه: "لماذا لا تتفضَّل من غير مطرود يا سيِّد؟". كان مُسترخيًا على البار، ويُحيط بيرته بمرفقيه.

مرَّت لحظة كانت فيها كُل الأمور على المحك، وكان من المُمكِن أن تتحوَّل الحانة إلى حمَّام دماء. حيث لم يبدُ أن أيًّا من رفقائي البشريين يُدرِك تمامًا مدى قوَّة مصَّاصي الدماء، أو مدى قسوتهم. تحرَّك بِل ليقِف أمامي، وهي حقيقة سجَّلها كُل واحِد من مُرتادي حانة ميرلوت.

قال مالكوم: "حسنًا، طالما أننا غير مرغوب بنا...". تعارَضَت رجولته المفتولة العضلات مع الصوت الناعِم الذي تحدَّث به مُتأثِّرًا: "يرغب هؤلاء الناس الطيبون في أكل اللحم يا ديان، والقيام ببعض الأنشِطة البشرية، بمُفردهم، أو بصُحبة صديقنا السابِق بِل".

قالت ديان: "أعتقِد أن النادِلة الصغيرة ترغَب في القيام بعملٍ بشريٍّ للغاية مع بِل". قبل أن يقبض مالكوم على ذراعها، ويدفعها خارِج الغُرفة قبل أن تتسبَّب في كثير من الأضرار.

بدت الحانة بأكملها وكأنها ترتعِد بشكلٍ جماعيٍّ عندما خرجا من الباب، وفكَّرتُ أنه من الأفضل أن أُغادِر بدوري، على الرغم من أن سوزي لم تظهَر بعد. انتظرني بِل بالخارِج؛ وعندما سألته عن السبب، قال إنه أراد التحقُّق من أنهما غادرا بالفعل.

تبعتُ بِل إلى منزله، مُعتقِدةً أننا قد خرجنا من زيارة مصَّاصي الدماء بخفةٍ بشكلٍ نسبي. تساءلتُ عن سبب قدوم ديان ومالكوم؛ وبدا غريبًا بالنسبة لي أنهما سافرا بعيدًا عن المنزِل، وقرَّرا -بدافِع النزوة- القدوم إلى حانة ميرلوت. وبما أنهما لم يبذلا أي جُهد حقيقي للاندماج، فرُبما أرادا القضاء على فُرص بِل فحسب.

اختلف منزل كومبتون بشكلٍ واضح عن آخر مرَّة زُرته فيها، في تلك الأُمسية المُقزِّزة التي قابلتُ فيها مصَّاصي الدماء الآخرين.

لقد جاء المُقاولون بالفعل لزيارة بِل، لا أعرِف هل كان ذلك بدافِع الخوف، أم لأنه كان يدفع جيِّدًا، ورُبما لكلا السببين. ظلَّل غُرفة المعيشة سقف جديد، وارتدَت الجدران ورق حائِط جديدًا أبيض اللون بنمطٍ زهري رقيق. كما نُظِّفَت الأرضيات الصلبة، ولُمِّعَت كما كانت في الأصل. قادني بِل إلى المطبخ، الذي كان صغيرًا بطبيعة الحال، لكنه مُشرق ومُبهِج، ويحتوي على ثلاجةٍ جديدةٍ مليئة بزُجاجات الدم الاصطناعي (وهو شيء مُقزِّز).

أما حمَّام الطابِق السُّفلي فكان فخمًا.

لم يستخدِم بِل الحمَّام أبدًا على حد علمي؛ على الأقل للقيام بالوظيفة البشرية الأساسيَّة. تلفَّتُّ حولي بذهول.

نتجَت مساحة هذا الحمَّام الضخم عن عملية دمج بين ما كان في السابِق مخزنًا وحوالي نصف المطبخ القديم.

قال مُشيرًا إلى مقصورة استحمام شفَّافة في أحد الأركان: "أُحِب الاستحمام". كانت كبيرة بما يكفي لتسع شخصين بالغين، ورُبما قزمًا أو اثنين، قبل أن يُضيف: "كما أُحِب الاستلقاء في الماء الدافئ". وأشار إلى الجُزء المركزي من الغُرفة، والذي كان عبارة عن حوض استحمام ضخم مُحاط بسطحٍ داخليٍّ من خشب الأَرز، تُزيِّنه درجات من الجانبين، تراصَّت النباتات المحفوظة في أُصص من حوله. كانت الغُرفة أقرَب ما يكون لغابةٍ فاخرةٍ للغاية كتلك التي يُمكِن أن تجدها في شمال لويزيانا.

سألته برهبة: "ما هذا؟".

قال بِل بفخر: "إنه مُنتجع صحي مُتنقِّل، كما يحتوي على نفَّاثاتٍ يُمكِن ضبطها بشكلٍ فرديٍّ حتى يتسنى لكُل شخص الحصول على القوَّة المُناسِبة من الماء. إنه حوض استحمام ساخِن".

قُلت وأنا أسترِق النظر للداخِل: "إنه يحتوي على مقاعد". زُيِّن الجُزء الداخلي من الأعلى بالبلاط الأخضر والأزرق، واحتوى على أجهِزة ضبط راقية بالخارِج.

أدارها بِل، فبدأت المياه بالارتفاع.

وقال مُقترحًا: "رُبما يُمكِننا أن نستحِم معًا".

شعرتُ بدرجة حرارة جسدي ترتفِع، وبدأ قلبي يدُق بشكلٍ أسرع قليلًا.

أخرَجَت أصابِعه قميصي من حيث دُسَّ في بنطالي الأسود القصير وهو يقول: "رُبما الآن؟".

قُلت: "عجبًا، حسنًا... ربما".

لم أتمكَّن من النظر إليه بشكلٍ مُباشرٍ عندما فكَّرت في أنه -يا ويلي- قد رأى من جسدي أكثر مما رأى أي شخص آخر، بمن في ذلك طبيبي.

سألني ويداه تفُكان أزرار بنطالي القصير وتنزعانه: "هل اشتقتِ إليَّ؟".

قُلت على الفور لأنني أعرِف أن إجابتي حقيقيَّة: "أجل".

ضَحِك، حتى عندما ركع ليفُك رباط حذائي الرياضي، وقال: "ما أكثر شيء اشتقتِ إليه يا سوكي؟".

قُلت دون أن أُفكِّر على الإطلاق: "اشتقتُ لصمتك".

رفع ناظريه للأعلى. وتوقَّفَت أصابِعه أثناء جذب الرباط لفكِّه.

قال: "صمتي".

"عدم قُدرتي على سماع أفكارك. لا يُمكِنك فقط أن تتخيَّل مدى روعة ذلك يا بِل".

"ظننتُكِ ستقولين شيئًا آخرَ".

"حسنًا، لقد افتقدتُ ذلك أيضًا".

قال: "أخبريني عن الأمر". خلع جواربي، ولمس فخذي بأصابِعه، ليخلع بنطالي القصير وسراويلي الداخلي.

قُلتُ مُعترِضة: "أشعُر بالحرج يا بِل!".

قال: "لا تشعُري بالحرج وأنتِ معي يا سوكي. على الأقل من أي شخص سواي".

وقف، جرَّدني من قميصي ومدَّ يده للخلف ليفُك حمَّالة صدري، ويُمرِّر يديه على العلامات التي خلَّفتها الأربِطة على جلدي، قبل أن يصُب جام انتباهه على ثدييَ. كان قد خلع صندله في وقتٍ ما.

قُلت وأنا أنظُر أرضًا في خجل: "سأحاوِل".

"اخلعي عني ملابسي".

الآن، هذا شيء يُمكِنني القيام به. ففككتُ أزرار قميصه بخفَّة وأخرجته من بنطاله وعن كتفيه. ثُم فككتُ حزامه وبدأت العمل على زر بنطاله. لقد كان قاسيًا، رغم أنني قُمت ببعض العمل.

فكَّرتُ أنني على وشك البُكاء لو لم يبدِ الزر تعاونًا أكبر، وشعرتُ بالطيش وعدم الكفاءة.

أمسَك يديَّ وقادهما إلى صدره، وقال بصوتٍ بدا ناعمًا ومُرتجفًا: "ببطءٍ يا سوكي، ببطء".

شعرتُ بنفسي أسترخي لحظة تلو الأخرى، وبدأتُ أداعِب صدره مثلما يُداعِب صدري، وألف الشعر المموج حول إصبعي، وأقرُص حلمته المسطَّحة بلُطف. تسلَّلَت يداه إلى خلف ظهري، وضغط بلُطف. لم أكُن أعرِف أن الرجال يُحبُّون ذلك، لكن بِل... يُحبّه بكُل تأكيد، ولذلك أوليتُ اهتمامًا مساويًا للحلمة الأخرى. وبينما فعلتُ ذلك، عادت يدايَ لمحاولة فك ذلك الزر اللعين، وهذه المرَّة أطاعني مُستسلِمًا بسهولة. وبدأت أخلع عنه بنطاله، وأنا أمرِّر أصابعي على فخذيه.

ساعدني في النزول إلى المسبَح، وتصاعَدت المياه حول أقدامنا.

سألني: "هل تُفضِّلين أن أُحمِّمكِ أولًا؟".

قُلت بلهفة: "لا، أعطني الصابونة".

(٧)

دارَت بيني وبين بِل مُحادثة مُقلِقة في الليلة التالية. كُنا مُستلقيين في فراشه، فراشه الضخم ذي اللوح الأمامي المنحوت ومرتبة ريستونيك الجديدة. زيَّنَت الزهور ملاءته مثلما زيَّنَت ورق حائِطه تمامًا، وأتذكَّر أنني تساءلتُ عمَّا إذا أحبَّ الزهور مطبوعة على مُقتنياته لأنه ليس بإمكانه رؤية الزهور الحقيقيَّة، على الأقل لأنه من المُفترض أن يراها... في ضوء النهار.

استلقى بِل على جانبه ناظِرًا إليَّ. كُنا قد ذهبنا إلى السينما؛ لأنه مهووس بأفلام الفضائيين، ورُبما يُراوده شعور مُماثِل تجاه المخلوقات الفضائيَّة. كان أحد أفلام القتال بالبنادق حقًّا، كما كانت كُل الكائِنات الفضائيَّة التي ظهرَت به قبيحة، ومُخيفة، ومُصمِّمة على القتل. عبَّر عن غضبه تجاه ذلك أثناء ذهابنا لتناوُل الطعام، قبل أن نعود إلى منزِله. وغمرتني السعادة عندما اقترح تجرِبة الفراش الجديد.

وكُنت أول من استلقى عليه برفقته.

نَظَر إليَّ، كما تعلَّمتُ أنه يُحِب أن يفعل. رُبما يستمِع إلى دقَّات قلبي، بما أنه يستطيع سماع أشياء لا يُمكِنني سماعها، أو

رُبما يُشاهِد نبضات قلبي، بما أن بإمكانه رؤية أمور لا يُمكِنني رؤيتها. تطرَّقَت مُحادثتنا إلى الفيلم الذي شاهدناه، ثُم إلى انتخابات الأبرشيَّة الوشيكة (سيُحاوِل بِل التسجيل للتصويت، والاقتراع الغيابي)، ثُم إلى طفولتينا. وأدركتُ أن بِل يُحاوِل يائِسًا أن يتذكَّر كيف كان الأمر عندما كان شخصًا طبيعيًّا.

سألني: "هل سَبَق وأن لعِبتِ "أرني عضوَك" مع شقيقكِ؟ يقولون الآن إنه أمر اعتيادي، لكنني لن أنسى قط والدتي وهي تضرِب شقيقي روبِرت بعد ما وجدته مع سارة في الأدغال".

قُلت محاولةً أن أبدو طبيعية: "لا". لكن وجهي اكفهرَّ، وشعرتُ بقبضة الخوف تعتصِر معدتي.

"أنتِ تكذبين".

قُلت: "أجل، أنا أكذِب". ثبتُّ عينيَّ على ذقنه، وتمنَّيتُ لو أُفكِّر في طريقةٍ ما لتغيير الموضوع، لكن بِل كان مُثابرًا لا يُشق له غبار.

"ليس مع شقيقكِ، مع من إذًا؟".

اعتصرَت قبضة الخوف معدتي أكثر، وشعرتُ بالضيق يملؤني، قُلت: "لا أرغب في التحدُّث عن الأمر".

لكن بِل كَره تهرُّبي من الإجابة، لأنه لطالما اعتاد على أن يُخبِره الناس بكُل ما يرغَب في معرِفته، لأنه اعتاد على استخدام فتنته لتحقيق ما يُريد.

امتلأت عيناه بالفضول، قبل أن يقول بصوتٍ مُقنع: "أخبريني يا سوكي". ثُم مرَّر إبهامه على بطني، فارتعدت.

شعرتُ بالابتسامة المُقتضبة المألوفة تحتل شفتي، قُلت: "كان لديَّ... خالٌ مُضحِك".

رَفَعَ حاجبيه الداكنين المقوَّسين، دون أن يسمَع العبارة.

قُلت بأقصى ما استطعتُ: "هذا أشبه بقريبٍ ذكرٍ بالغٍ يتحرَّش بـ... أطفال الأسرة".

ظهرت نظرة قاسية في عينيه، وابتلع ريقه بصعوبة؛ فتمكَّنتُ من رؤية تُفاحة آدم تتحرَّك. ابتسمتُ له، وانهمكتُ في إبعاد شعري عن وجهي بيديَّ، لم أستطِع التوقُّف عن القيام بذلك.

"وفعل أحدهم هذا بكِ؟ كم كان عُمركِ؟".

قُلت: "بدأ الأمر عندما كُنتُ صغيرة للغاية". واستطعتُ الشعور بأنفاسي تتسارَع، وبدقَّات قلبي تتزايَد، وبالذُّعر الذي لطالما زارني كُلما تذكَّرتُ الأمر، رفعتُ ركبتيَّ وضممتهما معًا قبل أن أبدأ بالتلعثُم والتحدُّث بشكلٍ أسرع: "أعتقِد أنني كُنت في الخامِسة من عُمري، أعلَم أن بإمكانك معرفة أنه لم... يُضاجعني، لكنه فعل أشياء أخرى". الآن بدأت يدايَ ترتعِدان أمام عينيَّ، حيث رفعتهما لأحميهما من نظرة بِل: "وأسوأ ما في الأمر يا بِل، أسوأ ما في الأمر". واصلتُ حديثي، غير قادِرة على التوقُّف: "أنني دائِمًا ما عرفتُ ما سيفعله في كُل مرَّة جاء

لزيارتي، لأنه كان بإمكاني قراءة أفكاره! دون أن يكون هُناك أي شيء يُمكِنني القيام به لإيقافه!".

وضعتُ يديَّ على فمي لأُجبِر نفسي على السكوت، فليس من المُفترض بي أن أتحدَّث عن الأمر. ثُم انقلبتُ على بطني لأخفي نفسي، وثبَّتُّ جسدي بقوَّةٍ تامَّة.

وبعد وقت طويل، شعرتُ بيد بِل البارِدة على كتفي، حيث قبعَت باسترخاء.

سألني بصوته الهادئ المُعتاد: "هل حدث ذلك قبل وفاة والديكِ؟".

قُلت وأنا ما زلتُ لا أستطيع النظر إليه: "أجل".

"هل أخبرتِ والدتكِ؟ ألم تفعل شيئًا؟".

قُلت: "لا، اعتقدَتْ أنني أُفكِّر بطريقةٍ قذرة، أو أنني وجدتُ كتابًا ما في المكتبة علَّمني شيئًا لم تشعُر أنني مُستعِدَّة لمعرفته بعد".

كان بإمكاني تذكُّر وجهها، الذي أطَّره شعر أغمَق بدرجتين من شعري الأشقر المتوسِّط. والذي التوى بنفور، فقد جاءت من عائِلةٍ مُحافِظةٍ للغاية، واعتبرَت أن أي عرض علني للمحبَّة أو أي ذِكر لموضوع تعتقِد أنه غير لائِق أمرٌ غير مُحبَّذ تمامًا.

قُلت لمصَّاص الدماء الخاص بي: "أتساءل عن السبب الذي جعلها تبدو هي ووالدي سَعيدين، لقد كانا مُختلفين للغاية". ثُم

رأيتُ مدى سُخف كلامي، فانقلبتُ على جانبي وقُلت محاولةً رسم ابتسامة على شفتي: "كما لو أننا لسنا كذلك".

ظلَّ وجهه ساكنًا تمامًا، لكنني استطعتُ رؤية عضلة تقفِز في عُنقه.

"هل أخبرتِ والدكِ؟".

"أجل، قبل وفاته مُباشرة. كُنتُ مُحرَجة للغاية لأتحدَّث معه بشأن هذا الأمر عندما كُنتُ أصغر سنًّا؛ ووالدتي لم تُصدِّقني. لكنني لم أستطِع التحمُّل أكثر من ذلك، لأنني عَلِمتُ أنني سأرى خالي الأكبر بارتلِت على الأقل لعُطلتي نهاية أسبوع من كُل شهر، عندما يقود سيَّارته ويأتي لزيارتنا".

"هل لا يزال على قيد الحياة؟".

"الخال بارتلِت؟ أجل، بالتأكيد. إنه شقيق جدَّتي، التي كانت جدَّتي لوالدي. ويعيش في شرِيفبورت. لكن عندما ذهبتُ أنا وجيسون للعيش مع جدَّتي، بعد وفاة والديَّ، اختبأتُ عندما جاء لزيارتها في المنزل للمرَّة الأولى. وعندما وجدتني، وسألتني عن السبب، أخبرتُها بكُل شيء... وصدَّقتني".

غمرني الارتياح في ذلك اليوم مرَّة أخرى، ووعدني صوت جدَّتي الجميل بأنني لن أضطَر لرؤية شقيقها مرَّة أخرى، وأنه لن يأتي إلى المنزِل أبدًا.

ولم يأتِ، فقد قطعَت علاقتها بشقيقها لتحميني. لأنه حاول مع ابنة جدَّتي أيضًا، ليندا، عندما كانت فتاة صغيرة،

لكن جدَّتي دفنَت الحادِث بعيدًا في أعماق دماغها، ورفضَت تصديقه باعتباره أمرًا أسيء فهمه. كما أخبرتني بأنها لم تترُك شقيقها وحيدًا مع ليندا أبدًا بعد ذلك، وكادت أن تتوقَّف عن دعوته إلى منزلها، لكنها لم تسمَح لنفسها بأن تُصدِّق أنه لمس المِنطَقة الحسَّاسة لابنتها.

"إذًا فهو من آل ستاكهاوس بدوره؟".

قُلت: "لا. فكما ترى، لقد أصبحَت جدَّتي من آل ستاكهاوس بعد ما تزوَّجَت، لكنها كانت من آل هيل قبل ذلك". وتساءلتُ عن ضرورة توضيح ذلك لبِل. فهو جنوبي بما يكفي بكُل تأكيد -حتى لو كان مصَّاص دماء- لتتبُّع علاقة عائِليّة صغيرة كتلك.

بدا بِل فاقدًا للتركيز. ألقيتُ باللوم على قصتي القصيرة الشنيعة الكئيبة، التي أصابتني بالقشعريرة بدوري بكُل تأكيد.

قُلت وأنا أنهَض من الفراش، وأنحني لاستعادة ملابسي: "حسنًا، سأُغادِر". نَهَض من الفراش بأسرَع مما استطعتُ رؤيته، وأخذ الملابِس من بين يديَّ.

قال: "لا تترُكيني الآن، ابقي".

انهمرَت دمعتان على وجنتيَّ، فابتسمتُ له قبل أن أقول: "لن تجِد مني نفعًا في شيءٍ سوى البُكاء الليلة".

مسحَت أصابِعه دمعتيَّ عن وجهي، قبل أن يلعق أثرهما بلسانه، ويقول: "ابقَيْ معي حتى مطلَع الفجر".

"لكن سيتوجَّب عليك أن تأوي إلى جُحرِك المخبَّأ بحلول ذلك الوقت".

"ماذا؟".

قُلت: "المكان الذي تقضي فيه يومك. لا أرغب في معرِفة مكانه". رفعتُ يديَّ للتأكيد على ذلك قبل أن أُضيف: "ولكن ألا يتوجَّب عليك الدخول إلى هُناك قبل أن يسطَع الضوء ولو قليلًا؟".

قال: "سأعلَم، يُمكِنني أن أشعُر به قبل أن يسطَع".

"لا يُمكِنك أن تنام أكثر من اللازِم إذًا؟".

"لا".

"حسنًا. هل ستتركني أحظى بقسطٍ من النوم؟".

قال بانحناءةٍ مُهذَّبة بعضِ الشيء لأنه كان عاريًا: "بالطبع سأفعل، بعد بُرهة صغيرة". ثُم مدَّ ذراعيه نحوي وأنا مُستلقيَة على الفراش، وقال: "في النهاية".

***

وبكُل تأكيد، وجدتُ نفسي في الفراش بمُفردي في الصباح. استلقيتُ هُناك لوهلةٍ... أُفكِّر. تُراوِدني بعض الأفكار المُزعِجة بين الحين والآخر، لكن ولأول مرَّة طَفَت علاقتي مع مصَّاص الدماء على السطح وسيطَرَت على عقلي.

لن أرى بِل في ضوء النهار أبدًا، ولن أُعِد له وجبة الإفطار البتة، أو أقابِله على الغداء يومًا (حيث يُمكِنه تحمُّل مُشاهدتي وأنا أتناوَل الطعام، رغم أنه لم يكُن سعيدًا بهذه العمليَّة، ودائمًا ما توجَّب عليَّ تنظيف أسناني بعد ذلك جيِّدًا، وهي عادة جيِّدة على أي حال).

ولن أتمكَّن من إنجاب طفل من نسل بِل أبدًا، وهو شيء ستجده لطيفًا على الأقل حينما تُفكِّر في عدم الاضطرار لمُمارسة تحديد النسل، لكن...

ولن أتصِل ببِل في مكتبه أبدًا لأطلُب منه الذهاب لشراء بعض اللبن في طريقه للمنزِل، ولن ينضم إلى الروتاري أبدًا، أو يُلقي خطابًا مهنيًّا في المدرسة الثانوية، أو يتولى تدريب فريق بيسبول صغير.

ولن يذهَب معي إلى الكنيسة أبدًا.

أدركتُ ذلك الآن، أثناء استلقائي هُنا -أستمِع إلى زقزقة الطيور بأصواتها الصباحيَّة والشاحِنات التي تبدأ بشقِّ طريقها بينما يستيقِظ الناس في سائِر أنحاء بون تيمبس ويحتسون القهوة ويجلِبون أوراقهم ويُخطِّطون ليومهم- لكن المخلوق الذي أُحبُّه ذهب ليرقُد في مكانٍ ما بحُفرةٍ تحت الأرض، ميتًا حتى حلول الظلام بكُل ما تحمله الجُملة من معنًى.

شعرتُ بإحباطٍ شديدٍ يعتريني حتى إنه توجَّب عليَّ التفكير في الجانِب الإيجابي، بينما نظَّفتُ نفسي قليلًا في الحمام وارتديتُ ملابسي.

بدا أنه يهتم بي حقًّا. وكان أمرًا لطيفًا وجميلًا، لكن مُقلِقًا، ألا أعرِف مدى اهتمامه بالضبط.

كما أن الجنس معه كان رائِعًا، ولم أحلُم أبدًا أنه سيكون بهذه الروعة.

بالإضافة إلى أن أحدًا لن يجرؤ على العبث معي عندما أكون خليلة بِل، وستظل أي يد ترغَب في مُداعبتي بشكلٍ غير مرغوبٍ فيه في حِضن صاحبها الآن. ولو كان الشخص الذي قَتَل جدَّتي قد قتلها لأنها دخلَت عليه المنزِل بينما ينتظرني، فلن يُحاوِل قتلي مرَّة أخرى.

وبإمكاني الاسترخاء في حضرة بِل، وهو ترف ثمين للغاية حتى إنني لم أستطِع أن أُثمِّنه. حيث يُمكِن لدماغي أن يتغيَّر حسب الرغبة، ولن أعرِف أي شيء لم يُخبِرني به.

وهذا أمر لا يُمكِن التغاضي عنه.

هبطت درجات منزل بِل وأنا غارِقة في هذا النوع من المزاج التأمُّلي.

ولدهشتي، وجدتُ جيسون هُناك يجلِس في شاحنته الصغيرة.

لم تكُن هذه لحظة سعيدة تمامًا، سرتُ نحو نافِذته.

قال: "أرى أن هذا صحيح". وأعطاني كوب قهوة بلاستيكيًّا من "ذا جرابيت كويك"، قبل أن يُضيف: "اركبي معي في الشاحنة".

صعدتُ مسرورةً بالقهوة، لكن حذرةً بشكلٍ عام، ورفعتُ أسوار حصوني على الفور، شعرتُ بها ترتفِع ببطءٍ وألم، وكأنها تتلوى داخِل حزام ضيِّق للغاية في المقام الأول.

قال: "لا يُمكِنني قول أي شيء، ليس بعد الطريقة التي عشتُ بها حياتي خلال السنوات القليلة الماضية. لكن قدر ما يُمكِنني أن أقول، إنه رجلكِ الأول، أليس كذلك؟".

أومأتُ برأسي.

"هل يُحسِن مُعاملتكِ؟".

أومأت برأسي مرَّة أخرى.

"لدي شيء لأخبركِ به".

"حسنًا".

"لقد قُتِلَ الخال بارتلِت ليلة أمس".

حدَّقتُ به، والبُخار المُنبعِث من القهوة يتصاعَد فيما بيننا وأنا أرفَع الغطاء عن الكوب، ثُم قُلت في محاولةٍ لفهم الأمر: "لقد مات". لقد بذلتُ قصارى جُهدي كيلا أُفكِّر فيه، وها أنا ذي قد فكَّرتُ فيه، والشيء التالي الذي أسمعه عنه... أنه ميِّت.

"أجل".

قُلت: "عجبًا!".

ثُم نظرتُ إلى الضوء الوردي في الأفق. وشعرتُ بدفقةٍ من... الحُريَّة. الشخص الوحيد الذي يتذكَّر الأمر غيري، والشخص الوحيد الذي استمتع به، والذي أصرَّ حتى النهاية أنني بدأتُ وواصلتُ القيام بالأنشِطة المريضة التي اعتقد أنها مُرضية للغاية... مات. فأخذتُ نفسًا عميقًا.

قُلت: "أتمنى أن يتعفَّن في الجحيم، أتمنى أن ينخزه شيطان بمذراةٍ في مؤخرته، كُلما فكَّر فيما فعله بي".

"يا إلهي يا سوكي!".

"لم يتحرَّش بك أبدًا".

"هذا صحيح تمامًا".

"ماذا تعني؟".

"لا شيء يا سوكي! لكنه لم يُزعِج أي شخص آخر سواكِ حسبما أعرِف".

"هراء، لقد تحرَّش بالعمَّة ليندا أيضًا".

امتعض وجه جيسون بالصدمة، لقد أخبرتُ شقيقي بالأمر أخيرًا، سألني: "هل أخبرتكِ جدَّتي بذلك؟".

"أجل".

"لم تقُل لي شيئًا أبدًا".

"عَرَفَت جدَّتي أن الأمر سيكون صعبًا بالنسبة لك، ألا تراه مرَّة أخرى بينما عَرَفَت أنك تُحبُّه. لكنها لم تستطِع تركك

بمُفردك معه، لأنها لم تكُن مُتيقِّنة من أنه قد رَغِبَ في الفتيات فقط بنسبة مئة بالمئة".

"لقد رأيته خلال العامين الماضيين".

سألته: "حقًّا؟". هذه أخبار جديدة بالنسبة لي، وكانت لتُصبِح أخبارًا جديدةً بالنسبة لجدَّتي أيضًا.

"لقد كان رجلًا عجوزًا، ومريضًا للغاية يا سوكي. كما كان يُعاني من مشكلات في البروستاتا، وضعيفًا، حتى إنه توجَّب عليه استعمال مشَّاية".

"رُبما أبطأ هذا من سُرعته في مُطاردة الأطفال الذين يبلغون من العُمر خمس سنوات".

"تجاوزي الأمر".

"أجل! وكأن بإمكاني تجاوُزه!".

حدَّقنا بعضنا ببعض عبر المساحة الفاصِلة بين مقعدي الشاحِنة.

سألته أخيرًا على مضض: "ماذا حدث له إذًا؟".

"اقتحمَ لص منزله الليلة الماضية".

"حقًّا؟ وماذا حدث بعد ذلك؟".

"وكسر عُنقه، قبل أن يُلقيه من فوق الدرج".

"حسنًا، ها أنا ذي قد عَرَفت، والآن... سأذهب للمنزل، لأنني يجِب أن أستحِم وأستعِد للعمل".

"هل هذا كُل ما لديكِ لتقوليه؟".

"ماذا تُريدني أن أقول غير ذلك؟".

"ألا ترغبين في معرفة تفاصيل الجنازة؟".

"لا".

"ألا ترغبين في معرفة تفاصيل وصيته؟".

"لا".

رفع يديه في الهواء قبل أن يقول: "حسنًا". وكأنه انهمك في مُناقشة مسألة صعبة معي، قبل أن يُدرِك أنني عنيدة.

سألته: "ماذا أيضًا؟ هل هُناك شيء آخر؟".

"لا، لقد مات خالكِ الكبير فحسب، وأعتقِد أن ذلك كافٍ".

قُلت: "في الواقِع، أنت مُحِق". فتحتُ باب الشاحِنة وهبطتُ منها، قبل أن أقول: "كان هذا كافيًا". ثُم رفعت كأسي وقُلت: "شكرًا على القهوة يا شقيقي".

لم أفهَم الأمر بشكلٍ كاملٍ إلا بعد ما بدأتُ بالعمل.

انهمكتُ في تجفيف كوب، وحاولتُ جاهدةً ألا أُفكِّر في خالي بارتلِت، وفجأة... نزفت أصابعي كُل قوَّتها.

قُلت وأنا أنظُر لشظايا الزُّجاج التي تناثرت عند قدميَ: "يا إلهي المجيد، لقد قتله بِل!".

لا أعرِف لماذا كُنتُ على يقينٍ من أنني مُحِقّة؛ لكنني كُنت واثقة، في اللحظة التي راودتني فيها الفكرة. رُبما سَمِعتُ بِل يتصِل بأحد عبر الهاتِف أثناء نومي. ورُبما كان التعبير الذي ارتسمَ على وجه بِل عندما انتهيتُ من قصِّ حكايتي مع الخال بارتلِت بمثابة جرس إنذار صامِت.

تساءلت عمَّا إذا كان بِل سيدفع لمصَّاص الدماء الآخر نقدًا، أم سيسدِّد له الثمن بالطريقة نفسها.

انتهيتُ من عملي وأنا في حالةٍ من الجمود، لم أتمكَّن من البوح بما فكَّرتُ به لأي شخص، ولم أستطِع حتى أن أدعي المرض دون أن يسألني شخص ما عن الأعراض التي أُعانيها. ولذلك لم أتحدَّث على الإطلاق، بل انهمكتُ في العمل فقط. وتمكَّنتُ من ضبط كُل شيء باستثناء الطلب التالي الذي تعيَّن عليَّ تقديمه. قُدت سيَّارتي حتى المنزِل وأنا غارِقة في القدر نفسه من الجمود، لكن توجَّب عليَّ أن أواجِه الحقائِق عندما أكون بمُفردي.

وشعرتُ بالفزع.

كُنتُ أعرِف بالفعل أن بِل قتل إنسانًا أو اثنين بكُل تأكيد خلال حياته الطويلة للغاية. فقد احتاج للكثير من الدماء عندما كان مصَّاص دماء شابًّا، قبل أن يتحكَّم في احتياجاته بما يكفي ليعيش على جرعةٍ من هُنا، أو لُقمة من هُناك، دون أن يقتُل أي شخص يشرَب من دمائه بشكلٍ فعلي... لقد أخبرني بنفسه أن هُناك حالة قتل أو اثنتين على طول الطريق، كما أنه قتل الفَأرين. لكنهما كانا سيقتُلانني بلا شك في تلك الليلة خلف حانة ميرلوت، لو لم يتدخَّل بِل. ووجدتُ نفسي أميل بطبيعة الحال لتسويغ تلك الوفيات.

هل كان مقتَل الخال بارتلِت مُختلفًا؟ لقد آذاني بدوره، بشكلٍ فظيع، وحوَّل طفولتي التي كانت صعبة بالفعل لكابوس حقيقيّ. ألم أشعُر بالارتياح، أو حتى بالسعادة، لسماع أنه قد تمَّ العثور عليه ميِّتًا؟ ألم يفُح من خوفي من تدخُّل بِل رائِحة نفاق من أسوأ الأنواع؟

أجل. لا؟

جلستُ على درجي الأمامي، مُتعبة ومُنهكة بشكلٍ لا يُصدَّق، وانتظرتُ في الظلام، وذراعايَ مُلتفَّان حول رُكبتي. غنَّت الجداجد بين العُشب الطويل أثناء قدومه، ووصل بهدوءٍ وسُرعةٍ شديدين حتى إنني لم أسمعه. فقد جلستُ في إحدى اللحظات بمُفردي ليلًا، قبل أن يجلِس بِل بجواري على الدرج في اللحظة التالية.

لفَّ ذراعه حولي قبل أن يسألني: "ماذا تُريدين أن تفعلي الليلة يا سوكي؟".

أثقل اليأس صوتي وأنا أقول: "سحقًا يا بِل!".

سقط ذراعه، لم أنظُر إلى وجهه، فلم أكُن لأراه في الظلام على أي حال.

"لم يكُن عليك فعل ذلك".

لم يُكلِّف نفسه عناء إنكار الأمر على الأقل.

"أنا سعيدة بموته يا بِل. لكن لا يُمكِنني أن...".

سألني بصوتٍ خافتٍ كحفيف الأقدام على العُشب الجاف: "هل تعتقدين أنني سوف أوذيكِ يا سوكي؟".

"لا، الغريب بما فيه الكفاية أنني لا أعتقِد أنك سوف تؤذيني، حتى لو استشطتَ مني غضبًا حقًّا".

"ثُم...؟".

"إن الأمر أشبه بمواعدة زعيم عصابة يا بِل. سأخشى أن أُصرِّح بأي شيءٍ في وجودك الآن. فأنا لستُ مُعتادة على حل مشكلاتي بتلك الطريقة".

"أنا أحبّكِ".

لم يقُل ذلك من قبل، ورُبما أتخيَّل الأمر الآن، فقد قالها بهمسٍ خافت.

لم أرفَع رأسي، بل أبقيتُ جبهتي مُسندة على رُكبتيَّ، وسألته: "صحيح يا بِل؟".

"أجل، أحبّكِ".

"إذًا عليك أن تدع حياتي تستمِر يا بِل، لا يُمكِنك تغييرها نيابةً عني".

"لقد أردتِ مني أن أغيِّرها عندما كان آل راتراي يضربانكِ".

"هذا صحيح. لكن لا يُمكِنني تركُك تحاوِل تحسين حياتي اليوميَّة. فسأغضب من الناس، وسيغضبون مني، ولا يُمكِنني القلق بشأن مقتلهم. لا يُمكِنني الحياة بهذه الطريقة يا حبيبي، هل تفهم قصدي؟".

قال: "حبيبكِ؟".

قُلت: "أنا أحبّك، لا أعرِف لذلك سببًا، لكنني أحبّك. وأريد نعتك بكُل تلك الكلمات البلهاء التي يستخدمها المرء عندما يُحِب شخصًا ما، بغض النظر عن مدى غبائها، لأنك مصَّاص دماء. أريد أن أخبرك أنك طفلي، وأنني سأحبّك حتى نكبر ونشيخ -رغم أن هذا لن يحدُث. أعلَم أنك ستَصدُقني القول دائمًا يا بِل- مهلًا، فهذا لن يحدُث أيضًا. لطالما اصطدمتُ بجدارٍ قاسٍ كُلما حاولتُ إخبارك بأنني أحبّك يا بِل".

ثم صمتُّ تمامًا، فقد بُحتُ بكُل ما يجيش في صدري.

قال بِل من قلب الظلام: "لقد جاءت هذه الأزمة في وقتٍ أقرب مما اعتقدت". استأنفَت الجداجد سيمفونيتها، واستمعتُ إليها للحظةٍ طويلة.

"أجل".

"والآن ماذا سنفعل يا سوكي".

"يجب أن أحظى بقليلٍ من الوقت".

"قبل أن...؟".

"قبل أن أُقرِّر إذا ما كان الحُب يستحِق البؤس".

"فقط لو عرفتِ مدى اختلاف طعمكِ يا سوكي، ومدى رغبتي في حمايتكِ...".

استشَففتُ من صوت بِل مدى رقَّة هذه المشاعِر التي يُشاركها معي، قُلت: "الغريب... أن هذا ما أشعُر به تجاهك. لكنني يجِب أن أعيش هُنا، وأن أتعايَش مع نفسي، ويجِب عليَّ أن أُفكِّر في بعض القواعِد التي يجِب أن نوضِّحها فيما بيننا".

"ماذا سنفعل الآن إذًا؟".

"أعتقِد أنه يجِب أن تذهَب لتفعل ما كُنتَ تفعله قبل أن نلتقي".

"أن أحاوِل معرِفة ما إذا كان بإمكاني العيش وسط البشر. وأن أحاول التفكير في هوية من سأشرب دماءه، لو كان بإمكانيَ التوقُّف عن شُرب تلك الدماء الاصطناعية اللعينة".

قُلت محاولة أن أُحافِظ على مستوى صوتي: "أعرِف أنك... ستشرب دماء شخص آخر غيري. لكن من فضلك، لا تشرَب دماء أي شخص هُنا، ولا أي شخص يجِب أن أراه. لا يُمكِنني تحمُّل ذلك. ليس من العدل أن أطلُب منك ذلك، لكن ها أنا ذي أطلُبه".

"فقط إذا لم تواعدي أو تُضاجعي أي شخص آخر".

قُلت: "لن أفعَل". وبدا ذلك وعدًا سهلًا بما يكفي لتحقيقه.

"هل تُمانعين قدومي إلى الحانة؟".

"لا، لن أُخبِر أي شخص بأننا انفصلنا، ولن أتحدَّث بشأن الأمر".

انحنى نحوي، وتمكَّنتُ من الشعور بضغطه على ذراعي وجسده يلتصِق بجسدي.

قال: "قبِّليني".

رفعتُ رأسي وأدرته، وتلاقَت شفاهنا. لكن نيران شهوتنا كانت زرقاء بارِدة، لا حمراء متوهِّجة؛ ولم تحتوِ تلك النيران الزرقاء البارِدة على هذا النوع من الحرارة. وبعد لحظة، ضمَّني بذراعيه. وبعد لحظة أخرى، ضممته بذراعي. وبدأتُ أشعُر بالاسترخاء الشديد، والضعف. وبشهقة، ابتعدتُ عنه.

"لا يُمكِننا القيام بذلك يا بِل".

سمعتُ أنفاسه تتهدَّج، قبل أن يقول بصوتٍ هادئ، دون أن يبدو وكأنه يعتقِد أنني أقصد ذلك: "بالطبع لا، إذا كُنا سننفصِل، وبكُل تأكيد، يجِب علينا أن لا نتبادَل القُبلات. ولا أريد أن ألقيكِ على الشُّرفة الأماميَّة، وأضاجعكِ حتى تفقدي وعيكِ".

اهتزَّت رُكبتايَ حقًّا. فقد جعلَت لُغته الفظَّة المُتعمَّدة، بصوته البارِد العذب، نيران شوقي تتأجَّج بداخلي. واستغرقني الأمر كُل ما أملِك من قوَّة، وكُل قدر ضئيل من ضبط النفس، لأدفع نفسي للنهوض ودخول المنزِل.

لكن هذا ما فعلته.



بدأتُ أعيش حياتي في الأسبوع التالي دون جدَّتي ودون بِل. عملتُ في ورديات المساء، بجدٍّ وكد، ولأول مرَّة في حياتي، أجد نفسي أتوخى الحذر بشأن الأمن والأقفال. فهُناك قاتِل في الأرجاء، ولم أعُد أملِك حارسي القوي. ولذلك فكَّرتُ في اقتناء كلب، لكنني لم أتمكَّن من تحديد النوع الذي أُريده. وأصبحَت قطَّتي، تانيا، هي مصدر الحماية الوحيد، وهو ما يعني أنها دائِمًا ما كانت تتفاعَل مع اقتراب أي شخص من المنزِل.

تلقيتُ مُكالمات من مُحامي جدَّتي بين الحين والآخر، ليُطلِعني على مُستجدات عملية تصفية مُمتلكاتها. وكذلك

تلقيتُ مُكالمات من مُحامي بارتلِت، فقد ترَكَ لي خالي الأكبر عشرين ألف دولار، وهو مبلغ كبير بالنسبة له. كدتُ أرفُض الإرث، لكنني فكَّرتُ مرَّة أخرى، وقرَّرتُ التبرُّع بالنقود لمصلحة مركز الصحة النفسية المحلي، وخصَّصته لعلاج الأطفال الذين وقعوا ضحايا للتحرُّش الجنسي والاغتصاب.

وغمرتهُم السعادة للحصول عليه.

وتناولتُ الڤيتامينات، بكمياتٍ كبيرة، لأنني كُنتُ مُصابة بقليلٍ من فقر الدم. وشربت الكثير من السوائِل وأكلتُ الكثير من البروتين.

وأكلتُ قدر ما أردتُ من الثوم، وهو أمر لم يكُن بِل قادرًا على تحمُّله. قال إنه يخرُج من مسامي، حتى عندما تناولتُ خُبز الثوم مع المعكرونة السباجيتي وصلصة اللحم ذات ليلة.

ونمتُ، ونمت أكثر، وحظيتُ بالمزيد من النوم. فلطالما حرمني السهر بعد ورديات العمل من الراحة.

وبعد ثلاثة أيام، شعرتُ بأنني قد استعدتُ عافيتي جسديًّا. في الواقِع، بدا لي أنني أصبحتُ أقوى قليلًا مما كُنتُ عليه من قبل.

ثُم بدأتُ أستوعِب ما يحدُث من حولي.

أول شيء لاحظته هو أن السُّكَّان المحليين يستشيطون غضبًا حقًّا من مصَّاصي الدماء الذين يعيشون في مونرو. فقد

تجوَّلت ديان، وليام، ومالكوم في حانات المِنطَقة، محاولين على ما يبدو جعل الأمر مُستحيلًا على مصَّاصي الدماء الذين يرغبون في العيش بين البشر. كما تصرَّف ثَلاثتهم بطُرقٍ شنيعةٍ وعدوانيّة، من شأنها أن تجعل مُغامرات طُلَّاب جامِعة لويزيانا للتكنولوجيا تبدو لطيفة.

ولم يبدُ قط أنهم يتخيَّلون أنهم يعرِّضون أنفُسهم للخطر، فقد اعتقدوا أنهم أفضل من التمتُّع بحُرية الخروج من التابوت. وأزال حقهم في الوجود بشكلٍ قانوني كُل قيودهم، وحذرهم، وحكمتهم. فعضَّ مالكوم ساقيًا في بوغالوساس، ورقصَت ديان عارية في فارمفيل، وواعد ليام فتاة قاصِرًا ووالدتها في الوقت نفسه في شونغالو، وشَرِب من دمائهما، دون أن يُكلِّف نفسه عناء محو ذاكِرة أي منهما.

تحدَّث رينيه مع مايك سبنسر، مُدير دار الجنازات، في إحدى ليالي الخميس في حانة ميرلوت، ثُم صمتا عندما اقتربت. لَفَت ذلك انتباهي بطبيعة الحال، ولذلك قرأتُ أفكار مايك، واكتشفتُ أن مجموعة من الرجال المحليين يُفكِّرون في حرق مصَّاصي دماء مونرو.

لم أعرِف ماذا يُفترَض بي أن أفعل. فقد كان ثَلاثتهم من بني جلدة بِل، حتى لو لم يكونوا من أصدِقائه بالضبط، لكنني كَرِهتُ مالكوم، وديان، وليام مثلما كرههم أي شخص آخر. ومن ناحيةٍ أخرى؛ وهُناك ناحية أخرى بكُل تأكيد، أليس

كذلك؟ كُنت ضد أن أعرِف مُسبقًا عن جرائِم القتل العمد وأجلِس مكتوفة الأيدي.

رُبما كان هذا حديث سُكر. وكي أتيقَّن، تجوَّلتُ في عقول الموجودين حولي. ومما أزعجني، أنني وجدتُ الكثير منهم يُفكِّرون في إحراق عرين مصَّاصي الدماء، لكنني لم أتمكَّن من تعقُّب أصل الفكرة. فشعرتُ وكأن أحد الأدمِغة قد نزف سمًّا وأصاب الآخرين.

لكن لم يكُن هُناك أي دليل على الإطلاق، على أن قاتِل ماديت، وداون، وجدَّتي من مصَّاصي الدماء. في الواقِع، تردَّدت شائِعات تُفيد بأن تقرير الطب الشرعي قد يُظهِر أدِلَّة تُعارِض ذلك. لكن مصَّاصي الدماء الثلاثة تصرَّفوا بطريقةٍ من شأنها أن تدفَع الناس لإلقاء اللوم عليهم في شيءٍ ما، ويُريدون التخلُّص منهم، وبما أن مصَّاص دماء ما قد عضَّ ماديت وداون، بالإضافة لتردُّدهما على حانات مصَّاصي الدماء، فقد جمَّع الناس الدليلين معًا ليحكموا بإدانتهم.

جاء بِل في الليلة السابِعة من وحدتي، ظَهَرَ فجأة عند طاولته. لكنه لم يكُن بمُفرده، بل كان بصُحبته صبي يبدو في الخامِسة عشرة من عُمره، وكان مصَّاص دماء بدوره.

قال وكأنها مُقدِّمة عادية: "هذا هارلين آيفز من مينيابوليس يا سوكي".

أومأت له برأسي وقُلت: "مرحبًا يا هارلين، سعيدة لمُقابلتك".

أومأ لي برأسه بدوره قائِلًا: "مرحبًا يا سوكي".

قال بِل وهو يبدو ثرثارًا بشكلٍ إيجابي: "هارلين في ترانزيت من مينيسوتا إلى نيو أورليانز".

قال هارلين: "أنا ذاهِب في إجازة، لطالما أردتُ زيارة نيو أورليانز لسنواتٍ، إنها وجهة مُقدَّسة بالنسبة لنا كما تعلمين".

قُلت محاوِلةً الحفاظ على واقعيَّة الحديث: "حقًّا... صحيح".

قال هارلين: "هُناك ذلك الرقم الذي يُمكِنكِ الاتصال به، ليُمكِنكِ الإقامة مع أحد المُقيمين بشكلٍ فعلي، أو استئجار...".

سألته بمرح: "تابوت؟".

"حسنًا، أجل".

قُلت مُبتسِمة: "يا له من أمر رائِع، ماذا يُمكِنني أن أُحضِر من أجلك؟ أعتقِد أن سام أعاد تخزين بعض الدماء يا بِل، هل تُريد بعضَها؟ إنها بنكهة (إيه سالِب)، كما أن لدينا نكهة (أو موجَب)".

قال بِل، بعد أن دارَت بينه وبين هارلين مُحادثة صامِتة: "أعتقِد أنني أريد (إيه سالِب)".

قُلت: "قادِمة على الفور!". قبل أن أسير نحو المُبرِّد الموجود خلف البار، وأُخرِج زُجاجتين من الدماء بنكهة (إيه سالِب)، وأفتحهما، ثُم أضعهما فوق صينيّة. لقد حافظتُ على ابتسامتي طوال الوقت، وكأنني مُعتادة على ذلك.

سألني بِل بصوتٍ أكثر طبيعيةً بعد أن قدَّمتُ لهما مشروبيهما: "هل أنتِ بخيرٍ يا سوكي؟".

قُلت بمرح: "بالطبع يا بِل".

أردتُ أن أكسر الزُّجاجة فوق رأس بِل، وهارلين بالطبع. إقامة طوال الليل. صحيح.

قال بِل عندما أتيتُ لأخذ الزُّجاجتين الفارغتين، وسألتهما لو يرغبان في إعادة الملء: "يرغَب هارلين في الذهاب لزيارة مالكوم لاحقًا".

قُلت محاولةً ألا أبدو مُشاكِسة كما شعرت: "أنا واثقة أن مالكوم سيُحِب مُقابلة هارلين".

قال هارلين وهو يبتسِم كاشفًا عن أنيابه: "لقد كان لقاء بِل رائعًا". يعرِف هارلين كيف يُشاكِس بدوره، حسنًا. تابع حديثه قائِلًا: "لكن مالكوم أسطورة بكُل تأكيد".

قُلت لبِل: "توخَّ الحذر". وأردتُ أن أخبِره عن مدى الخطر الذي يتربَّص بمصَّاصي الدماء الثلاثة، لكنني لم أعتقِد أن الأمر قد وَصَل لذروته بعد. ولم أرغَب في كشف ستار الأمر، لأن

هارلين يجلِس هُناك، ليُحدِّق فيَّ بحُزنٍ وهو يبدو كرمزٍ جنسيٍّ للمُراهقين. ثُم أضفتُ بعد لحظة: "يستشيط الجميع غضبًا من هؤلاء الثلاثة في الوقت الحالي". لكنه لم يكُن تحذيرًا فعَّالًا.

نَظَرَ إليَّ بِل بحيرةٍ فحسب، فدرتُ على عقبي وسرتُ مُبتعِدة.

سأندم بشدَّة على تلك اللحظة، يوم لا ينفع الندم.



ضجَّت الحانة بمزيدٍ من الحديث الذي سَمِعته من رينيه ومايك سبنسر بعد رحيل بِل وهارلين. بدا لي وكأن شخصًا ما يؤجِّج النيران، ويُحافِظ على تفاقُم مستوى الغضب. لكنني لم أتمكَّن من كشف هويته أبدًا، على الرغم من أنني استرقتُ السمع بطريقةٍ عشوائيّة، عقليًّا وجسديًّا. جاء جيسون إلى الحانة، وتبادلنا التحيَّة، لكننا لم نتبادَل ما هو أكثر من ذلك. لم يُسامحني على ردَّة فعلي على وفاة الخال بارتلِت بعد.

لقد تجاوَز الأمر، وعلى الأقل لم يُفكِّر في حرق أي شيء، باستثناء تأجيج نيران الشوق في فراش ليز بارِت. تمتَّعت ليز -التي كانت أصغر مني سنًّا- بشعرٍ بُني قصيرٍ مموج، وعينين بُنيَّتين واسعتين، وكان مظهرها الصادِق غير المتوقَّع يجعلني أعتقِد أن جيسون قد وجد رفيقته المثاليَّة. وبعد ما ودعتهما بعد أن فرغ إبريق بيرتهما عن بكرة أبيه، أدركتُ أن مستوى الغضب قد تصاعَد، وأن الرجال كانوا جادِّين في القيام بشيءٍ ما حقًّا.

وبدأتُ أشعُر بما هو أكثر من القلق.

وبحلول المساء، أصبح النشاط في الحانة محمومًا أكثر فأكثر. وازداد عدد الرجال، وقلَّت النساء. وازداد مُعدَّل التناقُل بين الطاوِلات، ومُعدَّلات تناوُل الشراب. ووقف الرجال بدلًا من الجلوس. وكان من الصعب تحديد مركَز ذلك، لأنه لم يكُن هُناك أي اجتماع كبير حقًّا. فقد تمَّ ذلك عن طريق الحديث الشفهي، وهمسًا من أذنٍ لأخرى. لم يقفِز أحد في مُنتصف الحانة: "ماذا تقولون يا أولاد؟ هل سنتحمَّل تلك الوحوش التي تعيش وسطنا؟ لنذهب إلى القلعة!". أو شيء من هذا القبيل. كُل ما في الأمر، أنه بعد مرور بعض الوقت، بدؤوا جميعًا بالانسحاب، وتجمَّعوا في مجموعاتٍ في ساحة انتظار السيَّارات. نظرتُ إليهم عبر إحدى النوافِذ، وهززتُ رأسي. هذا ليس جيِّدًا.

وشَعَر سام بعدم الارتياح بدوره.

سألته: "ما رأيك؟". وأدركتُ أنها المرَّة الأولى التي أتحدَّث معه فيها طوال المساء، باستثناء جُمل مثل: "ناولني الإبريق" أو "أعطني كأسًا أخرى من المارغريتا".

قال: "أعتقِد أن لدينا حشدًا من الغوغاء، لكنهم لن يذهبوا إلى مونرو الآن. فسيكون مصَّاصو الدماء مُستيقظين حتى مطلع الفجر".

"أين يقع منزلهم يا سام؟".

قال: "أعرِف أنه يقع في الجانِب الغربي من ضواحي مونرو... بكلماتٍ أخرى، يقع بالقُرب منَّا. لكنني لا أعرِف مكانه تحديدًا".

قُدتُ سيَّارتي إلى المنزِل بعد ما أغلقنا الحانة، وأنا أتمنى أن أجِد بِل جاثمًا في ممري لأتمكَّن من إخباره بما يجري.

لكنني لم أرَه، ولن أذهَب إلى منزله. وبعد كثير من التردُّد، اتصلتُ به، لكن جهاز الرد الآلي هو ما أجاب مُكالمتي، وتركتُ له رسالة. لم يكُن لديَّ أي فكرة عن صاحِب رقم هاتِف مصَّاصي الدماء الثلاثة، لو كان لديهم هاتِف من الأساس.

وعندما خلعتُ حذائي، ومجوهراتي -المصنوعة بالكامِل من الفضَّة، إليك ذلك يا بِل!- أتذكَّر أنني شعرتُ بالقلق، لكنني لم أكُن قلِقة بما يكفي. خلدتُ إلى الفراش، وسُرعان ما غططتُ في النوم في الغُرفة التي انتقلَت ملكيتها إليَّ الآن. تسلَّل ضوء القمر من بين الستار اللفاف المفتوح، ليخلُق ظلالًا غريبةً على الأرضيَّة، لكنني لم أُحدِّق بها سوى لدقائِقَ معدودة. لم يوقظني بِل في تلك الليلة، ولم يرُد على مُكالمتي.



لكن الهاتِف رن في وقتٍ مُبكِّرٍ من الصباح، بعد أن أشرقَت الشمس.

نظرتُ إلى الساعة، إنها السابِعة والنصف صباحًا، أجبته بخدرٍ وأنا أُلصِق سمَّاعة الهاتِف في أذني: "ماذا هُناك؟".

قال جيسون: "لقد أحرقوا منزِل مصَّاصي الدماء، أتمنى ألا يكون صديقكِ بداخله".

سألته مرَّة أخرى، بصوتٍ ملأه الفزع: "ماذا؟".

"لقد أحرقوا منزِل مصَّاصي الدماء الموجود خارِج مونرو، بعد شروق الشمس. ذلك الذي يقع في شارِع كاليستا، غرب آرتشر".

تذكَّرتُ ما قاله بِل عن أنه قد يأخُذ هارلين إلى هُناك، هل بقيا هُناك؟

قُلت للتأكيد: "حقًّا؟".

"أجل".

قُلت: "يجِب أن أذهَب". وأغلقتُ الهاتِف.

***

تصاعَد منه الدُّخَان في ضوء الشمس الساطِع، تصاعَدت خيوط الدُّخَان لتلوِّث السماء الزرقاء، وبدا الخشب المُتفحِّم كجلد التمساح. تراصَّت سيَّارات الإطفاء وسيَّارات تنفيذ القانون في حالةٍ من الفوضى بحديقة المنزِل المكوَّن من

طابقين، بينما وقف مجموعة من الفضوليين خلف الشريط الأصفر.

تراصَّت بقايا أربعة توابيت جنبًا إلى جنبٍ على العُشب المُحترِق، وبجوارها كيس جُثث أيضًا. بدأتُ أسير نحوها، لكن بدا لي لفترةٍ طويلةٍ أنها لا تقترِب أبدًا مهما حاولت؛ وكأنها أحد تلك الأحلام التي لا يصِل فيها المرء إلى هدفه أبدًا.

أمسَك أحدهم بذراعي محاولًا إيقافي. لا يُمكِنني تذكُّر ما قُلت، لكنني أتذكَّر وجهًا مرعوبًا. شققتُ طريقي بين الحطام، واستنشقتُ رائِحة الأشياء المُتفحِّمة المُبلَّلة، وهي رائِحة لن تُفارقني أبدًا ما حييت.

وصلتُ إلى التابوت الأول ونظرتُ فيه، ووجدتُ أن ما تبقى من الغطاء كان مكشوفًا تحت الضوء. كانت الشمس ساطِعة في كبد السماء؛ وستلمَس أشعتها ذلك الشيء المروّع الذي يسترخي على بطانةٍ حريريةٍ بيضاء مُبلَّلةٍ في أي لحظة الآن.

هل كان بِل؟ لم يكُن هُناك طريقة لمعرِفة ذلك. فقد تفكَّكَت الجُثة شيئًا فشيئًا حتى وأنا أُشاهِدها. تقشَّرَت شظايا صغيرة وتطايرَت مع النسيم، أو اختفَت وسط نفخة صغيرة من الدُّخَان حيث بدأت أشعة الشمس تُلامِس الجُثة.

وحَمَل كُل نعش بين طيَّاته رُعبًا مُماثِلًا.

وقف سام بجواري.

"هل يُمكِنك أن تُسمي هذا جريمة قتل يا سام؟".

هزَّ رأسه قبل أن يقول: "لا أعرِف يا سوكي. من الناحية القانونيّة، يُعد قتل مصَّاصي الدماء جريمة قتل. لكن عليكِ إثبات نيّة الحرق المُتعمّد أولًا، على الرغم من أنني أعتقِد أن ذلك سيكون صعبًا للغاية".

كان بإمكان كلينا شم رائِحة البنزين. تحرَّك الرجال حول المنزِل، وتسلَّقوا جدرانه هُنا وهُناك، وصرخوا بعضهم في بعض. لم يبدُ لي أن هؤلاء الرجال يجرون أي تحقيق جدي في مسرَح الجريمة.

أشار سام إلى كيس الجُثث القابع على العُشب، ثُم قال: "لكن هذه الجُثة يا سوكي، جُثة إنسان حقيقي، وعليهم التحقيق في موته. ولا أعتقِد أن أي عضو في هذا الحشد الغوغائي قد أدرَك على الإطلاق أنه قد يكون هُناك إنسان بالداخِل، ولم يُفكِّروا في أي شيء آخر بخلاف ما فعلوه".

"لماذا أنت هُنا إذًا يا سام؟".

قال بوضوح: "من أجلكِ".

"لن أعرِف إذا كان بِل بينهم إلا ليلًا يا سام".

"أجل، أعرِف ذلك".

"ماذا يُفترَض بي أن أفعل طوال اليوم؟ كيف يُمكِنني الانتظار؟".

قال مُقترحًا: "رُبما تتناولين بعض المُهدِّئات، ماذا عن الحبوب المنوِّمة أو شيء من هذا القبيل؟".

قُلت: "ليس لديَّ أي شيء من هذا القبيل، لأنني لم أواجِه أي مُشكِلة في النوم أبدًا".

أصبَحَت هذه المُحادثة أغرب أكثر فأكثر، لكنني لا أعتقِد أن بإمكاني قول أي شيء آخر.

وَقَفَ رجل ضخم أمامي، أحد رجال تنفيذ القانون المحليين. تصبَّب عرقًا تحت وطأة حرارة شمس الصباح، وبدا وكأنه قد ظلَّ مُستيقظًا لساعات. رُبما كان ضمن الورديَّة الليليَّة، واضطر للبقاء عندما اندلع الحريق.

عندما أشعَل الرجال الذين أعرِف هوياتهم النار.

"هل كُنتِ تعرفين هؤلاء الناس يا آنسة؟".

"أجل، فقد التقيتهم من قبل".

"هل يُمكِنكِ التعرُّف على الرفات؟".

سألته بغير تصديق: "من يستطيع التعرُّف على ذلك؟".

كانت الجُثث قد تفكَّكَت الآن، وأصبحَت عديمة الملامِح ومُتحلِّلة.

بدا مُشمئِزًّا قبل أن يقول: "أجل يا سيِّدتي، ماذا عن الإنسان؟".

قُلت قبل أن يتسنى لي الوقت للتفكير: "سأرى". فقد كان من الصعب كسر عادة تقديم المُساعدة.

رَكَعَ الرجل الضخم على العُشب المحروق وفتح الكيس، وكأنه يعلَم أنني على وشك تغيير رأيي. كان الوجه الملوَّث بالسُّخام يعود لفتاةٍ لم أرها من قبل، حمدًا لله.

شعرتُ برُكبتيَّ ترتجِفان، قُلت: "لا أعرِفها". أمسَك بي سام قبل أن أسقُط أرضًا، فاتكأت عليه.

همست: "يا لها من فتاةٍ مسكينة، لا أعرِف ماذا يُفترَض بي أن أفعل يا سام".

سلبني رجال الشُّرطة جُزءًا من وقتي في ذلك اليوم، فقد أرادوا معرِفة كُل ما أعرِفه عن مصَّاصي الدماء الذين يملكون المنزل، فأخبرتهم بذلك، لكنني لم أكُن أعرِف الكثير. لم أعرِف من أين أتى مالكوم، وديان، وليام، ولا أعمارهم، ولا سبب استقرارهم في مونرو، ولا هوية مُحاميهم؛ كيف لي أن أعرِف أشياءَ من هذا القبيل؟ في حين أنني لم أذهَب إلى منزلهم من قبل.

وعندما اكتشف السائِل -أيًّا ما كانت هويته- أنني التقيتُ بهم عن طريق بِل، أراد معرِفة مكانه، وكيف يُمكِنه التواصُل معه.

قُلت وأنا أشير إلى التابوت الرابع: "رُبما يكون هُناك، لن أعرِف ذلك حتى حلول الظلام". وارتفعَت يديَ رغمًا عني لتُغطي فمي.

عندها فقط بدأ أحد رجال الإطفاء يضحَك هو ورفيقه، عندما صَرَخ أقصرهما في الرجل الذي يستجوِبني: "مصَّاصو دماء الجنوب المشويون! لدينا بعض أصدِقاء مصَّاصي دماء الجنوب المشويين هُنا!".

لكنه لم يعتقِد أن الأمر مُضحِكٌ عندما ركلته. أمسكني سام، بينما أمسَك الرجل الذي كان يستجوِبني برجل الإطفاء الذي هاجمته. صرختُ كجنيةٍ مُتعطِّشة للدماء، وكُنت لأهاجِمه مرَّة أخرى لو تركني سام فحسب.

لكنه لم يفعَل، بل جرَّني نحو سيَّارتي، بقبضتين قويَّتين كالقيود الحديديَّة. راودتني رؤية مُفاجئة لمدى خجل جدَّتي مني كُلما رأتني أصرُخ في وجه موظَّف حكومي، أو رأتني أعتدي بالضرب على شخصٍ ما. وخزَت الفكرة جنوني العدائي كما تثقُب الإبرة بالونًا. تركتُ سام يضعني في مقعَد الراكِب، وعندما أدار السيَّارة وتراجَع مُبتعِدًا، سمحتُ له بأن يذهب بي إلى المنزِل بينما جلستُ في صمتٍ تام.

وصلنا إلى منزلي في وقتٍ مُبكِّرٍ للغاية، لم تتجاوز الساعة العاشِرة صباحًا بعد، نظرًا لأننا نتبع التوقيت الصيفي، وكان لديَّ ما لا يقِل عن عشر ساعات إضافيَّة من الانتظار.

أجرى سام بعض المُكالمات الهاتفيَّة، بينما جلستُ على الأريكة أنظُر أمامي. مرَّت خمس دقائِق قبل أن يعود إلى غُرفة المعيشة.

قال بخفَّة: "بحقكِ يا سوكي، هذه الستائِر قذِرة".

"ماذا؟".

"الستائِر، كيف يُمكِنكِ تركها بهذه الطريقة؟".

"ماذا؟".

"سنقوم ببعض التنظيف، أحضري دلوًا وبعض الأمونيا وبعض قطع القِماش، وحضِّري لنا بعض القهوة".

تحرَّكتُ ببطءٍ وحذر، خائِفة من أن أذوي وأتطايَر بعيدًا مثل الأجساد التي سكنَت التوابيت، وقُمتُ بما أمرني به.

بحلول الوقت الذي عُدتُ فيه بالدلو وقِطع القِماش، كان سام قد أنزَل ستائِر نوافِذ غُرفة المعيشة.

سألني: "أين الغسَّالة؟".

أشرت له على مكانها وقُلت: "هُناك، خارِج المطبخ".

سار سام نحو الغسَّالة مُمسِكًا بمجموعةٍ من الستائِر، التي كانت جدَّتي قد غسلتها منذ أقل من شهر، استعدادًا لزيارة بِل. لكنني لم أنطِق بكلمة.

أنزلتُ إحدى الستائِر، وأغلقتها، وبدأتُ أغسِلها. وعندما أصبحَت نظيفة، لمَّعنا النوافِذ أنفسها. بدأت تُمطِر في مُنتصف الصباح تقريبًا، ولذلك لم نتمكَّن من الخروج. أمسَك سام بممسحة الغُبار ذات المقبَض الطويل وأزال شبكة العنكبوت

التي احتلَّت أركان السقف العالي، بينما مسحتُ أنا إزار الحوائِط. ثُم أنزَل المرآة من فوق رف الموقد، ونفض الغُبار عن الأجزاء التي لا يُمكِننا الوصول إليها عادةً، قبل أن نُنظِّف المرآة ونُعيد تعليقها مرَّة أخرى. كما نظَّفت المدفأة الرُّخاميَّة القديمة حتى تخلَّصَت من أي آثار لنار الشتاء. وأحضرتُ لها بابًا جميلًا، مُزيَّنًا بأزهار الماغنوليا. قبل أن أُنظِّف شاشة التلفاز، وأطلُب من سام رفعها لأتمكَّن من إزالة الغُبار من تحتها. ووضعتُ كُل الأفلام في عبواتها الصحيحة ووضعتُ علامة على ما سجَّلتُ فوقه. وأزلتُ جميع الوسائِد من على الأريكة، قبل أن أُنظِّف الغُبار الذي تجمَّع تحتها بالمكنسة الكهربائيَّة، لأجد دولارًا وخمسة سنتات في انتظاري هُناك. ثُم انتقلتُ إلى السجَّادة ونظَّفتها بالمكنسة الكهربائيَّة بدورها، واستخدمت ممسحة الغُبار على الأرض الخشبيَّة.

ثُم انتقلنا إلى غُرفة الطعام ولمَّعنا كُل شيء يُمكِن تلميعه. وعندما لمع خشب المنضدة والمقاعِد مُستسلِمًا، سألني سام عن المُدَّة التي مضَت منذ أن لمَّعتُ أدوات المائِدة الفضيَّة الخاصَّة بجدَّتي.

لم أُلمِّع أدوات المائِدة الفضيَّة الخاصَّة بجدَّتي من قبل. فتحنا البوفيه لنجدها هُناك في انتظارنا، وأجل... كانت بحاجةٍ ماسَّةٍ للتلميع. حملناها إلى المطبخ، ووجدنا مُلمِّع الأدوات الفضيَّة هُناك، فلمَّعناها. كان الراديو مفتوحًا، لكنني أدركتُ أن سام يُغلِقه بشكلٍ تلقائي كُلما جاء موعِد نشرة الأخبار.

انهمكنا في التنظيف طوال اليوم، واستمرَّت السماء في البُكاء مطرًا طوال اليوم. ولم يتحدَّث معي سام سوى ليوجِّهني للمُهِمَّة التالية.

لقد عملتُ بجدٍّ حقًّا، وكذلك فعل.

وبحلول الوقت الذي خفت فيه ضوء السماء، كان منزلي هو أنظَف منزل في أبرشية رينارد.

قال سام: "سأذهب الآن يا سوكي، أعتقِد أنكِ ترغبين في قليلٍ من الوحدة".

قُلت: "أجل، أريد أن أشكُرك في وقتٍ ما، لكنني لا أستطيع القيام بذلك الآن. لقد أنقذتني اليوم".

شعرتُ بشفتيه تُقبِّلان جبهتي، وبعد لحظة سَمِعتُ صوت الباب يُغلَق. جلستُ إلى المنضدة بينما بدأ الظلام يملأ ثنيات المطبخ. وعندما أصبحَت الرؤية عسيرة، أسرعتُ إلى الخارِج، وأخذتُ كشَّافي الضخم.

لم أكترث للمطر الذي لا يزال ينهمِر. فقد ارتديتُ صندلًا وفستانًا من الجينز دون أكمام، وهو نفسه ما ارتديته في الصباح بعد ما هاتفني جيسون.

وقفتُ تحت المطر الدافئ المُنهمِر، التصق شعري بجُمجمتي، وابتل فُستاني حتى تمسَّك بجسدي. التفتُّ يسارًا نحو الغابة وبدأتُ أشُق طريقي عبرها، ببطءٍ وحرصٍ في البداية.

قبل أن أبدأ بالركض، عندما بدأ تأثير سام المُهدِّئ يتبخَّر، والأغصان تخدِش وجنتيَّ، والكروم الشائِكة تجرَح ساقي. خرجتُ من الغابة، واندفعت نحو المقبرة، وضوء مصباحي يتمايَل أمامي. اعتقدتُ أنني سأذهَب للمنزِل الموجود في الناحية الأخرى، منزِل آل كومبتون؛ لكنني عَرِفتُ أن بِل لا بُد أن يكون هُنا، في مكانٍ ما بهذه الأفدِنة الستة من العظام والصخور. وقفتُ في مُنتصف الجُزء الأقدَم من المقبرة، مُحاطةً بالآثار وشواهِد القبور المتواضِعة، بصُحبة الموتى.

صرخت: "بِل كومبتون! اخرُج حالًا!".

بدأت أدور حول نفسي في دوائِر، وأتلفَّت في الظلام، عالمةً بأنه سيتمكَّن من رؤيتي، إذا تمكَّن من رؤية أي شيء، حتى لو لم أتمكَّن من رؤيته -لو لم يكُن أحد تلك الفظائِع السوداء المُتقشِّرة التي رأيتها في الفناء الأمامي لذلك المنزِل خارج مونرو-.

لا صوت... ولا حركة... سوى انهمار المطر الغزير اللطيف.

"بِل! بِل! اخرُج حالًا!".

شعرتُ -بدلًا من أن أسمَع- بحركةٍ عن يميني، وجَّهتُ ضوء مصباحي في هذا الاتجاه، ووجدتُ الأرض تتشقَّق. وأمام عيني، شقَّت يد بيضاء التُّربة الحمراء، وبدأ التُّراب يتصاعَد ويتفتَّت، قبل أن ينهض من قلب الأرض.

"بِل؟".

تحرَّك نحوي، مُغطًّى بالجذور الحمراء، وشعره مليء بالتُّراب. تحرَّك بِل خطوَة مُتردِّدة باتجاهي.

لم أستطِع حتى الذهاب إليه.

قال بعد ما اقترب مني للغاية: "لماذا أتيتِ إلى هُنا يا سوكي؟".

بدا مُرتبكًا وغير مُتيقِّنٍ للمرة الأولى. توجَّب عليَّ إخباره، لكنني لم أتمكَّن من فتح فمي.

"حبيبتي؟".

وقعتُ مثل الحجر، سقطتُ فجأة على رُكبتي على العُشب الرطْب.

رَكَع على رُكبتيه أمامي، عاريًا وقطرات المطر تتقطَّر منه وسألني: "ماذا حدث أثناء نومي؟".

تمتمت: "أنت عارٍ، لا ترتدي أي ملابِس".

قال بشكل منطقي: "ستتسِخ فحسب، ولذلك أخلعها قبل أن أنام في الأَرض".

"أجل، بكُل تأكيد".

"والآن... يجِب أن تُخبريني".

"يجِب ألا تكرهني".

"ماذا فعلتِ؟".

"يا إلهي، لم أفعل شيئًا! لكن كان بإمكاني تحذيرك أكثر، وكان بإمكاني الإمساك بك وإجبارك على السماع. لقد حاولتُ الاتصال بك يا بِل".

"ماذا حدث؟".

احتضنتُ جانبي وجهه بكفيَّ، ولمستُ بشرته، فأدركت كم كُنتُ سأخسَر، وكم قد أخسَر الآن.

"لقد مات مصَّاصو دماء مونرو يا بِل، وشخص آخر برفقتهم".

قال بفتور: "هارلين، لقد بقي الليلة الماضية، فقد انسجم مع ديان للغاية".

ثُم انتظرني لأتم جُملتي، وعيناه مُثبَّتتان على عيني، قُلت: "لقد احترقوا".

"عن عمد".

"أجل".

جلس بجواري تحت زخَّات المطر، في قلب الظلام، دون أن أتمكَّن من تبيُّن ملامِح وجهه. أمسكتُ بالمصباح اليدوي في يدي، وقد تبخَّرَت كُل قواي. وتمكَّنتُ من الشعور بغضبه.

وتمكَّنتُ من الشعور بقسوته.

وتمكَّنتُ من الشعور بجوعه.

لم يكُن مصَّاص دماء أكثر من هذا في أي وقت مضى، لم يكُن فيه أي ذرَّة آدميّة.

أدار وجهه إلى السماء وعوى.

اعتقدتُ أنه قد يقتُل شخصًا ما، فقد وقع تحت وطأة غضب عارِم، وكُنتُ أقرب شخص إليه.

وعندما أدركتُ الخطر المُحدِق بي، أمسَك بِل بعضدي، وجذبني إليه ببطء. لم يكُن هُناك أي جدوى من النضال، في الواقِع، شعرتُ أن ذلك لن يؤدي إلا لإثارته أكثر. أمسكني على بُعد بوصة منه، وتمكَّنتُ من شم رائِحة بشرته، ومن الشعور بالاضطراب الذي يعتمِل بداخله، ومن تذوُّق طعم غضبه.

قد يُنقِذني توجيه طاقته إلى شيءٍ آخرَ من براثنه. انحنيتُ عبر البوصة التي تُفرِّق فيما بيننا، ووضعتُ فمي على صدره. ولعقتُ قطرات المطر عنه، وفركتُ وجنتي في حلمته، وأنا أقترِب منه لأضغط جسدي على جسده.

خدشَت أسنانه كتفي في اللحظة التالية، ودفعني جسده -الصلب، والقاسي، والمُستعِد- بقوَّةٍ حتى إنني استلقيتُ على ظهري في الوحل فجأة. انزلق بداخلي مُباشرة وكأنه يُحاوِل اختراقي ليصِل إلى التُّربة مُباشرة. صرختُ، فزأر ردًّا على

ذلك، وكأننا زوجان من البدائيين، قادمان رأسًا من الكهوف. شعرتُ بقطرات المطر تغسِل الدماء الناتِجة عن غرس أظافري في ظهره، وبحركته المتواصِلة. واعتقدتُ أنني سأُحرَث في هذا الوحل، إلى قبري. ثُم غرس أنيابه في عُنقي.

وصلت لشهوتي فجأة، وعوى بِل وهو يصِل إلى اكتماله، قبل أن ينهار متكوِّمًا فوقي، غادرتني أنيابه وانهمك لسانه في تنظيف علامات العض.

ظننتُ أنه قد يقتُلني دون أن يقصِد ذلك.

حتى لو عَرَفتُ ما أريد فعله، فقد رفضَت عضلاتي أن تنصاع لأوامري. حملني بِل، وأخذني إلى منزله، فتح الباب، وحملني مُباشرةً إلى الحمَّام الضخم. وضعني برفقٍ على السجادة، التي لوَّثها الطين، ومياه المطر، وبركة صغيرة من الدماء، فَتَح بِل الماء الدافئ في المسبَح، قبل أن يضعني داخِله عندما امتلأ، ويدخُل إليه بدوره. جلسنا على المقاعِد، وأقدامنا تتدلى في الماء الرغوي الدافئ الذي سُرعان ما تغيَّر لونه.

حدَّقَت عيناه في الفراغ بلا هُدًى.

ثُم قال بصوتٍ غير مسموع تقريبًا: "ماتوا جميعًا؟".

قُلت بهدوء: "ماتوا جميعًا، وماتت فتاة بشرية معهم".

"ماذا كُنتِ تفعلين طوال اليوم؟".

"أُنظِّف، جعلني سام أنشغِل بتنظيف منزلي".

قال بِل مُتدبِّرًا: "سام! أخبريني يا سوكي، هل يُمكِنكِ قراءة أفكار سام؟".

اعترفتُ فجأة وأنا غارِقة في الإرهاق: "لا". غمرتُ رأسي في الماء، وعندما صعدت، وجدتُ بِل يُمسِك بزُجاجة الشامبو. غسل شعري قبل أن يشطُفه بالماء، ومشَّطه كما فعل في المرَّة الأولى التي مارسنا فيها الحُب.

قُلت مُنهكةً للغاية حتى إنني لم أتمكَّن من نطق الكلمات: "أنا آسِفة للغاية بشأن أصدِقائك يا بِل، كما أنني سعيدة لأنك على قيد الحياة".

لففتُ ذراعيَّ حول عنقه وأسندتُ رأسي إلى كتفه، الذي كان صلبًا كجلمود حجر. وأتذكَّر أنه قد انهمك في تجفيفي بمنشفةٍ بيضاء كبيرة، وأتذكَّر أنه دخل إلى الفراش بجواري، وضمَّني بذراعه، قبل أن أغط في نومٍ عميق.

استيقظتُ في الساعات الأولى من الصباح، على صوت من يتحرَّك في أنحاء الغُرفة. لا بُد أنني كُنت أحلم، ولا بُد أنه كان حلمًا سيئًا، لأنني استيقظتُ لأجد دقَّات قلبي تتسارع، ناديته: "بِل؟". وتمكَّنتُ من الشعور بالخوف يجتاح صوتي.

شعرتُ بالفراش يتحرَّك وهو يجلِس على حافته، قبل أن يسألني: "ما الأمر؟".

"هل أنت بخير؟".

"أجل، كُنت أمشي بالخارِج فحسب".

"هل هُناك أحد بالخارِج؟".

قال: "لا يا حبيبتي". ثُم سَمِعت صوت القِماش وهو يتحرَّك على جلدٍ عار، قبل أن يدخُل معي تحت الملاءة.

قُلت ولا يزال الألم حاضرًا في ذهني: "تبًّا يا بِل!، كان من المُمكِن أن تسكُن أحد تلك التوابيت".

"هل فكَّرتِ يومًا أنه من المُمكِن أن تسكُني أنتِ كيس الجُثث يا سوكي؟ ماذا لو جاؤوا إلى هُنا، وأحرقوا هذا المنزِل، عند مطلع الفجر؟".

أجبته بجديَّة: "عليكَ أن تأتي إلى منزلي إذًا! لن يجرؤوا على حرق منزلي، ستكون بأمانٍ معي".

"اسمعيني يا سوكي، قد تموتين بسببي".

سألته وأنا أسمع العاطِفة تحتل صوتي: "ماذا سأخسَر؟ أنا أقضي أسعد لحظات حياتي منذ أن قابلتك، أسعد لحظات حياتي!".

"إذا مُت... فارتبطي بسام".

"هل بدأتُ تُفكِّر كيف ستتخلَّص مني بالفعل؟".

قال بصوته العذب البارِد: "أبدًا... أبدًا". وشعرتُ بيديه تُمسِكان بكتفي؛ اتكأ على مرفقه بجواري. واقترب أكثر قليلًا، وتمكَّنت من الشعور بطول جسده البارِد.

قُلت: "اسمعني يا بِل، أنا لستُ مُثقَّفة، لكنني لستُ غبيَّة أيضًا. لستُ من ذوي الخبرة الحقيقيَّة أو الدنيويَّة كذلك، لكنني لا أعتقِد أنني ساذَجة". تمنيتُ ألا يبتسِم في الظلام، قبل أن أُتابع حديثي: "يُمكِنني أن أجعلهم يتقبَّلونك... يُمكِنني القيام بذلك".

قال: "أنتِ أكثر الناس قُدرةً على القيام بذلك، أريدكِ مرَّة أخرى".

قُلت: "هل تقصِد... تبًّا!، أجل. لقد فهمتُ قصدك". أخذ بيدي وأرشدني إليه، فقُلت: "أريد ذلك أيضًا". وأردتُ ذلك بكُل تأكيد، طالما أنني نجوتُ منه بعد القصف الذي تعرَّضتُ إليه في المقبرة. كان بِل يستشيط غضبًا للغاية حتى إنني شعرتُ بالضرب الآن، لكنني شعرتُ أيضًا بذلك الشعور السائِل الدافئ الذي يسري بداخلي، وتلك الإثارة المُضطرِبة التي جعلتني بِل أُدمِنها. قُلت وأنا أُداعِبه من الأعلى إلى الأسفل على طول جسده: "حبيبي". قبَّلته، وشعرتُ بلسانه يعبث داخِل فمي. لمست أنيابه بلساني، وهمست: "هل يُمكِنك القيام بالأمر دون عض؟".

"أجل، إنها فقط النهاية العظيمة عندما أتذوَّق دماءكِ".

"هل سيكون الأمر جيِّدًا بدونها؟".

"لا يُمكِن أن يكون الأمر جيِّدًا بدونها، لكنني لا أريد إضعافكِ".

قُلت بتردُّد: "إذا لم تُمانِع، فقد استغرقني الأمر عدَّة أيام حتى شعرتُ أنني على خير ما يُرام".

"لقد كُنتُ أنانيًّا... لكنكِ... جيِّدة للغاية".

قُلت مُقترِحة: "سيكون الأمر أفضل، إذا كُنتُ قويَّة فحسب".

استفزَّني قائِلًا: "أريني مدى قوَّتكِ".

قُلت: "استلقِ على ظهرك. لستُ مُتيقِّنة من كيفيَّة القيام بذلك، لكنني أعرِف أن الآخرين يفعلونه".

اعتليته، وسَمِعتُ أنفاسه تتسارع. شعرتُ بالسعادة لأن الغُرفة مُظلِمة، والمطر لا يزال ينهمِر بالخارِج. كشَفَ لي وميض البرق عن عينيه اللامعتين. تحرَّكتُ بحرصٍ لما تمنَّيتُ أن يكون الوضع الصحيح، ووجهته بداخلي. كانَ لديَّ إيمان عظيم بفطرتي، ومن المؤكَّد أنها لم تخدعني.

(٨)

عُدنا معًا مرَّة أخرى، جرف الخوف شكوكي -بشكل مؤقَّتٍ على الأقل- الخوف الذي شعرتُ به عندما اعتقدتُ أنني قد فقدته، وهكذا استقررنا أنا وبِل على روتينٍ مُضطرِب.

حين أعمَل في المساء، أذهب إلى منزِل بِل بعد أن أنتهي، وعادةً ما أقضي بقية الليلة هُناك. أما إذا عملتُ نهارًا، فإن بِل يمُر بمنزلي بعد الغروب، لنُشاهِد التلفاز، أو لنذهَب إلى السينما، أو لنلعب سكرابل. كما توجَّب عليَّ أن أحصُل على يوم راحة كُل ثلاث ليال، أو أن يمتنِع بِل عن عضي في تلك الليالي؛ وإلا فسأشعُر بالضعف والبُطء. ناهيك عن الخطر الذي يلوح في الأفق، إذا امتصَّ بِل الكثير من دمائي... وهكذا واصلتُ تناوُل الڤيتامينات والحديد، حتى اشتكى بِل من الطعم، فتوقَّفتُ عن تناوُل الحديد.

وعندما أنام ليلًا، يخرُج بِل للقيام بأشياءَ أخرى. فأحيانًا يقرأ، وأحيانًا يتجوَّل في الليل؛ وأحيانًا يخرُج ليرعى فنائي تحت وَهَج أضواء الأمن.

وإذا امتصَّ يومًا دماء شخص آخر، فإنه يُبقي الأمر سرًّا، ويقوم به بعيدًا عن بون تيمبِس، وهو ما طلبته منه.

أقول بأن هذا الروتين مُضطرِب لأنه بدا لي أننا ننتظِر، لأنني أعتقِد أن حريق عرين مونرو قد أثار غضب بِل وأخافه (حسبما أعتقِد). فأن تتمتَّع بالكثير من القوَّة أثناء يقظتك، وتُعاني من الكثير من العجز أثناء نومك أمر مُزعِج.

تساءل كلانا عمَّا إذا كان الرأي العام ضد مصَّاصي الدماء سيهدأ الآن بعد وفاة أسوأ مُثيري الشغب في المِنطَقة.

وعلى الرغم من أن بِل لم يُصرِّح بشيءٍ بشكل مُباشِر، إلا أنني استشففتُ من خلال مجرى حديثنا من وقتٍ لآخرٍ أنه قَلِق على سلامتي لأن قاتِل داون، ومادِيت، وجدَّتي لا يزال حُرًّا طليقًا.

وإذا اعتقد رجال بون تيمبِس والمُدن المُجاوِرة أن حرق مصَّاصي دماء مونرو سيُريح أدمِغتهم فيما يتعلَّق بجرائِم القتل، فهُم مُخطئون تمامًا. فقد أثبتَت تقارير تشريح الضحايا الثلاثة أن دماءهم كانت كامِلة عندما قُتِلوا. وعلاوة على ذلك، فإن علامات العض الموجودة على ماديت وداون لم تبدُ قديمة فقط، بل وأُثبِتَ أنها قديمة أيضًا. كما أن سبب وفاتهم كان الخنق، ومارس أحدهم الجنس مع ماديت وداون قبل وفاتهما، وبعدها أيضًا.

توخَّينا أنا وآرلين وتشارليز الحذر الكامِل بشأن أمور مثل الخروج إلى ساحة انتظار السيَّارات بمُفردنا، والتحقُّق من أن منازلنا لا تزال مُحكَمة الإغلاق قبل دخولها، ومحاولة مُلاحظة

السيَّارات التي تسير حولنا أثناء قيادتنا. لكن توخي الحذر بهذه الطريقة أمر صعب. ويُمثِّل ضغطًا حقيقيًّا على الأعصاب، وأنا مُتيقِّنة تمامًا من أننا انزلقنا عائدين إلى إهمالنا الجسيم. ورُبما يُمكِن اغتفار الأمر لآرلين وتشارليز، لأنهما تعيشان مع أناس آخرين، على عكس الضحيَّتين الأولى والثانية؛ حيث تعيش آرلين مع أطفالها (ومع رينيه لينر أحيانًا)، بينما تعيش تشارليز مع زوجها رالف.

في حين كُنتُ الوحيدة التي تعيش بمُفردها.

ارتاد جيسون الحانة كُل ليلة تقريبًا، كما حَرَصَ على التحدُّث معي في كُل مرَّة. وأدركتُ أنه يُحاوِل رأب الصدع الموجود بيننا، فاستجبتُ له قدر ما استطعتَ. لكنه كان يشرَب الكثير كذلك، وتساوى عدد الأشخاص الذين يتردَّدون إلى فراشه مع هؤلاء الذين يتردَّدون على مرحاض عام، على الرغم من أنه بدأ يُكِن مشاعِر حقيقيَّة تجاه ليز باريت. وعملنا معًا بحذرٍ على تسوية الأعمال المُتعلِّقة بملكيَّة جدَّتي والخال بارتلِت، على الرغم من أنه اهتمَّ بالأمر أكثر مني، فقد تَرَكَ الخال بارتلِت لجيسون كُل شيء باستثناء إرثي.

أخبرني جيسون ذات ليلة، بعد ما شَرِب كأسًا إضافيّةً من البيرة، أنه عاد لقِسم الشُّرطة مرَّتين إضافيتين، وأن هذا يُثير جنونه. وأنه قد تحدَّث إلى سِد مات لانكستر أخيرًا، وأن سِد مات نصحه بألا يذهَب إلى قِسم الشُّرطة مرَّة أخرى ما لم يذهَب معه.

سألته: "لماذا يستمرُّون في جرِّك إلى هُناك؟ لا بُد أن هُناك شيئًا لم تُخبرني به. لم يُلاحِق آندي بليفلور أي شخص آخر، وأعلَم يقينًا أن داون وماديت لم تكونا انتقائيتين لهذا الحد بشأن من يعود معهما إلى المنزِل".

بدا جيسون مذعورًا، ولم يسبِق لي أن رأيتُ شقيقي الأكبر الوسيم يبدو مُحرجًا بهذا القدر.

تمتم قائِلًا: "الأفلام".

انحنيتُ مُقتربةً لأتحقَّق من أنني سَمِعته بشكلٍ صحيح، وقُلت بشكٍ: "الأفلام؟".

همس وأمارات الذنب الشديد تبدو جليَّة عليه: "صه، لقد صوَّرنا أفلامًا".

أعتقِد أنني شعرتُ بالقدر نفسه من الإحراج الذي شَعَر به جيسون. فلا يحتاج الإخوة والأخوات لمعرِفة كُل شيء بعضهم عن بعض. قُلت بتردُّد، محاولةً تبيُّن مدى غباء جيسون: "وأعطيتهن نُسخة منها".

أشاح بنظره بعيدًا، وترقرقَت الدموع بشكلٍ رومانسيٍّ في عينيه الزرقاوين الضبابيتين.

قُلت: "يا لك من معتوه، حتى مع الأخذ في الحسبان حقيقة أنك لا تستطيع معرفة كيف سيبدو هذا للعلن، وماذا سيحدُث عندما تُقرِّر الزواج؟ ماذا لو أرسَلت إحدى رفيقاتك السابِقات نُسخة من رقصة التانجو الصغيرة لعروسك المُستقبليَّة؟".

"شُكرًا على دعمكِ لي في أسوأ أوقاتي يا شقيقتي العزيزة".

أخذتُ نفسًا عميقًا ثُم قُلت: "حسنًا، حسنًا. لقد توقَّفت عن تصوير مقاطِع الڤيديو الصغيرة تلك، أليس كذلك؟".

أومأ برأسه بشكلٍ قاطع، لكنني لم أُصدِّقه.

سألته: "وأخبرتَ سِد مات بكُل شيء عن الأمر، أليس كذلك؟".

أومأ برأسه بشكلٍ أقل قوَّة.

"وهل تعتقِد أن هذا هو سبب اهتمام آندي الشديد بقضيتك؟".

قال بُحزن: "أجل".

قُلت: "لذلك، إذا قاموا باختبار سائِلك المنوي ولم يتطابَق مع السائِل المنوي الذي كان موجودًا داخِلماديت وداون... فهذا مِفتاح براءتك".

حتى الآن، تصرَّفتُ بالطريقة نفسها مثل شقيقي تمامًا، حيث لم يسبِق لنا أن تحدَّثنا عن عينات السائِل المنوي من قبل.

"هذا ما قاله سِد، لكنني لا أثِق بتلك الأشياء فحسب".

لا يثِق شقيقي في أكثر الأدلة العلميَّة موثوقيَّة التي يُمكِن تقديمها إلى المحكمة! سألته: "هل تعتقِد أن آندي سيزوِّر النتائِج؟".

"لا، آندي شخص جيِّد، إنه يؤدي عمله فحسب. أنا فقط لا أعرِف شيئًا عمَّا يخُص الحمض النووي".

قُلت: "أنت أحمق". واستدرتُ لأجلِب إبريقًا آخرَ من البيرة لأربعة رجال من روستون، طلبة جامعيين في سهرةٍ جامحةٍ بالخارِج. ولا يسعني إلا أن أتمنى أن يكون سِد مات لانكستر جيِّدًا في الإقناع.

تحدَّثتُ إلى جيسون قبل أن يُغادِر حانة ميرلوت، سألني: "هل يُمكِنكِ مُساعدتي؟".

ارتسَمَ على وجهه تعبيرٌ لم أره من قبل. كُنت أقِف بجوار طاولته، بينما ذهبت رفيقته في تلك الليلة إلى دورة المياه. لم يطلُب مني شقيقي المُساعدة من قبل.

سألته: "كيف؟".

"ألا يُمكِنكِ قراءة أفكار الرجال الذين يأتون إلى هُنا لتكتشفي ما إذا كان أحدهم قد فعل ذلك؟".

قُلت ببطءٍ وأنا أتدبَّر في الأمر: "هذا ليس سهلًا كما يبدو يا جيسون، وأحد أسباب ذلك، هو أنه سيتوجَّب على الرجل أن يُفكِّر في جريمته أثناء جلوسه هُنا، في اللحظة نفسها التي أستَمِع فيها إلى أفكاره. أو لأنني لا أستطيع دائمًا قراءة الأفكار بوضوح. فبالنسبة للبعض، يبدو الأمر أشبه بالاستماع إلى الراديو، حيث يُمكِنني سماع كُل شيء، وبالنسبة للبقيَّة، فلا أسمَع سوى فوضى غير واضِحة من المشاعِر؛ حيث يبدو

الأمر أشبه بالاستماع إلى شخص يتحدَّث أثناء نومه، هل تفهم قصدي؟ يُمكِنك سماعه وهو يتحدَّث، ويُمكِنك معرفة ما إذا كان مُنزعِجًا أو سعيدًا، لكن لا يُمكِنك سماع الكلمات التي ينطِق بها تحديدًا. وفي أحيانٍ أخرى، يُمكِنني سماع فكرة، لكن لا يُمكِنني تتبُّع مصدرها إذا كانت الغُرفة مُزدحِمة".

حدَّق جيسون في وجهي، كانت هذه هي المرَّة الأولى التي نتحدَّث فيها بصراحةٍ عن إعاقتي.

سألني وهو يهز رأسه في دهشة: "وكيف يُمكِنكِ ألا تُصابي بالجنون؟".

أوشكتُ على توضيح كيفية رفع أسوار حصوني، لكن ليز باريت عادَت إلى الطاوِلة، وقد أعادت وضع زينتها. راقبتُ جيسون يُعيد ارتداء شخصيّة مُطارِد النساء وكأنه يرتدي معطفًا ثقيلًا، وندمتُ على عدم تمكُّني من التحدُّث إليه أكثر عندما كان بمُفرده.

عندما استعدَّ الموظَّفون للمُغادرة في تلك الليلة، سألتني آرلين إذا كان بإمكاني مُجالسة أطفالها ليلة الغد. فغدًا يوم إجازتنا، وتَرغب في الذهاب إلى شرِيفبورت مع رينيه لمُشاهدة فيلم والخروج لتناوُل الطعام.

قُلت: "بكُل تأكيد، لم أُجالِس الأطفال منذ حين".

فجأة... تجمَّدت ملامِح آرلين. واستدارَت نحوي قليلًا، وفتحَت فمها، وظنَّت أنه سيكون من الجيِّد التحدُّث، قبل أن

تُعيد التفكير مرَّة أخرى، ثُم تقول: "هل... حسنًا... هل سيكون بِل هُناك؟".

"أجل، لقد خطَّطنا لمُشاهدة فيلم. وكُنت سأمُر على متجر تأجير أشرطة الڤيديو صباح الغد. لكنني سأُحضِر شيئًا للأطفال ليُشاهِدوه بدلًا من ذلك". فجأة... أدركتُ مقصدها، فتابعتُ حديثي قائلةً: "مهلًا! هل تقصدين أنكِ لا ترغبين في ترك الأطفال معي لو حضر بِل هُناك؟". وشعرتُ بعيني تضيقان وبصوتي يمتلئ بالغضب.

قالت بعجز: "سوكي... أنا أُحبّكِ يا عزيزتي. لكنك لن تفهميني، فأنتِ لستِ أمًّا. لا يُمكِنني ترك أطفالي بصُحبة مصَّاص دماء، لا يُمكِنني القيام بذلك فحسب".

قُلت: "ولا يهم وجودي هُناك، ولا أنني أحُب أطفالكِ أيضًا؟ ولا أن بِل لم يؤذِ طفلًا قط منذ مليون عام". علَّقتُ حقيبتي على كتفي واندفعتُ عبر الباب الخلفي، تاركةً آرلين تقِف هُناك وهي تبدو مُنهارة. يجِب عليها أن تشعُر بالانزعاج بحق الجحيم!

أحكَم الهدوء قبضته على نفسي بحلول الوقت الذي انطلقتُ فيه نحو المنزِل، لكنني كُنتُ لا أزال غاضِبة. اعتراني القلق بشأن جيسون، والغضب بشأن آرلين، والبرود بشكلٍ دائم تقريبًا تجاه سام، الذي تظاهَر هذه الأيام بأنني مُجرَّد أحدً معارِفه. فكَّرتُ إذا ما توجَّب عليَّ الذهاب إلى منزلي عوضًا عن الذهاب إلى منزل بِل؛ وقرَّرتُ أنها فكرة جيِّدة.

وكدليلٍ على مدى قلق بِل عليَّ، حضر إلى منزلي بعد حوالي خمس عشرة دقيقة من الموعِد الذي افتُرِضَ عليَّ الذهاب إلى منزله فيه.

قال بهدوءٍ عندما فتحتُ الباب: "لم تأتِي في موعدكِ، ولم تتصلي".

قُلت: "مزاجي سيئ".

وبحكمة... حافظ على المسافة التي نصبتها بيننا.

قُلت بعد لحظة: "أعتذِر لأنني جعلتك تقلق، لن أفعل ذلك مرَّة أخرى". ابتعدتُ عنه، وتوجَّهتُ نحو المطبخ. تبعني، أو على الأقل افترضتُ أنه فعل. فبِل يتحلى بالهدوء التام حتى إنك لن تعرِف مكانه إلا إذا رأيته.

اتكأ على إطار الباب بينما وقفتُ في مُنتصف المطبخ، أتساءل عن السبب الذي دفعني للقدوم إلى هُنا، وأشعُر بموجةٍ عارمةٍ من الغضب. استشطتُ غضبًا مرَّة أخرى. وأردتُ رمي أو إتلاف شيء ما، لإفساح المجال أمام هذه الدوافِع التدميريّة. لكنني احتويتها، وأغلقتُ عيني، وشكَّلت قبضتين بيديَّ.

قُلت: "سأحفِر حُفرة".

اندفعتُ عبر الباب الخلفي. فتحتُ باب سقيفة الأدوات، وأخرجتُ المجرفة، واندفعتُ إلى الجُزء الخلفي من الفناء. حيث كانت هُناك رُقعة لم ينمُ فيها شيء، ولا أعرِف لذلك

سببًا. غرستُ المجرفة في الأرض، ودفعتها بقدمي، قبل أن تخرُج مُتشبِّثة بقطعةٍ كبيرةٍ من التُّربة. واصلتُ المضي قدمًا، ونَمَت كومة التُّراب مع تعمُّق الحُفرة.

قُلت وأنا أستنِد إلى المجرفة لاهثةً: "أتمتَّع بعضلات ذراعين وكتفين مُمتازة".

جَلَس بِل على مقعد الحديقة يُراقبني دون أن ينبِس ببنت شفة.

استأنفتُ الحفر.

وأخيرًا، أصبح لديَّ حُفرة جميلة بالفعل.

سألني بِل عندما تبيَّن أنني قد انتهيت: "هل تنوين دفن أي شيء؟".

قُلت وأنا أنظُر إلى الحُفرة الموجودة أرضًا: "لا، سأزرع شجرة".

"من أي نوع؟".

قُلت دون تفكير: "شجرة بلوط حي".

"من أين ستأتين بواحدةٍ؟".

"في مركز البستنة، سأذهب في وقتٍ ما من هذا الأسبوع".

"إنها تستغرِق وقتًا طويلًا للنمو".

صحت به: "وما الفارِق الذي سيُحدِثه ذلك بالنسبة لك؟". وضعتُ المجرفة في السقيفة، واتكأتُ عليها، والإرهاق يملؤني فجأة.

تحرَّك بِل وكأنه يوشِك على حملي.

صحت: "أنا امرأة ناضِجة، ويُمكِنني الدخول إلى المنزِل بمُفردي".

سألني بِل وصوته مصبوغ ببعض المحبّة: "هل فعلتُ لكِ شيئًا؟". فاجأني سؤاله، فقد أغرقتُ الاهتمام بنفسي بما يكفي.

قُلت: "أعتذِر، مرَّة أخرى".

"ما الذي جعلكِ غاضِبة لهذه الدرجة؟".

لم أستطِع أن أُخبِره عمَّا قالته آرلين.

"ماذا تفعل عندما تستشيط غضبًا يا بِل؟".

قال: "أقتلِع شجرة من جذورها، وأحيانًا أوذي شخصًا ما".

لم يبدُ حفر حُفرة فكرة سيِّئة آنذاك، فالأمر يحتوي على بناءٍ من نوعٍ ما. لكنني كُنت لا أزال غاضِبة... لكن وطأة الغضب قد هدأت قليلًا. تجوَّلتُ بقلقٍ بحثًا عن شيء يشغلني.

بدا بِل ماهرًا في قراءة الأعراض، وهكذا قال: "لنُمارِس الحُب، ضاجعيني".

"لستُ في مزاجٍ مُناسبٍ لمُمارسة الحُب".

"دعيني أُحاوِل إقناعكِ".

واتضح أنه قادِر على القيام بذلك.

على الأقل تخلَّصتُ من طاقة الغضب العارِم، لكنني لا أزال أُعاني من بقايا حُزنٍ لم ينجَح الجنس في مداواته، فقد جَرَحَت آرلين مشاعري. حدَّقتُ في الفضاء بينما انهمكَ بِل في تضفير شعري، وهي هواية وجدها مُهدِّئة على ما يبدو.

وهو ما جعلني أشعُر كدُمية بِل بين الحين والآخر.

قُلت: "كان جيسون في الحانة الليلة".

"ماذا أراد؟".

أحيانًا كان بِل ذكيًّا للغاية في قراءة الأشخاص.

"لقد ناشَد قُدرتي في قراءة الأفكار، أرادني أن أقرأ أفكار الرجال الذين يأتون إلى الحانة حتى أكتشِف هوية القاتِل".

"هذه ليسَت فكرة سيِّئة، بغض النظر عن بضعة عشرات من العيوب".

"هل تعتقِد ذلك؟".

"سينظُر الناس إلينا أنا وشقيقكِ بقدرٍ أقل من الشك إذا دخل القاتِل السجن، كما أنكِ ستكونين بأمان".

"هذا صحيح، لكنني لا أعرِف كيف أفعل ذلك. سيكون الخوض في كُل تلك الأشياء لمحاولة تبيُّن القليل من المعلومات، أو ومضة من الأفكار أمرًا صعبًا، ومؤلِمًا، ومُملًّا".

"لكنه ليس أكثر إيلامًا أو أصعَب من أن يُشتبه بكِ في جريمة قتل. أنتِ مُعتادة على إبقاء هبتكِ مُغلقة فحسب".

قُلت: "هل تعتقِد ذلك؟". وكدت ألتفِت لأنظُر إلى وجهه، لكنه أمسكني بثباتٍ ليتمكَّن من الانتهاء من عملية التضفير. لم يسبِق لي أن رأيتُ الابتعاد عن أذهان الناس أمرًا أنانيًّا، لكنني افترضتُ أنه كذلك في هذه الحالة، حيث سأضطر لانتهاك الكثير من الخصوصيَّة. تمتمتُ في محاولةٍ لرؤية نفسي ألعب دورًا أفضل من دور الفضولي: "كالمُحقِّق".

قال بِل: "سوكي". جعلني شيءٌ ما في صوته أوليه الكثير من الانتباه، تابع حديثه: "طلب مني إريك أن أجلبكِ إلى شرِيفبورت مرَّة أخرى".

استغرقني الأمر لحظة لأتذكَّر من يكون إريك، قبل أن أقول: "مصَّاص الدماء الاسكندنافي الضخم؟".

قال بِل بدقّة: "مصَّاص الدماء العجوز للغاية".

سألته دون أن أُحِب وقع هذا: "هل تعني أنه أمرَك بإحضاري إلى هُناك؟". كُنت جالِسة بجوار الفراش، وبل خلفي، التفتُّ لأنظُر إلى وجهه، ولم يمنعني هذه المرَّة. حدَّقتُ ببِل، ورأيتُ هذه المرَّة شيئًا لم أره من قبل. ثُم أضفتُ بفزع: "ويجِب عليك أن تفعل ذلك". لم أستطِع تخيُّل شخص يأمُر بِل بشيءٍ، قبل أن أقول: "لكنني لا أرغب في الذهاب لرؤية إريك يا حبيبي".

واستطعتُ رؤية أن هذا لم يُحدِث أي فارِق.

سألته بغضبٍ وعدم تصديق: "ماذا يكون؟ الأب الروحي لمصَّاصي الدماء؟ هل قدَّم لك عرضًا لا يُمكِن رفضه؟".

"إنه أكبر مني، والأهم... أنه أقوى مني".

قُلت بثبات: "لا يوجَد أحد أقوى منك".

"يا ليت هذا صحيحٌ".

"إنه رئيس مُقاطعة مصَّاصي الدماء العاشِرة إذًا أو شيء من هذا القبيل؟".

"أجل، شيء من هذا القبيل".

لطالما حافظ بِل على سريّة كيفيّة سيطرة مصَّاصي الدماء على شؤونهم الخاصَّة، وناسبني ذلك بشكلٍ جيِّد، حتى الآن.

"ماذا يُريد؟ وماذا سيحدُث إذا لم أذهب؟".

تجاهَل بِل السؤال الأول تمامًا، وقال: "سيُرسِل شخصًا ما -أو عدَّة أشخاص- لإحضاركِ".

"مصَّاصي دماء آخرين".

أعتَمت عينا بِل، ولمعتا بشكلٍ مُختلِف، بُنيٍّ كثيف، وأجابني: "أجل".

حاولتُ التفكير في الأمر، لم أعتَد تلقي الأوامِر، كما أنني لم أعتَد على عدم وجود أي خيارات على الإطلاق. استغرَق الأمر من دماغي البليد عدَّة دقائِق لتقييم الوضع.

"وهكذا ستشعُر أنك مُضطر لقتالهم؟".

"بالتأكيد، فأنتِ تخصينني".

لقد قال إنني "أخصه" مرَّة أخرى، ويبدو أنه يقصِد ذلك بالفعل. شعرتُ بالرغبة في التذمُّر بكُل تأكيد، لكنني عَرَفتُ أن ذلك لن يُجدي نفعًا.

قُلت في محاولةٍ للتظاهُر بأنني غير مُستاءة: "أعتقِد أنه يجب أن أذهب، هذا مُجرَّد ابتزاز قديم اعتيادي".

قال: "مصَّاصو الدماء ليسوا مثل البشر يا سوكي، يستخدِم إريك أفضل الوسائِل لتحقيق هدفه، وهو إحضاركِ إلى شرِيفبورت. ولم يتوجَّب عليه أن يوضِّح ذلك؛ إلا أنني فهمته".

قُلت: "حسنًا، أفهم ذلك الآن، لكنني أكرهه حقًّا، أشعُر أنني بين المطرقة والسندان! لماذا يُريدني على أي حال؟". ثُم تبادَرت إلى ذهني إجابة واضِحة، فنظرتُ إلى بِل برُعبٍ قبل أن أقول: "لا، لن أفعل ذلك!".

فَقَد وجه بِل المتوهِّج كُل بقايا الأُلفة وأصبح غريبًا تمامًا وهو يقول: "لن يُمارِس الجنس معكِ ولن يعضّكِ، ليس قبل أن يقتُلني".

قُلت بتردُّد: "وهو يعلَم ذلك، لا بُد من أن هُناك سببًا آخر يجعله يُريدني في شرِيفبورت".

وافقني بِل الرأي قائِلًا: "أجل، لكنني لا أعلم ذلك السبب".

"حسنًا، إذا لم يتعلَّق الأمر بمفاتني الجسديَّة، أو بجودة دمائي غير الاعتيادية، فلا بُد أن له علاقة بـ... ميزتي الصغيرة".

"هبتكِ".

قُلت بصوتٍ يعُج بالسُّخرية: "صحيح، هبتي الثمينة". وعاد الغضب الذي اعتقدتُ أنني قد خفَّفته عن كاهلي ليجلِس فوقهما كغوريلا يبلُغ وزنها أربعمائة رطل، وشعرتُ بالخوف الشديد، مما جعلني أتساءل عن شعور بِل، وخِفت حتى من أن أسأله عن ذلك.

سألتُه بدلًا من ذلك: "متى؟".

"ليلة الغد".

قُلت: "أعتقِد أن هذا هو الجانِب السلبي للمواعدة غير التقليديَّة". حدَّقتُ من فوق كتفه في نقش ورق الحائِط الذي اختارته جدَّتي قبل عشر سنوات. ووعدتُ نفسي بأنني سأختار ورق حائِط مُختلفًا، إذا اجتزتُ هذا الأمر.

قال هامسًا: "أحبّكِ".

لم يكُن هذا خطأ بِل، ولذلك قُلت: "وأنا أيضًا أحبّك".

توجَّب عليَّ منع نفسي من التوسُّل إليه: من فضلك لا تدع مصَّاص الدماء السيئ هذا يؤذيني، ولا تدعه يغتصبني من فضلك. وإذا كُنت أنا بين المطرقة والسندان، فلا بُد أن موقِف بِل أسوأ، ولا يُمكِنني حتى البدء في تقدير مدى ضبط النفس

الذي يتحلى به. إلا إذا كان هادِئًا حقًّا؟ هل يُمكِن لمصَّاص الدماء مواجهة الألم وهذا النوع من العجز دون أن يُصاب ببعض الاضطرابات الداخليَّة؟

أمعنتُ النظر في وجهه، في التجاعيد المألوفة الواضِحة التي تشوب بشرته البيضاء غير اللامِعة، وقوسي حاجبيه الداكِنين، وخط أنفه الفخور. ولاحظتُ أن أنيابه قد برزَت قليلًا، في حين أن الغضب والشهوة يُبرزانها بأكملها.

قال: "الليلة يا سوكي". وبدأت يداه تدفعانني للاستلقاء بجانبه.

"ماذا؟".

"أعتقِد أنه يتوجَّب عليكِ أن تشربي من دمائي الليلة".

تجعَّدَت ملامحي قبل أن أقول: "يا للقرف! ألا تحتاج لكامِل قوَّتك ليلة الغد؟ كما أنني لم أتأذَّ".

"كيف شعرتِ بعد أن شربتِ من دمائي؟ ومنذ وضعت دمائي بداخلكِ؟".

فكَّرتُ في الأمر قبل أن أعترِف قائِلة: "بشعورٍ جيِّد".

"هل أصبتِ بأي مرض؟".

"لا، لكنني لا أصاب بكثيرٍ من الأمراض على أي حال".

"وهل تمتَّعتِ بمزيدٍ من الطاقة؟".

قُلت بسُخرية وأنا أشعُر بشفتي تتقوَّسان في ابتسامةٍ صغيرة: "عندما لا تسلبني إياها مرَّة أخرى".

"وهل أصبحتِ أقوى؟".

قُلت: "أنا... أجل، أعتقِد ذلك". قبل أن أُدرِك للمرَّة الأولى كم كان حملي لمقعدٍ جديدٍ بنفسي في الأسبوع الماضي أمرًا استثنائيًّا.

"هل كان التحكُّم بقوَّتكِ أسهل بالنسبة لكِ؟".

قُلت: "أجل، لقد لاحظت ذلك". لكنني عزوتُ ذلك لزيادة الشعور بالاسترخاء.

"إذا شربتِ من دمائي الليلة، فستتمتعين غدًا بالمزيد من الموارِد".

"لكنك ستكون أضعف".

"إذا لم تشربي الكثير، فسأعوِّض ذلك نهارًا أثناء نومي. وقد أضطر للعثور على شخصٍ آخرَ لأشرَب من دمائه ليلة الغد قبل أن نذهب".

امتلأت ملامحي بالألم، فالشك في أنه يفعل ذلك، ومعرِفته شيئان مُختلفان بكُل تأكيد.

"هذا من أجلنا يا سوكي. أعدك بأن أحدًا آخرَ لن يُمارِس الجنس معكِ".

"تعتقِد أن الأمر برمته ضروري حقًّا؟".

"رُبما يكون ضروريًّا، لكنه على الأقل مُفيد. ونحن بحاجةٍ لكُل المُساعدة التي يُمكِننا الحصول عليها".

قُلت: "حسنًا، كيف سنفعل ذلك؟". لم يكُن لديَّ أكثر من ذكريات ضبابيّة عن ليلة الضرب، وبذلك يطرب قلبي.

نظر إليَّ بتساؤلٍ، وراودني شعور بأنه يشعُر بالتسلية، سألني: "ألستِ مُتحمِّسة يا سوكي؟".

"لشُرب دمائك؟ سامحني، هذا ليس الشيء الذي من شأنه أن يجعلني أشعُر بالحماس".

هزَّ رأسه وكأن الأمر خارِج نطاق فهمه، قبل أن يقول: "لقد نسيتُ... نسيتُ كيف يكون الأمر خلاف ذلك. هل تُفضلين العُنق؟ أم الرسغ؟ أم المِنطَقة الحسَّاسة؟".

قُلت بتردُّد: "ليس المِنطَقة الحسَّاسة، لا أعرِف يا بِل، فهذا مُقرِف... أي شيء".

قال: "العُنق إذًا، استلقي فوقي يا سوكي".

"إن هذا يُشبه مُمارسة الجنس".

"إنها الطريقة الأسهل".

وهكذا اعتليته وهبطتُ بجسدي بلُطف، وكان ذلك شعورًا غريبًا للغاية، لأنه الوضع الذي نستخدِمه أثناء مُمارسة الجنس فقط لا غير.

همس: "عضيني يا سوكي".

احتججتُ قائلةً: "لا أستطيع القيام بذلك!".

"عضيني، أو سأضطر لاستخدام سكين".

"أسناني ليست حادَّة كأسنانك".

"إنها حادَّة بما يكفي".

"سأوذيك".

ضحِك دون صوت، استطعتُ الشعور بصدره يتحرَّك تحتي.

تنفَّستُ بصعوبة، وقُلت: "اللعنة!".

ثبَّتُّ نفسي، قبل أن أعض عُنقه. وأبليتُ حسنًا لأنه لم يكُن هُناك أي معنًى لإطالة هذا الأمر. شعرتُ بطعم الدماء المعدني يغزو فمي، تأوَّه بصوتٍ خافت، ومَسَحَت يداه ظهري، واستمرَّت في الهبوط، حتى وجدتني أصابعه.

شهقتُ بصدمة.

قال بغضب: "اشربي". فشربتُ بشراهة، تأوَّه بصوتٍ عالٍ، وأعلى، وشعرتُ به يضغطني إليه. سيطرَت عليَّ موجة صغيرة من الجنون، وتعلَّقتُ به كالبرنقيل، حتى ولجني، وبدأ يتحرَّك، ويداه تُمسِكان بعظام خصري. شربتُ... فراودتني بعض الرؤى، رؤًى كُلها ذات خلفيّة مُظلِمة، لأشياءَ بيضاء تخرُج

من الأرض وتنطلِق في رحلة صيد، وإثارة الركض عبر الغابة، والفريسة تلهث بالأمام، وإثارة خوفها؛ المُطاردة، وضربات الأرجُل، وسماع اندفاع الدم في عروق المُطارد...

أصدَر بِل ضجة عميقة داخِل صدره وارتعد بداخلي، رفعتُ رأسي عن عُنقه، وموجة من البهجة المُظلِمة تحملني إلى البحر.

كانت هذه أشياء غريبة على نادِلة لديها قوى تخاطُر من شمال لويزيانا.

(٩)

كُنت أستعِد عند غروب شمس اليوم التالي، قال بِل إنه سيتناوَل طعامه في مكانٍ ما قبل أن نذهَب، وبقدر ما جعلتني الفكرة أشعُر بالاستياء، إلا أنه توجَّب عليَّ أن أوافِق على أن الأمر منطقي. كما أنه كان مُحِقًّا بشأن ما سأشعُر به بعد تناوُل مُكمِّلات الڤيتامينات غير الرسميّة في الليلة السابِقة أيضًا، فقد شعرتُ بالعظمة، وبالقوَّة الشديدة، وباليقظة الشديدة، وبسُرعة البديهة، ومن الغريب بما يكفي أنني شعرتُ بأنني جميلة للغاية.

ماذا سأرتدي في مُقابلتي الصغيرة مع مصَّاص دماء؟ لم أرغَب في أن أبدو وكأنني أُحاوِل أن أبدو مُثيرة، لكنني لم أرغَب أيضًا في صُنع أضحوكة من نفسي بارتداء كيس من الخيش عديم الشكل أيضًا. بدا أن الجينز الأزرق هو إجابة سؤالي، كما هو الحال في كثيرٍ من الأحيان. كما ارتديت صندلًا أبيض اللون، وقميصًا أزرق فاتِحًا بعُنقٍ واسع، كُنت قد توقَّفت عن ارتدائه منذ أن بدأت بمواعدة بِل لأنه يكشِف عن آثار أنيابه. لكنني فكَّرتُ أن "ملكيَّة" بِل لي لا يُمكِن تعزيزها بقوّةٍ هذه الليلة. تذكَّرت الشُّرطي الذي تفحَّص رقبتي في المرَّة

الأخيرة، فوضعتُ وشاحًا في حقيبتي. وفكَّرتُ مرَّة أخرى، ثُم أضفتُ قلادة فضيّة. مشَّطتُ شعري، الذي بدا أفتَح بثلاث درجات على الأقل، وتركته يتموَّج على ظهري.

طرق بِل الباب، في اللحظة نفسها التي واجهتُ فيها صعوبةً في تصوُّره مع شخص آخر. فتحتُ الباب، ووقفنا نتبادَل النظر للحظة، فلاحظتُ أن شفتيه متورِّدتان أكثر من المُعتاد، لقد فعلها إذًا. عضضتُ شفتي كيلا أنبس ببنت شفة.

بادرني بقول: "لقد تغيَّرتِ".

"هل تعتقِد أنه سيكون بإمكان أي شخص آخر أن يعرِف ذلك؟". أتمنى أن تكون الإجابة لا.

قال: "لا أعرِف". أمسَك بيدي، وسرنا إلى سيَّارته. فَتَح بابي، وتجاوزته لأتمكَّن من الدخول، قبل أن يتيبَّس جسدي.

سألني بعد لحظة: "ما الأمر؟".

قُلت محاولةً أن أُحافِظ على حيادية صوتي: "لا شيء". ثُم جلستُ في مقعد الراكِب ونظرتُ أمامي مُباشرةً.

أخبرتُ نفسي أنه من المُمكِن أن أغضَب من البقرة التي أعطته الهامبرجر، لكن بطريقةٍ ما لم يكُن التشبيه مُناسبًا.

انطلقنا على الطريق السريع لعدَّة دقائِق في صمتٍ تام، ثُم قُلت: "رائِحتك مُختلِفة".

قال: "تعرفين الآن كيف سأشعُر إذا لمسكِ إريك، لكنني أعتقِد أنني سأشعُر بشعورٍ أسوأ لأن إريك سيستمتِع بلمسك، بينما لم أستمتِع كثيرًا بتناوُل طعامي".

اعتقدتُ أن هذا ليس صحيحًا تمامًا؛ فأنا أعلم أنني أستمتِع بتناوُل الطعام حتى لو لم أتناوَل وجبتي المُفضَّلة. لكنني أقدِّر شعوره.

لم نتحدَّث كثيرًا، فقد شعرنا بالقلق على حدٍّ سواء بشأن ما ينتظِرنا. وسُرعان ما توقَّفنا أمام حانة "فانغتازيا" مرَّة أخرى، لكن هذه المرَّة من الخلف. وبينما فَتَح بِل باب السيَّارة، قاوَمت شعورًا عارمًا يدفعني للتشبُّث بالمقعد ورفض الخروج. قبل أن أواجِه صراعًا آخرَ بمُجرَّد خروجي من السيَّارة، يتضمَّن رغبتي الشديدة في الاختباء خلف بِل. شهقت نوعًا ما، ثُم أمسكتُ ذراعه، وسرنا إلى الباب وكأننا ذاهبان إلى حفلةٍ انتظرناها بفارغ الصبر.

نَظَر لي بِل بالموافقة.

فقاومتُ رغبتي في العبوس في وجهه.

طَرَقَ الباب المعدني الذي نُقِشَت عليه كلِمة "فانغتازيا". كُنا في زقاق الخدمة والتوصيل الذي يمتد خلف جميع المتاجِر في المركز التِّجاري الصغير. حيث وقفَت العديد من السيَّارات الأخرى، ومن بينها سيَّارة إريك الحمراء الرياضيّة المكشوفة. كما كانت جميع السيَّارات باهِظة الثمن.

لن تجِد مصَّاص دماء يركَب سيَّارة فورد فييستا.

طرق بِل ثلاث طرقات سريعة، ثُم طرقتين مُتباعدتين. أظن أنها طرقة مصَّاصي الدماء السريَّة، ورُبما ستسنح لي الفُرصة لتعلُّم المُصافحة السريَّة أيضًا.

فتحَت مصَّاصة الدماء الشقراء الجميلة الباب؛ تلك التي جلسَت على الطاولة مع إريك عندما أتيتُ إلى الحانة من قبل. تراجعَت دون أن تنبِس ببنت شفة لتسمَح لنا بالدخول.

لو كان بِل إنسانًا، لاحتجَّ على مدى إحكام قبضتي على يده.

تحرَّكت أمامنا بسُرعةٍ أكبر من قُدرة عينيَّ على تتبُّعها، فبدأتُ بالحركة. بطبيعة الحال، لم يتفاجأ بِل مما يحدُث. قادتنا عبر مخزَن يُشبِه إلى حدٍّ كبيرٍ مخزَن حانة ميرلوت وصولًا إلى ممرٍّ صغير، قبل أن ندخُل من باب على يميننا.

جَلَس إريك في الغُرفة الصغيرة، مُهيمنًا على أجوائها بحضوره. لم يركَع بِل ليُقبِّل خاتِمه بالضبط، لكنه أومأ برأسه بعُمق. كان هُناك مصَّاص دماء آخر في الغُرفة، الساقي لونغ شادو؛ الذي كان في حالةٍ جيِّدةٍ الليلة، مُرتديًا قميصًا ضيِّقًا وبنطالًا لرفع الأثقال، وسيطَر اللون الأخضر القاتِم على زيِّه بالكامِل.

حيَّانا إريك: "مرحبًا بكما يا بِل، ويا سوكي، تعرِفان لونغ شادو بالطبع، وتتذكَّرين بام يا سوكي". بام هي المرأة الشقراء، تابع حديثه قائِلًا: "وهذا هو بروس".

كان بروس إنسانًا، بل أكثر إنسان خائِف رأيته في حياتي، فشعرتُ بتعاطُفٍ كبيرٍ تجاه ذلك. كان في مُنتصف العُمر، ضخم البطن، ويتمتَّع بشعرٍ خفيفٍ داكِنٍ يتموَّج في موجاتٍ قاسيةٍ تعلو فروة رأسه، كما كان ذا لغد رغم أنه صغير الفم. ارتدى بدلة جميلة، لونها بيج، مع قميص أبيَض، وربطة عُنق منقوشة باللونين البُني والأزرق القاتم، وتعرَّق بشدّة. جَلَسَ على مقعدٍ مُستقيم أمام المكتَب الذي يجلِس إريك خلفه، والذي جَلَسَ -بطبيعة الحال- على المقعد الأساسي. بينما وَقَفت بام ولونغ شادو مُستندين على الحائِط المُقابِل له بجوار الباب، أخذ بِل مكانه بجوارهما، كدت أتحرَّك لأنضم إليه، قبل أن يتحدَّث إريك مرَّة أخرى.

"استمعي إلى بروس يا سوكي".

وقفتُ أُحدِّق في بروس للحظة، في انتظار أن يتحدَّث، حتى أدركتُ ما يعنيه إريك.

سألته، مع معرفتي بأن صوتي حاد: "ما الذي سأستمِع إليه بالضبط؟".

أجابني إريك موضِّحًا: "اختلسَ منَّا شخصٌ ما حوالي ستين ألف دولار".

يا إلهي، لا بُد أن أحدهم يرغب في الموت بشدَّة.

"وبدلًا من إعدام جميع موظَّفينا البشريين أو تعذيبهم، اعتقدنا أنه رُبما يُمكِنكِ أن تختلسي النظر إلى عقولهم لتُخبرينا بهوية الفاعِل".

لقد قال: "إما الموت أو التعذيب" بهدوء مثلما أقول: "بيرة بود أو أولد ميلووكي".

سألته: "وماذا ستفعل بعد ذلك؟".

بدا إريك مُتفاجِئًا من سؤالي.

ثُم قال بوضوح: "أيًّا كان الفاعِل، سيُعيد لنا أموالنا".

"وبعد ذلك؟".

ضاقَت عيناه الزرقاوان الكبيرتان وهو يُحدِّق بي.

قبل أن يقول بهدوء: "إذا وجدنا دليلًا على الجريمة، فنُسلِّم الجاني إلى الشُّرطة".

الكذاب يذهب إلى النار، وإريك يكذِب ليل نهار! قُلت دون أن أُكلِّف نفسي عناء الابتسامة: "سأعقِد معك صفقة يا إريك". لم تظهَر البهجة على ملامِح إريك، كما أنه لم يتحرَّق شوقًا لمُضاجعتي، على الأقل في الوضع الحالي.

ابتسم بتسامُحٍ وسألني: "وماذا تكون تلك الصفقة يا سوكي؟".

قُلت: "إذا سلَّمت الفاعِل للشُّرطة، فسأفعل ذلك من أجلك مرَّة أخرى، وقتما تشاء".

رفع إريك حاجبيه.

قُلت: "أجل، أعرِف أنني رُبما سأضطر لفعل ذلك على أي حال. لكن أليس من الأفضل أن آتي طوعًا، إذا ما وثقنا جيّدًا بعضنا في بعض؟". غَرِقتُ في عرقي، ولم أستطِع تصديق أنني أتفاوَض مع مصَّاص دماء.

بدا أن إريك يُفكِّر في ذلك فعلًا، فجأة... وجدتني أُبحِر في أفكاره. غَرِقَ في التفكير في أن بإمكانه أن يُجبرني على فعل ما يُريد، في أي مكان، وأي زمان، فقط عن طريق تهديد بِل، أو الأشخاص الذين أُحبّهم. لكنه يُريد أن يندمِج بين البشر، وأن يلتزِم بالقانون قدر الإمكان، وأن يُحافِظ على علاقاته مع البشر بشكلٍ علني، أو على الأقل كما هو الحال في تعامُلات مصَّاصي الدماء مع البشر، كما أنه لم يرغَب في قتل أي أحد ما لم يضطر لذلك.

بدا الأمر أشبَه بالسقوط في حُفرةٍ مليئةٍ بالثعابين، البارِدة والمُميتة. لم تكُن أكثر من مُجرَّد ومضة، شريحةٍ من دماغه نوعًا ما، لكنها تركتني أواجِه واقعًا جديدًا تمامًا.

قُلت بسُرعة، قبل أن يتمكَّن من معرِفة أنني قد قرأتُ أفكاره: "وإلى جانِب ذلك، ما مدى تيقُّنك من أن الفاعِل من بني البشر؟".

تحرَّكت بام ولونغ شادو فجأة، لكن إريك هيمَن على الغُرفة بحضوره، وأمرهما بالثبات.

قال: "هذه فكرة مُثيرة للاهتمام، إن بام ولونغ شادو شَريكاي في الحانة، وأعتقِد أننا سنُلقي نظرةً على أفكارهما، لو لم يثبُت أن الفاعِل من بني البشر".

قُلت بخنوع: "إنها مُجرَّد فكرة".

نَظَرَ إليَّ إريك عبر عينين زرقاوين جليديتين لكائِنٍ لم يعُد يعرِف للإنسانية معنًى، قبل أن يقول آمرًا: "ابدئي الآن، بهذا الرجُل".

ركعتُ بجوار مقعد بروس، محاولةً أن أقرِّر كيفية المضي قدمًا. لم يسبق لي أبدًا محاولة إضفاء الطابع الرسمي على شيءٍ لم يحدُث بأكثر من محضِ مُصادفة. سيُفيدني لمسه؛ فالاتصال المُباشِر يزيد الإرسال وضوحًا، إن جاز التعبير. أمسكتُ بيد بروس، ووجدتُ أن الأمر شخصيٌّ للغاية (ومُتعرِّقٌ للغاية)، فدفعت كُم معطفه للخلف، ثُم أمسكتُ بمعصمه، ونظرتُ في عينيه الصغيرتين.

لم أسرِق المال! من الذي أخذه؟ أي مجنون أحمق سيُعرِّضنا للخطر بهذه الطريقة؟ ماذا ستفعل ليليان لو قتلوني؟ وماذا عن بوبي وهيذر؟ لماذا عملتُ مع مصَّاصي الدماء على أي حال؟ إنه جشع تام، وها أنا ذا أدفع ثمنه! يا إلهي، لن أعمَل لمصلحة هذه الأشياء مرَّة أخرى؟ وكيف يُمكِن لهذه المجنونة أن تعرِف هوية سارِق المال اللعين؟ ولماذا لا تترُكني؟ هل هي مصَّاصة دماء بدورها؟ أم مسَّها شيطان ما؟

إن عينيها غريبتان للغاية! توجَّب عليَّ أن أكتشِف أن الأموال قد سُرِقَت قبل وقت طويل! وأن أكتشِف هوية سارقها قبل أن أنطِق بكلمةٍ لإريك!

سألته: "هل سرقتَ المال؟". رغم أنني على يقينٍ من أنني أعرِف إجابة هذا السؤال.

تأوَّه بروس والعرق يتصبَّب على وجهه: "لا". وأكَّدَت أفكاره وردة فعله على السؤال ما قرأته بالفعل.

"هل تعرِف الفاعِل؟".

"يا ليتني أعرِفه".

وقفتُ، واستدرتُ لمواجهة إريك، ثُم هززتُ رأسي قبل أن أقول: "إنه ليس الفاعِل".

رافقَت بام بروس المسكين إلى الخارِج، ثُم أحضرَت المُشتبه فيه التالي.

كانت نادِلة، ارتدَت ملابس سوداء اللون تُظهِر الكثير من ثدييها، بينما تدلى شعرها الأَحمر كالفراولة على ظهرها. يُمثِّل العمل في حانة "فانغتازيا" وظيفة أحلام كُل مُحبٍّ للأنياب بالطبع، وامتلكَت هذه الفتاة من الندوب ما يُثبِت أنها تستمتِع بامتيازاتها. غمرتها الثِّقة بما يكفي لتبتسِم لإريك، والحماقة بما يكفي لتجلِس على المقعد الخشبي بثقة، بلِ حتى وتعقِد ساقيها لتبدو مثل شارون ستون... أو هكذا تمنَّت. تفاجأت

برؤية مصَّاص دماء غريب وامرأة جديدة في الغُرفة، ولم تُسَر كثيرًا بوجودي، رغم أن بِل أثار شهيتها حتى إنها لعقَت شفتيها.

قالت لإريك: "أهلًا يا عزيزي". فقرَّرتُ أنها لا تملِك أي خيار على الإطلاق.

قال بصوتٍ صلب كجدارٍ حجري مُسطَّح وقاسٍ: "أجيبي أسئِلة تلك المرأة يا جينجر".

بدا أن جينجَر قد فَهِمَت للمرَّة الأولى أن هذا هو الوقت المُناسِب لتتَّسِم بالجديّة. عقدَت كاحليها هذه المرَّة، ووضعَت يديها فوق فخذيها، وقالت: "حسنًا يا سيِّدي". وظننتُ أنني على وشك التقيؤ.

لوَّحَت لي بغطرسةٍ وكأنها تقول: "ابدئي، يا خادِمة مصَّاصي الدماء". مددتُ يدي وأمسكتُ برُسغها، فأبعدت يدها، وقالت بهمس: "لا تلمسيني".

كان رد فعلها غريبًا حتى إن مصَّاصي الدماء توتَّروا، فشعرتُ بالتوتُّر يغزو الغُرفة.

قال إريك آمرًا: "ثبِّتي جينجر يا بام". فظهرَت الأخيرة فجأة بصمتٍ خلف مقعد جينجر، وانحَنَت فوقها ووضعت يديها على مرفقيها. ويُمكِنك أن تعرف أنها قد عانت بعض الشيء لأن رأسها تحرَّك، لكن بام ثبَّتَت الجُزء العلوي من جسدها بقبضةٍ جعلتها تسكُن بلا حراك تمامًا.

لففتُ أصابعي حول معصمها، وسألتها وأنا أحدِّق بعينيها البُنيَّتين: "هل سرقتِ المال؟".

صرخَت صرخة طويلة عالية، وبدأت تشتمني. استمعتُ إلى الفوضى الموجودة في دماغها الصغير، وبدا الأمر أشبه بمحاولة السير في حقل ألغام.

قُلت لإريك: "إنها تعرِف هوية الفاعِل". صمتَت جينجر تمامًا، رغم أنها انخرَطَت في نوبة بُكاء، قُلت لمصَّاصة الدماء الشقراء: "لا يُمكِنها البوح باسمه، فقد عضَّها". لمستُ الندبة التي زيَّنَت عُنق جينجر وكأن الأمر يحتاج لمزيدٍ من التوضيح، ثُم قُلت: "إنه إكراه من نوعٍ ما". ثُم حاولتُ مرَّة أخرى قبل أن أُضيف: "لا يُمكِنها حتى تخَيُّل صورته".

قالت بام: "إنها تحت تأثير التنويم المغناطيسي". دَفَع قُربها من الفتاة الخائِفة أنيابها للظهور، تابعَت حديثها: "إنه مصَّاص دماء قوي".

قُلت: "أحضروا لي صديقتها المُفضَّلة".

ارتجفَت جينجر كورقة شجر في مهب الريح، تحت تأثير أفكار اضطُرَّت لعدم التفكير في إخراجها من خزانة أسرارها.

سألتني بام بشكلٍ مُباشر: "هل يجِب أن تبقى؟ أم نترُكها ترحَل؟".

قُلت: "اتركوها ترحَل، لن يؤدي ذلك إلا إلى إثارة خوف شخص آخر".

اندمجتُ في الأمر بشدّة، لذا استخدمتُ قدرتي الغريبة بشكلٍ علني، حتى إنني لم أنظُر إلى بِل. شعرتُ أن الضعف سيُصيبني بطريقةٍ ما إذا نظرتُ إليه فقط. لكنني عَرَفتُ مكانه، وعَرَفتُ أنه هو ولونغ شادو لم يتحرَّكا منذ بدء الاستجواب.

جذَبَت بام جينجر المُرتعِدة بعيدًا. لم أعرِف ماذا فعلت بالنادِلة، لكنها عادَت بنادِلة أخرى ترتدي النوع نفسه من الملابس. كان اسمها بليندا، وكانت أكبر سنًّا وأكثر حكمةً، وتتمتَّع بشعرٍ بُني، وتلبس نظَّارة، وتمتلِك أكثر فم عابِس مُثير رأيته في حياتي.

سألها إريك بهدوء عندما جلسَت ولمستها: "من هو مصَّاص الدماء الذي رأته جينجر يا بليندا؟". تمتَّعَتْ بما يكفي من العقل لتقبُّل العملية بهدوء، ومن الذكاء لتُدرِك أن عليها أن تتحلى بالصدق.

قالت بليندا بصراحة: "أي شخص يرغَب في الحصول عليها".

رأيتُ صورة تظهَر في دماغ بليندا، لكن يتوجَّب عليها أن تُفكِّر بالاسم.

سألتها فجأة: "أي واحِد من الموجودين هُنا؟".

حصلتُ على الاسم فورًا. تحرَّكَت عيني نحو الرُّكن الذي احتلَّه قبل أن أتمكَّن من فتح فمي، وفجأة... وجدته فوقي، قفز لونغ شادو فوق المقعَد مُمسِكًا ببليندا ليهبِط فوقي وأنا جاثِمة

أمامها. اندفعتُ إلى الخلف نحو مكتب إريك، ولم يُنقِذني من غرس أنيابه في حلقي وتمزيقه سوى يديَّ المرفوعتين. عضَّ ساعدي بوحشيّة، فصرختُ؛ أو على الأقل، حاولتُ لكنني لم أُصدِر سوى صوت اختناق مُزعِج في ظل وجود القليل من الهواء المُتبقي بعد الاصطدام.

لم أعِ سوى وجود الجسد الثقيل فوقي والألم الذي يجتاح ذراعي، وخوفي. لم أخشَ أن يقتُلني الفأران سوى بعد فوات الأوان تقريبًا، لكنني فَهِمتُ أن لونغ شادو كان مُستعدًّا لقتلي دون تردُّد، ليمنعني من التصريح باسمه، وعندما سَمِعتُ الضجيج المروّع وشعرتُ بضغط جسده القوي عليَّ، لم تراودني أي فكرة عمَّا يعنيه ذلك. تمكَّنتُ من رؤية عينيه من فوق الجُزء العلوي من ذراعي، واسعتين، وباردتين، وبُنيَّتين، ومليئتين بالجنون، قبل أن تُصبِحا باهتتين. تدفَّقَت الدماء من فم لونغ شادو، وأغرَقَت ذراعي، واندفعَت نحو فمي المفتوح، فكدتُ أتقيَّأ. ثُم استرخَت أسنانه، وتبدَّلت ملامِح وجهه، وبدأ يتغضَّن. تحوَّلت عيناه إلى بركتين هُلاميَّتين، قبل أن تسقُط حفنة من شعره الأسود الثقيل على وجهي.

شلَّتني الصدمة في مكاني. ثُم أمسَكت الأيدي بكتفيَّ وبدأت تجذِبني من تحت الجُثة المُتحلِّلة. ساعدتها ونهضتُ لأخرُج بشكلٍ أسرع.

لم تفُح أي رائِحة، لكن ملأت مادة لزجة وسوداء وغير مُتَّسِقة المكان، ناهيك عن الرُّعب المُطلَق والاشمئزاز من

مُشاهدة لونغ شادو يتحلَّل بسُرعةٍ لا تُصدَّق. انتصَب وتد شامخًا في ظهره، بينما وقف إريك يُراقِب ما يحدُث، مثلنا جميعًا، مُمسِكًا بمطرقةٍ في يده. بينما كان بِل خلفي، بعد ما أخرجني من تحت لونغ شادو. في حين وقفَت بام بجوار الباب، وهي تُمسِك بذراع بليندا، وبدت الأخيرة مُتزعزِعة مثلي تمامًا.

بدأت المادة اللزجة تختفي في سُحبٍ دُخَانيّة، فوقفنا بلا حَراك حتى اختفَت آخر سُحب الدُّخَان، وتركَت علامة حرق من نوعٍ ما على السجادة.

قُلت فجأة: "سيتوجَّب عليكم أن تحضروا سجَّادة جديدة". وبحق الله، لم أتمكَّن من احتمال الصمت أكثر من ذلك.

قال إريك: "فمكِ مُلطَّخ بالدماء". ظهرَت أنياب جميع مصَّاصي الدماء، بعد ما أصابهم الحماس الشديد.

"لقد نَزَف عليَّ".

"هل دخلَت أي دماء إلى حلقكِ؟".

"من المُحتمَل، ماذا يعني هذا؟".

قالت بام: "سنرى ذلك فيما بعد". بدا صوتها قاسيًا ومُظلِمًا، فنظرَت إلى بليندا بطريقةٍ جعلتني أشعُر بالتوتُّر بشكلٍ واضح، لكن الأخيرة بدت مُتأنِّقة بشكلٍ لا يُصدَّق. تابَعَت بامٍ حديثها وهي تنظُر إلى شفتي بليندا المُنتفختين: "عادةً ما نشرب نحن من دماء البشر، وليس العكس".

نَظَر إليَّ إريك باهتمام، يُعادِل الاهتمام نفسه الذي تُطالِع به بام بليندا، قبل أن يسألني بصوتٍ ناعمٍ للغاية حتى إنك لن تُصدِّق أبدًا أنه قد أعدَم صديقًا قديمًا للتوِّ: "كيف تبدو الأمور بالنسبة لكِ الآن يا سوكي؟".

كيف تبدو الأمور لي الآن؟ أفضل، فالأصوات تبدو أكثر وضوحًا، ويُمكِنني أن أسمع بشكلٍ أفضل. أردتُ أن ألتفِت لأنظُر إلى بِل، لكنني خشيتُ أن أرفعَ عينيَّ عن إريك.

قُلتُ وكأنه لا يوجد أي شيء آخر يُمكِن القيام به: "حسنًا، أعتقِد أننا سنذهَب أنا وبِل الآن، لقد فعلتُ ذلك من أجلك يا إريك، والآن حان وقت الذهاب. لن يكون هُناك انتقام من جينجر أو بليندا أو بروس، أليس كذلك؟ لقد اتفقنا على ذلك". تحرَّكتُ نحو الباب بضمان أنني كُنت بعيدة عن الشعور، قبل أن أقول: "أراهِن فقط أنك بحاجةٍ للذهاب لترى كيف تُبلي الحانة، أليس كذلك؟ من الذي سيُقدِّم المشاريب الليلة؟".

قال إريك بشرودٍ دون أن تُفارِق عيناه عُنقي: "لدينا بديل". ثُم تمتم وهو يقترِب مني خطوة: "إن رائحتكِ مُختلِفة يا سوكي".

ذكَّرته بابتسامةٍ عريضةٍ متوتِّرةٍ وصوتي يرتجِف فرحًا: "حسنًا، تذكَّر الآن يا إريك أننا عقدنا اتفاقًا، سنُغادِر أنا وبِل الآن، أليس كذلك؟". ثُم خاطرتُ بالنظر إلى بِل الواقِف خلفي، وكاد قلبي يتوقَّف هلعًا. فقد اتسعَت عيناه بشدّة، دون أن ترمِشا، بينما تراجَعَت شفتاه للخلف في زمجرةٍ صامتةٍ تكشف عن أنيابه البارِزة، واتسع بؤبؤا عينيه بشدّة، وهو يُحدِّق بإريك.

قُلت بهدوءٍ شابته بعض الحدَّة: "افسحي الطريق يا بام". قيَّمَت بام الوضع بنظرةٍ واحدةٍ، بعد ما تشتَّتت عن شهوتها للدماء. ثُم فتحَت باب المكتب ودفعَت بليندا من خلاله، ووقفَت بجواره لتسمَح لنا بالخروج، قُلت: "نادي على جينجر".

تغلغَل الإحساس بكلماتي في ضباب رغبة بام، فنادت بصوتٍ أجش: "جينجر".

ظهرَت الفتاة الشقراء عبر باب في نهاية الرواق، قالت بام: "إريك يُريدكِ". أشرق وجه الفتاة وكأنها ذاهِبة إلى موعِدٍ مع ديڤيد دكوفني، ودخلَت إلى الغُرفة، وبدأت تُغازِل إريك بأسرَع ما يُمكِن لمصَّاص دماء. نَظَر إريك إلى جينجر عندما تحسَّسَت صدره، وكأنه استيقظ من تحت تأثير تعويذة. انحنى ليُقبِّلها قبل أن ينظُر لي من فوق رأسها ويقول: "سأراكِ مرَّة أخرى".

جذبتُ بِل خارِج الباب بسُرعة البرق. لم يرغَب بِل في التحرُّك، وبدا الأمر وكأنني أحاوِل جذب جذع شجرة. لكن بمُجرَّد خروجنا إلى الرواق، بدا وكأنه قد أصبَح أكثر وعيًا بالحاجة للخروج من هُناك، وأسرعنا مُبتعدين عن حانة "فانغتازيا" نحو سيَّارة بِل.

تفحَّصتُ نفسي. كُنت مُغطَّاة بالدماء، ومُتغضِّنة، وتفوح مني رائِحة كريهة. شيء مُقرِف. نظرتُ إلى بِل لأشارِكه اشمئزازي، لكنه تطلَّع إليَّ بطريقةٍ لا لبس فيها.

قُلت بقوّة: "لا، شغِّل السيَّارة ولنخرُج من هُنا قبل أن يحدُث أي شيء آخر يا بِل كومبتون. ودعني أُخبِرك بكُل صراحة أنني لستُ في مزاجٍ مُناسب".

اندفع نحوي عبر المقعد، وطوَّقني بذراعيه قبل أن أتمكَّن من نُطق كلمة أخرى. ثُم وضع فمه على فمي، وبعد لحظة، بدأ يلعَق الدم من على وجهي بلسانه.

شعرتُ بخوفٍ شديدٍ، كما أنني استشطتُ غضبًا كذلك. أمسكتُ بأذنيه، وسحبتُ رأسه بعيدًا عني بكُل ما أوتيتُ من قوّة، والتي تصادَف أنها أكثر مما كُنتُ أعتقِد أنني أتمتَّع بها.

كانت عيناه لا تزالان تُشبِهان الكهوف التي تسكُن الأشباح في أعماقها.

صرختُ وأنا أهزُّه: "أفِق من هذه الحالة يا بِل!".

عادت شخصيته إلى عينيه ببطء، وتنهَّد تنهيدة قويّة، قبل أن يُقبِّلني قُبلة لطيفة على شفتي.

سألته: "هل يُمكِننا العودة إلى المنزِل الآن؟". شعرتُ بالخجل لأن صوتي خرج مُرتعِدًا.

قال دون أن يبدو ثابتًا للغاية: "بالتأكيد".

سألته بعد خمس عشرة دقيقة من القيادة بصمتٍ، وعندما كُنّا على وشك الخروج من شرِيفبورت: "هل يُشبِه الأمر عندما تشم أسماك القرش الدماء؟".

"تشبيه جيِّد".

لم يكُن بحاجةٍ للاعتذار، فهو لم يفعل سوى ما أملته عليه الطبيعة، أو على الأقل لقد تصرَّف بشكلٍ طبيعيٍّ بالنسبة لمصَّاصي الدماء. لم يُكلِّف نفسه عناء الاعتذار، رغم أنني تمنيتُ لو أنه اعتذر.

سألته أخيرًا: "هل أنا في مُشكلةٍ إذًا؟". كانت الساعة الثانية صباحًا، ووجدتُ أن سؤالي لم يُزعجني كما ينبغي.

قال بِل: "سيلتزِم إريك بكلمتكِ، أما إذا كان سيترُككِ وشأنكِ، فهذا ما لا أعرِفه. أتمنى ذلك...". لكنه توقَّف، وكانت هذه المرَّة الأولى التي أسمَع فيها بِل يتمنى أي شيء.

قُلت: "لا تبدو ستون ألف دولار مبلغًا كبيرًا بالنسبة لمصَّاصي الدماء بكُل تأكيد، حيث يبدو أنكم تمتلِكون جميعًا الكثير من المال".

قال بِل: "بالطبع، يسرِق مصَّاصو الدماء ضحاياهم، حيث اعتدنا سلب الجُثة المال في البداية، ثُم لاحقًا، عندما ازدادَت خبرتنا، تمكَّنَّا من مُمارسة ما يكفي من السيطرة لإقناع البشر بإعطائنا المال طوعًا، ثُم نسيان الأمر تمامًا. ثُم يُعيِّن بعضنا مُستشارين ماليين، بينما يعمل بعضنا الآخر في العقارات، في حين يعيش بعضنا على فوائِد استثماراتنا. قرَّر إريك وبام فتح الحانة معًا. دفع إريك القدر الأكبر من المال، بينما أكمَلت بام ما تبقى. إنهما يعرِفان لونغ شادو منذ مائة عام، وعيَّناه ليكون الساقي. لكنه خانهما".

"لماذا سرقهما؟".

قال بِل بشرود: "لا بُد أنه كان لديه مشروع ما يحتاج لرأس المال من أجله، وكان يحاوِل الحياة بين البشر، ولذلك لم يستطِع الذهاب لقتل مُدير بنك بعد ما ينوِّمه مغناطيسيًّا ويُقنِعه بإعطائه المال. ولذلك سرقه من إريك".

"ألم يكُن من المُمكِن أن يقترِضه من إريك؟".

قال بِل: "لو لم يخجَل لونغ شادو للغاية من السؤال، فأجل".

مرَّت لحظة طويلة أخرى من الصمت، قبل أن أقول في النهاية: "لطالما فكَّرتُ أن مصَّاصي الدماء أذكى من البشر تمامًا، لكنها ليست الحقيقة، أليس كذلك؟".

وافقني الرأي وقال: "ليس دائمًا".

عندما وصلنا إلى ضواحي بون تيمبِس، طلبتُ من بِل أن يوصِّلني إلى المنزل. نظر إليَّ بشكلٍ جانبي، لكنه لم ينطِق بكلمة. رُبما كان مصَّاصو الدماء أكثرُ ذكاءً من البشر بعد كُل شيء.

(١٠)

في اليوم التالي، وأثناء استعدادي للذهاب إلى العمل، أدركتُ أنني بحاجةٍ للابتعاد عن مصَّاصي الدماء لفترة، حتى بِل.

وكُنتُ على استعدادٍ لتذكير نفسي بآدميتي.

لكن المُشكِلة تكمُن في أنني يجِب أن أُلاحِظ أنني إنسانة قد شابها بعض التغيير.

لم يشُبني الكثير من التغيير. فبعد أول جُرعة تناوَلتها من دماء بِل في الليلة التي ضربني بها الفَأران، شعرتُ بالتعافي، وبالصحَّة، وبالقوَّة. لكنني لم أختلِف بشكلٍ ملحوظ. رُبما ازدادت... حسنًا، جاذبيتي.

أما بعد الجُرعة الثانية من دماء بِل، فشعرتُ بالقوَّة بالفعل، وازدادَت شجاعتي لأنني حظيتُ بمزيدٍ من الثقة. كما شعرتُ بأمانٍ أكبر في حياتي الجنسيّة وفي قوَّتها، وبدا واضحًا أنني أتعامَل مع إعاقتي بمزيدٍ من التمكُّن والثقة بالنفس.

لكنني شرِبتُ دماء شادو بمحض المصَادفة. وفي الصباح التالي، وجدتُ أسناني أكثر بياضًا وحدةً عندما نظرتُ في

المرآة، أما شعري فبدا أفتَح وأكثر حيويَّة، في حين ازدادَت شدّة لمعان عينيَّ أكثر من المُعتاد. ووجدتني أبدو كفتاةٍ مُثيرةٍ تدعو للمُحافظة على النظافة، أو لسببٍ صحيٍّ لتناوُل الڤيتامينات وشُرب اللبن. لم تشفَ العضَّة الوحشيّة التي أصابَت ذراعي -آخر عضّة للونغ شادو قبل أن يودِّع عالمنا كما أدركتُ- تمامًا بعد، لكنها في طريقها للشفاء.

ثُم انسكبَت محتويات حقيبتي عندما أمسكتُ بها، وتدحرجَت عُملات معدنيّة تحت الأريكة. رفعت الأريكة بيدٍ واحدةٍ بينما جمعتُ العُملات باليد الأخرى.

سُحقًا.

استقمتُ وأخذتُ نفسًا عميقًا، على الأقل لم يؤذِ ضوء الشمس عيني، ولم أرغب في عض كُل من أراه. استمتعتُ بالخُبز المحمَّص على الإفطار، عوضًا عن اشتهاء عصير الطماطِم. لم أكُن على وشك التحوُّل إلى مصَّاصة دماء، رُبما بتّ أقرب لكوني إنسانة مُعزَّزة بدلًا من ذلك!

من المؤكَّد أن الحياة كانت أسهَل عندما لم أواعِد أحدًا.

عندما وصلتُ إلى حانة ميرلوت، كان كُل شيء جاهِزًا باستثناء تقطيع بعض الليمون الحامِض. نُقدِّم هُنا الفاكِهة مع المشروبات المُختلطة ومع الشاي على حدٍ سواء، ولذا أخرجتُ لوح التقطيع وأمسكتُ بسكينٍ حاد. انهمكَ لافاييت في ربط مئزره بينما أخرجتُ الليمون من الثلاجة الكبيرة.

"هل صبغتِ شعركِ يا سوكي؟".

هززتُ رأسي. كان لافاييت عبارة عن سيمفونيّة من الألوان، تختبئ تحت مئزره الأبيض؛ فقد ارتدى قميصًا فوشيا بحزامٍ رفيعٍ، وبنطالًا من الجينز الأرجواني الداكِن، وصندلًا أحمرً، وظلّل عينيه بظلٍ بلون التوت.

قال بشكٍ وهو يرفع حاجبيه المُشذَّبين: "يبدو لونه أفتَح قليلًا".

أجبته: "لقد عرَّضته للشمس طويلًا". لم تتوافَق داون مع لافاييت قط، سواء لأنه كان أسود البشرة أو لأنه مثلي، لا أعرِف... رُبما لكلا السببين. أما آرلين وتشارليز فتقبلتا الطبَّاخ فحسب، لكنهما لم تبذلا قصارى جُهديهما في التودُّد إليه. لكنني لطالما أحببتُ لافاييت نوعًا ما لأنه عاش حياة صعبة بحيويةٍ ورشاقة.

نكَّستُ رأسي نحو لوح التقطيع، ورأيتُ حبَّات الليمون مُقطَّعة إلى أربع، ويدي تُمسِك بالسكين، والعصير يُبلِّلها. لقد فعلتُ ذلك دون أن أُدرِك، وفي حوالي ثلاثين ثانية فقط. أغلقتُ عيني... يا إلهي.

وعندما فتحتُ عيني، رأيتُ لافاييت يُحرِّك ناظريه من وجهي إلى يدي.

قال: "أخبريني أنني لم أرَ هذا يحدُث يا صديقتي".

قُلت: "لم ترَ شيئًا". قُلتها بصوتٍ رائعٍ وحيادي، وتفاجأت من طبقته، قبل أن أقول: "بعد إذنك، يجِبُ أن أضع تلك جانبًا".

وضعتُ الفاكِهة في حاوياتٍ مُنفصِلةٍ في المُبرِّد الكبير خلف البار حيث يحتفِظ سام بالبيرة. وعندما أغلقتُ بابه، وجدتُ سام يقِف هناك، عاقدًا يديه على صدره، ولا يبدو سعيدًا.

تفحَّصني بعينيه الزرقاوين من الأعلى إلى الأسفل قبل أن يقول: "هل أنتِ بخير؟". ثُم سألني بشك: "هل غيَّرتِ شيئًا في شعركِ؟".

ضَحِكتُ، وأدركتُ أنني رفعتُ أسوار حصوني بسهولةٍ، وأن العملية لم تكُن مؤلِمة كعادتها. قُلت: "لقد عرَّضته للشمس طويلًا".

"ماذا حدث لذراعكِ؟".

نظرتُ إلى مرفقي الأيمَن، حيث غطيتُ العضَّة بضمادة، قبل أن أقول: "لقد عضَّني كلب".

"هل أخذتِ المصل؟".

"بالتأكيد".

نظرتُ إلى سام، الذي وقف بالقُرب مني، وبدا لي أن شعره الأشقر المحمر المموج يتموَّج بالطاقة، كما بدا أن بإمكاني سماع صوت نبضات قلبه. فشعرتُ بشكّه، وبرغبته، التي

استجاب لها جسدي على الفور. فركَّزتُ على شفتيه الرقيقتين، وملأت رائِحة عطره الغنيّة رئتي. تحرَّك مُقترِبًا قليلًا، فشعرتُ بأنفاسه وهي تدخُل وتخرُج من رئتيه، وعَرِفتُ أن قضيبه ينتصِب.

ثُم دخلَت تشارليز توتِن من الباب الأمامي وأغلقته خلفها، وتراجَع كلانا خطوة مُبتعدًا عن الآخر. قُلت لنفسي: حمدًا لله على وجود تشارليز، المُمتلئة الجسد، الغبيّة، واللطيفة، والمُجتهِدة. والتي تُمثِّل الموظَّفة المثالية لأي رب عمل. المتزوِّجة من رالف، حبيبها منذ المدرسة الثانويّة، والذي يعمَل في أحد مصانِع تجهيز الدجاج، ولديهما ابنة في الصف الحادي عشر، وابنة متزوِّجة. وتُحِب العمل في الحانة لأنه يسمَح لها بالخروج ورؤية الناس، وتمتلِك موهبة في التعامُل مع السكارى مما يسمَح لها بطردهم من المكان دونما قِتال.

قالت بمرح: "مرحبًا لكلٍ منكما!". تدلى شعرها البُني الداكِن (المصبوغ بصبغة لوريال حسبما يقول لافاييت) إلى الخلف في سلسلةٍ من الجدائِل. كانت بلوزتها نظيفة، وتباعدت جيوب بنطالها القصير لأنها اكتظَّت بالأشياء. كما ارتدت جورَب دعم أسود شفَّافًا، وقلنسوة، وطلت أظافرها الصناعية بلونٍ أحمرٍ خمري.

قالت: "ابنتي تنتظِر مولودًا، نادوني بجدَّتي فحسب!". فاستطعتُ معرِفة أنها سعيدة كالبطلينوس. أعطيتها العناق

المتوقّع، بينما ربت سام على كتفها. حيث شعر كلانا بالسعادة لرؤيتها.

سألتها وهي تخرُج لتبدأ بالعمل: "متى تتوقَّعون الطفل؟". لم أضطَر لنُطق كلمة خلال الدقائِق الخمس التالية، ثُم دخلَت آرلين، التي غطَّت آثار القُبلات التي صبغَت رقبتها بمُستحضرات التجميل بشكلٍ غير مُتقَن. وبمُجرَّد أن التقَت عينايَ بعيني سام، بعد لحظةٍ قصيرة، أشاح كلانا بنظره بعيدًا في الوقت نفسه.

ثُم بدأنا بخدمة حشد وقت الغداء، وانتهى الحادِث.

لا يشرَب مُعظَم الناس كثيرًا في وقت الغداء، رُبما شيئًا من بيرة أو كأس نبيذ، كما تناوَلت نسبة كبيرة منهم الشاي المُثلَّج أو الماء. يتألَّف حشد الغداء من الناس الذي تصادَف وجودهم بالقُرب من حانة ميرلوت عندما دقَّت ساعة الغداء، ومن الأشخاص الذين يتردَّدون باستمرارٍ لذا يخطُر لهم بشكلٍ تلقائي، ومدمني الكحول المحليين الذين رُبما كان المشروب الذي تناولوه مع الغداء هو الثالِث أو الرابع. ثُم تذكَّرتُ طلب أخي عندما بدأتُ بتلقي الطلبات.

وهكذا استمعتُ طوال اليوم، وهو ما كان مُرهِقًا. لم أقضِ سائِر اليوم في الاستماع لأفكار الناس قط؛ ولم أخفِض أسوار حصوني لفترةٍ طويلةٍ أبدًا. رُبما لم يعُد الأمر مؤلِمًا كما كان؛ ورُبما شعرتُ بالبرودة تجاه ما أسمعه. جَلَسَ الشريف بود

ديربورن مع العُمدة إلى إحدى الطاوِلات، صديق جدَّتي ستيرلنغ نوريس. الذي رَبَت على كتفي، ووَقَف ليفعل ذلك، وأدركتُ أنها المرَّة الأولى التي أراه فيها منذ وفاة جدَّتي.

بدا في حالةٍ سيئة، لكنه سألني بصوتٍ مليءٍ بالتعاطُف: "كيف حالكِ يا سوكي؟".

"بخير حال يا سيِّد نوريس، ماذا عنك؟".

قال بابتسامةٍ مُتشكِّكة: "أنا رجُل عجوز يا سوكي". ولم ينتظِر حتى أن أحتج على إجابته، لأنه تابَع حديثه قائِلًا: "تُثقِل جرائِم القتل تلك كاهلي. لم تشهَد بون تيمبِس جريمة قتل منذ أن أطلق داريل مايهو النار على زوجته سو. ولم يكُن هُناك أي لُغز آنذاك".

سألت الشريف الذي وقف هُناك فحسب: "لقد حدث ذلك قبل... كم؟ ست سنوات؟".

شَعَر السيِّد نوريس بالحُزن الشديد لرؤيتي، لأنه كان يعتقِد أنه سيُقبَض على شقيقي بتُهمة القتل، لأنه قتل ماديت بيكنز، كما افترض أن هذا يعني أن جيسون قتل جدَّتي كذلك على الأرجح. نكَّستُ رأسي لأُخفي عيني.

أومأ لي الشريف بالموافقة قبل أن يقول: "أعتقِد ذلك. لنرَ، أتذكَّر أننا كُنا نرتدي ملابِس معزوفة جين آن الراقِصة... لذلك حَدَث ذلك... أجل، أنتِ مُحقّة يا سوكي، قبل ست سنوات".

ثُم سألني عرضًا وكأنها مُجرَّد فكرة عابِرة: "هل جاء جيسون إلى هُنا اليوم؟".

قُلت: "لا، لم أرَه". وهكذا طلب الشريف الشاي المُثلَّج وشطيرة هامبرجر؛ وطفق يُفكِّر في الوقت الذي عثر فيه على جيسون مع جين آن، وهُما يتغازلان كالمجانين في فراش شاحِنة جيسون الصغيرة.

يا إلهي. لقد فكَّر أنها محظوظة لأنها لم تُخنَق، قبل أن تخطُر في ذهني فكرة واضِحة، عندما فكَّر الشريف ديربورن: إن أولئك الفتيات لا يتمتَّعن بمعاييرَ عاليةٍ على أي حال.

تمكَّنتُ من قراءة أفكاره في سياقها لأن عملية المسح كانت سهلة بالنسبة للشريف، واستطعتُ الشعور بالفروق الدقيقة للفكرة، وهو يُفكِّر: تعمل بوظيفة لا تحتاج لكثيرٍ من المهارة، لم تذهب إلى الكُلية، وتُضاجِع مصَّاص دماء... لا معايير على الإطلاق.

لن ينجَح الغضب والألم في وصف الشعور الذي شعرتُ به بين ثنايا هذا التقييم.

تنقَّلت بين الطاوِلات بشكلٍ تلقائي، لأحضِر المشروبات والشطائِر وأُنظِّف البقايا، وأعملَ بجدٍّ كما أفعل عادةً، وتلك الابتسامة الفظيعة تملأ وجهي. تحدَّثتُ مع عشرين شخصًا أعرِفهم، وامتلك مُعظمهم أفكارًا بريئة أثناء النهار. حيث فكَّر مُعظمهم في العمل، أو في المهام التي يتعيَّن عليهم إنجازها في

المنزِل، أو في بعض المشكلات الصغيرة التي تحتاج إلى حل، كإحضار عامل من شركة "سيرس" لإصلاح غسَّالة الأطباق، أو تنظيف المنزِل لقضاء عُطلة نهاية الأسبوع مع رفقة ما.

بينما شعرَت آرلين بالارتياح لأن دورتها الشهرية قد بدأت.

أما تشارليز فغمرتها انعكاسات تتوهَّج باللون الوردي نحو حفيدها، الذي يُمثِّل فُرصتها للخلود. ودَعَت بتضرُّعٍ من أجل حمل سهل وولادة آمِنة لابنتها.

في حين فكَّر لافاييت في أن العمل معي قد أصبَح مُخيفًا.

وتساءل الشُّرطي كيڤين بريور عمَّا تفعله شريكته كينيا في يوم إجازتها، أما هو فكان سيُساعِد والدته في تنظيف سقيفة الأدوات وسيكره كُل دقيقة يقضيها في فعل ذلك.

سمعتُ الكثير من التعليقات، جهرًا وسرًّا، حول شعري، وبشرتي، والضمادة التي تُحيط بذراعي، ورَغِبَ فيَّ الكثير من الرجال، وامرأة واحدة. فكَّر الكثير من الرجال الذين ذهبوا لحرق عرين مصَّاصي الدماء أنه ليس لديهم أي فُرصة معي بسبب تعاطُفي مع مصَّاصي الدماء، وشعروا بالندم على تصرُّفهم المتهوِّر. حدَّدتُ هوياتهم في ذهني، لن أنسى أنه كان بإمكانهم قتل بِل، على الرغم من أن بقية أعضاء مُجتمع مصَّاصي الدماء احتلوا مكانةً مُنخفِضةً في قائمة أشيائي المُفضَّلة.

تناوَل آندي بليفلور وشقيقته بورشيا الغداء معًا، وهو ما يفعلانه مرَّة واحِدة كُل أسبوع على الأقل. كانت بورشيا نُسخة أنثويّة من آندي؛ متوسِّطة الطول، قويّة البنية، وتتمتَّع بفكٍّ وفمٍ حازمين. كان التشابه بين الأخ وأخته يصُب في مصلحة آنديَ وليس بورشيا، التي سَمِعتُ أنها مُحامية كفؤة للغاية. والتي رُبما كُنت سأقترحها على جيسون عندما اعتقد أنه بحاجةٍ لمُحامٍ، لو لم تكُن أنثى... وفكَّرت في مصلحة بورشيا بهذه الطريقّة وليس جيسون.

شعرَتِ المُحامية اليوم بالاكتئاب لأنها كانت مُثقَّفة وتجني دخلًا جيّدًا، لكن ليس لديها صديق حميم، وكان هذا أكثر ما يؤرِّق مضجعها.

بينما شَعَر آندي بالاشمئزاز من ارتباطي المُستمِر ببِل كومبتون، وكان مُهتمًّا بمظهري الحسِن، وانتابه الفضول بشأن الطريقة التي يُمارِس بها مصّاصو الدماء الجنس. كما شعر بالأسف لاحتمالية اعتقاله لجيسون. وفكَّر في أن القضيَّة المرفوعة ضده ليست أقوى بكثير من تلك المرفوعة ضد العديد من الرجال الآخرين، لكن جيسون هو أكثرهم خوفًا، مما يعني أن لديه ما يخفيه. ناهيك عن مقاطِع الڤيديو التي يظهَر فيها جيسون وهو يُمارِس الجنس -ليس بشكلٍ مُنتظم، أو اعتيادي- مع ماديت وداون.

حدَّقتُ في آندي وأنا أقرأ أفكاره، مما جعله يشعُر بعدم الارتياح، لأنه يعرِف بالفعل ما أنا قادِرة عليه. سألني أخيرًا وهو

يُلوِّح بيده العريضة في الهواء ليتحقَّق من أنه قد جَذَب انتباهي: "هل ستأتين بتلك البيرة يا سوكي؟".

قُلت بشرودٍ: "بالتأكيد يا آندي". قبل أن أُضيف وأنا أُخرِج زجاجة من الثلاجة: "هل ترغبين في مزيدٍ من الشاي يا بورشيا؟".

قالت بأدبٍ وهي تُجفِّف فمها بمنديلها الورقي: "لا، شكرًا يا سوكي". تذكَّرت بورشيا فترة المدرسة الثانوية، عندما كانت على استعدادٍ لبيع روحها مُقابِل الحصول على موعِد مع جيسون ستاكهاوس الوسيم. تساءلتْ عمَّا يفعله جيسون الآن، وإذا ما دار في مُخيِّلته أي فكرة من شأنها أن تُثير اهتمامها - فرُبما يستحِق جسده التضحية بالرفقة الفكرية؟ وهذا يعني أن بورشيا لم ترَ أشرطة الڤيديو، ولم تعلَم حتى بوجودها؛ وأن آندي شُرطي جيِّد.

حاولتُ تخيُّل بورشيا مع جيسون، ولم أستطِع منع نفسي من الابتسام، ستكون تلك تجرِبة لا تُنسى لكليهِما. ووجدتني أتمنى -ليس للمرَّة الأولى- لو أن بإمكاني زرع الأفكار مثلما أحصُدها.

لكنني لم أعرِف شيئًا حتى نهاية نوبتي. باستثناء أن مقاطِع الڤيديو التي صوَّرها شقيقي بطريقةٍ ساذجةٍ كشفَت عن بعض السادية الخفيفة، مما دَفَع آندي للتفكير في علامات الأربِطة التي زيَّنَت أعناق الضحايا.

لذا، وفي المُجمَل، لم يكُن خفض أسوار حصوني من أجل شقيقي أكثر من تمرينٍ عقيم. لقد أثارَت كُل الأفكار التي سَمِعتها قلقي أكثر، دون أَن تُقدِّم لي أي معلومة إضافيّة قد تُساعِده في قضيته.

سيأتي جمع مُختلِف في الليل، لكن لم يسبِق لي أن زُرت ميرلوت بدافِع التسلية. هل يجب أن آتي ليلًا؟ ماذا سيفعل بِل؟ هل أرغب في رؤيته؟

شعرتُ أنني بلا أصدِقاء. حيث لم يكُن هُناك أحد يُمكِنني التحدُّث معه بشأن بِل، ولا شخص لن يشعُر بالصدمة لأنني ذهبتُ لرؤيته في المقام الأول. كيف يُمكِنني أن أُخبِر آرلين أنني حزينة لأن رفاق بِل مصَّاصي الدماء مُرعبون وقُساة، وأن أحدهم قد عضَّني الليلة السابِقة، ونزف في فمي، وقُتِل بوتدٍ فوقي؟ لم يكُن هذا هو نوع المشكلات الذي استعدَّت آرلين للتعامُل معه.

لم أستطِع التفكير في أي شخصٍ يصلُح لذلك.

ولم أستطِع تذكُّر أي شخص يواعِد مصَّاص دماء لم يكُن ضمن مجموعة مصَّاصي الدماء العشوائيّة، مُحبي الأنياب المُستعدين للذهاب مع أي مصَّاص دماء.

وبحلول الوقت الذي غادرتُ فيه العمل، لم يعُد مظهري المُحسَّن يمدني بالقُدرة اللازِمة على جعلي واثِقة من نفسي، بل شعرتُ كمسخ.

تجوَّلتُ في أرجاء المنزِل، وأخذتُ قيلولة قصيرة، ورويتُ زهور جدَّتي، وقُرب الغسق، أكلتُ شيئًا كُنتُ قد سخَّنته في الميكرويف. تردَّدتُ بشأن الخروج حتى اللحظة الأخيرة، قبل أن أرتدي أخيرًا قميصًا أحمر اللون وبنطالًا أبيض، وأتزيَّن ببعض الحُلي، وأعود إلى حانة ميرلوت.

كانت زيارة ميرلوت كعميلةٍ أمرًا غريبًا للغاية. وقف سام خلف البار، ورفع حاجبيه عندما رآني أدخُل. عملت ثلاث نادلات عرفتهن شكلًا الليلة، بينما تولى طبَّاخ مُختلِف أمر الهامبرجر، رأيته من خلال فتحة التقديم.

جَلَسَ جيسون في الحانة، والغريب... أن المقعد المجاوِر له كان فارغًا، فجلستُ عليه بهدوء.

استدار نحوي، مُستعدًّا لاستقبال امرأة جديدة، بفمٍ مُبتسِم، وعينين واسعتين لامعتين. قبل أن تتبدَّل ملامحه بشكلٍ كوميديٍّ عندما رآني. سألني بصوتٍ ساخط: "ماذا تفعلين هُنا يا سوكي؟".

قُلت: "كُنتُ لأعتقِد أنك غير سعيد برؤيتي". وقف سام أمامي، فطلبتُ منه كأسًا من البوربون بالكولا، دون أن أنظُر في عينيه، ثُم همستُ لشقيقي: "لقد جئتُ إلى هُنا الليلة لتجرِبة المزيد من الأشخاص".

قال بعد لحظة من الصمت الطويل: "شكرًا يا سوكي، أعتقِد أنني لم أُدرِك فداحة ما طلبته. مهلًا، هل فعلتِ شيئًا ما لشعركِ؟".

حتى إنه دفع ثمن مشروبي عندما وضعه سام أمامي.

لم يبدُ أن هُناك الكثير لنتحدَّث عنه، وهو ما كان لا بأس به في الواقِع، لأنني كُنت أحاوِل الاستماع إلى أفكار بقية الزبائِن. كان هُناك عدد قليل من الغُرباء، فحصتهم أولًا، لمعرفة إذا ما كانوا مُشتبهًا بهم مُحتملين. قبل أن أقرِّر على مضض أنهم لا يبدون كذلك. حيث فكَّر أحدهم مليًّا في مدى افتقاده لزوجته، وكان معنى هذا الضمني أنه مُخلص لها. بينما فكَّر آخر في أنها أول مرَّة يأتي فيها إلى هُنا، وأن المشروبات جيِّدة حقًّا. في حين فكَّر الثالِث في الجلوس بشكلٍ مُستقيم وتمنى أن يتمكَّن من قيادة سيَّارته إلى الفُندق.

تناولتُ مشروبًا آخرَ.

تبادلنا أنا وجيسون التخمينات حول مقدار أتعاب المُحامي بعد تسوية مُمتلكات جدَّتي. ثُم حدَّق بالباب وقال: "تبًّا!".

سألته دون أن أستدير لرؤية ما ينظُر إليه: "ما الأمر؟".

"صديقكِ الحميم هُنا يا أختي، وليس بمُفرده".

كانت الفكرة الأولى التي جالَت في خاطري هي أن بِل قد أحضَر أحد زُملائه مصَّاصي الدماء معه، وهو الأمر الذي كان من المُمكِن أن يكون مُزعِجًا ويفتقِر للحكمة. لكن عندما استدرتُ، أدركتُ سبب غضب جيسون لهذه الدرجة. فقد كان بِل برفقة فتاة بشريّة، تتأبَّط ذراعه، وتتمسَّح فيه كالعاهِرة، بينما انهمكَ في تأمُّل الجمع بعينيه. ففَهِمتُ أنه ينتظِر ردَّة فعلي.

نهضتُ عن مقعدي، وقرَّرتُ القيام بشيءٍ آخر.

كُنتُ ثمِلة، فنادرًا ما عاقرتُ الخمر، ولذلك ثملتُ من كأسي بوربون بالكولا في غضون دقائِق، لكنني لم أكُن ثمِلة بشدّة، بل في حدود المعقول.

نظرتُ في عيني بِل، الذي لم يتوقَّع أن يجدني هُنا. لم أتمكَّن من قراءة أفكاره مثلما فعلتُ مع إريك للحظةٍ مروّعة، لكنني تمكَّنت من قراءة لُغة جسده.

ناداه هويت صديق جيسون: "مرحبًا يا بِل مصَّاص الدماء". أومأ لهويت برأسه بأدب، قبل أن يبدأ بتوجيه الفتاة -الصغيرة الداكِنة- في اتجاهي.

لم يكُن لديَ أي فكرة عمّا يجِب القيام به.

قال جيسون بعدائيّة: "علامَ ينوي يا أختاه؟ إن تلك الفتاة من مُحبي الأنياب في مونرو. كُنت أعرِفها عندما كانت تُحِب رفقة البشر".

ما زلت لا أملِك أي فكرة عمّا يجِب القيام به. كان جرحي غامِرًا، لكن كبريائي ما انفكَّ يُحاوِل احتواءه. توجَّب عليَّ إضافة بعض الذنب إلى هذه الفوضى العاطفيّة. لم أكُن حيث توقَّع بِل وجودي، ولم أترُك له رسالة. لكن من ناحية أخرى (خامِسة أو سادِسة)، لقد تعرَّضتُ لسلسلةٍ من الصدمات ليلة أمس أثناء أداء القيادة في شرِيفبورت؛ دون أن يُجبرني شيء على الذهاب لهذا الحفل سوى ارتباطي به.

لكن دوافعي المُتحارِبة أوقفتني عند حدي. أردتُ أن أُهاجِمها وأوسعها ضربًا، لكنني لم أتربَّ على الشجار في الحانات. (كما أردتُ أيضًا أن أوسع بِل ضربًا، لكن يُمكِنني أيضًا أن أذهب لأضرَب رأسي بالحائِط بسبب كُل الضرر الذي قد يُلحِقه به). كما أردتُ أن أنفجِر بالبُكاء كذلك لأن مشاعري قد جُرِحَت... لكن ذلك سيكون ضربًا من الضعف. وكان الخيار الأمثَل هو عدم إظهار أي شيء لأن جيسون كان على أهْبَة الاستعداد للانطلاق نحو بِل، وكُل ما كان بحاجةٍ إليه هو إشارة مني لإثارته.

الكثير من الصراعات لتدور في رأس أثمله الخمر.

وبينما تدبَّرتُ كُل هذه الخيارات، اقترب مني بِل، وهو يشُق طريقه بين الطاولات، برفيقته التي يجُرها خلفه. لاحظتُ أن الهدوء سيطَر على الغُرفة. وبدلًا من أن أُراقِبهم، طفقوا يُراقبونني.

شعرتُ بعينيَّ تغرورقان بالدموع بينما شكَّلَت يدايَ قبضتين، هذا عظيم، لقد اخترتُ الأسوأ من كلا الاحتمالين.

قال بِل: "هذا ما أرسله لي إريك عند عتبة منزلي يا سوكي".

بالكاد تمكَّنتُ من فهم ما يقوله.

قُلت بغضبٍ وأنا أنظُر مُباشرةً في عيني الفتاة: "إذًا؟". كانت عيناها واسعتين، داكِنتين، ومليئتين بالحماس. أبقيتُ عينيَّ مفتوحتين، لأنني عَرَفتُ يقينًا أنني سأبكي لو رمشت.

قال بِل: "كمُكافأة". ولم أستطِع فهم ما شعرتُ به حيال هذا الأمر.

قُلت وأنا لا أُصدِّق مدى الحقد الذي صبغ صوتي: "إنها بمثابة مشروب مجاني إذًا؟".

وضع جيسون يده على كتفي وقال بصوتٍ خافتٍ مليءٍ بالحقد مثل صوتي: "مهلًا يا فتاة، إنه لا يستحِق العناء".

لم أعرِف أي عناء ذلك الذي لا يستحقه بِل، لكنني كُنت على وشك اكتشاف ذلك. وبعد عُمر من السيطرة، وجدتُ أن جهلي بما كُنتُ على وشك فعله أمرٌ مُبهجٌ.

نَظَر لي بِل باهتمامٍ شديد. بدا شاحبًا بشكلٍ ملحوظ، تحت إضاءة المصابيح الفلُورسنت الخاصَّة بالحانةً. لم يشرَب من دمائها بعد، ولم تظهر أنيابه كذلك.



قال: "تعالي لنتحدَّث بالخارِج".

قُلت بزئيرٍ تقريبًا: "معها؟".

قال: "لا، بل معي. لا بُد لي من إعادتها".

أثَّر النفور الذي اجتاح صوته عليَّ، فتبعته إلى الخارِج، وأبقيتُ رأسي مرفوعًا دون أن أنظُر في عيني أي أحد. ظلَّ مُمسِكًا بذراع الفتاة، التي بدأت تسير على أطراف أصابعها تقريبًا لتتمكَّن من مُجاراته. لم أُدرِك أن جيسون جاء معنا سوى عندما التفتُّ لأراه خلفي أثناء مرورنا بساحة انتظار السيَّارات.

وبالخارِج، أتى الناس وذهبوا، لكن المكان كان أفضَل قليلًا من الحانة المُزدحِمة.

بدأت الفتاة بالثرثرة قائِلة: "مرحبًا، اسمي ديزيريه، وأعتقِد أنني قابلتك من قبل يا جيسون".

سألها جيسون بصوتٍ هادئ: "ماذا تفعلين هُنا يا ديزيريه؟". يُمكِن للمرء أن يُصدِّق أنه هادئ حقًّا.

قالت بخجلٍ وهي تنظُر إلى بِل بطرف عينها: "أرسلني إريك إلى بون تِيمبِس هُنا كمُكافأة لبِل، لكنه لا يبدو سعيدًا بذلك، ولا أعرِف لذلك سببًا. فعمليًّا، أُعتبَر خمرًا خاصًّا".

سألني جيسون: "إريك؟".

"مصَّاص دماء من شرِيفبورت، وصاحِب حانة، ويُعتبَر قائدهم".

قال بِل: "لقد تركها على عتبة باب منزلي، لم أطلُبها منه".

"وماذا كُنت تنوي القيام به؟".

قال بنفاد صبر: "أعيد إرسالها إليه، يجب أن نتحدَّث".

ابتلعتُ ريقي، وشعرتُ بالتوتُّر ينسحِب بعيدًا عن أصابعي التي بدأت ترتخي.

سأل جيسون: "هل تحتاج لمن يُعيدها إلى مونرو؟".

بدا بِل دهِشًا قبل أن يقول: "أجل، هل تستطيع فعل ذلك؟ فأنا بحاجةٍ للتحدُّث مع شقيقتك".

قال جيسون بمُنتهى اللُّطف: "بكُل تأكيد". وانتابني الشك على الفور.

قالت ديزيريه وهي تنظُر إلى بِل بتجهُّم: "لا أستطيع أن أُصدِّق أنك ترفُضني، لم يرفُضني أحد من قبل!".

قال بِل بأدب: "أنا مُمتَن لوجودكِ بكُل تأكيد، وأنا واثق من أنكِ -كما قُلتِ- خمر خاص، لكن لدي قبو النبيذ الخاص بي".

حدَّقَت به ديزيريه الصغيرة بهدوءٍ للحظةٍ قبل أن تُصيبها صاعِقة الفهم ببطءٍ، سألته وهي تومئ برأسها نحوي: "هذه حبيبتك؟".

"أجل، إنها كذلك".

ظهرَ التوتُّر جليًّا على جيسون بعد تصريح بِل المُباشِر.

تفحَّصتني ديزيريه جيِّدًا، قبل أن تقول: "إنها تتمتَّع بعينين غريبتين".

قال جيسون: "إنها شقيقتي".

قالت: "حقًّا، أنا آسفة، لكنك... طبيعي أكثر منها". ثُم رمقته بنظرةٍ مُتفحِّصة، وبدت أكثر سعادة بما رأته، فسألته: "مهلًا، ماذا كان اسمك الأخير؟".

أمسَك جيسون بيدها وقادها نحو شاحِنته الصغيرة، تفحَّص جسدها أثناء سيرهما، ثُم قال: "ستاكهاوس، رُبما يُمكِنكِ أن تُحدِّثيني قليلًا عمّا كُنتِ تفعلينه في طريقنا إلى المنزل".

التفتُّ إلى بِل، مُتسائِلة عن دافِع جيسون لهذا العمل الكريم، ونظرتُ في عينيه. بدا الأمر كالاصطدام بجدارٍ من الطوب.

سألته بقسوة: "تُريد التحدُّث إذًا؟".

"ليس هُنا، عودي معي إلى المنزِل".

ركلت حصى الطريق بقدمي وقُلت: "لن أذهب إلى منزِلك".

"لنذهب إلى منزِلكِ إذًا".

"لا".

رفع حاجبيه المقوَّسين، وسألني: "إلى أي منزِل سنذهب إذًا؟".

ويا له من سؤالٍ جيِّد.

قُلت: "بحيرة أهلي". لن يكون جيسون هُناك، نظرًا لأنه سيذهب لتوصيل السيِّدة الصغيرة الداكِنة إلى منزلها.

قال باقتضاب: "سأتبعكِ". وافترقنا للذهاب نحو سياراتنا.

قبع العقار الذي قضيتُ فيه سنواتي القليلة الأولى في غرب بون تيمبِس. سلكتُ الطريق المألوف المرصوف بالحصى،

وأوقفتُ سيَّارتي أمام المنزِل، والذي كان عبارة عن مزرعة متواضِعة حافظ عليها جيسون بشكلٍ جيِّد. غادرتُ سيَّارتي، وخرج بِل من سيَّارته، وطلبتُ منه أَن يتبعني. استدرنا حول المنزِل، وهبطنا مُنحدرًا، مُتتبعين مسارًا مرصوفًا بحجارة الرصف الكبيرة. وفي غضون دقيقة واحِدة، وصلنا إلى البُحيرة الصناعيّة التي وضعها والدي وجهَّزها في الفناء الخلفي لمنزلنا، متوقِّعًا أن يذهب للصيد مع ابنه في تلك المياه لسنوات.

كان هُناك ما يُشبِه الفناء المُطِل على المياه، وقبع لحافٌ مطويٌّ على أحد المقاعِد المعدنيّة. حمله بِل -دون أن يسألني- وهزَّه، قبل أن يفرده على مُنحدر العُشب في الفناء. جلستُ عليه على مضض، وأنا أُفكِّر في أن اللحاف ليسَ آمِنًا للأسباب أنفسها التي جعلت مُقابلته في أيٍّ من المنزِلين غير آمنة. فكلما اقتربتُ من بِل، كان كُل ما فكَّرتُ به هو أن أكون أقرَب إليه.

ضممتُ رُكبتيَّ إليَّ وحدَّقتُ في المياه. كان هُناك ضوء أمني على الجانِب الآخر من البُحيرة، فتمكَّنتُ من رؤية انعكاسه على المياه الراكِدة. استلقى بِل على ظهره بجواري، وشعرتُ بعينيه تتحسَّسان وجهي. شبك أصابعه فوق صدره، مُحتفِظًا بيديه لنفسه في تفاخُر.

قال بحياديّة: "أخافكِ ما حدث الليلة الماضية".

سألته بهدوءٍ أكثر مما اعتقدتُ أن بإمكانيَ التحلي به: "ألم تشعُر بقليلٍ من الخوف بدورك؟".

"شعرتُ بالخوف على نفسي، وبالقليل عليكِ".

رغبتُ في الاستلقاء على بطني، لكنني شعرتُ بالقلق من الاقتراب منه إلى هذا الحد. وعندما رأيتُ بشرته تتلألأ تحت ضوء القمر، اشتقتُ للمسه.

"أخافني تمكُّن إريك من التحكُّم بحياتينا أثناء ارتباطنا".

"ألا تُريدين أن يستمِر ارتباطنا بعد الآن؟".

اجتاح صدري ألمٌ شديدٌ حتى إنني وضعتُ يدي عليه، وضغطتُ على المِنطَقة الواقِعة فوق ثدييَّ.

ركع بجواري، ولفَّ ذراعه حولي وهو يقول: "سوكي؟".

لم أستطِع إجابته، لم يكُن في صدري نفسٌ للإجابة.

سألني: "هل تُحبينني؟".

أومأت برأسي بالموافقة.

"لماذا تتحدَّثين عن تركي إذًا؟".

فانبثق الألم من عينيَّ على هيئة دموع.

"أنا خائِفة جدًّا من مصَّاصي الدماء الآخرين ومن طريقتهم، ماذا سيطلُب مني أن أفعل بعد ذلك؟ سيُحاوِل إجباري على فعل شيء آخر. وسيُخبرني أنه سيقتُلك إذا لم أفعل، أو سيُهدِّدني بجيسون، ويُمكِنه أن يفعل ذلك".

كان صوت بِل هادِئًا كجدجد حقل قابع وسط العُشب. ورُبما لم أكُن لأسمَع ذلك قبل شهر، قال: "لا تبكي يا سوكي، يجب عليَّ أن أُخبركِ ببعض الحقائِق غير المُرحَّب بها".

الشيء الوحيد المُرحَّب به الذي يُمكِنه أن يُخبرني به في تلك المرحلة هو أن إريك قد مات.

"إن إريك مفتون بكِ في الوقت الحالي، يُمكِنه أن يُخبركِ أنكِ تتمتَّعين بقوًى عقلية لا يتمتَّع بها مُعظم البشر، أو يتجاهلونها حتى لو عَرَفوا بامتلاكها". ثُم قال بصوتٍ أجش: "إنه يتوقَّع أن يكون دمُكِ حلوًا وغنيًّا". ارتعدتُ، بينما تابع حديثه قائِلًا: "كما أنكِ جميلة، وأصبحتِ أكثر جمالًا الآن. كما أنه لا يُدرِك أنك تجرَّعتِ من دمائنا ثلاث مرَّات".

"هل تعلَم أن لونغ شادو قد نزف في فمي؟".

"أجل، لقد رأيتُ ذلك يحدُث".

"هل يحدُث أي شيء سحري بعد ثلاث جُرعات؟".

ضَحِك، تلك الضحكة المُنخفِضة، والهادِرة، والصدِئة قبل أن يقول: "لا، لكن كُلما تجرَّعتِ المزيد من دماء مصَّاصي الدماء، رَغِبَ فيكِ ذوو جنسنا أكثر، بل في الواقِع، رَغِبَ فيكِ أي شخص أكثر. ظنَّت ديزيريه أنها هدية خاصَّة! أتساءل أي مصَّاص دماء أخبرها بذلك".

قُلت بصراحة: "مصَّاص دماء يُريد أن يُضاجعها". فضَحِكَ مرَّة أخرى، وأحببتُ سماع ضحكته.

"وبكُل هذا الحديث الذي يُخبرني بمدى جمالي، هل تقول إن إريك -مثلًا- يشتهيني؟".

"أجل".

"وما الذي يمنعه من أخذي؟ سبق وأن قُلتَ إنه أقوى منكِ".

"المُجاملة والعُرف، أولًا وقبل أي شيء".

لم أُصدِر صوتًا ساخرًا، لكنني كُنتُ قريبة للغاية من ذلك.

"لا تستبعدي ذلك، فجميع مصَّاصي الدماء يلتزِمون بالعادات، بما أنه يتحتَّم علينا أن نتعايش معًا لقرون".

"هل هُناك أي شيء آخر؟".

"أنا لستُ قويًّا مثل إريك، لكنني لستُ مصَّاص دماء جديدًا. وقد يتأذّى بشدّةٍ لو قاتلني، بل ورُبما أنتصِر لو حالفني الحظ".

"هل هُناك أي شيء آخر؟".

قال بِل بحرص: "رُبما، أنتِ نفسكِ".

"وكيف هذا؟".

"إذا كان بإمكانكِ أن تكوني ذات قيمة له بطريقةٍ أخرى، فقد يترُككِ وشأنكِ في حال عَرَفَ أن هذه هي رغبتكِ الصادِقة".

"لكنني لا أرغب في أن أكون ذات قيمة بالنسبة له! بل ولا أرغب حتى في رؤيته مرَّة أخرى!".

ذكَّرني بِل قائلًا: "لقد وعدتِ إريك أنكِ ستُساعدينه مرَّة أخرى".

قُلت: "فقط لو سلَّم اللص إلى الشُّرطة، وما الذي فعله إريك؟ لقد قتله بوتد!".

"رُبما فعل ذلك ليُنقِذ حياتكِ".

"حسنًا، لقد وجدتُ له اللص الذي سرق منه!".

"أنتِ لا تعلمين الكثير عن العالم يا سوكي".

حدَّقتُ به بدهشةٍ قبل أن أقول: "أعتقِد أن الأمر كذلك".

حدَّق بِل في الظلام، ثُم قال: "إن الأمور لا تسير على ما يُرام، حتى... حتى إنني أعتقِد في بعض الأحيان أنني لم أعُد على درايةٍ بالكثير بعد الآن". صمت للحظةٍ صبغتها الكآبة، قبل أن يستكمِل حديثه قائِلًا: "لم أرَ مصَّاص دماء يقتُل آخر بوتدٍ سوى مرَّة واحِدة من قبل، إن إريك يتجاوَز حدود عالمنا".

"ولذا فمن غير المُرجَّح أن ينتبه كثيرًا لهذه العادة وللتقاليد التي كُنت تفتخِر بها سابِقًا".

"رُبما تُبقيه بام على صراطِه القديم".

"ماذا تُمثِّل له؟".

"لقد حوَّلها. وهذا هو الأمر، لقد حوَّلها إلى مصَّاصة دماء قبل قرون طويلة، وتعود إليه من وقتٍ لآخرَ لتُساعِده على

القيام بكُل ما يفعله في الوقت الحالي. لطالما كان إريك مارقًا، وكُلما كبر في السِن، ازداد عنادًا". وبدا لي وصف إريك بالعناد استهانة كبيرة بالنسبة لي.

سألته: "إذًا فنحن ندور في دوائِرَ بلا هدف؟".

بدا أن بِل يُفكِّر قبل أن يقول ومسحة من الندم تشوب صوته: "أجل، أنتِ لا تُحبّين الارتباط بمصَّاص دماء سواي، ويجِب أن أخبركِ أننا لا نمتلك خيارًا آخرَ".

"وماذا عن ديزيريه تلك؟".

قال: "لقد جعل شخصًا ما يوصِّلها حتى عتبة باب منزلي، على أملِ بأن تغمُرني السعادة لأنه أرسل لي هدية جميلة، كما أنه سيختَبِر إخلاصي لكِ في حال شربتُ من دمائها. ورُبما سمَّم دماءها بطريقةٍ ما، حتى تضعفني دماؤها. وربُما لم يكُن الغرض منها سوى خلق شرخ في درعي". هزَّ كتفيه قبل أن يُضيف: "هل اعتقدتِ أنني قد خرجتُ معها في موعد؟".

اكفهرَّ وجهي عندما فكَّرتُ في دخول بِل إلى الحانة بصُحبتها، ثُم قُلت: "أجل".

قال بلهجةٍ لم يشُبها أي اتهام، لكنها افتقرَت للسعادة كذلك: "لم تكوني في المنزِل، وتوجَّب عليَّ أن أبحث عنكِ".

"حاولتُ مُساعدة جيسون عن طريق قراءة أفكار روَّاد الحانة، كما أنني لا أزال مُستاءة مما حدث ليلة أمس".

"هل نحن على ما يُرام الآن؟".

قُلت: "لا، لكننا على ما يُرام بقدر ما يُمكِننا أن نكون، وأعتقِد أنه بغض النظر عمّن أهتم بشأنه، فلن تسير الأمور بسلاسةٍ طوال الوقت. لكنني لم أعتمِد على العقبات الجذريّة بعد، كما أعتقِد أنه من المُستحيل أن تتغلَّب على إريك، بما أن العُمر هو المقياس الأهم؟".

قال بِل: "لا، لا يتعلَّق الأمر بالتغلُّب...". ثُم بدا وكأنه يُفكِّر في شيءٍ فجأة، تابع حديثه: "على الرغم من أن هُناك ما يُمكِنني فعله على هذا المنوال، صحيح أنني لا أرغب في القيام بهذا -لأنه يتعارَض مع طبيعتي- لكننا سنكون أكثر أمانًا".

تركته يغرق في بحار تفكيره.

قبل أن يختتِم جُملته الطويلة قائِلًا: "أجل". لكنه لم يعرِض شرح الأمر لي، ولم أطلُب منه ذلك.

قال: "أحبّكِ". وكأن هذا هو بيت القصيد في أي مسار يُفكِّر في سلكه. اقترب مني وجهه، مضيئًا وجميلًا في الظلام.

قُلت: "يراودني الشعور نفسه نحوك". ووضعتُ يديَّ على صدره كيلا يُغريني وأنا أضيف: "هُناك الكثير مما يُثقِل كاهلنا في الآونة الأخيرة. لو تمكَّنَّا من التخلُّص من إريك، فرُبما يُساعِدنا ذلك. وهُناك شيء آخر، علينا أن نوقِف التحقيق في جريمة القتل تلك، فمن شأن هذا أن يُزيل المزيد مما يُثقِل كاهلنا. هذا القاتِل هو المسؤول عن قتل أصدِقائك، وعن قتل

ماديت وداون". صمتُّ قليلًا، وأخذتُ نفسًا عميقًا قبل أن أقول: "وعن موت جدَّتي". اغرورقَت عينايَ بالدموع، لقد تأقلمتُ على عدم وجودها في المنزِل عند عودتي، وعلى عدم التحدُّث معها ومُشاركة تفاصيل يومي معها، لكنني أعاني من طعنة حُزن حادَّة تسلُبني قدرتي على التنفُّس بين الحين والآخر.

"لماذا تعتقدين أنه القاتِل نفسه، وهو المسؤول عن حرق عرين مصَّاصي دماء مونرو؟".

"أعتقِد أن القاتِل هو من زرع هذه الفكرة في أذهانهم، فكرة القصاص، في أذهان الرجال الذين وجِدوا في الحانة تلك الليلة. كما أعتقِد أنه تنقَّل من مجموعةٍ إلى أخرى، ليُحرِّضهم على القيام بذلك. لقد عشتُ هُنا طوال حياتي، ولم يسبِق لي قط أن رأيتُ الناس هُنا يتصرَّفون بهذه الطريقة، ويجِب أن يكون هُناك سبب خلف قيامهم بهذا".

"هو الذي أثار غضبهم؟ وحرَّضهم على الحرق؟".

"أجل".

"ولم تكشِف لكِ قراءة الأفكار عن أي شيء؟".

اعترفتُ بكآبة: "لا، لكن هذا لا يعني أن الغد لن يُخبئ لي أخبارًا جديدة".

"أنتِ مُتفائلة يا سوكي".

ربتُّ على خدّه وقُلت: "أجل، أنا كذلك. وعليَّ أن أكون كذلك". ثُم فكَّرتُ كيف كان تفاؤلي مُسوَّغًا منذ أن دخل حياتي.

قال: "استمرِّي في قراءة الأفكار، طالما أنكِ مُقتنِعة بأنها قد تؤتي ثمارها، وسأعمل على شيءٍ آخرَ في الوقت الحالي. سأراكِ مساء الغد في منزلكِ، حسنًا؟ رُبما... لا، اسمحي لي أن أشرح ذلك فيما بعد".

انتابني الفضول، فقُلت: "حسنًا". لكن من الواضِح أن بِل لم يكُن مُستعدًّا للتحدُّث.

فكَّرتُ في مدى الرُّعب الذي كان من شأنه أن يجتاح عالمي خلال الأسابيع القليلة الماضية، لو لم أتمتَّع بالأمان الذي يوفِّره لي وجود بِل، في طريق عودتي للمنزِل، مُسترشِدةً بالأضواء الخلفيّة لسيّارته حتى ممر منزلي. وجدتُ نفسي أتمنى لو لم يشعُر بِل أنه مُضطر للعودة إلى المنزِل لإجراء بعض المُكالمات الهاتفيّة الضروريّة، أثناء قيادتي داخِل الممر بحذر. ففي حين لا يُمكِنني القول إن النوم قد جافاني خوفًا في الليالي القليلة التي قضيناها مُنفصلين، إلا أنني كُنتُ متوتِّرة وقلِقة للغاية. حيث إنني قضيتُ الكثير من الوقت في التنقُّل بين النافِذة المُغلقة والباب المُغلق أثناء وجودي في المنزِل بمُفردي، ولم أعتد على العيش بهذه الطريقة. فشعرتُ بالإحباط أمام فكرة الليلة التي تنتظرني.

تفحَّصتُ الفناء قبل أن أخرُج من سيَّارتي، وغمرتني السعادة لأنني تذكَّرتُ تشغيل الأضواء الأمنيّة قبل أن أذهب إلى الحانة. لم أرَ أي شيء يتحرَّك. عادة ما تستقبلني تينا مُسرعةً عندما أتغيَّب لوهلة، مُتلهِّفة لدخول المنزِل لتناوُل بعض طعام القطط، لكن لا بُد أنها تصطاد في الغابة الليلة.

فصلتُ مفتاح منزِلي عن بقية المفاتيح المُعلَّقة في ميداليتي، واندفعتُ من السيَّارة نحو الباب الأمامي، أدخلتُ المُفتاح ولففته في وقتٍ قياسي، ثُم أغلقتُ الباب والقُفل خلفي. قُلت لنفسي: هذه ليسَت طريقة تصلُح للحياة، ثُم هززتُ رأسي في فزع؛ وبمُجرَّد أن اكتملَت الفكرة في رأسي، ضَرَب شيء ما الباب الأمامي بقوّة. وصرختُ قبل أن أتمكَّن من منع نفسي.

ركضتُ لأتناوَل الهاتِف المحمول بجوار الأريكة. اتصلتُ ببِل وأنا أدور في الغُرفة لأغلِق الستائِر. ماذا لو كان الخط مشغولًا؟ فقد أخبرني أنه سيعود للمنزِل ليتحدَّث في الهاتِف!

لكنني اتصلتُ به بمُجرَّد دخوله عبر الباب، بدا وكأنه يلهث عندما رفع سمَّاعة الهاتِف، قال: "أجل؟". لطالما بدا مُتشكِّكًا.

شهقتُ قبل أن أقول: "هُناك شخص بالخارِج يا بِل!".

ترك سماعة الهاتِف تسقُط أرضًا، وبدأ مصَّاص الدماء بالحركة.

وَصَل في غضون دقيقتين. لمحته قادمًا إلى الفناء من الغابة، عندما نظرتُ من خلف ستارة مرفوعة قليلًا، وهو

يتحرَّك بسُرعةٍ وصمتٍ لا يُمكِن لبشرٍ تحقيقهما. غمرتني الراحة عندما رأيته، وشعرتُ بالخجل للحظةٍ من استدعاء بِل لإنقاذي؛ توجَّب عليَّ أن أتعامَل مع الموقِف بنفسي. ثُم سألتُ نفسي: لماذا؟ عندما تعرِف كائنًا لا يُقهَر ويدعي أنه واقِع في غرامك، أو شخصًا يصعُب قتله لدرجة المُستحيل، أو شخصًا قويًّا بشكلٍ خارقٍ للطبيعة، فهذا هو الشخص الذي ستتصِل به.

تفحَّص بِل الفناء والغابة، وهو يتحرَّك بثقةٍ وصمت. قبل أن يصعَد درجات السلم بخفّة، وينحني فوق شيء ما على الشُّرفة الأماميّة. كانت الزاوية حادّة للغاية، حتى إنني لم أستطِع تحديد ماهيته. وعندما استقام، أمسَك بشيءٍ ما بين يديه، وبدا... جامدًا.

كان ذلك سيِّئًا للغاية.

ذهبتُ إلى الباب الأمامي وفتحته على مضض، ودفعتُ الباب الخارجي.

أمسَك بِل بجُثّة قطَّتي.

قُلت بصوتٍ مُرتجفٍ، دون أن يهمني ذلك على الإطلاق: "تينا؟ هل هي ميِّتة؟".

أومأ بِل برأسه مرَّة واحِدة.

"ماذا... كيف؟".

"أعتقِد أنها ماتت خنقًا".

شعرتُ بملامحي تتبدَّل، ووقف بِل أمامي مُمسِكًا بالجُثة بينما بكيتُ أنهارًا من الدموع.

قُلت بعد أن هدأتُ قليلًا: "لم يتسنَّ لي الوقت لزرع شجرة البلوط الحيّة تلك". لم أبدُ مُتماسِكة لهذه الدرجة، وأنا أُضيف: "يُمكِننا دفنها في تلك الحُفرة".

وهكذا ذهبنا إلى الباحة الخلفيّة، حَمَل بِل المسكين تينا، وحاوَل أن يبدو مُرتاحًا تجاه ذلك، بينما حاولتُ أنا ألا أنهار مرَّة أخرى. رَكَعَ بِل ووضع كُتلة الفراء الأسود الصغيرة في قاع حُفرتي. أحضرتُ المجرفة وبدأت في دفنها، لكن رؤية أول كُتلة تُراب وهي تضرِب فرو تينا أزعجتني مرَّة أخرى. وبهدوء... أخذ بِل المجرفة من بين يدي، وأنهى المُهِمّة الفظيعة، بينما أوليته ظهري.

قال بلُطفٍ عندما انتهى: "لنذهب إلى الداخِل".

دخلنا إلى المنزل، بعد ما توجَّب علينا أن نذهب إلى الباب الأمامي لأنني لم أكُن قد فتحتُ الباب الخلفي بعد.

رَبَتَ بِل على كتفي وواساني، على الرغم من أنني عَرَفتُ يقينًا أنه لم يكُن مُغرمًا بتينا، همستُ له: "بارك الله فيك يا بِل". ضممته بذراعيَّ بقوّة، بعد ما أصابني تشنُّج مُفاجئ من الخوف من أن يُسلَب مني بدوره. وعندما تحوَّلت تنهيداتي إلى نوبةٍ من الفواق، نظرتُ للأعلى، على أمل أنني لم أزعجه بهذا الفيضان العاطفي.

استشاط بِل غضبًا، وحدَّق في الجدار من فوق كتفي، وعيناه تلتمِعان بشدّة. كان ذلك هو أكثر شيء مُخيف رأيته في حياتي.

سألته: "هل وجدتَ أي شيء في الفناء؟".

"لا، وجدت آثار وجوده فحسب. بعض خطوات الأقدام، والقليل من الرائِحة الباقية". يبدو أنه قرأ ما يعتمِل في ذهني، لأنه أضاف: "لم أجِد شيئًا يُمكِن تقديمه إلى المحكمة كدليل".

"هل تُمانِع بقاءك هُنا حتى تضطر للذهاب لـ... للابتعاد عن الشمس؟".

حدَّق بي قبل أن يقول: "بكُل تأكيد". فَهِمتُ أنه قد نوى القيام بذلك على أي حال، سواء وافقتُ أو لا.

"لو كُنت لا تزال بحاجةٍ لإجراء بعض المُكالمات الهاتفيّة، يُمكِنك القيام بها من هُنا، لا أهتم بذلك حقًّا". قصدتُ أنني لا أهتم بإضافة تكلفتها إلى فاتورتي.

قال: "لديَّ بطاقة اتصال". وهو الأمر الذي أثار دهشتي مرَّة أخرى، من ذا الذي يمتلِك مثل هذا الشيء؟

غسلتُ وجهي وتناولتُ بعضَ عقار التايلينول قبل أن أرتدي منامتي، غمرني حُزن أكبر من ذلك الذي شعرتُ به عندما قُتِلَت جدَّتي، حُزن مُختلِف. وبَّختُ نفسي قائِلة إن موت حيوان أليف لا يُعادِل موت أحد أفراد الأسرة، لكن لم يبدُ أن ذلك ترك أي تأثير يُذكَر على بؤسي. فكَّرتُ بكُل الأسباب التي استطعتُ التفكير فيها، دون أن أقترِب من أي حقيقة تُذكَر سوى أنني أطعمتُ تينا ونظَّفتها وأحببتها لمُدّة أربع سنوات، وأنني سأفتقِدها.

(١١)

توتَّرَت أعصابي بشدّةٍ في اليوم التالي. وعندما وصلتُ إلى العمل وأخبرتُ آرلين بما حدث، ضمَّتني بشدّة، ثُم قالت: "لكم أود أن أقتُل ذلك الوغد الذي فَعَل ذلك بتينا المسكينة!". جعلني هذا أشعُر بتحسُّنٍ كبيرٍ بطريقةٍ ما، بينما تعاطفَت تشارليز مع الأمر تمامًا، وإن كانت أكثر اهتمامًا بالصدمة التي تعرَّضتُ لها عوضًا عن الموت المؤلِم لقطَّتي، في حين بدا سام كئيبًا فحسب. اعتقد أنه يجِب عليَّ الاتصال بالشريف، أو بآندي بليفلور، أو حتى إخبار أحدهما بما حدث. لذا اتصلتُ أخيرًا ببود ديربورن.

غمغم بود: "لا تصِل تلك الأمور غالبًا إلى أي شيء، ما لم يُبلِّغ شخصٌ آخرُ عن اختفاء أو موت حيوان أليف. وأخشى أن المسألة تبدو كأمرٍ شخصيٍّ يا سوكي. هل يُحِب مصّاص الدماء الذي تُحبينه القطط؟".

أغمضتُ عيني وأخذتُ نفسًا عميقًا. كُنت أجري الاتصال من الهاتِف في مكتب سام، الذي جَلَس خلف المكتب يُفكِّر في طلبيَّة المشروبات الكحوليّة القادِمة.

قُلتُ بهدوءٍ قدر استطاعتي: "كان بِل في المنزل عندما قُتلَت تينا وأُلقِيَت على شُرفتي الأماميّة، لقد اتصلتُ به بعد ذلك مُباشرة، فردَّ على الهاتِف".

رَفَع سام ناظريه مُتسائِلًا، فأدرتُ عيني في سخطٍ لأخبره برأيي في شك الشريف.

تابع بود حديثه بتثاقُل: "وأخبركِ أن القطَّة قد ماتت خنقًا".

"أجل".

"هل وجدتِ رباط الخنق الذي خُنِقَت به؟".

"لا، لم أتمكَّن حتى من رؤيته".

"وماذا فعلتِ بالقطَّة؟".

"لقد دفنَّاها".

"هل كانت هذه فكرتكِ أم فكرة السيِّد كومبتون؟".

قُلت: "فكرتي". ماذا كُنا سنفعل بجُثة تينا بخلاف ذلك؟

قال بود مُتأمِّلًا: "قد نضطر لنبش قبر قطَّتكِ. فإذا ما وجدنا رباط الخنق والقطَّة، فرُبما يُمكِننا أن نرى ما إذا طابقت طريقة الخنق تلك الطريقة التي استُخدِمَت في قتل موديت وداون".

"آسفة، لم يخطُر ذلك في بالي".

"حسنًا، لكن دون رباط الخنق، لا يهم الأمر كثيرًا".

قُلت: "حسنًا، مع السلامة". أنهيتُ المُكالَمة، ورُبما ضغطتُ على السماعة أكثر من اللازِم قليلًا.

رفع سام حاجبيه، فقُلت: "بود أحمق".

قال سام بهدوء: "بود ليس شُرطيًّا سيِّئًا، لم يعتد أحد هُنا على جرائِم القتل المريضة لهذا الحد".

اعترفتُ بعد لحظة قائِلة: "أنت مُحِق، لم أكُن عادِلة تمامًا. لكنه استمرَّ فقط في ترديد كلمة "رباط خنق" وكأنه فخور بتعلُّمه لكلمةٍ جديدة. أنا آسِفة لأنني استشطتُ غضبًا عليه".

"لا يتوجَّب عليكِ أن تكوني مثاليَّة يا سوكي".

قُلت: "هل تقصِد أنني أخطئ وأكون أقل تفهُّمًا وتسامُحًا من وقتٍ لآخر؟ شكرًا يا زعيم". ابتسمتُ له، وشعرتُ بشفتيَّ تلتويان في سُخرية، ثُم نهضتُ من على حافة مكتبه حيث جلستُ لأجري مُكالمتي الهاتفيَّة. مدَّدتُ جسدي، قبل أن أشعُر بالخجل عندما رأيتُ الطريقة التي تفحَّصتني بها عينا سام أثناء قيامي بذلك، قُلت بخفّة: "حان وقت العودة للعمل!". وخرجتُ من الغُرفة، محاولةً التحقُّق من عدم وجود أي ألم في فخذي.

سألتني آرلين بقليلٍ من الخجل: "هل يُمكِنكِ مُجالسة الأطفال لبضع ساعاتٍ هذا المساء؟". تذكَّرتُ المرَّة الأخيرة التي تحدَّثنا فيها عن مُجالستي لأطفالها، وتذكَّرتُ الإهانة التي شعرتُ بها عندما تردَّدَت في ترك أطفالها برفقة مصَّاص دماء.

لم أُفكِّر في الأمر مثلما فكَّرَت به الأم، والآن... تحاوِل آرلين الاعتذار عمَّا سلف.

قُلت: "بكُل سرور". انتظرتُ لأرى هل ستذكُر آرلين بِل مرّة أخرى، لكنها لم تفعل، فسألتها: "منذ متى وحتى متى؟".

قالت: "حسنًا، سنذهب أنا ورينيه إلى السينما في مونرو، لنقُل في السادِسة والنصف؟".

"بالتأكيد، هل سيتناولون طعام العشاء؟".

"أجل، سأطعِمهم قبل أن أرحَل. إنهم يتحرَّقون شوقًا لرؤية العمّة سوكي".

"وأنا أتطلَّع إلى ذلك".

قالت آرلين: "شكرًا". ثُم صمتَت وكأنها على وشك قول شيءٍ ما، قبل أن تُفكِّر بالأمر مرَّة أخرى، وتكتفي بقول: "أراكِ في السادِسة والنصف".

وصلتُ إلى المنزِل في الخامِسة تقريبًا، بعد ما قُدتُ سيَّارتي مُعظم الطريق في عكس اتجاه الشمس، التي كانت ساطِعة وكأنها تُحدِّق بي. بدَّلتُ ملابسي إلى مجموعةٍ من الملابِس القصيرة المُتجانِسة باللونين الأزرق والأخضر، مشَّطتُ شعري قبل أن أضع فيه مشبكًا على شكل موزة. ثُم جلستُ بمُفردي بقلقٍ إلى طاوِلة المطبخ، وتناولتُ شطيرة. بدا المنزِل كبيرًا وفارغًا، وسَعِدتُ برؤية رينيه يأتي بكوبي وليزا بسيَّارته.

قال: "تواجِه آرلين مُشكِلة مع أحد أظافِرها الصناعيّة". بدا مُحرجًا من اضطراره لنقل هذه المُشكِلة الأنثويّة، قبل أن يُضيف: "وتحرَّق كوبي وليزا شوقًا للقدوم إلى هُنا".

لاحظتُ أن رينيه لا يزال يرتدي ملابِس عمله... الحذاء الثقيل، والسكِّين، والقُبّعة، وكُل شيء. لن تسمَح له آرلين أن يصحبها إلى أي مكان قبل أن يستحِم ويُغيِّر ملابسه.

كان كوبي في الثامِنة من عُمره، بينما كانت ليزا في الخامِسة، تعلّقا بي كقُرطين كبيرين عندما انحنى رينيه ليُقبِّلهما قُبلة الوداع. منحه حُبّه للأطفال نجمة ذهبيّة كبيرة في تقييمي، فابتسمتُ له باستحسان. أخذتُ بيدي الطفلين لأقودهما إلى المطبخ كي يتناولا بعض المُثلّجات.

قال وهو يضَع يده على مقبَض الباب: "سنراكُم في حدود الساعة العاشِرة والنصف، أو الحادية عشرة، إذا كان هذا على ما يُرام".

قُلت: "بالتأكيد".

كدت أعرِض عليه ترك الطفلين طوال الليل، كما فعلتُ في مُناسباتٍ سابقة، قبل أن أُفكِّر في جُثة تينا المسكينة، وقرَّرتُ أنه من الأفضل ألا يبيتا ليلتهما هُنا. أسرعتُ بالأطفال إلى المطبخ، وبعد دقيقة أو اثنتين، سَمِعتُ شاحِنة رينيه القديمة تتهادى خارِج الممر.

حملتُ ليزا، ثُم قُلت: "لم يعُد بإمكاني حملكِ يا فتاة، لقد أصبحتِ كبيرة! وأنت يا كوبي، ألم تحلق ذقنك بعد؟".

جلسنا إلى الطاوِلة لثلاثين دقيقة ريثما تناوَل الطفلان المُثلَّجات، وثرثرا بشأن قائِمة إنجازاتهما منذ زيارتهما الأخيرة.

ثُم أرادَت ليزا أن تقرأ لي، لذا جلبتُ دفتر تلوين يحتوي على كلماتٍ ملوّنةٍ وأرقامٍ مطبوعةٍ بداخله، وقرأته لي بفخرٍ شديد. فتوجَّب على كوبي، بالطبع، أن يُثبِت لي أنه يستطيع القراءة بشكلٍ أفضل بكثير، ثُم أرادا مُشاهدة برنامجهما المُفضَّل. وحلَّ الظلام قبل أن أُدرِك ذلك حتى.

قُلت لهما: "سيأتي صديقي لزيارتي الليلة، يُدعى بِل".

قال كوبي: "لقد أخبرتنا أمي أن لديكِ صديقًا مُميَّزًا، ومن الأفضل أن يكون لطيفًا معكِ كي أحبّه".

قُلت مؤكِّدةً للصبي، الذي استقام وفرد صدره، مُستعدًّا للدفاع عني لو لم يكُن صديقي المُميَّز لطيفًا معي في تقديره: "إنه لطيف معي".

سألتني ليزا برومانسيّة: "هل يُرسِل لكِ الزهور؟".

"لا، ليس بعد. رُبما يُمكِنكِ أن تُلمِّحي له بأنني أرغَب في الحصول على بعض الزهور؟".

"أجل، يُمكِنني فعل ذلك".

"هل طلب منكِ أن تتزوَّجيه؟".

"حسنًا، لا. لكنني لم أطلُب ذلك منه كذلك".

وبطبيعة الحال، اختار بِل تلك اللحظة تحديدًا ليطرُق الباب.

قُلت بابتسامةٍ عندما فتحتُ الباب: "لديَّ رفقة".

قال: "يُمكِنني سماع ذلك".

أخذتُ بيده وقُدته إلى المطبخ.

قُلت بطريقةٍ رسميّة: "بِل، هذا كوبي، وهذه السيِّدة الصغيرة هي ليزا".

لدهشتي قال بِل: "رائِع، كُنت أتحرَّق شوقًا لمُقابلتكُما، هل من المُناسِب أن أجلِس برفقة عمّتكما سوكي يا ليزا ويا كوبي؟".

نظرا إليه بتمعُّنٍ، قبل أن يقول كوبي ليختبِره: "إنها ليسَت عمّتنا الحقيقيّة، بل هي صديقة والدتنا المُفضَّلة".

"هل هذا صحيح؟".

أجابته ليزا: "أجل، كما أنها تقول إنك لا تُرسِل لها الزهور".

لأول مرَّة، بدا صوتها الصغير واضِحًا وضوح الشمس، وغمرتني السعادة حقًّا عندما أدركتُ أن ليزا قد تغلَّبَت على لثغتها في حرف الراء.

نَظَرَ لي بِل بشكلٍ جانبي. هززتُ كتفي قبل أن أقول بلا حول ولا قوّة: "حسناً، لقد سألاني".

قال بتمعُّن: "هممم، سأضطر لتعديل طُرقي يا ليزا، شكرًا لكِ لأنكِ ذكرتِ هذا لي. هل تعرِفان متى عيد ميلاد العمّة سوكي؟".

شعرتُ بوجهي يحمر خجلًا، فقُلت بحدّة: "توقَّف عن ذلك يا بِل".

سأل بِل الصبي: "هل تعرِف ذلك يا كوبي؟".

هزَّ كوبي رأسه بأسفٍ قبل أن يقول: "لكنني أعرِف أنه في الصيف لأننا كُنّا في الصيف، عندما اصطحبت والدتي سوكي لتناوُل طعام الغداء في شرِيفبورت احتفالًا بعيد مولِدها في المرَّة الأخيرة، وجالسنا رينيه آنذاك".

قال له بِل: "يا لك من صبي ذكي لتتذكَّر ذلك يا كوبي".

قال كوبي باندفاع: "بل أنا أذكى من ذلك! خمِّن ماذا تعلَّمتُ في المدرسة في ذلك اليوم".

راقبَت ليزا بِل بانتباهٍ عظيمٍ طوال الوقت الذي تحدَّث فيه كوبي، وعندما انتهى كوبي من حديثه، قالت: "تبدو أبيض للغاية يا بِل".

أجابها: "أجل، هذه بشرتي الطبيعيّة".

تبادَل الطفلان النظرات، واستطعتُ معرِفة أنهما قد قرَّرا أن "البشرة الطبيعيّة" هي مرض، وأنه لن يكون من الأدب طرح المزيد من الأسئِلة بشأن ذلك. يُظهِر الطفلان قدرًا مُعينًا من اللباقة بين الحين والآخر.

بدأ بِل، الذي تشنَّج في البداية، يزداد مرونةً بمرور المساء. وكُنت على استعدادٍ للاعتراف بأنني مُتعَبة في التاسِعة، لكنه كان لا يزال يتعامَل مع الأطفال بنشاطٍ عندما جاء آرلين ورينيه لاصطحابهما في الحادية عشرة.

قدَّمت صديقيَّ لبِل، الذي صافحهما بطريقةٍ عاديةٍ للغاية، عندما وَصَل زائِر آخر.

خَرَجَ مصَّاص دماء وسيم بشعرٍ أسود كثيف مُمشَّط في تسريحةٍ مموَّجةٍ من الغابة أثناء وضع آرلين للطفلين داخِل الشاحِنة، بينما وَقَف رينيه وبِل يتبادلان أطراف الحديث. لوَّح له بِل بطريقةٍ عرضيّةٍ، فرفع له يده كردٍّ على تحيَّته، قبل أن ينضَم إلى بِل ورينيه كأنهما كانا في انتظاره.

شاهدتُ بِل يُقدِّمهما بعضهما إلى بعض من موقعي على أرجوحة الشُّرفة الأماميّة، تبادَل رينيه ومصَّاص الدماء تحيّة هز الرأس. حدَّق رينيه في الوافِد الجديد، واستطعتُ معرفة أنه يشعُر بأنه يعرِفه. نظر بِل بتمعُّنٍ إلى رينيه قبل أن يهز رأسه، فأطبق رينيه فمه ليحبِس التعليق الذي كان على وشك التصريح به.

كان الوافِد الجديد ضخمًا، وأطوَل من بِل، كما ارتدى بنطالًا من الجينز القديم، وقميصًا كُتِبَ عليه: "لقد زُرت غريسلاند"، بينما تلفَ كعب حذائه الثقيل. حَمَل زجاجة بمضخةٍ من الدماء الاصطناعيّة في إحدى يديه، وتناوَل منها جُرعة كبيرة بين الحين والآخر. يبدو أنه يتمتَّع بالعديد من المهارات الاجتماعيّة.

رُبما أكون قد تأثَّرتُ برد فعل رينيه، لكن كُلما نظرتُ إلى مصَّاص الدماء أكثر، بدا لي مألوفًا أكثر. حاولتُ تبديل لون بشرته في رأسي لآخرٍ أغمَق، وإضافة المزيد من التجاعيد، وفرد جسده أثناء وقوفه بشكلٍ أكثر استقامةً، وإضفاء بعض الحيويّة على قسمات وجهه.

يا إلهي.

إنه الرجل من ممفيس*.

استدار رينيه للمُغادرة، وبدأ بِل بتوجيه الوافِد الجديد نحوي، وعندما أصبَح على بُعد عشر أقدام، قال بلهجةٍ جنوبيّةٍ ثقيلة: "مرحبًا، أخبرني بِل أن أحدهم قد قتل قطَّتكِ!".

أغمَض بِل عينيه للحظة، وأومأتُ برأسي دون أن أنبِس ببنت شفة.

إشارة لشخصية شهيرة للغاية، هناك الكثير من الجدل مُثار حول موته أو إخفائه لحياته، موسيقي شهير مُميَّز، لا أريد أن أحرِق للقارئ هويته التي لم تُذكَر بشكلٍ واضِح في الرواية، لكن يُمكِنك البحث في جوجل بجُملة: "who is the man from Memphis in dead until dark" وستُذهَل من هويته! (المُترجم)

قال مصَّاص الدماء الطويل القامة: "حسنًا، آسِف بشأن هذا، أنا أُحِب القطط". وفَهِمتُ أنه من الواضِح أنه لم يكُن يقصِد حُب مُداعبة فرائها. وتمنَّيتُ ألا يُلاحِظ الأطفال ذلك، لكن وجه آرلين المليء بالرُّعب طالعني عبر نافِذة الشاحِنة، ومن المُحتمَل أن تكون كُل النوايا الحسنة التي أسسها بِل قد ذهبَت أدراج الرياح.

هزَّ رينيه رأسه خلف ظهر مصَّاص الدماء قبل أن يصعَد إلى مقعد القيادة. ودَّعنا وهو يُشغِّل المُحرِّك، قبل أن يُخرِج رأسه من النافِذة ليُلقي بنظرةٍ طويلةٍ على الوافِد الجديد. لا بُد أنه قال شيئًا ما لآرلين لأنها ظهرَت من نافِذتها مرَّة أخرى، لتُحدِّق فيه بكُل قوّة. فغرَت فاهها بصدمةٍ وهي تُحدِّق في المخلوق الواقِف بجوار بِل بشدَّة، قبل أن يختفي رأسها داخِل الشاحِنة، وسَمِعتُ صراخًا والشاحِنة تنطلِق مُبتعِدة.

قال بِل مُحذِّرًا: "هذا بوبا يا سوكي".

كرَّرت الاسم خلفه وكأنني لا أثِق بأذنيَّ كثيرًا: "بوبا".

قال مصَّاص الدماء بمرحٍ وحُسن النيّة يشع هاربًا من ابتسامته المُخيفة: "أجل، أنا بوبا، سعيد بمُقابلتكِ".

صافحته، وأجبرتُ نفسي على الابتسامة. ويا إلهي، لم أظُن قط أنني سأُصافِحه، لكنه تغيَّر إلى الأسوأ بكُل تأكيد.

"هل تُمانِع الانتظار هُنا على الشُّرفة الأماميّة يا بوبا؟ ريثما أشرَح لسوكي ترتيبنا".

قال بوبا بشكلٍ عرضي: "هذا يُناسِبني تمامًا". ثُم جلس على الأرجوحة، وبدا سعيدًا وبلا عقل كالبطلينوس.

ذهبنا إلى غُرفة المعيشة، لكن ليس قبل أن أُلاحِظ أن الكثير من الضوضاء الليليّة قد توقَّف عند ظهور بوبا -كأصوات الحشرات والضفادِع- بوضوح، همس بِل: "كُنت أتمنى أن أشرَح لك الأمر قبل وصول بوبا، لكنني لم أستطِع".

قُلت: "أهذا هو من أظنّه؟".

"أجل، والآن صرتِ تعلمين بأن بعض القصص التي تتحدَّث عن رؤيته صحيحة، لكن لا تُناديه باسمه، ناديه ببوبا! فقد حَدَث خطأ عندما تحوَّل -من بشري إلى مصَّاص دماء- ورُبما كان السبب في ذلك هو المواد الكيميائيّة الموجودة في دمه".

"لكنه كان ميِّتًا حقًّا، أليس كذلك؟".

"ليس... تمامًا. كان أحد أفراد جنسنا عاملًا في المشرحة، ومُعجبًا كبيرًا بموسيقاه، واستطاع اكتشاف الشرارة الصغيرة المُتبقيَة، لذا أحضره بأقصى سُرعة".

"أحضره؟".

شرح لي بِل مقصده: "حوَّله، لكن ذلك كان خطأً، لأنه لم يعُد على طبيعته مثلما أخبرني أصدِقائي. إنه يُنافِس الصخور غباءً، ولذا يتعيَّن عليه القيام بأشياءَ غريبةٍ لبقيتنا ليكسِب لُقمة عيشه. لأنه لا يُمكِننا أن نكشِفه للعلن كما ترين".

أومأتُ برأسي، دون أن تواتيَني القوّة لأغلِق فمي، بالطبع لا. تمتمتُ مذهولةً من هوية الشخصيّة الملكيّة الجالِسة في باحتي الأماميّة: "يا إلهي".

"لذا تذكَّري مدى غبائه، ومدى تسرُّعه... ولا تقضي معه أي وقتٍ بمُفردكِ، ولا تُناديه بأي اسم سوى بوبا. كما أنه يُحِب الحيوانات الأليفة، كما أخبركِ، واتباع نظام غذائي يعتمِد على شُرب دمائهم لا يجعله أكثر موثوقيّة. والآن، عن سبب إحضاري له إلى هُنا...".

وقفتُ معقودة الذراعين، في انتظار تفسير بِل بشيءٍ من الاهتمام.

قال بِل: "يجِب أن أخرُج من المدينة لفترةٍ من الوقت يا حبيبتي".

أزعجني عدم توقُّع هذا الأمر بشدّة.

قُلت: "ماذا... لماذا؟ لا، انتظِر. لا أرغَب في معرِفة ذلك". لوَّحتُ بيدي أمامي، كأنني أطرُد أي إشارة ضمنيّة إلى أن بِل مُلزَم بإخباري بشؤونه الخاصَّة.

قال بحزم: "سأخبركِ عندما أعود".

وعلى الرغم من الشعور المروِّع الذي راودني بأنني أعرِف إجابة السؤال، إلا أنني سألته: "إذاً لماذا أتى صديقك -بوبا- إلى هُنا؟".

قال بِل بعناد: "سيحميكِ بوبا أثناء غيابي".

رفعتُ حاجبي.

قال: "حسنًا، إنه لا يصلُح لـ...". تلفَّت حوله قبل أن يُضيف مُعترِفًا: "لأي شيء، لكنه قوي، وسيفعل ما آمره به، وسيتيقَّن من ألا يقتحِم أحد منزلكِ".

"هل سيبقى في الغابة؟".

قال بِل بشكلٍ قاطع: "أجل، ليس من المُفترَض به حتى أن يأتي ليتحدَّث معكِ. وفي الظلام، سيجِد مكانًا يُمكِنه رؤية المنزِل منه، وسيُراقِبه طوال الليل".

يجِب أن أتذكَّر إغلاق ستائري، لأن فكرة مُراقبة مصَّاص دماء شاحِب لي عبر نوافِذي لم تُعجِبني كثيرًا.

سألته بعجزٍ تام: "هل تعتقِد أن هذا ضروري حقًّا؟ لأنني لا أتذكَّر أنك سألتني كما تعلَم".

تنهَّد بِل، قبل أن يأخُذ نفسًا عميقًا ويقول بصوتٍ سكنه صبر شديد: "أحاوِل جاهدًا أن أعتاد على الطريقة التي ترغب النساء أن يُعامَلن بها في الوقت الحالي يا حبيبتي. لكن هذا ليس طبيعيًّا بالنسبة لي، خصوصًا عندما أخشى أنكِ في خطر. لذا أحاوِل أن أمنَح نفسي القليل من راحة البال أثناء غيابي. وأتمنى حقًّا لو لم أضطَر للذهاب، لكن الأمر لا يتعلَّق بما أتمنى القيام به، بل ما يجِب عليَّ القيام به، من أجلنا".

نظرتُ إليه قبل أن أقول: "أتفهَّم ذلك، لستُ مهووسة بالأمر، لكنني أخاف ليلًا، وأعتقِد أن... حسنًا، لا بأس".

بصراحة، لا أعتقِد أن موافقتي من عدمها كانت مُهِمّة. فبعد كُل شيء، كيف يُمكِنني أن أجعل بوبا يُغادِر إذا لم يرغَب في ذلك؟ حتى رجال تنفيذ القانون في مدينتنا الصغيرة لا يمتلِكون المُعدَّات اللازِمة للتعامُل مع مصَّاصي الدماء، وإذا واجهوا مصَّاص الدماء هذا تحديدًا، فسيقِفون أمامه فاغري الأفواه لما يكفي ليُمزِّقهم إرْبًا عن بكرة أبيهم. قدَّرتُ اهتمام بِل، ورأيتُ أنه من الأفضل أن أتحلى باللياقة اللازِمة لشُكره، لذا ضممته في حِضنٍ صغير.

قُلت محاولةً ألا أبدو يائِسة: "حسنًا، إذا كان عليك الرحيل، فتوخَّ الحذر أثناء غيابك، هل لديك مكان لتُقيم فيه؟".

"أجل، سأكون في نيو أورليانز. هُناك غُرفة شاغِرة في فُندق الدماء بالحي".

كُنت قرأت مقالًا يتحدَّث عن هذا الفُندق، وهو أول فُندق في العالم يُقدِّم خدماته بشكلٍ حصريٍّ لمصَّاصي الدماء، كما وَعَدهم بأمانٍ تام، وأوفى بوعوده حتى الآن. احتلَّ مكانًا مُتميِّزًا في مُنتصف الحي الفرنسي كذلك، وبمُجرَّد حلول الغروب، يُحاصِره مُحبو الأنياب والسُّيَّاح انتظارًا لخروج مصَّاصي الدماء.

بدأتُ أشعُر بالغيرة، وحاولتُ ألا أبدو مثل الجرو الحزين الذي يُترَك وحيدًا عندما يُغادِر مالكوه، أعدتُ رسم ابتسامتي

في مكانها، وقُلتُ ببهجةٍ: "حسنًا، استمتع بوقتك، هل انتهيتَ من حزم أغراضك بعد؟ من المُفترض أن تستغرِق الرحلة عدَّة ساعات، وها قد حلَّ الظلام بالفعل".

قال: "السيَّارة جاهِزة". وفَهِمتُ للمرَّة الأولى أنه قد تأخَّر في المُغادرة كي يقضي الوقت بصُحبتي وبصُحبة أبناء آرلين. أضاف: "من الأفضَل أن أُغادِر". تردَّد، وبدا وكأنه يبحَث عن الكلمات الصحيحة، قبل أن يمد يده نحوي، أمسكتُ بها، فجذبني إليه قليلًا، لم يحتَج سوى لقليلٍ من الضغط، حتى أرتمي بين أحضانه. مسحتُ وجهي في قميصه، فضمَّني بذراعيه، وضغطني إليه.

قال: "سأفتقدكِ". قالها بصوتٍ لم يكُن أكثر من مُجرَّد همس في الهواء، لكنني سَمِعته. شعرتُ به يُقبِّل أعلى رأسي، قبل أن يبتعِد عني ليخرُج من الباب الأمامي. سَمِعتُ صوته على الشُّرفة الأماميّة وهو يمد بوبا ببعض التعليمات التي خطرَت له في اللحظة الأخيرة، وسَمِعتُ صرير الأرجوحة وهي تتخلَّص من ثقل بوبا عندما نهض من عليها.

لم أنظُر من النافِذة حتى سَمِعتُ سيَّارة بِل تنطلِق في الممر، ثُم رأيتُ بوبا يتجه إلى الغابة. أخبرتُ نفسي أثناء استحمامي: لا بُد من أن بِل يثِق في بوبا طالما تركه ليحميني. لكنني ما زلتُ غير واثقة ممن كُنت أخاف منه أكثر؛ من القاتِل الذي يحميني منه بوبا؟ أم من بوبا نفسه؟

***

سألتني آرلين في العمل أثناء اليوم التالي عن سبب وجود مصَّاص الدماء في منزلي، ولم أتفاجأ من طرحها للسؤال.

قُلت: "حسنًا، توجَّب على بِل أن يُغادِر المدينة، وهو يشعُر بالقلق كما تعلمين...". تمنيتُ لو أنها تركَت الأمر عند هذا الحد، لكن تشارليز قرَّرت التدخُّل (لم نكُن مشغولات كثيرًا؛ حيث كان أعضاء غُرفة التجارة يتناوَلون الغداء، بالإضافة لوجود مُتحدِّثة في جمعية "فينز أند هوفز"، أما عضوات مجموعة "الصلوات والبطاطِس" فانهمكن في تزيين البطاطِس في منزِل السيِّدة بليفلور الكبير). سألتني بعينين حالمتين: "هل تقصدين أن حبيبكِ قد أحضَر لكِ حارسًا شخصيًّا؟".

أومأتُ برأسي على مضض، حيث يُمكِن صياغة الأمر بهذه الطريقة.

تنهَّدت تشارليز قبل أن تقول: "هذا رومانسي للغاية".

ويُمكِن صياغة الأمر بهذه الطريقة أيضًا.

قالت آرلين لتشارليز وهي تحاوِل أن تبحث عن الكلِمات المُناسِبة قدر الإمكان: "لكن يجب عليكِ أن تريه، إنه نُسخة طبق الأصل من...".

قاطعتها: "لا، ليس عندما تتحدَّثين معه، وقتها لا يُشبِهه على الإطلاق". وكان هذا صحيحًا، أضفت: "كما أنه لا يُحِب سماع ذلك الاسم حقًّا".

قالت آرلين بصوتٍ خافتٍ وكأنها تخشى أن يسمعها بوبا في وضح النهار: "عجبًا".

قُلت: "أشعُر بأمانٍ أكبر في ظل وجود بوبا في الغابة". وهو ما كان صحيحًا إلى حدٍّ ما.

سألتني تشارليز وأمارات الإحباط تظهر جليّة على وجهها: "ألا يبقى معكِ في المنزِل؟".

قُلت: "يا إلهي، لا". قبل أن أعتذِر سرًّا لله لأنني نطقتُ اسمه عبثًا، وهو ما كُنتُ أفعله كثيرًا في الآونة الأخيرة، قبل أن أُضيف: "لا، يبقى بوبا في الغابة ليلًا، ليُراقِب المنزِل".

سألتني آرلين بحساسيّةٍ مُفرطة: "هل ما قاله بشأن القطط صحيح؟".

كذبتُ بمُنتهى الأريحيّة قائِلة: "لقد كان يمزَح فحسب، إنه لا يتمتَّع بحس دُعابة كبير، أليس كذلك؟". لأنني اعتقدتُ أنه من شأن بوبا أن يستمتِع بتناوُل وجبة خفيفة من دماء القطط.

هزَّت آرلين رأسها بغير اقتناع، حسنًا... لقد حان وقت تغيير الموضوع. سألتها: "هل استمتعتِ أنتِ ورينيه بليلتكما؟".

احمرَّ خداها خجلًا قبل أن تقول: "لقد كان رينيه جيّدًا للغاية ليلة الأمس، أليس كذلك؟".

هل احمرَّ خدا المرأة الكثيرة الزواج خجلًا لتوّها؟ كُنت أعرِف أنها تستمتِع ببعض المُضايقات البذيئة، ولذلك قُلت لها: "أخبريني أنتِ".

"بل أنتِ! ما أقصده هو أنه تحلى بالأدب الجم مع بِل، وحتى مع بوبا ذلك".

"وهل هُناك سبب يمنَع ذلك؟".

هزَّت آرلين رأسها قبل أن تقول: "لديه مُشكِلة مع مصَّاصي الدماء يا سوكي". ثُم أضافَت مُعترِفة عندما نظرتُ إليها بحاجبين مرفوعين: "وأعلم أنني أعاني من المُشكِلة نفسها بدوري. لكن رينيه يُعاني من بعض التحيُّز بالفعل، فقد واعدت سيندي مصَّاص دماء لفترة، وهذا ما جَعَل رينيه يشعُر بكثيرٍ من الاستياء".

شعرتُ باهتمامٍ كبيرٍ بصحّة امرأة واعدَت مصَّاص دماء يومًا، سألتها: "هل سيندي بخير؟".

قالت آرلين: "لم أرها منذ فترة، لكن رينيه يذهَب لزيارتها كُل أسبوع تقريبًا. إنها تُبلي حسنًا، كما أنها عادَت للمسار الصحيح، وحظيت بوظيفةٍ في كافتيريا المُستشفى".

قال سام الذي وقف خلف الحانة مُنهمِكًا في إعادة ملء الثلاجة بزجاجات الدماء الاصطناعية: "رُبما ترغَب سيندي في العودة إلى المنزِل. فقد تركَت ليندسي كراوس نوبتها الأخرى لأنها ستنتقِل إلى ليتل روك".

نَجَح هذا في جذب انتباهنا بكُل تأكيد، حيث بدأت حانة ميرلوت ترزح تحت وطأة نقص الموظَّفين. ولسببٍ ما،

انخفَضَت شعبيّة الوظائِف الخدميّة ذوات المستوى المُنخفِض في الشهرين الماضيين.

سألته آرلين: "هل قابلتَ أي شخص آخر؟".

قال سام بضجر: "يجِب أن أُنقِّب في الملفَّات". عَرِفتُ أنني وآرلين النادلتان، أو الساقيتان، أو الخادِمتان، أو أيًّا ما تُريد أن تُلقِّبنا، اللتان ظلَّ سام مُتمسِّكًا بهما لأكثر من عامين. لا، هذا ليس صحيحًا؛ فهُناك سوزان ميتشل، ضمن نادِلات النوبة الأخرى. قضى سام الكثير من الوقت في تعيين الموظَّفات وبعض الوقت في فصلهن، قال: "هلَّا ساعدتني في التنقيب في الملفَّات يا سوكي، لمعرِفة ما إذا كان هُناك أي شخص تعرفين أنه قد انتقل من هُنا، أو حظي بوظيفةٍ بالفعل، أو إذا ما كان لديكِ أي اسم لترُشِّحيه؟ فمن شأن هذا أن يوفِّر لي بعض الوقت".

قُلت: "بكُل تأكيد". تذكَّرتُ أن آرلين قد فعلَت الشيء نفسه قبل عامين عندما عُيِّنَت داون للعمل هُنا. فقد تمتَّعنا بعلاقات مع أفراد المُجتمَع أكثر من سام، الذي لم يبدُ أنه له علاقة بأي شيء. حتى إن سام يعيش هُنا في بون تيمبس منذ ست سنوات، ولم أُقابِل قط أي شخص يبدو أنه يعرِف شيئًا عن حياته قبل أن يشتري الحانة هُنا.

جلستُ خلف مكتب سام مُمسِكةً بملف الطلبات السمين. لم تمُر سوى عدّة دقائِق قبل أن أتمكَّن من إدراك أنني أُحدِث فارِقًا كبيرًا، حيث قبعَت أمامي ثلاث كومات: "انتقل"، و"يعمل

في مكانٍ آخر"، و"خامة جيّدة". ثُم أضفتُ كومة رابِعة وأخرى خامِسة؛ كومة لهؤلاء الذين لا يُمكِنني العمل معهم لأنني لا أطيقهم، وأخرى للموتى. كان أول طلب وُضِع في الكومة الخامِسة يعود لفتاةٍ ماتت في حادِث سيَّارة في عيد الميلاد الماضي، وشعرتُ بالأسف الشديد نحو أهلها مرَّة أخرى عندما رأيتُ اسمها على قمّة الطلب. أما الطلب الآخر فكان باسم "ماديت بيكنز".

تقدَّمت ماديت بطلبٍ للعمل هُنا لدى سام قبل وفاتها بثلاثة أشهُر، أعتقِد أن العملَ في جرابيت كويك لم يكُن مُلهِمًا إلى حدٍّ كبير إذًا. وعندما ألقيتُ نظرةً سريعة على الإجابات التي ملأت بها فراغ الطلب، لاحظتُ مدى سوء خطّها وفقر تهجئتها، وجعلني هذا أشعُر بالشفقة تجاهها مرَّة أخرى. حاولتُ أن أتخيَّل شقيقي وهو يُفكِّر في أن مُمارسة الجنس مع تلك المرأة -وتصويره- هو وسيلة تستحِق قضاء وقته، ووجدتُ نفسي مُعجبةً بعقليّة جيسون الغريبة. لم أرَه منذ أن غادَر مع ديزيريه، وتمنَّيتُ أن يعود إلى المنزِل بخير حال، فهذه الفتاة رخيصة حقًّا. كما تمنَّيتُ أن يستقِر مع ليز باريت؛ التي تتمتَّع بما يكفي لاحتوائه أيضًا.

اعتراني القلق كُلما فكَّرتُ في شقيقي في الآوِنة الأخيرة، يا ليته ما عَرِفَ ماديت وداون جيِّدًا! على ما يبدو، فقد عَرِفهما الكثير من الرِجال، بشكلٍ عرضيٍّ وجسدي، وعضَّ مصَّاص دماء كلتيهما. وفي حين أن داون تُحِب الجنس العنيف، إلا أنني لا أعرِف ميول ماديت. كما ذهب الكثير من الرجال إلى

جرابيت كويك للحصول على الوقود والقهوة، مثلما يأتي العديد من الرجال إلى هُنا لتناوُل الشراب، لكن شقيقي الغبي هو الوحيد الذي قرَّر تسجيل الجنس مع ماديت وداون على شريط ڤيديو.

حدَّقتُ في الكوب البلاستيكي الكبير الموجود فوق مكتب سام، والمليء بالشاي المُثلَّج، ورأيتُ جُملة: "الشغف الأكبر في جرابيت كويك" المكتوبة باللون البُرتقالي النيون على جانِب الكوب الأخضَر. لقد عَرِفهما سام كذلك، فقد عَمِلَت داون معه، بينما تقدَّمَت ماديت بطلبٍ للعمل هُنا.

من المؤكَّد أن سام لم يكُن من المُعجبين بمواعدة مصَّاصي الدماء، ورُبما لم يُحِب أي شخص يواعِد مصَّاص دماء.

دخل سام في تلك اللحظة، فقفزت هلعَةً وكأنني ارتكبتُ خطأً ما، وهو ما فعلته طبقًا لقانوني الخاص، حيث كان التفكير بطريقةٍ سيّئةٍ في صديقٍ يُعد أمرًا سيِّئًا.

رمقني بنظرةٍ مليئة بالحيرة قبل أن يسألني: "أيتها الكومة الجيِّدة؟".

سلَّمته مجموعة قصيرة، تتكوَّن على الأرجَح من عشرة طلبات. وقُلت وأنا أشير للفتاة الموجودة بالأعلى: "تتمتَّع هذه الفتاة، التي تُدعى إيمي بيرلي، بالخبرة، حيث إنها عملت كنادلةٍ بديلةٍ في حانة "ذا جود تايمز"، وعَمِلَت معها تشارليز هُناك، لذا يُمكِنك التحقُّق منها مع تشارليز أولًا".

"شكرًا لكِ يا سوكي، من شأن هذا أن يجنّبني بعض المتاعِب".

أومأت برأسي باقتضاب.

سألني: "هل أنتِ بخير؟ تبدين مُشتَّتة نوعًا ما اليوم".

نظرتُ إليه من كثب، وبدا كما يبدو دائمًا. لكن دماغه أوصَدَ أبوابه في وجهي، كيف يُمكِنه القيام بذلك؟ الدماغ الوحيد الآخر الذي أوصَد أبوابه أمامي تمامًا هو دماغ بِل، لكونه مصَّاص دماء. لكن سام ليس مصَّاص دماء بكُل تأكيد.

قُلت بتعمُّد: "أفتقِد بِل فقط". هل سيُحاضرني عن شرور مواعدة مصَّاص دماء؟

قال سام: "إننا في وضح النهار، لا يُمكِنه أن يأتي إلى هُنا حقًّا".

قُلت بتصلُّب: "بالطبع لا". وكُنت على وشك إضافة: "إنه خارِج المدينة". ثُم سألتُ نفسي إذا كان هذا أمرًا ذكيًّا لفعله عندما يشوب قلبي ولو قليل من الشك في مُديري. ثُم غادرتُ المكتب فجأة حتى إن سام حدَّق بي في دهشة.

عندما رأيتُ آرلين وسام يخوضان غمار مُحادثة طويلة في وقتٍ لاحقٍ من ذلك اليوم، أخبرتني نظراتهما الجانبيّة أنني موضوع هذه المُحادثة. عاد سام إلى مكتبه والقلق يبدو جليًّا على أمارات وجهه أكثر من أي وقتٍ مضى، لكننا لم نتبادَل المزيد من أطراف الحديث بقية اليوم.

كانت العودة إلى المنزِل في هذا المساء أمرًا صعبًا لأنني عَرَفتُ أنني سأبقى وحيدة حتى الصباح. فعندما بقيتُ بمُفْردي في الليالي الأخرى، كُنت مُتيقِّنة من أنه لا يفصِل بيني وبين بِل سوى مُكالمة هاتفيّة، لكن الأمر لم يعُد كذلك الآن. حاولتُ الشعور بالرضا بشأن الحراسة عندما حلَّ الظلام، وزحف بوبا خارِج الحُفرة التي ينام في أعماقها، لكنني لم أنجَح في ذلك.

اتصلتُ بجيسون، لكنه لم يكُن بمنزله. فاتصلتُ بحانة ميرلوت، إذ اعتقدتُ أنه قد يكون هُناك، لكن تيري بليفلور أجاب مُكالمتي وأخبرني أن جيسون ليس هُناك.

تساءلتُ عمَّا يفعله سام الليلة، وتساءلت عن السبب وراء عدم مواعدته كثيرًا. لأن ذلك لم يكُن بسبب قلَّة العروض، فقد شَهِدتُ على ذلك عدَّة مرَّات.

كانت داون عدوانيّة بشكلٍ خاص.

لم أستطِع التفكير في أي شيء من شأنه أن يُسعِدني في هذا المساء.

بدأتُ أتساءل عمّا إذا كان بوبا هو القاتِل المأجور -أو مصَّاص الدماء المأجور؟- الذي اتصل به بِل عندما أراد قتل الخال بارتلِت. كما تساءلتُ عن سبب اختيار بِل لمثل هذا المخلوق الغبي ليحرُسني.

بدا لي كُل كتاب اخترته خاطِئًا بطريقةٍ أو بأخرى، كما بدا كُل برنامَج تليفزيوني حاولت مُشاهدته سخيفًا للغاية. حاولتُ قراءة

مجلة "تايم"، قبل أن أستشيط غضبًا بسبب الإصرار على الانتحار الذي انتاب الكثير من الأمم. وطوَّحتُ المجلة عبر الغُرفة.

ذرع عقلي رأسي ذهابًا وإيابًا كسنجابٍ حبيسٍ يتوق للخروج من قفصه. ولم أتمكَّن من التركيز علًى أي شيء أو الشعور بالارتياح في أي موضوع.

قفزتُ من مكاني هلعَةً عندما رنَّ الهاتِف.

أجبته بحدّة: "نعم؟".

قال تيري بليفلور: "لقد جاء جيسون، ويرغَب في شراء مشروبٍ من أجلكِ".

فكَّرتُ بقلقٍ في الخروج إلى السيَّارة، الآن بعد ما حلَّ الظلام؛ وفي العودة إلى منزلٍ فارغ، أو على الأقل أتمنى أن يكون المنزِل فارغًا عند عودتي. ثُم وبَّختُ نفسي لأن هُناك من يُراقِب المنزِل بعد كُل شيء، شخص قويٌّ للغاية، وإن كان غبيًّا للغاية.

قُلت: "حسنًا، سآتي في غضون دقيقة".

أغلَق تيري الهاتِف، يبدو أنه لا يُحِب الثرثرة.

ارتديتُ تنورةً من الجينز وقميصًا أصفر اللون، ثُم نظرتُ في كلا الاتجاهين، قبل أن أعبُر الفناء نحو سيَّارتي. فتحتُ كُل ضوء خارجي، وفتحت سيَّارتي ودخلتها في غمضة عين. ثُم أغلقتُ بابي جيِّدًا، بمُجرَّد استقراري بالداخِل.

هذه طريقة لا تصلُح للعيش بكُل تأكيد.

***

ركنتُ سيَّارتي في موقف الموظَّفين بشكلٍ تلقائي عندما وصلتُ إلى حانة ميرلوت. تجوَّل كلب حول حاوية القمامة، وربتُّ على رأسه في طريقي للدخول. يجِب علينا الاتصال بمركز الحيوانات الضالة مرَّة كُل أسبوع للإمساك ببعض الكلاب الضالة أو التي تخلَّص منها أصحابها، وما جعلني أشعُر بالمرض، هو أن مُعظمها كانت من الحوامِل.

وَقَف تيري خلف البار.

سألته وأنا أتلفَّت حولي: "مرحبًا، أين جيسون؟".

أجابني: "ليس هُنا، لم أرَه هذا المساء، وسبق وأن أخبرتكِ بهذا عبر الهاتِف".

نظرتُ إليه بدهشةٍ قبل أن أقول: "لكنك اتصلتَ بي بعد ذلك وأخبرتني أنه قد جاء إلى هُنا".

قال: "لا، لم أفعل ذلك".

حدَّقنا بعضنا ببعض، فاستطعتُ معرِفة أن تيري يمُر بإحدى لياليه السيِّئة. كان يخوض حربًا مع أشباح خدمته العسكرية وقتالًا ضاريًا مع الكحول والمُخدِّرات. حيث يُمكِن للمرء أن يرى أن بشرته حمراء، وأنه يتعرَّق على الرغم من مُكيِّف الهواء، وأن حركاته مُتشنِّجة وخرقاء. يا له من مسكين.

سألته بنبرةٍ مُحايدةٍ قدر الإمكان: "ألم تفعل ذلك حقًّا؟".

أجابني بعدوانيّة: "هذا ما قُلته، أليس كذلك؟".

تمنَّيتُ من كُل قلبي ألا يُسبِّب أي من روَّاد الحانة مُشكِلة لتيري الليلة.

تراجعتُ بابتسامةٍ مُتصالِحة.

كان الكلب لا يزال يقِف عند الباب الخلفي، وأنَّ باكيًا عندما رآني.

سألته: "هل أنت جائِع يا صديقي؟". وعلى الفور، تقدَّم نحوي دون تردُّد، دون التذلُّل الذي توقَّعته من كلبٍ ضال. وعندما شقَّ طريقه في الضوء أكثر، تمكَّنتُ من رؤية أنه قد هُجِر قريبًا، لأن فروه كان لا يزال لامِعًا. على الأرجح أنه كان من فصيلة كولي، بدأتُ بالتوجُّه إلى المطبخ لأسأل الطبَّاخ الموجود الليلة إذا كان لديه أي بقايا من أجل هذا الكلب الجميل، قبل أن تواتيَني فكرة أفضَل.

قُلت بذلك الصوت الطفولي الذي أستخدمه مع الحيوانات عندما أعتقِد أنه ليس هُناك من يسمعني: "أعرِف أن بوبا الشرير العجوز في المنزل، لكن رُبما يُمكِنك أن تأتي معي إليه، لكن هل يُمكِنك التبوُّل في الخارِج، لأنني لا أريد أي فوضى في المنزِل؟ ما رأيك يا فتى؟".

قرَّر كلب الكولي التبوُّل على رُكن حاوية القمامة، وكأنه قد فَهِم ما قُلته له.

فتحتُ باب سيَّارتي، مُتمنيَّة ألا يتسِخ المقعد كثيرًا، وقُلت: "يا لك من كلبٍ جيّد! هل أنت مُستعِد للذهاب في جولةٍ بالسيَّارة؟". تردَّدً الكلب، فأضفت: "هيا يا عزيزي، سأعطيك شيئًا جيِّدًا لتأكُله عندما نصِل إلى منزلي، حسنًا؟". ولم تكُن الرشوة شيئًا سيِّئًا بالضرورة.

بعد ما رمقني بعدّة نظرات أخرى وتشمَّم يدي جيِّدًا، قفز الكلب إلى مقعد الراكِب وجلس ينظُر إلى الزُّجاج الأمامي وكأنه قد ألزَم نفسه بخوض هذه المُغامرة.

أخبرته أنني أُقدِّر ذلك، ودغدغتُ أذنيه. انطلقنا، وأوضَح الكلب بوضوح أنه مُعتاد على ركوب السيَّارة.

قُلت له بحزم: "والآن، عندما نعود إلى المنزِل يا صديقي، سنركُض نحو الباب الأمامي، حسنًا؟ هُناك غول في الغابة سيُحِب أن يلتهمك".

نَبَحَ لي الكلب مُتحمِّسًا.

هدأته: "حسنًا، لن نترُكه يحصُل على فُرصته". من الجيِّد أن يحظى المرء بمن يتحدَّث معه، ومن الأفضَل ألا يتمكَّن من الرد، على الأقل في الوقت الحالي. كما أنه لا يتوجَّب عليَّ أن أرفع أسوار حصوني لأنه لم يكُن بشرًا، وهذا شعور مُريح. أضفت: "سنُسرِع بالدخول".

وافقني صديقي القول قائِلًا: "هو هو".

قُلت: "يجِب أن أطلِق عليك اسمًا ما، ما رأيك بـ... بافي؟".

زمجَر الكلب غاضبًا.

"حسنًا، ماذا عن روفر؟".

أنَّ بهدوءٍ.

قُلت: "لا تُحب ذلك أيضًا، هممم". دخلتُ إلى الممر بسيارتي.

تابعتُ حديثي قائِلة: "رُبما كان لديك اسمٌ بالفعل! دعني أتفحَّص عُنقك". أطفأتُ مُحرِّك السيَّارة، ومرَّرت أصابعي خلال فروه الكثيف، لكنني لم أجِد حتى طوق الحماية من البراغيث. ثُم قُلت: "هناك من كان يعتني بك بشكلٍ سيئٍ يا عزيزي، لكن هذا لن يحدُث بعد الآن، سأكون أمًّا جيِّدة". انتهيتُ من الجنون، وجهَّزتُ مُفتاح منزلي قبل أن أفتَح باب سيَّارتي. وفي لمح البصر، قفز الكلب وجَلَس في مُنتصف الفناء، وبدأ يتلفَّت حوله بحذر. تشمَّم الهواء، قبل أن يُزمجِر بصوتٍ خافت.

قُلت: "إنه مصَّاص الدماء الطيِّب الذي يحرُس المنزِل يا حلو، تعالَ إلى الداخِل". وببعض الإقناع المُستمِر، جعلتُ الكلب يدخُل إلى المنزِل، ثُم أغلقتُ الباب خلفنا على الفور.

تجوَّل الكلب في سائِر أنحاء غُرفة المعيشة، تشمَّم وتطلَّع إلى كُل شيء. راقبته للحظةٍ لأتثبَّت من أنه لن يمضغ أي شيء

أو يستعِد للتبوُّل، قبل أن أذهَب إلى المطبخ لأجد له شيئًا ليأكُله. ملأت وعاءً كبيرًا بالماء، وأحضرتُ وعاءً آخرَ احتفظَت به جدَّتي للخس، وملأته ببقايا طعام القطط الخاص بتينا وبعض بقايا تاكو اللحم به. فكَّرتُ أن ذلك سيكون مقبولًا، إذا كان يتضوَّر جوعًا. أخيرًا أدار الكلب ظهره إلى المطبخ وتوجَّه نحو الأطباق، تشمَّم الطعام قبل أن يرفع رأسه ليرمُقني بنظرةٍ مطوَّلة.

قُلتُ: "أنا آسفة، ليس لديَ أي طعام للكلاب، وهذا أفضَل ما استطعتُ تحضيره. لكنني سأحضِر بعض طعام الكلاب، لو أردتَ البقاء معي". حدَّق الكلب بي لعدّة لحظات، قبل أن يدُس رأسه داخِل الوعاء. أكل بعض اللحم، ورشف بعض الماء، ثُم نظر إليَّ بترقُّب.

"هل يُمكِنني أن أدعوك رِكس؟".

زمجَر قليلًا.

سألته: "ماذا عن دين؟ دين اسم جيِّد". فقد كان اسم ذلك الرجُل اللطيف الذي ساعدني في مكتبة شرِيفبورت دين، وبدت عيناه مثل عيني هذا الكلب، ذكيَتين ويقِظتين. كما أن اسم دين مُختلِف قليلًا؛ لم يسبِق لي أن قابلتُ كلبًا يُدعى دين، قُلت بتمعُّن: "أراهِن أنك أكثر ذكاءً من بوبا". فأجابني الكلب بنباحٍ قصيرٍ حاد.

قُلت مُستمتِعةً للغاية بوجود شيء يُمكِنني التحدُّث معه: "حسنًا، هيا يا دين، لنستعِد للنوم". تبعَني الكلب إلى غُرفة

النوم، مُتفحِّصًا كُل قطع الأثاث بدقّةٍ شديدة. خلعت تنورتي وقميصي، ووضعتهما جانبًا، ثُم تخلَّصتُ من سراويلي الداخلي وفككتُ حمَّالة صدري. راقبني الكلب باهتمام شديد وأنا أُخرِج منامة نظيفة وأدخُل الحمَّام لأستحِم. وعندماً خرجتُ، نظيفةً وهادِئةً، وجدتُ دين يجلِس على المدخل، ورأسه مائِل جانبًا.

قُلت له: "يُحِب البشر الاستحمام من أجل النظافة، وأعرِف أن الكلاب لا تُحِب ذلك. أعتقِد أنه أمر يخُص البشر". نظَّفتُ أسناني وارتديتُ منامتي قبل أن أسأله: "هل أنت مُستعِد للنوم يا دين؟".

وردًّا على سؤالي، قفز إلى الفراش، وتكوَّم في دائِرة، واستلقى.

قُلتُ لنفسي: "مهلًا! انتظري دقيقة!". ستُصاب جدَّتي بنوبةٍ قلبيّةٍ إذا عَرِفت أن كلبًا قد نام على فراشها، فلطالما ظنَّت أنه لا بأس بالحيوانات طالما قضوا الليلة بالخارِج، فقد نصَّت قاعِدتها على أن البشر بالداخِل، والحيوانات بالخارِج. حسنًا، الآن، لديَ مصَّاص دماء بالخارِج، وكلب كولي على فراشي.

قُلت: "انزِل!". وأشرتُ إلى السجَّادة.

هبط الكلب، ببطءٍ وعلى مضض من على الفراش. نَظَر إليَّ بنظرة عتاب عندما استلقى على السجَّادة.

قُلت بحزم وأنا أصعد إلى الفراش: "ابقَ هُنا". كُنت مُتعَبة للغاية، لكنني لم أعُد متوتِّرة لهذه الدرجة الآن في ظلِّ وجود هذا الكلب؛ وفكَّرت في نوع المُساعدة التي أتوقَّعها منه في حالة تسلَّل دخيل إلى المنزِل، لا أعرِف، لأنه لا يعرفني جيِّدًا بما يكفي ليكون وفيًّا لي. لكنني سأَقبَل بأي مواساة أجدها، وبدأتُ بالاسترخاء حتى النوم. وبينما انجرفتُ في نومٍ عميق، شعرتُ بالفراش يميل تحت وطأة ثِقل وزن كولي، قبل أن يلعق لسان نحيل وجنتي. استقرَّ الكلب بالقُرب مني، فاستدرتُ وربتُّ عليه، وكان من الجيِّد وجوده هُنا.

الشيء التالي الذي وعيت له هو بزوغ الفجر. تمكَّنتُ من سماع الطيور تذهب إلى المدينة بالخارج، وهي تُزقزِق بحماس، ويا له من شعورٍ جيِّدٍ أن تتمكَّن من الاسترخاء في فراشك. شعرتُ بدفء جسد الكلب يتسلَّل إلى جسدي عبر منامتي؛ لا بُد أنني شعرتُ بالدفء ليلًا، فتخلَّصتُ من الغطاء. ربتُّ على رأسه في نُعاس، وبدأت أُمسِّد فروه، مرَّت أصابعي بتكاسُلٍ عبر فروه الكثيف. اقترَب أكثر، وتشمَّم وجهي، قبل أن يلف ذراعه حولي.

ذراعه؟

اندفعتُ خارِج الفراش وصرختُ في حركةٍ واحدة.

استند سام على مرفقيه في فراشي، ومؤخِّرته العارية بارِزة، ونَظَر إليَّ بقليلٍ من الاستمتاع.

قُلت: "يا إلهي! كيف دخلتَ إلى هُنا يا سام؟ ماذا تفعل؟ وأين ذهب دين؟". ثُم غطيتُ وجهي بيدي وأوليته ظهري، لكنني رأيتُ كُل ما يُمكِن رؤيته من جسده العاري بكُل تأكيد.

قال سام عبر حنجرته البشرية: "هو هو". فضربتني صاعِقة الفهم بقوّة.

استدرتُ لمواجهته، وأنا أستشيط غضبًا حتى إنني شعرتُ وكأنني على وشك تفجير الفراش.

"لقد راقبتني أتعرى ليلة الأمس، أيها الـ... أيها الـ... أيها الكلب اللعين!".

قال بشكلٍ مُقنع: "اسمعيني يا سوكي".

واتتني فكرة أخرى، جلستُ على المقعد الذي يحتل زاوية باب الحمَّام: "تبًّا يا سام، سيقتُلك بِل". أسندتُ مرفقيَّ إلى رُكبتيَّ ونكَّستُ رأسي قبل أن أضيف: "لا، لا، لا، لا".

رَكَع على رُكبتيه أمامي، وشعره الأشقر الذهبي المموَّج يتدلى على صدره ويُتابع هبوطه نحو... أغلقتُ عينيَّ مرَّة أخرى.

قال: "شعرتُ بالقلق عندما أخبرتني آرلين أنكِ ستكونين بمُفردكِ يا سوكي".

"ألم تُخبِرك عن بوبا؟".

"بوبا؟".

"مصَّاص الدماء الذي تركه بِل ليُراقِب المنزِل".

"أجل، قالت إنه يُذكِّرها بمُغنٍّ ما".

"حسنًا، اسمه بوبا، ويُحِب شُرب دماء الحيوانات في أوقات فراغه".

شعرتُ بالرضا عندما رأيت (من بين أصابعي) سام وهو يتحوَّل لشيءٍ شاحِب.

قبل أن يقول: "حسنًا، أليس من حُسن حظي أنكِ سمحتِ لي بالدخول إذًا؟".

فجأة، تذكَّرتُ مظهره في الليلة السابِقة، وسألته: "ماذا تكون يا سام؟".

"أعتقِد أن الوقت قد حان لتعرفي الحقيقة، أنا "مُتحوِّل"".

"وهل كان عليك أن تفعل ذلك بهذه الطريقة؟".

قال مُحرجًا: "في الواقِع، كُنتُ قد خطَّطتُ للاستيقاظ والرحيل قبل أن تفتحي عينيكِ، لكنني غططتُ في نومٍ عميق. إن الركض في الأرجاء على أربع يُرهِق المرء نوعًا ما".

"كُنت أعتقِد أن الناس يتحوَّلون إلى ذئابٍ فقط".

"لا، يُمكِنني التحوُّل إلى أي ما أريد".

شعرتُ باهتمامي يزداد حتى إنني خفضتُ يديَّ وحدَّقتُ في وجهه مُتسائِلة: "كم مرَّة؟ وهل يُمكِنك الاختيار؟".

قال موضِّحًا: "لا بُد لي من أن أفعلها أثناء اكتمال القمر، لكن يجِب أن أنوي القيام بذلك في أوقاتٍ أخرى؛ لكن الأمر صعب ويستغرِق وقتًا أطول. كما أنني أتحوَّل إلى آخر حيوان رأيته قبل أن أتحوَّل، ولهذا أُحتفِظ بموسوعة الكلاب مفتوحة على صفحة كلب الكولي على طاوِلة القهوة، فكلاب الكولي ضخمة، ولا تُشكِّل أي تهديد يُذكَر".

"ويُمكِنك أن تتحوَّل إلى طائرٍ إذًا؟".

"أجل، لكن الطيران عمليَّة صعبة. كما أنني أخشى دائمًا أن أحترِق على سلك كهرباء، أو أصطدِم بنافِذةٍ مُغلقة".

"لكن لماذا؟ لماذا أردتني أن أعرِف تلك الحقيقة؟".

"لأنكِ بدوتِ تتعاملين مع بِل باعتباره مصَّاص دماء بشكلٍ جيِّد. بل ويبدو أنكِ تستمتعين بذلك في الواقِع. لذا فكَّرتُ في رؤية ما إذا كان بإمكانكِ التعامُل مع... حالتي".

قاطعته وأنا في حالة شرود: "لكن لا يُمكِن أن نعزو حالتك إلى إصابتك بڤيروس! أعني أنك... تتغيَّر تمامًا!".

لم ينبس ببنت شفة. نَظَر إليَّ فحسب، وامتلأت عيناه الزرقاوان الآن بالذكاء والحذر.

قُلت ببطء: "إن كونك "مُتحوِّلًا" هو أمر خارِق للطبيعة بكُل

تأكيد. ولو كان حقيقيًّا، فبإمكان كُل شيء أن يكون حقيقيًّا. لذا...". صمتُّ قليلًا قبل أن أضيف بحذر: "لم يُصَب بِل بأي ڤيروس على الإطلاق. ولا يُمكِن وصف كونه مصَّاص دماء بأنه حساسيّة من الفضَّة، أو من الثوم، أو من ضوء الشمس... لأن هذا ليس سوى محض هراء ينشُره مصَّاصو الدماء في الأرجاء، مُجرِّد دعاية كما يُمكِنك أن تقول... حتى يُمكِن قبولهم بسهولةٍ أكبر بوصفهم مُصابين بمرضٍ خطير. لكنهم حقًّا... إنهم حقًّا...".

دخلتُ إلى الحمَّام، ولحُسن حظي، وصلتُ إلى المرحاض قبل أن أتقيَّأ.

قال سام بحُزنٍ من على باب الحمَّام: "أجل، أنا آسف يا سوكي. لكن بِل ليس مُصابًا بڤيروسٍ فحسب، بل هو ميِّت بالفعل".



غسلتُ وجهي ونظَّفتُ أسناني مرَّتين. ثُم جلستُ على حافة الفراش، وشعرتُ بالإرهاق الشديد حتى إنني لم أستطِع المضي قدمًا. جَلَس سام بجواري، وطوَّقني بذراعه بشكلٍ مُريح، اقتربتُ منه بعد لحظة، وأسندتُ وجنتي في تجويفِ عُنقه.

قُلت بشكلٍ عشوائيٍّ تمامًا: "هل تعلَم، كُنت أستمِع ذات مرَّة إلى محطَّة (إنّ بي آر)، وكانوا يبُثُّون مقطعًا عن علم التجميد،

وعن عدد الأشخاص الذين يختارون تجميد رؤوسهم فقط، لأن هذا أرخص بكثير من تجميد الجسد بأكمله".

"حقًّا؟".

"خمِّن ما هي الأغنيّة التي شغَّلوها في نهاية المقطع؟".

"ماذا يا سوكي؟".

"ضع رأسك على كتفي".

أصدَر سام صوتًا مُختنِقًا، قبل أن تتعالى ضحكته.

قُلت بعد أن هدأ قليلًا: "اسمعني يا سام، لقد فَهِمتُ ما قُلته لي، لكن يجِب أن أحل هذا الأمر مع بِل، فأنا أحبّه، ومُخلِصة له، وهو ليس هُنا ليُبدي وجهة نظره في الأمر".

قال: "لا يتعلَّق الأمر بمحاولتي للتفرقة بينكِ وبين بِل، على الرغم من أن ذلك سيكون رائِعًا". ثُم ابتسم ابتسامته النادِرة الرائِعة، وبدا أكثر استرخاءً في وجودي الآن بعد ما عَرَفتُ سرَّه.

"بماذا يتعلَّق إذًا؟".

"يتعلَّق بإبقائكِ على قيد الحياة حتى يتم القبض على القاتِل".

"وهذا هو سبب استيقاظك عاريًا في فراشي؟ لحمايتي؟".

تحلى بالأخلاق الكافية لتبدو عليه أمارات الخجل، قبل أن يقول: "حسنًا، رُبما كان بإمكاني التخطيط للأمر بشكلٍ أفضل.

لكنني ظننتُ أنكِ بحاجةٍ لشخصٍ ما معكِ، عندما أخبرتني آرلين أن بِل خارِج المدينة. وعَرِفتُ أنكِ لن تسمحي لي بقضاء ليلتي هُنا بهيئتي البشرية".

"وهل شعرتَ بالارتياح الآن بعد أن عَلِمتَ أن بوبا يُراقِب المنزِل ليلًا؟".

قال مُعترِفًا: "إن مصَّاصي الدماء أقوياء، وشرسون. وأعتقِد أن بوبا هذا مَدين لبِل بشيءٍ ما، وإلا فلن يُقدِّم له هذا المعروف. لأنهم مشهورون بعدم تقديم الخدمات بعضهم لبعض، فلديهم الكثير من المنظومات في عالمهم".

توجَّب عليَّ أن أولي اهتمامًا أكبر لما يقوله سام، لكنني فكَّرتُ أنه من الأفضل ألا أشرَح له أصول بوبا.

قُلت: "طالما أنك وبِل موجودان، فأعتقِد أنه لا بُد أن يكون هُناك الكثير من الأشياء الأخرى القادِمة من عالم ما وراء الطبيعة". ثُم أدركتُ حجم كنز الأفكار الذي ينتظرني. لم أعُد أشعُر بالحاجة الماسَّة لتخزين الأفكار المُتقنة للتدبُّر فيها مُستقبلًا منذ أن قابلتُ بِل، لكن لن يَضيرني الأمر شيئًا أن أكون مُستعِدَّة، تابعتُ حديثي قائِلة: "كان سيتوجَّب عليك أن تُخبرني في وقتٍ ما". بيغ فوت؟ وحش بُحيرة لوخ نِس؟ لطالما آمنت بوجود وحش بُحيرة لوخ نِس؟

قال: "حسنًا، أعتقِد أنه من الأفضَل أن أعود إلى المنزِل". نظر لي مليئًا بالأمل، وكان لا يزال عاريًا.

"أجل، أعتقِد ذلك. لكن... اللعنة... أنت... بحق الجحيم".

صعدتُ إلى الطابِق العلوي لأبحَث له عن بعض الملابِس. حيث هُيِّئ لي أن جيسون يحتفِظ ببعض الأشياء في خزانة الطابِق العلوي تحسُّبًا لبعض حالات الطوارئ.

من المؤكَّد أنني قد وجدتُ بنطالًا من الجينز الأزرق، وقميص عمل في غُرفة النوم الأولى بالطابِق العلوي. كان الجو حارًّا بالفعل هُناك، تحت السقف المصنوع من الصفيح، لأن الطابِق العلوي كان مُنظَّمًا بمُنظِّم حرارة مُنفصِل. عُدتُ إلى الأسفل، مُمتنَّة للشعور بهواء المُكيِّف البارِد.

سلَّمته الملابِس وقُلت: "تفضَّل، أتمنى أن يُناسِبك مقاسها". بدا وكأنه يَرغَب في بدء مُحادثتنا من جديد، لكنني أدركتُ تمامًا الآن أنني أرتدي منامة رقيقة من النايلون، وأنه عارٍ تمامًا.

قُلت بحزم: "ارتدِ ملابسك، وافعل ذلك في غُرفة المعيشة".

طردته وأغلقتُ الباب من خلفه. وفكَّرتُ أنه سيكون من المُهين أن أُغلِق قفل الباب، ولذلك لم أفعل. ارتديتُ ملابسي في وقتٍ قياسي، ارتديتُ ملابِس داخليّة نظيفة، وتنورة من الجينز، والقميص الأصفر الذي ارتديته ليلة أمس. وضعتُ زينتي، ولبستُ قُرطين، وصفَّفتُ شعري على شكل ذيل حِصان، قبل أن أضع ربطة شعر صفراء بشريطٍ مطاطي. ارتفعَت معنوياتي بشدّةٍ عندما نظرتُ في المرآة، قبل أن تتحوَّل

ابتسامتي إلى عبوسٍ عندما اعتقدتُ أنني سَمِعتُ صوت شاحِنة صغيرة تتوقَّف في الفناء الأمامي.

خرجتُ من غُرفة النوم مُندفِعة كقذيفة مدفع، على أمل أن أجِد سام قد ارتدى ملابسه واختبأ. لكنه فعل شيئًا أفضل، لقد تحوَّل إلى كلبٍ مرَّة أخرى. تناثَرت الملابِس على الأرض، فجمعتها ووضعتها في الخزانة الموجودة في الصالة.

قُلت بحماسٍ وأنا أدغدِغ خلف أذنيه: "كلب جيِّد!". ردَّ لي دين الجميل بدسٍّ أنفه داخِل تنورتي، قُلت وأنا أنظُر من النافِذة الأماميّة: "توقَّف عن ذلك الآن". ثُم أخبرته: "إنه آندي بليفلور".

قفز آندي من سيَّارته الدودج رام، وتمدَّد للحظةٍ طويلة، قبل أن يشُق طريقه نحو بابي الأمامي. فتحت الباب ودين يقِف إلى جانبي.

نظرتُ إليه مُتسائِلة: "يبدو أنك كُنت مُستيقِظًا طوال الليل يا آندي، هل ترغَب في بعض القهوة؟".

تحرَّك الكلب بجواري بقلق.

قال: "سيكون هذا رائِعًا، هل يُمكِنني الدخول؟".

تنحَّيتُ جانبًا وأنا أقول: "بالتأكيد". بينما زمجَر دين.

جَلَس آندي القُرفصاء ومدَّ يده نحو كلب الكولي، الذي لم أستطِع التفكير فيه على أنه سام، وقال: "لديكِ كلب حراسة جيِّد هُنا. مرحبًا يا صديقي... تعالَ إلى هُنا". تشمَّم دين يد

آندي، لكنه لم يلعقها. وظلَّ واقِفًا بيني وبين آندي عوضًا عن ذلك.

قُلت: "تعالَ إلى المطبخ".

وَقَف آندي وتَبعني، حضَّرتُ القهوة في لمح البصر، ووضعتُ بعضِ الخُبز في المحمَصة. بينما استغرقني تجميع القشطة، والسُّكَّر، والملاعق، والأكواب بضع دقائِق إضافيّة، وبعد ذلك توجَّب عليَّ مواجهة سبب وجود آندي هُنا. أثقَل الحُزن وجهه؛ حتى إنه بدا أكبر بعشر سنوات عمّا أعرِفه، ولم تكُن هذه مُجاملة.

"أين كُنتِ ليلة الأمس يا سوكي؟ هل كُنتِ في العمل؟".

"لا، لم أعمل الليلة البارحة. باستثناء زيارة سريعة لحانة ميرلوت، كُنت هُنا طوال الليل".

"هل جاء بِل إلى هُنا في أي وقتٍ من الأوقات؟".

"لا، إنه في نيو أورليانز. إنه يُقيم في هذا الفُندق الجديد في الحي الفرنسي، ذلك الفُندق المُخصَّص لمصَّاصي الدماء فقط".

"هل أنتِ مُتيقِّنة من وجوده هُناك؟".

شعرتُ بملامحي تتصلَّب، يبدو أن القادِم سيكون أسوأ، قُلت: "أجل".

"لم أنم لحظة طوال الليل".

"أجل".

"وقد أتيتُ لتوي من مسرح جريمة".

قُلت: "أجل". ثُم شرعتُ في قراءة أفكاره، قبل أن أنظُر في عينيه، في محاولةٍ للتحقُّق مما قرأت: "إيمي بيرلي؟ إيمي اللي تعمل في حانة "ذا جود تايمز"؟".

الاسم الذي احتلَّ رأس قائِمة النادِلات المُحتَمَلات أمس، الاسم الذي تركته لسام. نظرتُ إلى الكلب، الذي استلقى أرضًا، مُنكِّسًا رأسه بين كفيه، وبدا حزينًا ومذهولًا مثلي تمامًا. قبل أن يبكي بشكلٍ مُثيرٍ للشفقة.

رمقني آندي بنظرةٍ ناريةٍ بعينيه البُنيَّتين، وسألني: "كيف عرفتِ ذلك؟".

"توقَّف عن الهراء يا آندي، فأنت تعرِف أن بإمكاني قراءة الأفكار. أشعُر بشعور فظيع تجاه إيمي المسكينة. هل قُتِلَت مثل الأخريات؟".

قال: "أجل، قُتِلَت مثل الأخريات. لكن علامات العض كانت أحدَث".

فكَّرتُ في الليلة التي اضطررتُ أنا وبِل فيها للذهاب إلى شرِيفبورت لتلبية استدعاء إريك. هل شَرِبَ بِل من دماء إيمي في تلك الليلة؟ لم أتمكَّن حتى من حساب عدد الأيام التي

مَضَت، فقد كان جدوَل أعمالي مُتقلِّبًا للغاية بسبب كُل هذه الأحداث الغريبة والمروّعة التي وقعَت في الأسابيع القليلة الماضية.

جلستُ بتثاقُلٍ على مقعد المطبَخ الخشبي، وهززتُ رأسي بشرودٍ لبضع دقائِق، دهِشةً من المُنعطَف الذي اتخذته حياتي.

بينما لن تحدُث أي مُنعطفات في حياة إيمي بيرلي بعد الآن. تخلَّصتُ من تعويذة اللا مُبالاة الغريبة التي سقطتُ في أسرها، قبل أن أنهض لأصُب القهوة.

قُلت: "بِل ليس هُنا منذ ليلة أمس".

"هل كُنتِ هُنا طوال الليل؟".

قُلت: "أجل، كُنت هُنا، ويُمكِن لكلبي أن يؤكِّد لك هذا". ابتسمتُ لدين، الذي تذمَّر عندما نظرنا إليه. ثُم جاء ليضع رأسه الأزغَب على رُكبتي وأنا أشرَب قهوتي، فداعبتُ أذنيه.

"هل تعرفين شيئًا عن شقيقكِ؟".

قُلت: "لا، لكنني تلقَّيتُ مُكالمةً هاتفيَّةً غريبةً، أخبرني أحدهم فيها أنه في حانة ميرلوت". قبل أن أُدرِك بعد ما فرَّت الكلمات من بين شفتي أن المُتَّصِل لا بُد أن يكون سام، وأنه فعل ذلك ليستدرجني للذهاب إلى ميرلوت، ليتمكَّن من إقناعي بمُرافقتي إلى المنزِل. تثاءب دين، تثاؤبًا كبيرًا كاد يكسِر فكه، مما سَمَح لنا برؤية جميع أسنانه البيضاء الحادَّة.

تمنَّيتُ لو أطبقتُ فمي.

لكن توجَّب عليَّ الآن أن أشرَح الأمر برمته لآندي، الذي جلس نصف نائِم على مقعدٍ في مطبخي، بقميصٍ منقوشٍ مُجعَّد لطَّخته بقع القهوة، وبنطال كاكي مُجعَّد جرَّاء ارتدائه لفترةٍ طويلة، ويشتاق للنوم كاشتياق الفرس إلى مربطه.

قُلت بلُطف: "أنت بحاجةٍ لنيل قسط من الراحة". كان هُناك شيء مُحزِن بشأن آندي بليفلور، شيء مُحطَّم.

قال بصوتٍ انتهكه الإرهاق: "تؤرِّق جرائِم القتل تلك مضجعي، أولئك النساء المسكينات، المُتشابِهات في كثيرٍ من النواحي".

"النساء العامِلات غير المُتعلِّمات، اللاتي يعمَلن في الحانات؟ واللاتي لا يُمانِعن الحصول على حبيبٍ من مصَّاصي الدماء من حينٍ لآخر؟".

أومأ برأسه، وعيناه تُغلقان بإنهاك.

"بعبارةٍ أخرى، نساء مثلي تمامًا".

فَتَح عينيه، وانتابه الذُّعر من خطئه، قال: "سوكي...".

قُلت: "أتفهَّم ذلك يا آندي، فنحن جميعًا مُتشابِهات في بعض النواحي، وإذا قَبلتُ حقيقة أن الهجوم على جدَّتي كان مقصودًا لي، فحسنًا... أعتقِد أن هذا يجعلني الناجية الوحيدة".

تساءلتُ عن بقية النساء اللاتي سيقتُلهن القاتِل. هل أنا الوحيدة المُتبقيَة على قيد الحياة من بين المستوفيات لمعاييره؟ وكانت هذه هي الفكرة الأكثر رُعبًا من بين كُل الأفكار التي راوَدتني طوال اليوم.

أومأ آندي برأسه تقريبًا وهو يتناوَل فنجان قهوته.

اقترحتُ عليه بصوتٍ خافت: "لماذا لا تذهب لنيل قسطٍ من النوم في غُرفة النوم الأخرى؟ يجِب أن تحصُل على قسطٍ من النوم. أعتقِد أن قيادة السيَّارة في مثل هذه الحالة ليسَت آمِنة".

قال آندي بصوتٍ مُتقطِّع: "هذا لُطف منكِ". بدا مُتفاجِئًا قليلًا، وكأنه لم يتوقَّع مني هذا القدر من اللُّطف، قبل أن يُضيف: "لكن يجِب أن أذهَب إلى المنزِل، وأضبِط منبهي. أستطيع النوم رُبما لـ... ثلاث ساعات".

قُلت: "أعِدك أنني سأوقِظك". لم أرغَب في أن ينام آندي بمنزلي، لكنني لم أرغَب كذلك في أن يُقتَل في حادِث تصادُم أثناء ذهابه إلى منزله. لن تُسامحني السيّدة بليفلور العجوز أبدًا، ورُبما بورشيا أيضًا. قُدته إلى غُرفة نومي القديمة وقُلت: "يُمكِنك النوم في هذه الغُرفة". كان فراشي مُرتَّبًا بشكلٍ أنيق، أضفت: "يُمكِنك النوم على الفراش فحسب، وسأضبِط لك المنبّه". وهكذا فعلت، بينما استمرَّ في مُراقبتي، ثُم قُلت: "والآن، لتنل قسطًا من النوم. لديَّ مُهِمّة واحِدة لأقوم بها، ثُم سأعود على الفور".

لم يُبدِ آندي أي قدر من المُقاوَمة، لكنه جَلَس مُتثاقِلًا على الفراش حتى أغلقتُ باب الغُرفة.

لاحقني الكلب بينما مددتُ آندي في فراشي، والآن قُلتُ له بنبرةٍ مُختلفة: "اذهب وارتدِ ملابسك، الآن!".

مدَّ آندي رأسه خارِج باب غُرفة النوم مُتسائِلًا: "من الذي تتحدَّثين إليه يا سوكي؟".

أجبته على الفور: "الكلب، إنه مُعتاد على أن يأتي لي بطوقه لأساعِده على لبسه كُل يوم".

"ولماذا تخلعينه عنه من الأساس؟".

"لأنه يُصدِر صوت رنين ليلًا، ويمنعني من النوم. والآن، اذهب إلى الفراش".

بدا راضيًا عن إجاباتي، قال قبل أن يُغلِق باب الغُرفة: "حسنًا".

أخرجتُ ملابِس جيسون من الخزانة، ووضعتها على الأريكة أمام الكلب، ثُم أوليته ظهري وجلست. لكنني أدركتُ أن بإمكاني رؤيته في المرآة الموجودة فوق رف الموقد.

أصبح الهواء ضبابيًّا حوله، وبدا أنه يُهمهِم ويهتز بالطاقة، ثُم بدأت هيئته تتحوَّل في نطاق هذا التركيز الكهربائي. وعندما انقشع الضباب، رأيتُ سامٍ راكعًا على الأرض هُناك، عاريًا تمامًا. عجبًا، إنه يتمتَّع بمؤخرةٍ جميلة. أجبرتُ نفسي

على إغلاق عيني، وأخبرتُ نفسي مرارًا وتكرارًا أنني لم أكُن مُخلِصة لبِل. وقُلتُ لنفسي بثبات إن مؤخِّرة بِل كانت بالقدر نفسه من الجمال.

قال سام: "أنا جاهِز". قفزتُ من مكاني هلعَةً لأن صوته كان قريبًا، نهضتُ بسُرعة واستدرتُ لمواجهته، ووجدتُ وجهه قريبًا للغاية من وجهي.

وَضَع يده على كتفي، فركه وداعبه قبل أن يقول مُتأمِّلًا: "سوكي".

استشطتُ غضبًا لأنني أردتُ الاستجابة له نوعًا ما.

قُلت: "اسمعني جيِّدًا يا صديقي، كان بإمكانك أن تُخبرني بحقيقتك في أي وقتٍ خلال السنوات القليلة الماضية. منذ كم عَرَفنا بعضنا بعضًا؟ أربع سنوات؟ أو أكثر! ومع ذلك، ورغم أنني أراك يوميًّا تقريبًا يا سام، إلا أنك انتظرتَ حتى اهتمَّ بي بِل، قبل أن...". ووجدتُ نفسي أجهل الطريقة الصحيحة لإنهاء هذه الجُملة، فرفعتُ يديَّ في الهواء.

تراجَع سام، وهو ما كان أمرًا جيِّدًا.

قال بصوتٍ خافت: "لم أعرِف قيمة ما كان أمامي حتى ظننتُ أنه قد يُسلَب مني".

لم يكُن لديَ ردٌّ على هذه الجُملة، قُلت: "حان وقت العودة إلى المنزِل، ومن الأفضل لنا أن نوصِّلك إلى هُناك دون أن يراك أحد، وأعني ذلك".

ستكون مُصَادفة سيِّئة أن يرى شخص مؤذٍ مثل رينيه سام في سيارتي في الساعات الأولى من الصباح الباكِر، ويتوصَّل لاستنتاجاتٍ سيِّئة، قبل أن يُخبِر بها بِل.

هكذا انطلقنا، وسام مُستلقٍ في المقعَد الخلفي. ركنتُ سيَّارتي بحذرٍ خلف حانة ميرلوت. كانت هُناك شاحِنة صغيرة؛ سوداء، يُزيِّنها لهب ودوَّامات وردِيّة من الجانبين. إنها شاحِنة جيسون.

قُلت: "تبًّا!".

سألني سام من موقعه بصوتٍ مكتوم: "ما الأمر؟".

قُلت وقد بدأ القلق يعتريني: "دعني أذهب لأتحقَّق من الأمر". لماذا صفَّ جيسون شاحِنته هُنا في منطِقة وقوف سيَّارات الموظَّفين؟ ولماذا يبدو لي أن أحدهم داخِلها؟

فتحتُ بابي، وانتظرتُ أن يُنبِّه صوته الشخص الموجود داخِل الشاحِنة، رأيتُ دليلًا على الحركة. وعندما لم يحدُث شيء، بدأتُ بالسير عبر الحصى، خائِفة بطريقةٍ لم أشعُر بها من قبل في وضح النهار.

رأيتُ أن الشخص الموجود بداخِل الشاحِنة هو جيسون، بمُجرَّد أن اقتربتُ من نافِذتها. جلس بتثاقُلٍ خلف عجلة القيادة، وتمكَّنتُ من رؤية أن قميصه مُلطَّخ بالدماء، بينما سقطَ ذقنه على صدره، وقبع ذراعاه بلا حراك على المقعد بجواره، في حين أصيبَ وجهه الوسيم بخدشٍ دامٍ طويل. كما تمكَّنتُ

من رؤية شريط ڤيديو يربض على لوحة قيادة الشاحِنة، بدون مُلصقات.

قُلت بخوفٍ كَرِهتُ ظهوره واضحًا في صوتي: "تعالَ إلى هُنا من فضلك يا سام".

وَقَف سام بجواري، بأسرع ما يُمكِنني أن أُصدِّق، ثُم تجاوَزني ليفتَح باب الشاحِنة. فانبعثَت منها رائِحة قويَّة للغاية، تتكوَّن من ثلاثة عناصِر على الأقل: رائِحة الدماء، والجنس، والخمر، نظرًا لأنها على ما يبدو توقَّفَت هُناك لعدَّة ساعات -لأن هُناك ندًى على غطاء مُحرِّك الشاحِنة- كما أن النوافِذ كانت مُغلقة، في هذه الساعات الأولى من الصيف.

مدَّ سام يده ليقيس نبض جيسون، فصحتُ به على عجالة: "اتصِل بالإسعاف!". نَظَر لي سام بشكٍّ قبل أن يسألني: "هل أنتِ واثقة من أنكِ تُريدين أن تفعلي ذلك؟".

"بالطبع! إنه فاقِد للوعي!".

"انتظري، وفكِّري بالأمر يا سوكي".

كان من المُمكِن أن أعيد النظر في الأمر خلال دقيقة واحِدة فقط، لكن آرلين وصلَت في تلك اللحظة بسيَّارتها الفورد الزرقاء القديمة، تنهَّد سام وذهب إلى مقطورته ليُجري مُكالمة هاتفيّة.

ولكم كُنتُ ساذَجةً للغاية، هذا ما أحصُده عندما أكون مواطِنة مُلتزِمة بالقانون في كُل يوم من حياتي تقريبًا.

ركبتُ سيَّارة الإسعاف مع جيسون إلى المُستشفى المحلي الصغير، غافلةً عن الشُّرطة التي فتَّشَت شاحِنته الصغيرة بمُنتهى اليقظة، وعن سيَّارة الشُّرطة التي تبعَت الإسعاف، ومُتحلِّيَةً بالثقة التامَّة عندما أرسلني طبيب الطوارئ إلى المنزِل، وأخبرني أنه سيتصِل بي عندما يستفيق جيسون. أخبرني الطبيب -وهو يُطالعني بفضول- أن جيسون على ما يبدو نائِم تحت تأثير الكحول أو المُخدّرات. لكن جيسون لم يشرَب هذا القدر من قبل، كما أنه لم يتعاطَ أي مُخدِّرات؛ فقد ترَكَ تورُّط قريبتنا هادلي في حياة الشوارِع أثرًا عميقًا في نفسينا. أخبرتُ الطبيب بكُل هذا، واستمع إليَّ، قبل أن يطرُدني.

لم أكُن أعرِف بم يُفترَض بي أن أُفكِّر، ذهبتُ إلى المنزِل لأجِد أن آندي بليفلور قد أيقظه جهاز النداء الخاص به. ترَك لي رسالة يُخبرني فيها بذلك، لكنه لم يقُل شيئًا آخرَ.

لاحقًا، اكتشفتُ أنه كان في المُستشفى بالفعل عندما كُنتُ هُناك، وانتظر ريثما ذهبتُ قبل أن يُقيِّد جيسون بالأصفاد إلى الفراش.



(١٢)

جاء سام ليُطلِعني على آخر المُستجدَّات حوالي الساعة الحادية عشرة، قال: "سيعتقِلون جيسون بمُجرَّد أن يستفيق يا سوكي، وهو ما يبدو أنه سيحدُث قريبًا للغاية".

لكنه لم يُخبِرني كيف عَرَف ذلك، ولم أسأله.

نظرتُ إليه، وأمطار من الدموع تنهمِر على وجهي. في أي يوم آخر، رُبما كُنتُ سأُفكِّر كم يبدو مظهري باهِتًا عندما أبكي، لكن اليوم لم يكُن يومًا يُمكِنني أن أهتم فيه بمظهري الخارجي. سقطتُ غريقة في بحرٍ من التوتُّر، ومن الخوف على جيسون، ومن الحُزن على إيمي بيرلي، ومن الغضب العارِم تجاه رجال الشُّرطة الذين يرتكِبون مثل هذه الأخطاء الغبيّة، وفوق كُل هذا... من افتقادي لحبيبي بِل.

"يعتقِدون أن إيمي بيرلي قد قاومته، كما يعتقِدون أنه ثَمِل بعد أن قتلها".

أتى صوتي من مكانٍ بعيدٍ وأنا أقول: "شكرًا على تحذيري يا سام، من الأفضَل أن تذهب إلى العمل الآن".

وبعد أن فَهِم سام أنني بحاجةٍ للبقاء بمُفردي، اتصلتُ بالاستعلامات، وحصلتُ على رقم فُندق الدماء في الحي الفرنسي. ضغطتُ على الأرقام، وشعرتُ بطريقةٍ ما أنني أرتكِب فعلًا سيِّئًا، لكنني لم أستطِع فهم كيف أو لماذا.

أجابني صوت عميق بطريقةٍ دراميةٍ: "هُنا فندق الدماء في الحي الفرنسي، نعْشُقكَ كُلما كُنتَ بعيدًا عن المنزِل".

يا إلهي. قُلت بأدب: "صباح الخير. اسمي هو سوكي ستاكهاوس وأتصِل من بون تيمبِس، وأنا بحاجةٍ لترك رسالة لبِل كومبتون. إنه نزيل عندكم".

"مصَّاص دماء أم بشري؟".

"مصَّاص دماء".

"دقيقة واحِدة من فضلكِ".

عاد صاحِب الصوت العميق إلى الخط بعد لحظة، وقال: "وما هي الرسالة يا سيدتي؟".

صَدَمني السؤال حتى إنني سقطتُ أسيرة للصمت للحظة.

"من فضلِكَ أخبر السيِّد كومبتون أن... أن شقيقي قد اعتُقِل، وأنني سأكون مُمتنةً له لو تمكَّن من العودة إلى المنزِل بمُجرَّد الانتهاء من عمله".

سَمِعتُ صوت خربشة القلم وهو يكتُب ما أمليته، قبل أن يسألني: "وما اسمكِ مرَّة أخرى؟".

"ستاكهاوس، سوكي ستاكهاوس".

"حسنًا يا آنسة، سأحرِص على أن يتلقى رسالتكِ".

"شكرًا لك".

وكان هذا هو الإجراء الوحيد الذي فكَّرتُ في أخذه، حتى أدركتُ أنه سيكون من العملي أكثر أن أتَّصِل بسِد مات لانكستر. الذي بَذَلَ قصارى جُهده ليبدو مرعوبًا عندما سَمِع أنهم اعتقلوا جيسون، قبل أن يقول إنه سيُسرِع في الذهاب إلى المُستشفى بمُجرَّد خروجه من المحكمة بعد ظُهر اليوم، وإنه سيُبلِّغني بما سيحدُث بعد ذلك.

عُدتُ بالسيَّارة إلى المُستشفى لأرى ما إذا كانوا سيسمَحون لي بالدخول للجلوس مع جيسون حتى يستعيد وعيَه، لكنهم لم يسمحوا لي بذلك. كما تساءلتُ عمَّا إذا كان قد استعاد وعيه، ولم يُخبِروني بذلك أيضًا. رأيتُ آندي بليفلور في الطرف الآخر من الرواق، فاستدار وسار في الاتجاه الآخر.

اللعنة على الجُبناء.

عُدتُ إلى المنزِل لأنني لم أستطِع التفكير في شيءٍ لأفعله، وأدركتُ أنه لم يكُن يوم عمل بالنسبة لي على أي حال، وكان هذا شيئًا جيِّدًا، رغم أنني لم أهتم كثيرًا حقًّا في هذه المرحلة. خَطَر لي أنني لم أتعامَل مع هذا الأمر كما ينبغي، وأنني كُنتُ أكثر ثباتًا عندما ماتت جدَّتي.

لكن هذا كان وضعًا منتهيًا. سندفِن جدَّتي، وسيعتقِلون قاتلها، وسنمضي قدمًا. وإذا شكَّ رجال الشُّرطة بشكلٍ جديٍّ أن جيسون قد قتل جدَّتنا بالإضافة إلى بقية النساء، فلا بُد أن العالم مكان سيئ ومحفوف بالمخاطِر، حتى إنني لم أعُد أرغَب في أن أبقى جزءًا منه بعد الآن.

لكنني أدركتُ، عندما جلستُ وتدبَّرتُ في أمري في تلك الأُمسية الطويلة، أن تلك السذاجة هي التي أدَّت لاعتقال جيسون. لو نقلته لمقطورة سام ونظَّفته، وخبأتُ شريط الڤيديو حتى أستكشِف محتواه، والأهم من كُل هذا، لو لم أتصِل بسيَّارة الإسعاف... هذا ما جال بخاطِر سام عندما رمقني بتشكُّك. ومع ذلك، فقد حدَّ وصول آرلين خياراتي إلى حدٍّ ما.

ظننتُ أن الهاتِف سيبدأ بالرنين عندما يسمَع الناس بما حَدَث.

لكن أحدًا لم يتصِل.

لم يعرِفوا ماذا يجِب عليهم أن يقولوا.

جاء سِد مات لانكستر حوالي الساعة الرابِعة والنصف.

وقال دونما تمهيد: "لقد اعتقلوه، بتُهمة القتل من الدرجة الأولى".

أغلقتُ عيني، وعندما فتحتهما، طالعني سِد وقد ارتسم تعبير ذكي على قسمات وجهه اللطيف. زادَت نظَّارته الوقائيّة

من حجم عينيه البُنيَّتين، بينما جعله فكُّه وأنفه الحاد يبدو أشبه بكلاب الصيد.

سألته: "ماذا قال؟".

"قال إنه كان مع إيمي ليلة أمس".

تنهَّدتُ.

"قال إنهما ذهبا إلى الفراش معًا، وإنها ليسَت مرَّته الأولى مع إيمي. كما قال إنه لم يرها منذ فترة طويلة، وإنها تصرَّفَت بغيرةٍ تجاه النساء الأخريات اللاتي كان يراهُن في آخر مرَّة التقيا فيها، وإنها استشاطَت غضبًا. لذا تفاجأ عندما تقرَّبَت منه ليلة البارحة في حانة "جود تايمز". وقال كذلك إنها تصرَّفَت بطريقةٍ غريبةٍ طوال الليل، وكأن لديها تخطيطًا لا يعرِف بشأنه. يتذكَّر أنه قد مارَس الجنس معها، وأنهما استلقيا في الفراش وشَرِبا بعد ذلك، لكنه لا يتذكَّر أي شيء آخر قبل أن يستفيق ليجِد نفسه في المُستشفى".

قُلت بحزم، مُعتقدةً أنني أبدو تمامًا كأبطال فيلم تليفزيوني سيئ: "لقد تم الإيقاع به".

قال سِد مات والثقة والثبات يغزوان عينيه وكأنه كان في منزِل إيمي ليلة أمس: "بالطبع".

اللعنة، رُبما كان هُناك بالفعل.

انحنيتُ للأمام ونظرتُ في عينيه قائِلة: "اسمعني جيِّدًا يا سِد مات، حتى لو صدَّقت أن جيسون قد قَتَل إيمي، وداون، وماديت، لن أُصدِّق أبدًا أنه من المُمكِن أن يؤذي جدَّتي بأي طريقة".

سبق واستعدَّ سِد مات للرد على أفكاري بكُل صراحة، وأعلَنَت لُغة جسده عن ذلك بوضوح، قال: "حسنًا إذًا، لنفترِض للحظةٍ أن جيسون قد لَعِب دورًا ما في تلك الوفيات يا آنسة سوكي، ورُبما تعتقِد الشُّرطة أن صديقكِ بِل كومبتون قد قَتَل جدَّتكِ لأنها كانت تفصِل بينكما".

حاولتُ أن أبدو وكأنني أفكِّر في تلك الكُتلة من البلاهة، قبل أن أقول: "حسنًا يا سِد مات، لقد أحبَّت جدَّتي بِل، ولكم سعدَت برؤيتي معه".

رأيتُ نظرة شك وعدم تصديق لا حدود لها تلتمِع في عيني المُحامي، قبل أن يتمالَك شتات نفسه. لن يكون سعيدًا على الإطلاق لو واعدَت ابنته مصَّاص دماء، ولا يُمكِنه أن يتخيَّل أن يشعُر أي والِد مسؤول تجاه ذلك الأمر سوى بالرُّعب التام، ولا يستطيع أن يتصوَّر أنه قد يُحاوِل إقناع هيئة المُحلَّفين بأن جدَّتي كانت سعيدة بمواعدتي لرجل لم يكُن على قيد الحياة فحسب، بل وبالإضافة إلى ذلك، كان أكبر مني بأكثر من مئة عام.

هذه هي الأفكار التي جالَت في خاطِر سِد مات.

سألته: "هل قابلتَ بِل من قبل؟".

ذُهِل من سؤالي، فأجابني مشدوهًا: "لا، تعلمين أنني لا أؤيِّد أمور مصَّاصي الدماء تلك يا آنسة سوكي. أعتقِد أن هذا يخرِق شقًّا صغيرًا في الجدار الذي يجِب أن نستمِر في بنائه، الجدار الذي يفصِل بيننا وبين هؤلاء الذين نُطلِق عليهم المُصابين بالڤيروس. أعتقِد أن الله يُريد لهذا الجدار أن يظل موجودًا، وأنا شخصيًّا سأدعَم الجُزء الخاص بي".

قُلت: "المُشكِلة في ذلك يا سِد مات، أنني شخصيًّا قد خُلِقتُ فوق هذا الجدار". ووجدتُ بعد أن أبقيتُ فمي مُطبقًا بشأن "هِبَتي" لعُمرٍ كامل، أنني مُستعِدة لتفجير الحقيقة في وجه أي شيء، لو كان من شأن ذلك أن يُساعِد جيسون.

قال سِد مات بشجاعةٍ وهو يدفَع نظارته على قصبة أنفِه الحاد: "حسنًا، أنا مُتيقِّن من أن إلهنا المجيد قد منحكِ تلك المُشكِلة التي سَمِعتُ بشأنها لسببٍ ما، وعليكِ أن تتعلَّمي كيفيّة استخدامها لتحقيق مجده".

لم يسبِق لأحد أن صاغ الأمر بهذه الطريقة، وكانت هذه فكرة يجِب أن أُحسِن التدبُّر فيها عندما يُتاح لي وقت لذلك.

استجمعتُ أفكاري ثُم قُلت: "أخشى أنني قد جعلتُنا نخرُج عن الموضوع، وأعلَم كذلك أن وقتك ثمين. أريد أن يخرُج جيسون بكفالة، كونه لا يربِطه بموت إيمي سوى أدلة ظرفيّة فقط، أليس كذلك؟".

"لقد اعترف بأنه كان مع الضحيَّة قبل قتلها مُباشرةً، ناهيكِ عن شريط الڤيديو، الذي لمَّح لي أحد رجال الشُّرطة بقوَّةٍ أنه يُظهِر شقيقكِ وهو يُمارِس الجنس معها. كما يُشير الوقت والتاريخ الموجودان في الڤيديو إلى أنه قد صُوِّر في الساعات التي سبقَت وفاتها، إن لم يكُن بدقائِق".

اللعنة على ميول جيسون الجنسيّة الغريبة. قُلت: "إن جيسون لا يُعاقِر الخمر بهذه الكثافة، بينما فاحَت رائِحة الخمر من الشاحِنة. أعتقِد أنه قد سُكِب عليه فحسب، وهذا ما ستُثبِته نتائِج الاختبار. ورُبما دسَّت له إيمي بعض المُخدِّرات في الشراب الذي أعطته له".

"ولماذا ستفعل ذلك؟".

"لأنها، مثل كثير من النساء، استشاطَت غضبًا من جيسون لأنها أرادته بشدّة. إن شقيقي قادِر على مواعدة أي أحد يُريده تقريبًا. لا، أنا أصوغ ذلك بطريقةٍ مُنمَّقة".

نَظَرَ لي سِد مات دَهشًا لأنني عَرَفتُ هذه الكلِمة.

تابعتُ حديثي: "إنه قادِر على مُضاجعة أي أحد يُريده تقريبًا. إنه يعيش الحلم كما يعتقِد مُعظَم الرجال". حلَّ عليَّ التعب كالضباب، فأضفت: "والآن، ها هو ذا يجلِس في السجن".

"هل تعتقِدين أن رجلًا آخرَ هو من فعل ذلك به؟ وورَّطه في هذه الجريمة؟".

انحنيتُ للأمام مُحاوِلةً إقناع هذا المُحامي المُتشكِّك بشدّة بقوّة إيماني: "أجل، هكذا أعتقِد. هُناك من يغار منه، ويعرِف جدوله جيِّدًا، ويقتُل أولئك النساء عندما يكون جيسون في العمل. شخص يعرِف أنه قد ضاجعهُن، ويعرِف أنه يُحِب تصوير أشرطة الڤيديو".

قال مُحامي جيسون بلا مُبالاة: "يُمكِن أن يكون أي شخص تقريبًا".

قُلت بحُزن: "أجل، حتى لو تحلى جيسون باللُّطف الكافي ليلتزِم الصمت بشأن من كان بصُحبته تحديدًا، فكُل ما يتعيَّن على أي شخص فعله هو أن يعرِف من غادَر الحانة برفقته في وقت الإغلاق. علينا فقط أن نفتَح عيوننا، رُبما هُناك من سأله عن الأشرطة أثناء زيارة منزليَّة...". قد يكون شقيقي فاسِقًا، لكنني لم أعتقِد أنه سيسمَح لأحد بمُشاهدة تلك الأشرطة. ومع ذلك، فرُبما يكون قد أخبَر رجلًا آخر بأنه يُحِب تصويرها. تابعتُ حديثي قائِلة: "وهكذا عَقَد هذا الرجُل، أيًّا كانت هويته، صفقة من نوعٍ ما مع إيمي، بعد أن عَرَف بغضبها. ورُبما أخبرها بأنه سيمزَح مع جيسون فحسب أو شيء ما".

قال سِد مات: "لم يُقبَض على شقيقكِ من قبل".

قُلت: "لا". على الرغم من أنه كان قريبًا من جيسون عندما سَمِعه يقول ذلك عدَّة مرَّات.

"وليس لديه صحيفة جنائية، كما أنه عضو بارِز في المُجتمع، ويملِك وظيفة ثابِتة. قد تكون هُناك فُرصة لأتمكَّن من إخراجه بكفالة، لكن إذا هَرَب، فسيخسَر كُل شيء".

لم يخطُر ببالي قط أن جيسون قد يهرُب بعد أن يخرُج بكفالة. لم أكُن أعرِف شيئًا عن ترتيبات الكفالة، ولا ما الذي يجِب فعله، لكنني أردتُ لجيسون أن يخرُج من السجن. فمِن شأن بقائه في السِّجن حتى تتم الإجراءات القانونيّة قبل المُحاكمة... أن يجعله يبدو مُذنبًا أكثر بطريقةٍ ما.

قُلت: "أعرِف المطلوب وأخبرني بما يجِب أن أفعله، وفي غضون ذلك، هل يُمكِنني الذهاب لرؤيته؟".

قال سِد مات: "إنه يُفضِّل ألا تذهبي لرؤيته".

آلمتني إجابته بشكلٍ مُرعِب، سألته محاولةً ألا تنهمِر سيول دموعي مرَّة أخرى: "لماذا؟".

قال المُحامي: "لأنه يشعُر بالخجل".

وبَدَت فكرة شعور جيسون بالخجل رائِعة حقًّا.

سئِمت من هذا الاجتماع غير المُرضي، فقُلتُ محاولةً المضي قدمًا: "هل ستتصِل بي عندما أستطيع فعل شيء ما إذًا؟".

أومأ سِد مات برأسه، فارتجفَ فكاه قليلًا مع الحركة. لقد جعلته يشعُر بعدم الارتياح، ومن المؤكَّد أنه شعر بالسعادة لتركي.

انطلق المُحامي بسيَّارته الصغيرة، ثُم ثبَّت قُبعة رُعاة بقر على رأسه عندما كان لا يزال في الأفق.

خرجتُ لتفقُّد بوبا عندما حلَّ الظلام. ووجدته جالسًا تحت شجرة بلوط، وزجاجات الدماء تقبع بجواره، بحيث تحتل الفارِغة جانبًا، والمليئة الجانِب الآخر.

أمسكتُ بمصباحٍ يدوي، ورغم معرفتي بوجود بوبا، إلا أنني شعرتُ بصدمةٍ عندما رأيته في حيز شُعاع الضوء. هززتُ رأسي، هُناك شيء خاطئ بالفعل بشأن "عودة" بوبا، لا شك في ذلك. وشعرتُ بسعادةٍ غامرةٍ لأنني لم أتمكَّن من قراءة أفكاره، فقد امتلأت عيناه بالجنون.

قال بلهجةٍ جنوبيّةٍ ثقيلة: "مرحبًا يا حُلوة، كيف حالكِ؟ هل أتيتِ إلى هُنا لتجلسي برفقتي؟".

قُلت: "أردتُ التحقُّق فقط من أنك تشعُر بالراحة".

"حسنًا، يُمكِنني التفكير في عدّة أماكِن سأشعُر فيها براحةٍ أكبر، لكن بما أنكِ حبيبة بِل، فلا أنوي التحدُّث عنها".

قُلت بحزم: "جيِّد".

"هل مِن قطط هُنا؟ فقد سئِمتُ بشدّة من ذلك السائِل المُعبَّأ".

قُلت: "لا توجَد قطط هُنا، وأنا مُتيقِّنة من أن بِل سيعود قريبًا، وسيُمكِنك بعد ذلك العودة إلى المنزل". عُدتُ إلى المنزِل، لأن

حضور بوبا لم يجعلني أشعُر بالراحة الكافية لإطالة المُحادثة، إن جاز التعبير. وتساءلتُ عن الأفكار التي راوَدَت بوبا خلال لياليه الطويلة التي يقضيها في المُراقَبة؛ وعمّا إذا كان يتذكَّر ماضيه.

ناداني قائِلًا: "ماذا عن ذلك الكلب؟".

قُلت دون أن ألتفِت له: "لقد عاد إلى منزِله".

غمغم لنفسه بصوتٍ خافتٍ للغاية حتى إنني كدتُ لا أسمعه: "هذا سيئ للغاية".

استعددتُ للنوم، شاهدتُ التلفاز، وأكلتُ بعض المُثلَّجات، حتى إنني قطَّعتُ لوح حلوى لتزيينه. دون أن يبدو أن أيًّا من الأشياء المُريحة الخاصَّة بي سيُجدي نفعًا الليلة. فشقيقي في السجن، وحبيبي في نيو أورليانز، وجدَّتي ميِّتة، وهُناك من قَتَل جدَّتي. شعرتُ بالوحدة البالِغة والأسف الشديد على نفسي.

يتوجَّب على المرء أحيانًا تقبُّل تلك المشاعِر فحسب.

كما أن بِل لم يرُد على مُكالمتي.

أجَّج ذلك لهيب بؤسي. يُحتَمَل أنه وَجَد بعض العاهِرات اللطيفات في نيو أورليانز، أو بعض مُحبَّات الأنياب، مثل أولئِك اللاتي يتسكَّعن حول الفُندق كُل ليلة، على أمل أن يحظين برفقة مصَّاص دماء.

لو كُنتُ امرأة تُعاقِر الخمر، لوقعتُ في أسر الثمالة. ولو كُنت امرأة عاديّة، لاتصلتُ بجي بي دون رون وضاجعته. لكنني لا أتسِم بالميل للدراما أو المُبالغة، لذا تناوَلتُ المُثلَّجات وشاهدتُ بعض الأفلام القديمة على التلفاز. وبمحض المصَادفة الغريبة، عُرِضَ فيلم "بلو هاواي".

أخيرًا ذهبتُ إلى الفراش في حوالي مُنتصف الليل.

أيقظتني صرخةٌ خارِج نافِذة غُرفة نومي. جلستُ على فراشي، وسَمِعتُ أصوات ضرب وارتطام. قبل أن أسمع صوتًا، أنا واثقة من أنه صوت بوبا، يصرُخ: "عُد إلى هُنا أيها الأحمق!".

وعندما مرَّت بضع دقائِق دون أن أسمَع أي شيء، ارتديتُ رداء الحمَّام، وخرجتُ إلى الباب الأمامي. لأجِد الفِناء، الذي أضاءته الأضواء الأمنيّة، فارِغًا عن بكرة أبيه. قبل أن ألمَح حركة عن يساري، وعندما أخرجتُ رأسي من الباب، رأيتُ بوبا يعود مُسرعًا إلى مخبئه.

ناديته بصوتٍ خافت: "ماذا حَدَث؟".

غيَّر بوبا مساره مُتجهًا نحو الشُّرفة الأماميّة.

قال بوبا: "من المؤكَّد أن وغدًا ما، معذرةً على ألفاظي، كان يتسلَّل حول المنزِل". توهَّجَت عيناه البُنيَّتان، وبدا أشبه بشخصيته السابِقة، وهو يُضيف: "سَمِعته قبل دقائِق من وصوله

إلى هُنا، واعتقدتُ أنني سأتمكَّن من اللحاق به. لكنه انطلق عبر الغابة ليصِل إلى الطريق، حيث كانت شاحِنته متوقِّفة".

"هل حظيتَ بنظرةٍ عليه؟".

قال بوبا بخجل: "ليس بما يكفي لأتمكَّن من وصفه، لكنه يقود شاحِنة صغيرة، ورغم أنني لم أستطِع حتى معرفة لونها، إلا أنها داكِنة".

قُلت على أمل أن يظهَر امتناني جليًّا في صوتي: "لقد أنقذت حياتي". وشعرتُ بدفقةٍ كبيرةٍ من الحُب تجاه بِل، الذي رتَّب أمر حراستي. حتى إن بوبا بدا أفضَل مما بدا عليه من قبل، أضفت: "شكرًا يا بوبا".

قال بلباقة: "لا تُفكِّري في الأمر". ثُم استقام في وقفته للحظة، وألقى برأسه للخلف نوعًا ما، قبل أن تعتلي تلك الابتسامة النعِسة وجهه... إنه هو، فتحتُ فمي لأنطِق باسمه، قبل أن يجعلني تحذير بِل أُغلِق فمي.

***

خَرَج جيسون بكفالةٍ في اليوم التالي.

كلَّفني ذلك مبلغًا طائِلًا. لكنني وقعتُ الأوراق التي أراد مني سِد مات أن أوقِّعها، رغم أن الضمانات كانت في الغالِب هي منزِل جيسون، وشاحنته، وقارِب صيده. لا أعتقِد أنهم

كانوا سيسمحون له بالخروج بكفالة، لو قُبِضَ عليه من قبل، حتى لارتكابه مُخالفةً مرورية.

وقفتُ على درجات قاعة المحكَمة مُرتديَة بدلتي الرهيبة والرصينة ذات اللون الأزرق القاتِم تحت حرارة الصباح المُتأخِّر. تقطَّر العرق على وجهي وجرى بين شفتي بطريقةٍ سيِّئة جعلتني أرغَب في القفز تحت صنبور الاستحمام. وَقَف جيسون أمامي، ولم أكُن واثقة من رغبته في الحديث. زادته المُدّة التي قضاها في السجن عُمرًا فوق عُمره. وهاجمته مُشكِلة كبيرة لتجثُم فوق صدره، مُشكِلة كبيرة لن تهدأ أو تزول، مثلما يفعل الحُزن.

قال بصوتٍ خافتٍ حتى إنني بالكاد استطعتُ سماعه: "لا يُمكِنني التحدُّث معكِ عن الأمر، تعرفين أنني لم أفعلها. لم أكُن عنيفًا أبدًا بخلاف قتالٍ أو اثنين في ساحة انتظار السيَّارات بسبب امرأة ما".

لمستُ كتفه، ثُم تركتُ يدي تسقُط عندما لم يستجِب لي، قُلت: "لم أعتقِد قط أنه أنت، ولن أفعل ذلك أبدًا. أنا آسفة لأنني كُنت حمقاء بما يكفي للاتصال بالطوارئ أمس. لو أدركتُ فقط أنها لم تكُن دماءك، لأخذتُك إلى مقطورة سام ونظَّفتك وحرقتُ شريط الڤيديو. لكنني خِفت بشدّة من أن تكون دماءك". شعرتُ بعيني تغرورقان بالدموع، لكن هذا لم يكُن الوقت المُناسِب للبُكاء، ولذا شددتُ قبضتيَّ بإحكام، وشعرتُ بملامِحي تتصلَّب. غرق عقل جيسون في حالةٍ من

الفوضى، مثل حظيرة الخنازير العقليَّة. حيث ملأته فُقاعات مُضطرِبة ممزوجة بالندم، والخجل من الإعلان عن ميوله الجنسيَّة، والشعور بالذنب لأنه لم يحزَن على قتل إيمي، والرُّعب من أن يظُن أي شخص في المدينة أنه قتل جدَّته أثناء انتظاره لقتل شقيقته.

قُلتُ بلا حول ولا قوّة: "سنجتاز ذلك".

كرَّر ما قُلت محاولًا إضفاء بعض الثقة والقوّة على صوته: "سنجتاز ذلك". لكنني اعتقدتُ أنه سيمُر بعض الوقت، فترة طويلة، قبل أن يعود ذلك اليقين الذهبي الذي يجعله لا يُقاوَم، إلى وجهه، ووقفته، وحديثه.

ورُبما لن يحدُث ذلك أبدًا.

افترقنا ها هُنا، أمام المحكمة، حيث لم يعُد لدينا ما يُقال.

جلستُ في الحانة طوال اليوم، أنظُر إلى الرجال الذين يدخلونها، وأقرأ أفكارهم. لكن أحدهم لم يُفكِّر في كيف أنه قتل أربع نساء وأفلَت من العِقاب حتى الآن. وبحلول وقت الغداء، دَخَل هويت ورينيه من الباب، ثُم تراجعا وخرجا عندما رأياني أجلِس هُناك. أعتقِد أن هذا كان مُحرجًا للغاية بالنسبة لهما.

وأخيرًا، أجبرني سام على المُغادرة. قال إنني أبدو مُخيفة للغاية حتى إنني أُبعِد أي زبائِن من شأنهم أن يُقدِّموا لي أي معلومات مُفيدة.

خرجتُ من الباب وسِرتُ تحت الشمس الساطِعة، التي كانت على وشك الغروب. فكَّرت في بوبا، وفي بِل، وفي كُل هذه المخلوقات التي تنهَض من نومها العميق لتسير على سطح الأرض.

توقَّفت عند "جرابيت كويك" لأشتري بعض الحليب من أجل الكورنفلكس، ووجدتُ أن الموظَّف الجديد كان صبيًّا بتُفّاحة آدم ضخمة ووجهٍ مليءٍ بالبثور، والذي حدَّق فيَّ بلهفةٍ وكأنه يُحاوِل أن يحفِر شكل شقيقة القاتِل في ذاكرته. تمكَّنتُ من معرفة أنه لا يطيق الانتظار حتى أُغادِر المتجَر ليتّصِل بصديقته، كما تمنى لو تمكَّن من رؤية علامات الأنياب التي تُزيِّن عُنقي، وتساءل عمَّا إذا كانت هُناك أي وسيلة يُمكِنه من خلالها معرِفة كيف يقوم مصَّاصو الدماء بالأمر.

وكان هذا هو الهراء الذي يتوجّب عليَّ الاستماع إليه يومًا بعد يوم. بغض النظر عن مدى صعوبة تركيزي على شيءٍ آخر، وعن مدى رفعي لأسوار حصوني، وعن اتساع ابتسامتي، فقد كان يتسرَّب من بين كُل هذا.

وصلتُ إلى المنزِل عندما حلَّ الظلام. وبعد أن وضعت الحليب وخلعتُ بدلتي، ارتديتُ سروالًا قصيرًا وقميصًا أسود اللون من ماركة "جارث بروكس"، وحاولتُ التفكير في بعض الأنشِطة لأقوم بها هذا المساء. لم أستطِع الاستقرار بما يكفي لأقرأ؛ وكُنت بحاجةٍ للذهاب إلى المكتبة وتبديل كُتبي على أي حال، وهو الأمر الذي سيكون تحديًا حقيقيًّا في مثل هذه

الظروف. كما لم يُعرَض أي شيء جيِّد على شاشة التلفاز، على الأقل الليلة. فكَّرتُ في مُشاهدة فيلم "القلب الشُّجاع" مرَّة أخرى؛ فلطالما حسَّن ميل جيبسون وهو يرتدي تنورة مزاجي العكِر، لكنه كان دمويًّا للغاية بالنسبة لحالتي الذهنيّة. لم أستطِع تحمُّل منظَر نحر عُنق تلك الفتاة مرَّة أخرى، رغم أنني كُنت أعرِف متى يجِب أن أُغلِق عيني.

دخلتُ إلى الحمَّام لأغسِل زينتي الممزوجة بالعرق، وظننتُ أنني سَمِعتُ، فوق صوت الماء الجاري، صوت عواء بالخارِج.

أغلقتُ الصنبور. ووقفتُ ثابتةً، بالكاد أشعُر بتوتُّري، استرقتُ السمع بحرصٍ شديد. ماذا...؟ تقطَّر الماء من وجهي المُبلَّل فوق قميصي.

لا صوت... لا صوت على الإطلاق.

تسلَّلتُ نحو الباب الأمامي لأنه كان الأقرَب لنُقطة مُراقبة بوبا في الغابة.

فتحتُ الباب قليلًا، وصحتُ: "بوبا؟".

لم يأتني أي رد.

حاولتُ مرَّة أخرى.

وبدا لي أنه حتى الجراد والشُّروغ حبست أنفاسها، وغرق الليل في صمتٍ عميقٍ حتى إنه قد يحتوي على أي شيء. هُناك شيء يتجوَّل هُناك... في قلب الظلام.

حاولتُ أن أُفكِّر، لكن قلبي نَبَضَ بشدّة حتى إنه أعاق العملية.

أولًا، اتصلي بالشُّرطة.

لكنني وجدتُ أن هذا لم يكُن خيارًا جيِّدًا، فقد كان الهاتِف ميتًا.

لم يكُن لديَّ سوى خيارين، إما أن أنتظِر في المنزِل ريثما تأتيني المشكلات، أو أخرُج إلى الغابة.

وكانا خيارين... أحلاهُما مُرٌّ. عضضتُ شفتي السُّفلى وأنا أتجوَّل في المنزِل لأطفئ المصابيح، محاولةً أن أعرِف كيف سأتصرَّف فيما هو قادِم. صحيح أن المنزِل يوفِّر لي الحماية؛ كما أنه مزوَّد بأقفال، وجدران، وأركان، وكوَّات، لكنني أعرِف أن بإمكان أي شخص اقتحامه إذا تحلى بقدرٍ كافٍ من التصميم، وبعد ذلك سأجِد نفسي مُحاصَرة.

حسنًا، كيف يُمكِنني أن أخرُج من المنزِل دون أن يراني أحد؟ بدايةً... أغلقتُ الأضواء الخارجيّة. كان الباب الخلفي أقرَب للغابة، ولذا كان خياري المُفضَّل، كما أنني أعرِف الغابة جيِّدًا، ولا بُد وأن أتمكَّن من الاختباء فيها حتى بزوغ شمس الصباح. ورُبما أستطيع الذهاب إلى منزِل بِل؛ فلديَّ مِفتاح، ومن المؤكَّد أن هاتِفه يعمل.

أو يُمكِنني أن أحاوِل الوصول إلى سيَّارتي وتشغيلها، لكن من شأن هذا أن يجعلني أبقى في مكانٍ مُحدَّدٍ لعدّة لحظات.

لا، بَدَت الغابة خيارًا أفضل بالنسبة لي.

دسستُ في أحد جيوبي مِفتاح بِل وسكين جيب احتفظَت بها جدَّتي في دُرج طاوِلة غُرفة المعيشة، لأنها كانت مُفيدة في فتح الطرود، ومصباحًا صغيرًا في الجيب الآخر. كما احتفظَت جدَّتي ببُندقيَّةٍ قديمةٍ في خزانة المعاطِف الرابِضة بجوار الباب الأمامي. كانت بُندقيّة أبي عندما كان صغيرًا، وغالبًا ما استخدمتها جدَّتي لإطلاق النار على الثعابين؛ حسنًا، لديَّ ثُعبان لأطلِق عليه النار. لكنني أكره البُندقية اللعينة، وأكره استخدامها، لكن يبدو أن هذا هو الوقت المُناسِب لاستخدامها.

لكنها لم تكُن هُناك.

بالكاد استطعتُ تصديق حواسي، التي شعرتُ بها تتسرَّب عبر الخزانة.

لقد كان في منزلي.

لكن أحدًا لم يقتحِمه.

إذًا فهو شخص دعوته للدخول. من زارني هُنا؟ حاولتُ تذكُّر جميع ضيوفي أثناء ذهابي للباب الخلفي، أعدتُ ربط رباط حذائي الرياضي كيلا أتعثَّر فيه. وسرَّحتُ شعري على شكل ذيل حِصان بشكلٍ غير مُتقَن، بيدٍ واحدةٍ تقريبًا، كيلا يُلامِس وجهي، ولففتُ شريطًا مطاطيًّا حوله. لكنني فكَّرتُ في البُندقيَّة المسروقة طوال الوقت.

من دَخَل إلى منزلي؟ بِل، وجيسون، وآرلين، ورينيه، والطفلان، وآندي بليفلور، وسام، وسِد مات؛ وأنا واثقة من أنني تركتهم جميعًا بمُفردهم لدقيقة أو اثنتين، بل ورُبما لفترةٍ كافيةٍ لوضع البُندقيَّة بالخارِج لاستعادتها في وقتٍ لاحق.

ثُم تذكَّرتُ يوم الجنازة، يوم دَخَل إلى المنزل وخَرَج منه كُل من أعرِفهم تقريبًا عندما ماتت جدَّتي، ولم أستطِع تذكُّر ما إذا كُنتُ قد رأيتُ البُندقيَّة منذ ذلك الحين. لكن بدا من الصعب الخروج من المنزِل المُزدحِم ببُندقيّة دون أن يلفِت ذلك نظر أحد. ولو كانت قد اختفت آنذاك، فأظُن أنني كُنت سألاحِظ اختفاءها قبل ذلك. وفي الواقِع، أنا على يقينٍ تامٍّ من أنني كُنت لأفعَل.

توجَّب عليَّ تنحية ذلك جانبًا الآن، والتركيز على التغلُّب على أي من يختبئ في الظلام الدامِس بالخارِج.

فتحتُ الباب الخلفي، وخرجتُ ببطءٍ وهدوءٍ قدر استطاعتي، وواربتُ الباب خلفي بلُطف. وبدلًا من نزول الدرجات، مددتُ قدمي وهبطتُ على الأرض وأنا أجلِس القُرفصاء على الشُّرفة الأماميّة؛ ثبَّتُّ نفسي جيِّدًا، قبل أن أسحَب ساقي الأخرى، وأجلِس القُرفصاء مرَّة أخرى. إن هذا يُشبه لعب الغُميضة مع جيسون في الغابة عندما كُنا طفلين إلى حدٍّ كبير.

وصلَّيتُ ألا أكون ألعَب الغُميضة مع جيسون مرَّة أخرى.

في البداية، استخدمتُ الحوض المليء بالزهور التي زرعتها جدَّتي كغطاء، ثُم تسلَّلتُ إلى سيَّارتها، وهي خطوتي الثانية. نظرتُ إلى السماء، ووجدتُ القمر يكاد يكون بدرًا، بينما رصَّعَت النجوم السماء بما أنها كانت صافية. أما الهواء فأثقلته الرطوبة، وكان لا يزال ساخنًا. حتى إن يديَّ أصبحتا زلقتين بالعرق في غضون دقائِق.

خطوتي التالية... الانطلاق من السيَّارة إلى شجرة الميموزا.

لم أكُن هادِئة هذه المرَّة، فقد تعثَّرت في جذع شجرة وسقطتُ أرضًا بقوّة. عضضتُ وجنتي من الداخِل كيلا أصرُخ، وحين أحكَم الألم قبضته على ساقي وفخذي، أدركتُ أن حواف الجذع الخشِنة قد خدشَت فخذي بشدّة. لماذا لم أخرُج وأنظِّف هذا الجذع من قبل؟ لقد طلبَت جدَّتي من جيسون أن يفعل ذلك، لكنه لم يجِد الوقت الكافي لذلك قط.

سَمِعتُ وشعرتُ بحركة، فنهضتُ واندفعتُ نحو الأشجار بتهوُّر. اندفع شخصٌ ما من حافة الغابة عن يميني وانطلق نحوي. لكنني عَرفت أين سأذهب، وبوثبةٍ مُذهلةٍ، أمسكتُ بجذع شجرة مُنخفِض اعتدنا على تسلُّقها في طفولتنا وجذبتُ نفسي للأعلى. ستؤلمني عضلاتي بشدّة غدًا، لكن يجِب أن أعيش لأشعُر بهذا الألم، كما أن الأمر يستحِق ذلك. توازنتُ على الغُصن، محاولةً السيطرة على أنفاسي، في حين أردتُ أن ألهث وأزمجِر ككلبٍ غاضِب.

يا ليت هذا حلمٌ! ومع ذلك، فقد كُنتُ هُنا بلا شك، سوكي ستاكهاوس، النادِلة قارئة الأفكار، أجلِس على غُصن شجرة في قلب الغابة في جوف الليل، مُسلَّحة بسكين جيب فقط لا غير.

استمرَّت الحركة تحتي؛ تحرَّك رجل في أحضان الغابة. تدلى حبل طويل من أحد معصميه. يا إلهي! وعلى الرغم من أن القمر كان على وشك أن يُصبِح بدرًا، إلا أن رأسه اختبأ بعنادٍ في ظلال الشجرة، ولم أستطِع التعرُّف على هويته. مرَّ تحتي دون أن يراني.

لم أتنفَّس مرَّة أخرى إلا حينما اختفى على الأنظار. هبطتُ بهدوءٍ قدر استطاعتي، وبدأت أشُق طريقي عبر الغابة نحو الطريق. سيستغرِق الأمر بعض الوقت، لكن رُبما أتمكَّن من الاستنجاد بشخصٍ ما بمُجرَّد أن أصِل إلى الطريق، ثُم فكَّرتُ في مدى ندرة السائرين في هذا الطريق؛ وقد يكون من الأفضل أن أشُق طريقي عبر المقبرة وصولًا إلى منزل بِل. فكَّرتُ في المقبرة ليلًا، وفي القاتِل الذي يبحَث عني، وارتعدتُ بشدَّة.

وجدتُ أن شعوري بمزيدٍ من الخوف أمر غير منطقي، حيث يتوجَّب عليَّ أن أصُب جام تركيزي على ما يحدُث هُنا والآن. انتبهتُ للأماكِن التي أخطو فيها، فتحرَّكتُ ببطء. سيكون سقوطي صاخبًا وسط هذه الشُّجيرات، وسيجثم فوقي خلال لحظة واحِدة.

وجدتُ القطَّة الميِّتة على بُعد حوالي عشر ياردات جنوب شرق شجرتي، زيَّن عُنقها جرح غائِر حيث نُحِرَت. لم أتمكَّن حتى من تبيُّن لون فرائها تحت تأثير ضوء القمر المبيض، لكنني عَرِفتُ أن البُقع الداكِنة المُحيطة بجُثتها عبارة عن دماء بكُل تأكيد. ثُم وجدتُ بوبا بعد خمس خطوات من الحركة الصامِتة. كان إما ميِّتًا أو فاقدًا للوعي، فمن الصعب التفرِقة بين الأمرين عندما يكون المرء مصَّاص دماء. لكن في ظلِّ وجود رأسه في مكانه، وعدم وجود وتد في قلبه، تمنَّيتُ أن يكون فاقدًا للوعي فحسب.

فكَّرتُ في أن أحدهم أحضَر قطَّة مُخدَّرة لبوبا، شخص يعرِف أنه يحرُسني، وقد سَمِعَ عن ولعه بشُرب دماء القطط.

سَمِعتُ قرقعة من خلفي، صوت تهشُّم غُصين. اختفيتُ في كنف ظل أقرب شجرة كبيرة إليَّ. استشطتُ غضبًا، واعتراني خوف شديد، وتساءلتُ عمّا إذا كُنت سأموت الليلة.

رُبما لم تكُن بُندقيتي معي، لكنني أتمتَّع بسلاحٍ مُدمَج في رأسي. أغلقتُ عيني واستمعتُ إلى أفكاره.

تشابُك مُظلِم، وأحمر، وأسود. والكثير من الكراهية.

أجفلتُ، لكن هذا كان ضروريًّا، فهذه هي وسيلة الحماية الوحيدة التي أملِكها. خفضتُ كُل ذرَّة من أسوار حصوني.

شعرتُ بالغثيان جرَّاء الصور التي انسكبَت في دماغي، وجعلتني أرتجِف هلعًا. داون وهي تطلُب من أحدهم أن

يلكُمها، قبل أن تكتشِف أنه يحمِل أحد خراطيم المياه في يده، ويمُدَّه بين أصابعه، استعدادًا لخنقها به. ولمحة عن ماديت، عارية وتتوسَّل إليه. ثُم امرأة لم أرها من قبل، توليني ظهرها العاري، المليء بالكدمات والجروح. وجدَّتي... جدَّتي... في مطبخنا المألوف، غاضِبة، وتُقاتِله من أجل حياتها.

شلَّتني الصدمة، والرعب في مكاني. إلى من تعود هذه الأفكار؟ رأيتُ صورة لأطفال آرلين، يلعبون على أرضية غُرفة المعيشة؛ ثُم رأيتُ صورتي، لكنني لم أشبِه الصورة التي أراها في المرآة. بل كُنت فاسِقة، بعُنقٍ يُزيِّنه ثَقبان كبيران؛ ارتسمَت نظرة ثاقِبة على وجهي، وربتٌّ على فخذي من الداخِل بطريقةٍ موحية.

كُنت في دماغ رينيه لينز؛ هكذا يراني رينيه.

إنه مجنون.

أدركتُ الآن السبب الذي منعني من قراءة أفكاره بوضوح؛ فقد احتفظ بها في جُحرٍ سري، مكان يُبقيه مختفيًا ومعزولًا عن ذاته الواعية في دماغه.

راقَب شكلًا يقِف خلف شجرة الآن، وتساءَل لو أن هذا الشكل يبدو مثل امرأة.

إنه يراني.

انطلقتُ راكِضةً غربًا نحو المقبرة. لم أعُد أستطيع قراءة أفكاره بعد الآن، لأن تركيزي بأكمله انصبَّ على الركض،

وتفادي عوائِق الأشجار، والشُّجيرات، والجذوع المُتساقِطة، والأخدود الصغير الذي تجمَّع فيه المطر. شعرتُ بساقيَّ القويَّتين تنبِضان، وبذراعيَّ تتأرجحان، وبأنفاسيَ تبدو كأزيز مزمار.

خرجتُ من الغابة ووجدتُ نفسي في المقبرة. يقع الجُزء الأقدَم من المقبرة في أقصى الشمال باتجاه منزِل بِل، واحتوى على أفضَل أماكِن تصلُح للاختفاء. وقفتُ فوق شواهِد القبور الحديثة، المستوية أرضًا تقريبًا، وغير المُفيدة في الاختباء. قفزتُ فوق قبر جدَّتي، الذي كانت الأرض حوله لا تزال عبارة عن غُبار بلا صخور بعد. تبعني قاتلها، استدرتُ لأنظُر خلفي، لأرى مدى قُربه مني، كالحمقاء، ورأيتُ رأس رينيه المتوَّج بالشعر المموج وهو يقترِب مني تحت ضوء القمر.

ركضتُ نحو التجويف الرقيق الذي شكَّلته المقبرة، ثُم بدأتُ أركُض نحو الجانِب الآخر. وعندما اعتقدتُ أن هُناك ما يكفي من شواهِد القبور والتماثيل يحول بيني وبين رينيه، اختبأت خلف عمود طويل من الجرانيت يعلوه صليب. ظللتُ واقِفة، أحاول الاختفاء في صلابة الحجر البارِد. وضعتُ يدي على فمي لأكتم أنفاسي اللاهِثة التي تُحاوِل الحصول على الهواء. هدَّأتُ نفسي بما يكفي لأحاوِل قراءة أفكار رينيه؛ لكن أفكاره لم تكُن مُتماسِكة بما يكفي لأتمكَّن من فكِّ شفرتها، باستثناء الغضب الذي يعتريه. ثُم أعلَن مفهوم واضِح عن نفسه.

صرخت: "هل لا تزال سيندي شقيقتك على قيد الحياة يا رينيه؟".

صَرَخ: "أيتها العاهِرة!". وعَرَفتُ في تلك اللحظة أن أول امرأة ماتت كانت شقيقته، التي تُحِب مصَّاصي الدماء، والتي كان من المُفترَض به أن يزورها من وقتٍ لآخرَ وفقًا لآرلين. لقد قتَل رينيه سيندي، شقيقته النادِلة، وهي لا تزال ترتدي زي كافتيريا المُستشفى ذا اللونين الوردي والأبيض، خنقها بخيوط مئزرها، ثُم ضاجعها بعد وفاتها. قال لنفسه بقدر ما استطاع التفكير إنها قد وَصَلَت لمستوًى مُتدنٍّ للغاية، حتى إنها لم تكُن لتُمانِع مُضاجعته، وأن أي شخص يسمَح لمصَّاص دماء بمُضاجعته يستحِق الموت، ثُم أخفى جسدها بدافِع الخجل. أما الأخريات فلم يكُنَّ من لحمه ودمه؛ ولذا بدا تركهن يكذِبن أمرًا صائِبًا.

انجرفتُ داخِل رينيه المريض كغُصين سقط في قبضة دوَّامة، مما جعلني أترنَّح. وعندما عُدتُ إلى رُشدي، وجدته أمامي. لكمني في وجهي بكُل ما أوتيَ من قوّة، متوقِّعًا أن أسقُط أرضًا. هشَّمَت الضربة أنفي، وألحقَت بي ألمًا شديدًا حتى إنني كدتُ أفقِد وعيي، لكنني لم أسمَح لنفسي بالانهيار. بادلته الضربة بأخرى، لكن قلَّة خبرتي جعلت ضربتي غير فعَّالة. فلكمته على ضلوعه فحسب، فزمجَر مُتألِّمًا، قبل أن يتعافى بعد لحظة واحِدة.

هشَّمت لكمته عظمة ترقوتي، لكنني لم أسقُط أرضًا.

لم يكُن يعرِف مدى قوَّتي. وتحت ضوء القمر، ارتسَمَت أمارات الصدمة على وجهه عندما قاتلته، وشكَرتُ دماء مصَّاصي الدماء التي تجرَّعتها. فكَّرتُ في جدَّتي الشُّجاعة، فاندفعتُ نحوه، وأمسكته من أذنيه، وحاولتُ ضرب رأسه بعمود الجرانيت. ارتفعَت يداه لتُمسكا ساعديَّ، وحاوَل جاهدًا أن يجذِبني بعيدًا حتى تُفتَح قبضتي. وأخيرًا نَجَح، لكنني تمكَّنت من أن أعرِف من النظرة التي سكنَت عينيه أنه تفاجأ وأصبَح أشد حذرًا. حاولتُ أن أضربه برُكبتي، لكنه توقَّعها، فالتوى بعيدًا بما يكفي ليبتعِد عن طريقها. استغللتُ فُرصة عدم توازُنه، ودفعته بعيدًا، فارتطم بالأرض بقوّةٍ كبيرة.

ثُم بدأ يُلاحقني، لكنه أسقط الحبل أثناء قِتالنا، وبينما قَبَض على عُنقي بإحدى يديه، تحسَّس طريقة اختياره باليد الأخرى. كانت ذراعي اليُمنى مُثبَّتة، لكن اليُسرى كانت حُرَّة طليقة، لذا خدشته وضربته. توجَّب عليه أن يتجاهَل ذلك، وأن يبحَث عن حبل الخنق لأنه جُزء من طقوسه. ثُم وجدَت يدي الحُرَّة شيئًا مألوفًا.

كان رينيه لا يزال يرتدي ملابِس عمله، ولا يزال يحمِل سكينه في حزامه. فتحتُ المشبَك وسحبتُ السكين من غمده، وبينما كان لا يزال غارقًا في التفكير بـ: "توجَّب عليَّ أن أخلع هذه السكين". ثُم أغمدتُ النصل في لحم خصره الناعِم، ورفعته لأعلى وأنا أسحبه للخارِج.

ثُم صرخ.

نهضَ مُترنِّحًا، وهو يلوي جذعه العلوي جانبًا، محاولًا استخدام كلتا يديه لإيقاف الدم الذي يتدفَّق من الجرح.

زحفتُ للخلف، ونهضتُ، وحاولتُ أن أبقي مسافةً بيني وبين الرجل الوحش الذي لا يختلِف عن بِل في أي شيء.

صَرَخ رينيه: "آه، يا إلهي، ماذا فعلتِ بي يا امرأة؟ يا إلهي، هذا مؤلِم!".

وكان ذلك مُضحِكًا.

انتابه الخوف الآن، الخوف من اكتشاف الحقيقة، ومن نهاية لعبته، ومن نهاية انتقامه.

زمجَر قائِلًا: "تستحِق النساء مثلكِ الموت، يُمكِنني الشعور بكِ داخِل دماغي أيتها المسخ!".

همستُ به: "من بيننا يستحِق لقب المسخ؟ فلتمُت أيها الوغد".

لم أعلَم أن هذا قبع مُنتظِرًا بداخلي. جلستُ القُرفصاء بجوار شاهِد القبر، وأنا لا أزال مُتشبِّثة بالسكين المُلطَّخ بالدماء في قبضتي، أنتظِر منه أن يوجِّه لي تُهمة أخرى.

راقبته بوجهٍ جامدٍ وهو يترنَّح في دوائِر. أغلقتُ دماغي أمامه، لأن شعوره باقتراب موته زحف خلفه. ووقفتُ مُستعِدةً لطعنه مرَّة أخرى عندما سقط أرضًا. وعندما تيقَّنتُ من أنه لا يستطيع الحركة، تحرَّكتُ نحو منزِل بِل، لكن دون أن أركُض.

قُلت لنفسي إن السبب في ذلك هو أنني لا أستطيع الركض، لكنني لم أكُن واثقة. ظللتُ أرى جدَّتي، محفورة في ذاكِرة رينيه للأبد، وهي تُقاتِل من أجل حياتها، بين جدران منزلها.

أخرجتُ مِفتاح منزل بِل من جيبي، وأنا شبه مذهولة من أنه لا يزال هُناك.

أدرته بطريقةٍ ما، ودخلتُ إلى غُرفة المعيشة الكبيرة، بحثتُ عن الهاتِف. لمستُ أزراره بأصابعي، وتمكَّنتُ من تحديد أماكِن الرقمين التسعة والواحِد، ثُم ضغطتُ الأرقام بقوّةٍ كافيةٍ، ودون سابِق إنذار... فقدتُ وعيي.



عَرَفتُ أنني في المُستشفى؛ فقد أحاطت بي رائِحة ملاءات المُستشفى النظيفة.

والشيء التالي الذي عَرِفته هو أنني أتألَّم في كُل مكان.

وأن أحدهم معي في الغُرفة. فتحتُ عينيَّ بصعوبة.

رأيتُ وجه آندي بليفلور المُربَّع مُجهدًا أكثر من المرَّة الأخيرة التي رأيته فيها.

قال: "هل يُمكِنكِ سماعي؟".

أومأتُ برأسي، مُجرَّد حركة يسيرة، لكنها كانت كافية لتُرسِل موجة من الألم عبر رأسي.

قال: "لقد قبضنا عليه". وشرع في إخباري بالمزيد، لكنني غططتُ في النوم مرَّة أخرى.

وجدتُ ضوء النهار بانتظاري عندما استيقظتُ، وهذه المرَّة.. بدا أنني أكثر يقظة بكثير.

شعرتُ بوجود أحدهم في الغُرفة.

قُلت بصوتٍ أجش خرج حاملًا بين طيَّاته ألمًا عظيمًا: "من هُنا؟".

نَهَضَ كيفين من مقعده في رُكن الغُرفة، أغلق دفتر الكلِمات المُتقاطِعة ودسَّه في جيب زيه الرسمي.

همستُ له: "أين كينيا؟".

ابتسم لي بشكلٍ غير متوقّع قبل أن يقول: "كانت هُنا قبل ساعتين، وستعود قريبًا، جلستُ مكانها ريثما تتناوَل طعام الغداء".

شكَّل وجهه النحيل وجسده خطًّا واحدًا، ثُم أضاف: "يا لكِ من امرأةٍ قويّة".

قُلت: "لا أشعُر بالقوّة".

قال لي وكأنني لا أعرِف ذلك: "أنتِ مُصابة".

"وماذا عن رينيه؟".

قال: "وجدناه في المقبرة، بعد أن أصبتِه بشدّة. لكنه كان لا يزال واعيًا، وأخبرنا أنه كان يُحاوِل قتلكِ".

"هذا جيِّد".

قال: "كان نادمًا بشدّةٍ لأنه لم يُكمِل مُهمّته. لا يُمكِنني تصديق أنه اعترَف على نفسه بهذه السهولة، لكنه كان يرزح تحت وطأة الألم، كما أنه كان خائِفًا نوعًا ما، بحلول الوقت الذي أمسكناه فيه. أخبرنا أن الأمر برمته خطؤك، لأنكِ لم تستلقِي لتموتي مثلما فعلَت البقية. وقال إن الأمر ولا بُد يسري في جيناتكِ، لأن جدَّتكِ...". ثُم صَمت، مُدرِكًا أنه بدأ يطأ أرضًا حرِجة.

همستُ: "لقد قاتلته بدورها".

جاءت كينيا في تلك اللحظة، بضخامةٍ وصمت، وهي تحمِل كوبًا بلاستيكيًّا من القهوة.

قال كيڤين وهو يبتسِم لشريكته: "لقد أفاقَت".

بَدَت كينيا أقل سعادةً بهذا الأمر وهي تقول: "جيِّد، هل أخبرتك بما حدث؟ رُبما ينبغي علينا أن نتصِل بآندي".

"أجل، هذا ما أخبرنا أن نفعله، لكنه لم ينم سوى أربع ساعات".

"طلب منا الرجل أن نتصِل به".

هزَّ كيڤين كتفيه قبل أن يتحرَّك نحو الهاتِف الرابِض بجوار الفراش. سقطتُ أسيرة لنوبة دوار، وسَمِعته يتحدَّث، لكنني سَمِعته يُتمتِم ببعض الأشياء لكينيا أثناء انتظارهما. كان يتحدَّث

عن كلاب الصيد الخاصَّة به، وأعتقِد أن كينيا كانت تسمعه باهتمام.

جاء آندي، وشعرتُ بأفكاره، ونمط دماغه. جَلَس بجوار فراشي مُسلِّحًا بحضوره الجامِد، فتحتُ عيني وهو ينحني لينظُر إليَّ، وتبادلنا نظرة طويلة.

تحرَّكت أربعة أزواج من الأقدام ذوات الأحذية الرسمية إلى الخارِج.

قال آندي فجأة: "إنه لا يزال على قيد الحياة، ولا يتوقَّف عن الحديث".

حرَّكتُ رأسي حركة يسيرة، وتمنَّيتُ أن تُشير تلك الحركة إلى إيماءة.

"قال إن هذا بسبب شقيقته، التي كانت تواعِد مصَّاص دماء، والتي من الواضِح أن نسبة الدماء في جسدها قد انخفضَت بشدّةٍ، حتى إن رينيه اعتقد أنها ستتحوَّل إلى مصَّاصة دماء بدورها لو لم يوقِفها عند حدِّها. حذَّرها ذات مساء في شقتها، لكنها ردَّت عليه، وأخبرته أنها لن تتخلى عن حبيبها. كانت ترتدي مئزرها، وتستعِد للذهاب إلى العمل أثناء جدالهما. انتزعه عنها، وخنقها به... قبل أن يفعل أشياءَ أخرى بها".

بدا آندي مُصابًا بالغثيان قليلًا.

همستُ له: "أعرِف ذلك".

بدأ آندي بالحديث مرَّة أخرى قائِلًا: "يبدو لي أنه قد قرَّر بطريقةٍ ما أنه سيشعُر بالرضا إذا قام بهذا الأمر المروّع، وأقنع نفسه بأن كُل من هُم مثل شقيقته يستحقون الموت. وفي الواقِع، تتشابه جرائِم القتلِ هُنا مع جريمتي قتل في شرِيفبورت لم تُحلّا حتى الآن، ونتوقَّع أن يتطرَّق رينيه إلى هاتين الجريمتين أثناء سرده لما حدث، فقط إذا ظلَّ على قيد الحياة".

شعرتُ بنفسي وأنا أزُم شفتي معًا في تعاطفٍ مروعٍ مع أولئك النساء المسكينات الأخريات.

سألني آندي بهدوء: "هل يُمكِنكِ أن تُخبريني بما حدث لكِ؟ تحدَّثي ببطء، وخذي وقتكِ كاملًا، وأبقي صوتكِ مُنخفِضًا حد الهمس. فعُنقكِ مُتضرِّر بشدّة".

لقد اكتشفتُ ذلك بنفسي، لكن شُكرًا جزيلًا على المعلومة. تمتمتُ له بأحداث تلك الأمسية، دون أن أخفي أي شيء. شغَّل آندي جهاز تسجيل صغيرًا بعد أن سألني إذا كان ذلك يُناسبني، ثُم وضعه على الوسادة بالقُرب من فمي عندما أشرتُ له أنه لا بأس بالجهاز، كي يحصُل على تفاصيل القصَّة كامِلة.

سألني بعد أن انتهيت: "ولا يزال السيّد كومبتون خارِج المدينة؟".

همست، وأنا بالكاد قادِرة على الكلام: "نيو أورليانز".

"سنبحَث عن البُندقيّة في منزل رينيه، الآن بعد أن علِمنا أنها كانت ملككِ. لأنها ستُمثِّل دليلًا جيِّدًا على إدانته".

ثُم دخلَت إلى الغُرفة شابة لامِعة ترتدي ملابس بيضاء، ونظرَت في وجهي، قبل أن تُخبِر آندي بأنه سيتعيَّن عليه أن يعود في وقتٍ آخر.

أومأ برأسه لي، وربَت على يدي بطريقةٍ غريبة، ثُم غادَر. لم ينسَ أن يرمُق الطبيبة بنظرة إعجاب. كانت تستحِق الإعجاب بكُلِ تأكيد، لكنها لبسَت خاتِم زواج كذلك، وها هو آندي يأتي مُتأخِّرًا مرَّة أخرى.

فكَّرت أنه قد بدا جادًّا ومُتجهِّمًا للغاية.

لم أرغَب في سماع ذلك.

لكنني لم أمتلِك ما يكفي من الطاقة لإبعاد الجميع عن رأسي.

سألتني الشابّة بصوتٍ عالٍ بعض الشيء: "كيف تشعُرين يا آنسة ستاكهاوس؟". كانت سمراء ونحيلة، وتتمتَّع بعينين بُنيَّتين واسعتين، وفم جميل.

همست: "بحالٍ سيئة".

قالت وهي تومئ برأسها مرارًا وتكرارًا أثناء فحصي: "يُمكِنني تخيُّل ذلك". لكنني لم أعتقِد أن بإمكانها تخيُّل ذلك بطريقةٍ ما، فأنا على استعدادٍ للمُراهنة على أنها لم تتعرَّض للضرب المُبرِح على يد قاتِل مُتسلسِل في مقبرة.

سألتني بتعاطُف: "لقد فقدتِ جدَّتكِ للتو، أليس كذلك؟". أومأت برأسي، بمُجرَّد حركة يسيرة.

قالت: "لقد مات زوجي منذ ستة أشهُر، وأعرِف الحُزن الذي تشعُرين به. من الصعب أن يكون المرء شُجاعًا، أليس كذلك؟".

حسنًا، سمحت لتعبيري أن يطرَح سؤالًا.

فأجابته: "كان مُصابًا بالسرطان". حاولتُ أن أبدو مُتعاطِفة دون أن أحرِّك أي شيء، وهو أمر كان شِبه مُستحيل.

قالت وهي تستقيم في وقفتها، وتستعيد نشاطها: "حسنًا، ستعيشين بكُل تأكيد يا آنسة ستاكهاوس. لديكِ عظمة ترقوة مُهشَّمة، وضلعان مكسوران، وأنف مُدمَّر".

يا إلهي! لا عجب أنني أشعُر بحالٍ سيِّئة.

تابعَت حديثها: "كما أن وجهكِ وعُنقكِ مُصابان بكدماتٍ شديدة. ويُمكِنك بالتأكيد أن تشعُري بأن حَلقكِ مُصاب كذلك".

حاولتُ أن أتخيَّل كيف يبدو الوضع، من الجيِّد أنني لا أمتلِك مرآة في مُتناوَل يدي.

ابتسمَت قبل أن تُضيف: "بالإضافة لإصابتكِ بالكثير من الكدمات والجروح الصغيرة نسبيًّا على ساقيكِ وذراعيكِ. لكن معدتكِ على ما يُرام، وكذلك قدماكِ".

هاهاها... إنها مُضحِكة للغاية!

قالت: "لقد وصفتُ لكِ بعض مُسكِّنات الألم، لذا استدعي المُمرِّضة عندما تشعُرين بالألم".

دسَّ أحد الزوَّار رأسه عبر الباب خلفها. استدارَت لتحجُب رؤيتي، وقالت: "مرحبًا؟".

"هل هذه هي غُرفة سوكي؟".

قالت: "أجل، يُمكِنك الدخول، فقد انتهيتُ من فحصها". ثُم نظرَت لي الطبيبة (التي كان اسمها سونتاغ، وفقًا لبطاقتها) إليَّ بتساؤلٍ لتحصُل على إذني، وتمكَّنت من الإجابة بصوتٍ خافتٍ: "بالتأكيد".

سار جي بي دي رون إلى جوار فراشي، وبدا وسيمًا كعارض أزياء على غِلاف رواية رومانسيّة. التمع شعره الأسود تحت أضواء الفلورسِنت، وكانت عيناه باللون نفسه، بينما كشف قميصه الذي يفتقِر إلى الأكمام عن عضلاته التي رُبما صُقِلَت بـ... بإزميل. تطلَّع إليَّ، بينما التهمته الدكتورة سونتاغ بعينيها.

سألني: "مرحبًا يا سوكي، هل تشعُرين أنكِ بخير؟". ثُم وضع أصبعه بلُطفٍ على خدي، وقبَّل مكانًا لم تملأه الكدمات على جبهتي.

همست: "شكرًا، سأكون على ما يُرام. هل قابلتَ طبيبتي؟".

أدار جي بي عينيه الواسِعتين إلى الدكتورة سونتاغ، التي تعثَّرت بقدميها وهي تقترِب لتُقدِّم له نفسها.

قال جي بي بكُل صدقٍ ووضوح: "لم يكُن الأطباء بهذا القدر من الجمال عندما حصلتُ على تطعيماتي".

قالت الدكتورة سونتاغ بدهشة: "ألم تزُر طبيبًا منذ أن كُنتَ طفلًا؟".

ابتسم لها قائِلًا: "أنا لا أمرَض أبدًا، فأنا قوي كالثور".

كما أنه يتمتَّع بعقل ثور كذلك. لكن من المُحتمَل أن تتمتَّع الدكتورة سونتاغ بذكاءٍ يكفي شخصين.

لم تستطِع التفكير في أي سببٍ يمنعها من التلكؤ أكثر من ذلك، لكنها رمقته بنظرةٍ حزينةٍ قبلَ أن تُغادِر.

انحنى جي بي نحوي وقال بجديّة: "هل يُمكِنني أن أجلب لكِ أي شيء يا سوكي؟ مناديل أو شيئًا من هذا القبيل؟".

آلمتني فكرة مُحاولتي لأكل البسكوت حتى إن الدموع احتشدَت في عينيَّ، قُلت: "لا، شكرًا لك، إنها أرملة على فكرة".

يُمكِنك أن تُغيِّر الموضوع أثناء حديثك مع جي بي دون أن يسأل عن السبب.

قال بانبهار: "عجبًا، إنها ذكيّة وعزباء".

هززتُ له حاجبيَّ بطريقةٍ ذات مغزًى.

قال جي بي وهو غارِق في تفكيرٍ عميق: "هل تعتقِدين أنني يجِب أن أطلُب منها الخروج معي؟ قد تكون هذه فكرة جيِّدة". ابتسم لي قبل أن يُضيف: "طالما أنكِ لا ترغبين في مواعدتي يا سوكي، لطالما كُنتِ الأولى في قائمة اختياراتي. كُل ما عليكِ فعله هو الإشارة بإصبعكِ الصغير، وسآتي راكضًا".

يا له من رجلٍ لطيف. ورغم أنني لم أُصدِّق إخلاصه للحظة، إلا أنني أعتقِد أنَّه يعرِف كيف يجعَل المرأة تشعُر بالرضا، حتى لو كانت مُتيقِّنة من أنها تبدو سيِّئة بشكلٍ مُذهِل مثلي. كما أنني شعرتُ بالألم كذلك. أين تلك الحبوب المُسكِّنة للألم؟ حاولت أن أبتسِم لجي بي.

قال: "أنتِ تتألَّمين، سأرسِل لكِ المُمرِّضة".

جيِّد، فقد بدا لي أن طريق الوصول إلى ذلك الزر الصغير يزداد طولًا كُلما حاولتُ تحريك ذراعي.

قبَّلني مُجدَّدًا قبل أن يُغادِر وهو يقول: "سأذهب لتعقُّب طبيبتكِ يا سوكي. من الأفضَل أن أسألها المزيد من الأسئِلة حول تعافيكِ".

بعد أن حقنَت المُمرِّضة سائِلًا ما في جهاز التقطير الوريدي الخاص بي، بدأتُ أتطلَّع قدمًا لعدم الشعور بأي ألم، ثُم فُتِحَ الباب مرَّة أخرى.

دخل شقيقي. وقف بجوار فراشي وحدَّق في وجهي لفترةٍ طويلة. قبل أن يقول بثقلٍ في النهاية: "لقد تحدَّثتُ إلى الطبيبة لدقيقةٍ قبل أن تُغادِر إلى الكافيتريا بصُحبة جي بي. وأخبرتني بما حدث لكِ". سار مُبتعدًا عني، دار في الغُرفة كنمرٍ حبيس، قبل أن يعود ليُحدِّق بي أكثر، ويُضيف: "تبدين بحالٍ سيِّئة".

همستُ له: "شكرًا".

قال: "أجل، لقد نسيتُ بشأن حلقكِ".

بدأ يربُتُ عليَّ، بعد أن ظنَّ أن هذا أفضَل.

ثُم قال: "اسمعيني يا شقيقتي، يجِب عليَّ أن أشكُركِ، لكن ما أحزنني حقًّا هو مُساندتكِ لي عندما حان وقت القتال".

كُنت لأركُله لو تمكَّنتُ من القيام بذلك.

اللعنة على مُساندتي له.

"أنا مدين لكِ بالكثير يا شقيقتي. فقد كُنتُ غبيًّا، وظننتُ أن رينيه كان صديقًا جيِّدًا".

الخيانة... إنه يشعُر بالخيانة.

ثُم جاءت آرلين، لتجعل الأمور أفضِل.

كانت عبارة عن فوضى. تحوَّل شعرها إلى غابة حمراء مُتشابِكة الفروع، ولم تضع أي زينة، بينما اختارَت ملابسها بطريقةٍ عشوائيّةٍ تمامًا. لم يسبِق لي أن رأيتُ آرلين دون شعرها المموَّج وزينتها الصاخِبة المُشرِقة.

نظرَت لي –يا إلهي، لكم سأسعَد عندما أتمكَّن من الوقوف مرَّة أخرى– وبدا وجهها جامِدًا كالجرانيت للحظة، لكنها بدأت تنهار عندما استوعبَت مدى تضرُّر وجهي.

قالت: "لقد كُنت غاضِبة منكِ للغاية، ولم أستطِع تصديق الأمر، لكن الآن، وبعد أن رأيتكِ ورأيتُ ما فعله بكِ... عجبًا يا سوكي، هل سيُمكِنكِ أن تُسامحيني يومًا؟".

يا إلهي، أردتُها أن تخرُج من هُنا. حاولتُ أن أشير بذلك إلى جيسون، وتمكَّنتُ من ذلك، لأنه طوَّق كتفها بذراعه قبل أن يقودها إلى الخارِج. بدأت آرلين بالبُكاء قبل أن تصِل حتى إلى الباب، وقالت وهي تتماسَك بصعوبة: "لم أكُن أعرِف... لم أكُن أعرِف فحسب!".

قال جيسون بقوّة: "ولا أنا بحق الجحيم".

أخذتُ قيلولة بعد أن حاولتُ تناوُل بعض الجيلي الأخضَر اللذيذ.

أكثر ما أثار اهتمامي في فترة ما بعد الظهيرة هو الذهاب إلى الحمَّام بمُفردي تقريبًا. جلستُ على المقعد لمُدّة عشر دقائِق، وبعد ذلك كُنت على أتم استعداد للعودة إلى الفراش. نظرتُ إلى المرآة التي اختبأت داخِل الطاوِلة المُتحرِّكة، وندمتُ فورًا على ما فعلت.

انخفضَت درجة حرارة جسدي بما يكفي لأرتجِف ويقشعِر بدني. سيطَر اللونان الأزرق والرمادي على ملامِح وجهي،

بينما تضاعَف حجم أنفي. تورَّمَت عيني اليُمنى حتى كادت تُغلَق. ارتجفتُ، وحتى ذلك آلمني. أما ساقاي... يا إلهي، فلم أرغَب حتى في التحقُّق منهما. استلقيتُ بحذرٍ شديد، وأردتُ لهذا اليوم أن ينقضي. رُبما سأشعُر بحالٍ جيِّدةٍ بعد أربعة أيام. ماذا عن العمل! متى سيُمكِنني العودة إلى العمل؟

انتشلني طرق خافِت على الباب من بحور أفكاري، لقد أتى زائِر لعين آخر. حسنًا، كانت الزائِرة امرأة لا أعرِفها. عجوزًا بشعرٍ رمادي، تلبس نظارة بإطارٍ أحمر، وتدفَع عربة أمامها. ارتدت ذلك الرداء الأصفر الذي يتعيَّن على المتطوِّعات بالعمل في المُستشفى، واللاتي يُدعون "سيدات الأمل" ارتداؤه.

امتلأت العربة التي سبقتها بالزهور القادِمة للمرضى في هذا الجَناح.

قالت بمرح: "أقدِّم لكِ مجموعة من أطيَب التمنيات بالشفاء!".

ابتسمتُ لها، لكن لا بُد أن تأثير هذا كان مروّعًا لأنه أثَّر على مرحها بعض الشيء.

قالت وهي ترفع أصيصًا مُزيَّنًا بشريطٍ أحمر: "هذا من أجلكِ، وهذه هي بطاقتكِ يا حُلوتي. دعيني أرَ، وهذه من أجلكِ أيضًا...". حملت باقة من الزهور، التي تتراوَح ألوانها بين الوردي، والوردي القُرنفلي، والأبيض الناصِع. انتزعَت البطاقة عن هذه الباقة بدورها. تفحَّصَت العربة مرَّة أخرى

قبل أن تقول: "والآن، يا لكِ من محظوظة! هُناك المزيد من أجلكِ!".

تكوَّنت باقة الزهور الثالِثة من زهور حمراء لم أرها من قبل، مُحاطة بمجموعة من الزهور المألوفة الأخرى. نظرتُ إليها بشكٍّ، فقدَّمت لي "سيِّدة الأمل" البطاقة البلاستيكيّة.

ثُم ابتسمَت وغادرَت الغُرفة. فتحت الأظرُف الصغيرة، ولاحظتُ بامتعاض أن الحركة كانت أسهَل عندما كُنت في مزاجٍ أفضل.

كان الأصيص من سام، الذي كتب على البطاقة بخط يده: "من جميع زملائكِ في العمل بحانة ميرلوت". لمستُ أوراق النبات اللامِعة، وتساءلتُ أين سأضع الأصيص عندما آخذه إلى المنزِل. أما الباقة الثانية فكانت من سِد مات لانكستر، وإلقا دين لانكستر... اللعنة على ذلك! في حين كانت الباقة الثالِثة، التي قرَّرتُ أنها بطريقةٍ ما تبدو فاحِشة تقريبًا، وكأنها مُشكَّلة على هيئة العضو التناسُلي للمرأة، فكانت الأكثر إثارةً للاهتمام بين الثلاث. فتحت البطاقة ببعض الفضول، ولم أجِد سوى توقيع إريك يقِف وحيدًا.

كان هذا هو ما أحتاجه حقًّا. كيف عَرَف أنني في المُستشفى بحق الجحيم؟ ولماذا لم أسمَع من بِل؟

بعد أن تناوَلتُ بعض الجيلي الأحمر اللذيذ في العشاء، صببتُ جام تركيزي على التلفاز لبضع ساعات، بما أنه لم يكُن

لديَّ أي شيء لأقرأه، حتى لو ساعدتني عينايَ على القراءة. ازدادَت كدماتي ألمًا بمرور الساعات، وشعرتُ بالضعف يجتاح عظامي، على الرغم من حقيقة أنني لم أذهَب إلى الحمَّام سوى مرَّة ولم أدُر في أرجاء الغُرفة سوى مرَّتين. أطفأتُ التلفاز وانقلبتُ على جانبي، وغططتُ في نوم عميق، عاقبني الألم في أحلامي، وجعلني أرى كوابيس. ركَضتُ في أحلامي، عبر المقبرة، خائِفة على حياتي، قبل أن أسقُط فوق الصخور، في قبرٍ مفتوح، لأجد نفسي في مواجهة كُل من أعرِفهم ويرقدون بداخله؛ والدي، ووالدتي، وجدَّتي، وماديت بيكنز، وداون جرين، وحتى صديق طفولتي الذي قُتِل في حادِث صيد. بحثتُ عن شاهد قبر مُعيَّن؛ سأتحرَّر وأعود إلى منزلي بمُجرَّد أن أجده. سيعودون جميعًا إلى قبورهم ويتركونني وشأني. ركضتُ من شاهد قبرٍ إلى آخر، أتلمسها بأصابعي، على أمل أن أجِد الشاهِد الذي أبحث عنه. وتذمَّرتُ عندما لم يكُن هو المطلوب.

قبل أن يُطمئِنني صوت بارِد مألوف: "أنتِ بخير يا حبيبتي".

تمتمتُ: "بِل". ثُم أدرتُ وجهي نحو شاهِد قبر لم ألمسه بعد. وعندما وضعتُ أصابعي عليه، تتبعت الحروف: (ويليام إرامسوس كومبتون). شعرتُ وكأنني أغرِق في ماءٍ بارد، فتحتُ عينيَّ، وأخذتُ نفسًا لأصرُخ، فاحتجَّ حلقي بنبضة ألم. اختنقتُ بسبب الهواء الزائِد، واستفقتُ وأنا أسعل، والألم يجتاح كُل شيء كسرته تقريبًا. انزلقَت يد تحت خدي، وشعرتُ بشعورٍ

جيّدٍ تجاه ملمَس بأصابع بارِدة على بشرتي الدافِئة. حاولتُ ألا أتألَّم، لكن أنة ألم خافِتة تسلَّلَت هارِبة من بين أسناني.

قال بِل بصوتٍ خافتٍ: "انظري نحو الضوء يا عزيزتي".

كُنت قد نِمتُ وأنا أولي ظهري للضوء الذي تركته المُمرِّضة مفتوحًا، ذلك المصباح المُعلَّق في الحمَّام. انقلبتُ بطاعةٍ على ظهري ونظرتُ إلى حبيبي مصَّاص الدماء.

زمجَر بِل.

قال بيقينٍ واضح جعل عظامي تقشعِر داخِل جسدي: "سأقتُله".

ساد الغُرفة ما يكفي من التوتُّر لإرسال فيلق من المتوتِّرين للحصول على مُهدِّئات.

قُلت: "مرحبًا يا بِل، أنا أيضًا سعيدة برؤيتكِ. أين كُنتَ طوال هذا الوقت؟ وشكرًا على ردِّك على جميع مُكالماتي".

فاجأه قولي هذا، فرمش. واستطعتُ الشعور به يبذُل قصارى جُهده ليُهدئ من روعه.

قال: "لم أتصِل بكِ لأنني أردتُ أن أخبرك بما حدث بنفسي يا سوكي". لم أتمكَّن من قراءة التعبير الذي ارتسَمَ على وجهه. لكن لو اضطررتُ للتخمين، فسأقول إنه يبدو فخورًا بنفسه.

توقَّف عن الحديث مؤقتًا، وتفحَّص كُل الأجزاء الظاهِرة من جسدي بعينيه.

قُلت بلُطفٍ وأنا أمد يدي إليه: "هذه لا تؤلِمني". قبَّلها، ولم يرفَع شفتيه عنها حتى شعرتُ بوخزٍ خفيفٍ يجتاح جسدي. وصدِّقوني... لم أتمكَّن حتى من احتمال هذا الوخز الخفيف.

قال بلهجةٍ آمرة: "والآن أخبريني بما حدث لكِ".

قُلت: اقترِب أكثر إذًا لأتمكَّن من الهمس، لأن هذا يؤلمني للغاية".

جذب مقعده بالقُرب من الفراش، وأنزَل حاجِز السرير، وأراح ذقنه على ذراعيه المعقودين. كان وجهه على بُعد أربع بوصات تقريبًا عن وجهي.

قال: "أنفكِ مُهشَّم".

أدرتُ عينيَّ في سخطٍ قبل أن أهمِس: "سعيدة أنك لاحظتَ ذلك، سأخبِر الطبيبة عندما تأتي إلى هُنا".

حدَّق بي قائِلًا: "توقَّفي عن محاولة تشتيت انتباهي".

"حسنًا، لديَّ أنف مُهشَّم، ضلعان مكسوران، بالإضافة إلى عظمة الترقوة".

لكن بِل أراد أن يفحصني بشكل كامل، لذا سحب الغطاء للأسفل. وشعرتُ بالخزي يأتيني أفواجًا من جميع الجهات، لأنني كُنت أرتدي ثوب المُستشفى القبيح، السيئ المظهَر، كما أنني لم أستحِم بشكلٍ صحيح، بالإضافة للألوان المُختلِفة التي تُزيِّن وجهي، وشعري الذي لم يُمشَّط.

مرَّر يده على كُل مكان بجسدي، وفَحَصَ كُل جرح وخدش بدقّة، ثُم قال: "أريد أن أصحبكِ إلى المنزِل". يظُن مصَّاص الدماء أنه طبيب!

أشرتُ له بيدي ليقترِب أكثر، قبل أن أقول: "لا". ثُم أشرتُ إلى كيس التقطير الوريدي. رمقه ببعض الشك، لكنه يعرِف ماهيته بكُل تأكيد.

قال: "يُمكِنني فصله".

هززتُ رأسي بشدّة.

"ألا تريدين مني أن أعتني بكِ؟".

زفرتُ بغضبٍ، وهو الشيء الذي آلمني بشدّة.

حرَّكتُ يدي وكأنني أكتُب شيئًا، بحث بِل في الأدراج حتى وجد مُفكِّرة. والغريب بما يكفي، أنه أخرَج قلمًا من جيبه. كتبت: "سيسمحون لي بالخروج من المُستشفى غدًا إذا لم ترتفِع درجة حرارتي".

وقف بجوار الفراش، وطالعني باستنكارٍ شديد، كمُعلِّم صادف تلميذه المُجتهِد يأتي مُتأخِّرًا، قبل أن يقول: "من الذي سيصحبكِ إلى المنزِل؟".

كتبتُ له: "سأطلُب منهم الاتصال بجيسون، أو بتشارليز توتين". لو سارَت الأمور بطريقةٍ مُختلفة، لكتبتُ اسم آرلين بشكلٍ تلقائي.

قال: "سأكون هُناك بمُجرَّد حلول الظلام".

نظرتُ إلى وجهه الشاحِب، وإلى بياض عينيه الذي يكاد يلمَع في قلب ظلام الغُرفة الكئيبة.

تابع حديثه مُقترِحًا: "سأشفيكِ، دعيني أعطكِ بعضَ دمائي".

تذكَّرتُ الطريقة التي تغيَّر بها لون شعري للونٍ أفتح، وتذكَّرتُ كذلك أنني أصبحتُ أقوى بمرَّتين تقريبًا مما كُنتُ عليه من قبل. فهززتُ رأسي.

شعر وكأنه يعرِض عليّ الماء وأنا عطشى، فرفضتُ عرضه، سألني: "ولمَ لا؟". أعتقِد أنني قد جرحتُ مشاعِره.

أمسكتُ يده وحرَّكتها نحو فمي، ثُم قبَّلتُ راحة كفّه بلُطف، قبل أن أضعها على وجنتي الأفضل.

كتبتُ بعد لحظة: "لاحظ الناس أنني تغيَّرت، ولاحظتُ أنني تغيَّرتُ كذلك".

نكَّس رأسه للحظة، قبل أن ينظُر إليَّ بحُزن.

كتبت له: "هل عَرفتَ بما حدث؟".

قال: "أخبرني بوبا بجُزءٍ مما حدث". قبل أن يُصبِح وجهه مُخيفًا عندما تذكَّر مصَّاص الدماء نصف الذكي، ثُم تابَع حديثه قائِلًا: "وأخبرني سام بالبقية، ثُم ذهبتُ إلى قِسم الشُّرطة، وقرأتُ التقارير والمحاضِر".

كتبتُ: "هل سَمَح لك آندي بفعل ذلك؟".

قال بلا مُبالاة: "لم يعرِف أحد أنني ذهبتُ إلى هناك".

حاولتُ تخيُّل ذلك، فانتابتني القشعريرة.

رمقته بنظرة عدم رضًا.

كتبتُ: "أخبرني بما حدث في نيو أورليانز". ثُم بدأتُ أشعُر بالنُّعاس مرَّة أخرى.

قال بتردُّد: "عليكِ أن تعرفي بعض الأشياء عن جنسنا أولًا".

قُلت: "عجبًا، المزيد من أسرار مصَّاصي الدماء!".

حان دوره الآن ليرمقني بنظرة عدم الرضا.

قال: "إننا مُنظَّمون بعض الشيء، حاولت التفكير في بعض الطُّرق لحمايتنا من إريك".

ووجدتُ نفسي أنظُر إلى باقة الزهور الحمراء بشكلٍ لا إرادي.

تابع حديثه: "عَرَفت أنني إذا أصبحتُ مسؤولًا، مثل إريك، فسيصعُب عليه أن يتدخَّل في حياتي الخاصَّة".

بدوت مُتحمِّسة، أو على الأقل حاولت أن أبدو كذلك.

أضاف: "لذا حضرتُ الاجتماع الإقليمي، ورغم أنني لم أُشارِك قط في سياستنا، إلا أنني ترشَّحتُ لأحد المناصِب. وبسبب بعض الضغوط المُركَّزة... فُزت!".

كان هذا مُذهلًا للغاية! هل سيُصبح بِل مُمثِّلًا لإحدى النقابات؟ تساءلتُ عن ماهية هذه الضغوط المُركَّزة كذلك! هل يعني هذا أن بِل قتل كُل المُرشَّحين أمامه؟ أم أنه اشترى لكُل ناخِب من الناخبين زجاجة دماء من فصيلة "إيه موجب"؟

تخيَّلتُ بِل يجلِس لحضور أحد الاجتماعات، كتبتُ ببطءٍ: "ماذا سيكون منصِبك؟". حاولتُ أن أبدو فخورًا، وهو ما بدا أن بِل يتحرَّق له شوقًا.

قال: "أنا مُحقِّق المِنطَقة الخامِسة، وسأخبركِ بمعنى هذا عندما نعود إلى المنزِل. فلا أريد أن أُتعِبكِ الآن".

أومأتُ برأسي مُبتسمةً له. وتمنَّيتُ بالتأكيد ألا يخطُر بباله أن يسألني عن مصدَر كُل هذه الزهور. وتساءلتُ هل سيتوجَّب عليَّ أن أكتُب رسالة إلى إريك لأشكُره. وتساءلتُ لماذا انفجرَت كُل هذه الظلال داخِل دماغي، لا بُد أنه تأثير المُسكِّنات.

أشرتُ لبِل كي يقترِب. وهكذا فعل، اقترَب حتى وضع وجهه بجوار وجهي تمامًا، همستُ له: "لا تقتُل رينيه".

بدا باردًا، وبدأت ملامحه تزداد برودة بمرور اللحظات.

قُلت: "رُبما أكون قد قُمتُ بذلك بالفعل، لأنه في العناية المُركَّزة. لكن حتى لو عاش، فقد ارتكِب ما يكفي من جرائِم القتل. دع القانون يأخُذ مجراه، لا أريد أن يبدأ المزيد بمُطاردتك، بل أريد أن نعيش في سلام!".

أصبَحَت عملية التحدُّث صعبة للغاية، احتضنتُ يده بين يديَّ، ووضعتها على خدي المُصاب بقدرٍ أقل من الكدمات. فجأة... تحوَّل اشتياقي له إلى كُتلةٍ صلبةٍ استقرَّت في صدري، فسحبتُ يديَّ. جلس على حافة الفراش بحذر، وانحنى مُقترِبًا مني، وضع ذراعه تحتي بحرصٍ بالغٍ وجذبني إليه، ليمنحني الوقت الكافي لأخبره في حال آلَمتني الحركة.

أخيرًا هَمَس في أذني: "لن أقتُله".

همستُ، وأنا أعلم أن سمعه الحاد سيلتقِط كلماتي: "لقد افتقدتك يا حبيبي". سمعته يتنهَّد، قبل أن يضمني بيديه أكثر قليلًا، بدأت يداه تُمسِّدان ظهري بلُطف، قبل أن يقول: "أتساءل ما مدى سُرعة شفائكِ دون مُساعدتي؟".

همست: "سأحاول أن أشفى في عجلٍ من أمري، وأراهِن على أن الأطباء سيشعرون بالدهشة من ذلك".

رَكَضَ كلب كولي في الرواق، ونظر عبر الباب المفتوح قائِلًا: "هو هو". قبل أن يركُض مُبتعِدًا. استدار بِل ليُلقي نظرة مليئة بالدهشة نحو الباب. أجل، إن القمر مُكتمِل الليلة... يُمكِنني رؤيته عبر النافِذة. كما يُمكِنني رؤية شيء آخر كذلك. ظَهَر وجه أبيض من قلب الظلام، وطفا للحظة بيني وبين القمر. كان وجهًا وسيمًا، يؤطِّره شعر ذهبي طويل. ابتسم لي إريك مصَّاص الدماء قبل أن يختفي من أمامي تدريجيًّا. لقد كان يطير!

قال بِل وهو يُعيدني إلى الفراش بلُطفٍ حتى يتمكَّن من إغلاق ضوء الحمَّام: "سنعود إلى طبيعتنا قريبًا".

توهَّج في الظلام، فهمست: "أجل، صحيح... سنعود إلى طبيعتنا!".

